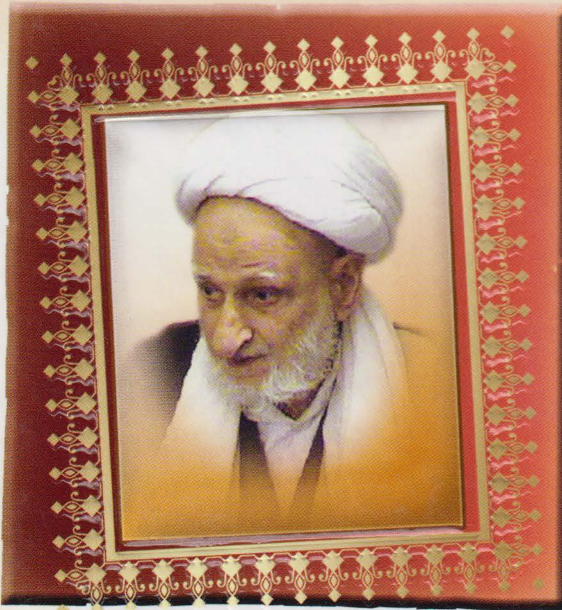
مدرسة العرفاء

إضاءات مشرقة في الحياة العملية والسلوكية والأخلاقية عند العرفاء

إبراهيم حسين سرور







الجزء الأول



دار الكاتب العربي

مكتبة

مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.

الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

مدرسة العرفاء

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - ص.ب: ٢٥/٣٥٥ - غبيري - بيروت
Daralkatebalarabi@hotmail.com

إبراهيم حسين سرور

مدرسة العرفاء

إضاءات مشرقة في الحياة العملية السلوكية والأخلاقية عند العرفاء





إهـــداء

إلى الطود الشامخ من العلماء العارفين بالله

إلى أصحاب القرب الإلٰهي والعشق الربّاني

إلى أساتذة الحقيقة

إلى من أنتهج سلوك الطريقة

إلى مريدي هذا الطريق وعشّاق المذهب الرفيق

أهدي هذا الكتاب

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة على سيد العارفين والمجاهدين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين وبعد:

يأتي هذا الكتاب في محاولة جادة للتعريف عن سيرة حياة العلماء الكبار العارفين بالله عزّ وجلّ، والتنور من إشراقات الصفات المكتسبة لديهم ودراسة الجوانب العلمية والعملية أي السلوكية إلى حدّ نقترب فيه من فهم طرقهم وسلوكهم وصفاتهم على جميع المستويات.

هذا وإن كان بحد نفسه يشكل خطراً صعباً ويشتمل على خوف القصور والتقصير الذي لا مفرّ منه.

لكن الوله بالصالحين والأنس بذكرهم والحديث عنهم، والاستشفاع بهم، منعنا الأمن وأغرانا بالمجازفة والتعرّض لذلك.

لا سيما وأن العناية الإلهية تدرك كل من سبر غور الحقيقة ليعرفها ويعرِّفها الناس.

ولا شك أن هؤلاء هم الحقيقة بعينها بعد الله عزّ وجلّ وأهل البيت عليهم السلام، وذلك لأنهم اقتحموا الحجب السميكة واشتغلوا بذكر الله

وأعرضوا عن إغواءات الشياطين فكانوا عباد الله حقاً وصدقاً.

يقول مولى الموحدين وملاذ العارفين أمير المؤمنين عليه السلام في علامات وأوصاف أولياء الله:

«إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناسُ إلى ظاهرها، واشتغلوا بأجلها إذ اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، ودركهم لها فوقاً، أعداء ما سالم الناس، وسلم ما عادى الناس، بهم علم الكتاب وبه علموا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا، لا يروه مرجوًّا فوق ما يرجون، ولا مخوفاً فوق ما يخافون»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«العارف شخصه مع الخلق، وقلبه مع الله، ولو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين وقائع الله وكنز أسراره، ومعدن أنواره، ودليل رحمته على خلقه، ومطية علومه وميزان فضله وعدله، قد نمن عن الخلق والمراد والدنيا، ولا مؤنس له سوى الله، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلاّ بالله، ومع الله ومن الله، فهو في رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله إليه متزوّد والمعرفة أصل وفرعه الإيمان»[٢].

وبعد هذه المقدمة ـ عزيزي القارىء ـ أقول لك أنه لا شك أن التمسك بهذه الروايات الشريفة والعمل بما ورد فيها من إرشادات ومضامين، كفيل بأن يجعل المرء على درجة عالية من التقوى، ويصوغ

(١) نهج البلاغة: ص٢٣٧، حكمة ٤٣٢.
(٢) مصباح الشريعة ١٩١.

شخصيته صياغة روحية، ويجعله قادراً على تطويع عالم المادة لعالم الروح.

والكتاب الذي بين يديك يسلط الأضواء على حياة وكرامات رجال من هذا المسلك الذين تطوّعوا في عداد الروحانيين الكبار وبلغوا مقامات إنسانية عالية وفازوا بالكمالات الروحية وبمعرفة حقائق الوجود حتى رزقهم الله المكاشفات والمشاهدات وصاروا مصداقاً لقوله عزّ من قائل: «عبدي أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون».

نسأل الله عزّ وجلّ أن نكون من أصحاب هذا الطريق والداعين إليه والمتنورين منه والمستفيدين من إضاءاته وإشراقاته إنه سميع مجيب الدعاء. والحمد لله رب العالمين.

حقيقة علم العرفان

ينقسم العرفان إلى قسمين:

١ـ العرفان العملي.

٢ـ العرفان النظري.

١ـ القسم العملي وهو الذي يتعهد تفسير وبيان مقامات العارفين ودرجات السالكين إلى القرب الإلٰهي بقدم المجاهدة والتزكية.

أما الغاية التي يبتغيها العارف في سلوكه، فهي الوصول إلى مقام من لا يرى في الوجود غيره (تعالى) أي أن العارف يريد أن يصل إلى مرتبة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

يريد أن يصل إلى مقام فيه يرى الله أقرب إلى الإنسان من نفسه.

وخلاصة الكلام أن العارف السالك إلى الله يريد أن يصل إلى مقام «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها».

فإذا كان السمع إلهياً فإنه لا يسمع إلاّ الحق، وإذا كان البصر إلهياً فإنه لا يرى إلاّ الحق، وإذا كان اللسان إلهياً فإنه لا ينطق إلاّ بالحق، وإذا

كانت اليد إلهية فإنها لا تبطش إلاّ بالحق فيكون هذا العبد إلهياً في كل حركاته وسكناته، ويصير مصداقاً للحديث «إن المؤمن ينظر بنور الله».

القسم الثاني: العرفان النظري:

وهو من فروع المعرفة الإنسانية التي تحاول أن تعطي تفسيراً كاملاً عن الوجود ونظامه وتجلياته ومراتبه. والعرفان في هذا القسم مثل الفلسفة التي تريد أن تفسر الوجود، خلافاً للقسم الأول الذي يتجه (كالأخلاق) لتغيير الإنسان.

جذور علم العرفان

علم العرفان كأحد العلوم الإسلامية لا بد أن ينتمي إلى أحد صنفين من العلوم، فهو إمّا أن ينتمي إلى صنف العلوم «التأسيسيّة» التي غرس بذرتها الدين، كعلم الفقه وعلم التفسير وما شابههما، وإمّا أن ينتمي إلى صنف العلوم «الإنسانية» التي غرس بذرتها الإنسان، وساهم في تنميتها الدين، كعلوم الطبّ والفيزياء والفلسفة.

وبهذا تتضح الرؤية لدى الباحث بأنّ علم العرفان إنّما هو من العلوم التأسيسية الممتدة الجذور لصلب شجرة الإسلام، التي غرس بذرتها القرآن الكريم ونمّاها الرسول الأعظمﷺ والأئمّة الأطهار ، وحافظ عليها علماء مدرسة أهل البيت .

وإن كانت الرؤية عند بعض المستشرقين تختلف عن هذه الرؤية تماماً، إذ يصرّون على أنّ الأفكار العرفانية اللطيفة والعميقة قد دخلت من خارج العالم الإسلامي إليه، فيقولون أحياناً: إنّ جذوره مسيحية، وإنّ الأفكار العرفانية قد نشأت نتيجة ارتباط المسلمين بالرهبان المسيحيين، وأحياناً يعتبرونها ردّة فعل إيرانية ضدّ الإسلام والعرب، وقد عدّها بعضهم حصيلة الفلسفة الأفلاطونيّة الجديدة، التي هي عبارة عن تركيب

ما بين أفكار أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس والإسكندريين وآراء المسيحيين واليهود وعقائدهم، واتّجه البعض إلى اعتبارها من نتاج الأفكار البوذيّة، كما سعى مخالفو العرفان في العالم الإسلامي وما زالوا لأجل تثبيت نظريتهم في اعتبار كلّ من العرفان والتصوّف غريبين عن الإسلام، والقول بأن جذورهما غير إسلامية[1].

(١) علم العرفان: ٣٥.

العرفان والتصوّف

الباحث في علم العرفان ولأوّل وهلة دائماً ما يتصوّر نحواً من العلاقة بين علم العرفان وحركة التصوّف، ولعل هذا التصوّر ناتج من الإيحائات المنعكسة عن المظاهر الخارجية لبعض علماء العرفان، والمحاكية للهيكلية الخارجية لحركة التصوّف، المتجسّدة في اللباس الخشن، والحذاء المرقّع، والعزلة الدائمة.

مع أنّ الحقيقة الواقعية لعلم العرفان والعرفاء لا تكمن في هندسة الهيكل الخارجي، إذ قد يوجد في عالم العرفان «عرفاء لا يتميّزون بالظاهر عن الآخرين في شيءٍ، وهم في نفس الوقت من أعمق أهل السير والسلوك العرفاني، وفي الحقيقة إنّ العرفاء الحقيقيين هم من أهل هذه الطبقة، لا أُولئك الذين اخترعوا من تلقاء أنفسهم مئات الآداب، وابتدعوا ما شاؤوا من البدع»[1].

بالإضافة إلى وجود الفوارق الجوهرية بين منهج المتصوّفة ومنهج العرفاء على الصعيد الفكري «فالعرفان. . ينطلق من المعرفة الإلهيّة

---

(١) علم العرفان: ١٢.

وصولاً إلى حالة تكامليّة تسعى للتكامل مع الإنسان السوي، الذي أراده تعالى ليكون خليفته في الأرض.

وتوحيد العارف بالله ينطلق من إدراكه أنّ الوجود الحقيقي ينحصر بالله تعالى، فكلّ ما عدا الله مظهر لا وجود له، فتوحيد العارف هو لا شيء إلاّ الله، وهو توحيد يكون في طيّ طريق الوصول إلى مرحلة لا يرى فيها إلاّ الله، وما أراد منه.

وبهذه الخاصّة ينفرد العرفان الشيعي عن العرفان الذي قالت به الصوفيّة، حيث اعتبروا أنّ العارفين هم من أشهدهم الله عليه، فظهرت الأحوال عن نفسه والمعرفة عن حاله[١].

الأفكار العرفانيّة في الرؤية الحوزويّة:

الفئة الأولى: وهي التي ترى بأن الفكر العرفاني هو أحد العلوم التي يُقال في حقّها «علم لا ينفع مَن علمه، ولا يضرّ مَن جهله» وطلبه وتحصيله مضيعة للعمر، وكاشف عن الضعف الكامن في الشخصية العلميّة.

وهذه الرؤية معارضة للوجدان؛ لما هو معلوم من أنّ كبار علماء العرفان يعدّون من أجلاّء العلماء والفقهاء على المستوى الحوزوي.

الفئة الثانية: هي التي ترى بأنّ الفكر العرفاني أحد العلوم الإسلاميّة الجليلة، التي تلعب دوراً كبيراً في إثراء الحركة العلمية والفكرية على الصعيدين الفلسفي والكلامي.

ومن أبرز روّاد هذه الفئة «الملاّ صدر الدين الشيرازي» المعروف

---

(١) التشيّع والتصوّف: ١٦٣.

بـ «صدر المتألّهين» الذي سلك مسلك العرفاء، فاستطاع أن يثري المدرسة الإسلاميّة بأدقّ النظريّات الفلسفية المهمة، والتي كان من بينها النظرية المشهورة «نظرية الحركة الجوهرية».

بل قيل: بأنّ كتابه «الأسفار» ما هو إلاّ ثمرة من ثمرات سيره وسلوكه في المسلك العرفاني، وما أجمل ما ذكره العلاّمة المظفّر (قدس سره) في حديثه عن صدر المتألّهين (قدّس سرّه). قال: وهو يعتقد بأنّ الإنسان يتمكّن من الحصول على العلم اللدني والانكشاف اليقيني، بطول المجاهدات والانقطاع إلى الله تعالى، بعد تصفية الباطن ورفع الحجب عن النفس، لذلك قال (قدّس سرّه) نتيجة لتلك العزلة: «اشتعلت نفسي لطول المجاهدات، والتهب قلبي لكثرة الرياضات التهاباً قويّاً، ففاضت عليها أنوار الملكوت، وحلّت بها خبايا الجبروت، ولحقتها الأضواء الأحديّة، وتداركتها الألطاف الإلهيّة، فأطلعتُ على أسرار لم أكن أطّلعت عليها إلاّ الآن، وانكشفت لي رموز لم تكن منكشفة هذا الانكشاف من البرهان، بل كلّ ما علمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والعيان»[1].

فصدر المتألّهين يرى أن المعرفة تحصل من طريقين:

١ـ طريق البحث والتعلّم والتعليم، الذي يستند على الأقيسة والمقدّمات المنطقيّة.

٢ـ طريق العلم اللدني الذي يحصل من طريق الإلهام والكشف والحدس.

وهذا الأخير إنّما يحصل بسبب تجريد النفس عن شهواتها ولذائذها،

---

(١) الأسفار: ١/٧.

والتخلّص من أدران الدنيا وأوساخها، فتنجلي مرآتها الصقلية، وتنطبع عليها صور حقائق الأشياء كما هي، إذ تتّحد النفس بالعقل الفعّال حينما تحدث لها فطرة ثانية بذلك[١].

ولا يكتفي صدر المتألّهين ببيان هذه الأطروحة، بل يندّد بأصحاب الفئة الأُولى، فيقول: إنّ كثيراً من المنتسبين إلى العلم ينكرون العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليه السلاّك والعرفاء، وهو أقوى وأحكم من سائر العلوم[٢].

---

(١) الأسفار: ١/٩.

(٢) الأسفار: ١/٩.

الحياة الشخصيّة والعرفانية
للسيد هاشم الحداد (قدّس سرّه)

الحياة الشخصيّة للسيد الحداد (قدّس سرّه)

نسبه (قدّس سرّه) الطاهر:

هو السيّد هاشم بن السيد قاسم بن السيد حسن بن السيّد داوُد وينتهي نسبه الشريف إلى السيد إبراهيم المجاب ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

ولادته (قدّس سرّه):

وُلد في مدينة كربلاء المقدّسة سنة سبعة عشر بعد ألف وثلثمائة من الهجرة النبويّة (١٣١٧هـ)، وترعرع في بيت العِفَّة والشَّرَف والمحبّة والرَّابطة القويمة والولاء العشقي لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله ولا سيّما بفردية التوحيد ووِتر الوجود وقُطْب عالم الإمكان وسرّ وحدة الوجود بين الشَّاهد والمشهود ومصدر العشق لخامس أصحاب العبا سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

والده (قدّس سرّه):

وأمّا والده فقد ولد في كربلاء، لأنّ جده السيد حسن رحمه الله جيء به إلى كربلاء المقدَّسة بعد غزو الأعداء المنطقة التي كان يقطن بها في الهند وتُسمَّى: «نكلو» أسيراً مع الأُسارى، وكان من عاداتهم في تلك المنطقة بيع الأسرى الّذين يأسرونهم في المعارك التي تحصل فيما بينهم، وقد بيع

لعائلة هنديّة شيعيّة ثرِيّة تسمى بأفضل خان، وأحفادهم لحدّ يومنا هذا موجودون هناك، وبعد مدة جاءت تلك العائلة إلى كربلاء لمجاورة الإمام الحسين عليه السلام والسُّكنى هناك، وكان السيّد حسن بصحبتهم، وفي تلك المُدّة هجم الوهّابيون على مدينة كربلاء وقتلوا عدداً كبيراً من أهاليها، فنزحت هذه العائلة الهندية بعد ما جرى من الخراب على المدينة إلى منطقة تُسمَّى حالياً قلعة الهندي بشارع العبّاس عليه السلام بعد وادي الصّفا، ولا زالت القلعة موجودة إلى يومنا هذا.

والدته (قدّس سرّه):

والدتُه امرأةٍ ذائبة بأهل البيت عليهم السلام بالخصوص بأبي عبد الله الحسين عليه السلام، كما قال عنها ـ قدس الله نفسه الزكيّة ـ:

«**إنها كانت من المُؤمنات المواظبات على زيارة عاشوراء يومياً، حيث إنها بعد صلاة الصُّبح كانت تشتغل بالتَّعقيبات، ومن جملتها زيارة عاشوراء الكاملة**[١]**، فكانت تقرأ الزِّيارة وهي مشغولة في إعداد وجبة الفطور لأولادها، فكانت أنوار وبركات هذه الزيارة العظيمة تنتشر على المائدة التي يتناولها الأولاد، وفي عروقهم ينمو الولاء لأهل البيت عليهم السلام**، والبراءة من أعدائهم».

وقال: «**إنّ توفيقي بهذا المقام أنها أخبرتني ـ رحمها الله ـ وقالت لي: (ولدي هاشم، منذ أن حملتك إلى أن وضعتُك وأنا أقرأ عليك بعد كلِّ فريضة صُبْحٍ زيارة عاشوراء**».

---

(١) قوله (قدّس سرّه): كاملة: هو أن تؤدّي مع الشرائط الخاصة للزيارة من اللعن مئة والسلام مئة مرة.

أولاده (قدّس سرّه):

أخلف السيّد هاشم الموسوي الحداد عدد من الأبناء وهم كالترتيب:

١ـ فاطمة.

٢ـ سيّد مهدي ـ وأولاده (السيّد علي، السيّد حسين، السيّد حيدر، السيّد جعفر، السيّد قاسم، وأعقبه أربع بنات).

٣ـ سيد قاسم ـ وأولاده (السيّد علاء فقط).

٤ـ سيد حسن (والد المؤلف) وأولاده (السيّد عباس، السيّد موسى، السيّد محسن، السيّد منصور، السيّد علي، السيّد عبد الجليل، السيّد جميل، السيّد هاشم، السيّد رضا، وأعقب ثلاثة بنات).

٥ـ سيّد صالح (أعقب بنت واحدة).

٦ـ سيّد إبراهيم ـ أولاده (السيّد خليل، السيّد مؤيد، السيّد محمد، السيّد أحمد، وبنتان).

٧ـ عبد الأمير ـ وأولاده (السيّد أحمد، السيّد هاني، السيّد ياسر، وبنتان).

الحياة السلوكيّة للسيّد الحداد (قدّس سرّه)

كان السيّد الحدّاد ـ نوّر الله مضجعه الشريف ـ في أول شبابه يبحث عن ضالّته، وهي البحث عن الأُستاذ الكامل لطيّ الطُّرق وشقّ الحجب يقول: «**تأتيني إشارة ولا أدري ما المقصود بذلك؟!**».

وكان يقول:

«**كنت أذهب إلى صحن المولى أبي عبد الله الحسين**عليه السلام وأخدم بعض الفضلاء ممَّن كان يقيم صلاة الجماعة مدَّة طويلة من الزمن بعد ما تأتيني إشارة بذلك، فأفرش له سجّادة الصلاة وبعد إتمام صلاة أطويها له، وفي كل مرة أقبِّل يده وبعد سنين أطلب منه الإفاضة فيتّضح لي أنه يفتقد لما أطلبه منه، فلم يكن هو ذلك الشّخص الذي أبحث عنه، فأُواصل بحثي إلى أن أجد فاضلاً آخراً من أئمة الجماعة فأجد بأنّه ليس بغيتي.

وعلى هذا المنوال تكرّرت منّي هذه الحالة مع العديد من أئمّة الجماعة ولسنين طويلة إلى أن اهتديت سبيل الصّواب وهداية الحق بالمرحوم القاضي في النجف الأشرف، وكان حينذاك يدرّس في مدرسة الهندي، فلمّا دخلت من باب المدرسة وقعت عيني على السيّد المرحوم

القاضي، وكان في الطابق العلوي من المدرسة وبالجهة المقابلة لبابها كأنّه ينتظرني فنظر إليَّ متبسِّماً، ثم قال: تعال يا سيّد فقد.

وصلت أمّا أنا فكدت أن أطير من الفرح بعدما عرفت أن ضالّتي المنشودة قد اهتديت إليها، وسأعيش في أكنافها وتحت دفء أجنحة لطفها ومودّتها، فبقيت مدة مع السيّد القاضي ودرست بعض الدروس الحوزوية في الفقه الإستدلالي بالإضافة إلى التوجيهات التي كنت أُتحف بها من أستاذي، فكنّا بعدها معاً ويأتي هو وقت العصر إلى غرفتي[1]، أعدُّ له الشاي فيشرب شاياً عندي، وهكذا إلى أن تغيَّر وضع المدرسة بعد سنتين.

وبعد ذلك أشار عليَّ أستاذي بالرجوع إلى كربلاء والمداومة على صنعتي، وهي الحدادة، فأطعت أوامره بالرجوع باللحظة الّتي أشار عليَّ بذلك، رغم أنّ ذلك كان يشقُّ عليَّ كثيراً لشدّة تعلّقي بأُستاذي حتّى أنّي كنت لا أقدم على شيءٍ لا يرغبه، فرجعت إلى كربلاء واستأجرت دكّاناً بالقرب من خزّان الماء وقمت أعمل بالحدادة، وكنت أُعدّ اللحظات لحظة بعد لحظة إلى أن تأتي ليلة الجمعة لمشاهدة أستاذي، حيث إنه كان يأتي في أكثر ليالي الجمعة للزّيارة، وكنت أصطحبه وأذهب معه لأداء فريضتَي المغرب والعشاء على سطح كشوانيّة رقم واحد في صحن أبي الفضل العباس عليه السلام، وكنت أأتمّ به وبعد الفريضتين يدير وجهه إليَّ يسألني عن أُموري العامة والخاصة، فكان يسألني عن عائلتي وأطفالي وكسبي، وكذلك عن حالي في السّير والسُّلوك، وأنا كنت أشرح له ما

(١) وهي المشهورة بغرفة السيد مهدي بحر العلوم الذي يتشرف بها بلقاء صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف.

عندي وأعرّفه بكلّ ما يسأله منّي صغيرة أو كبيرة، فإذا كانت لديّ مكاشفة أو رُؤيا كنت أقصّها له أو بعض الخواطر كنت أستفسر منه أو سؤال تبادر إلى ذهني فأسأله، وحتى عن أُموري المعاشيّة والزوجة والأولاد، فكنت أُطلعه على ما عندي.

وقد كان عندي شريك اسمه محمد خضر وكان سُنّيّاً إلاّ أنه يدّعي التشيُّع وكان يحترم السيّد القاضي وكان يقول لي في كل أسبوع: أرجوك إِسأل من السيد عليّ هل يجوز سبّ أعداء أهل البيت أو لا؟ فأقول له: أهٰذا الأمر يحتاج إلى سؤال؟! إنّ هؤلاء معروفون فهم كذا وكذا، وعندما يأتي اليوم الثاني لمجيء المرحوم السيّد القاضي يعيد عليَّ نفس السُّؤال، فأردّ عليه نفس الرَّد...

ولما أضحى النهار قلت له: مُحمَّد! إنني صمّمت على الذهاب والسُّكنى والعمل بالنجف الأشرف وأُريد فسخ الشراكة، ولمّا كانت شطارتي مشهودة ونتاج عملي ما يعادل سبعة حدّادين، وكلّ واحد يرغب أن يشاركني؛ لذا فإنه أبى ذلك وأخذ يتشبّث لإقناعي بالعدول عن تصميمي هذا، فقال: كلّ ما تريد أنا في خدمتك ما هو الذي أزعجك؟ كلّ ذلك لإقناعي، فأبيت ذلك وأطلعته على أن تصميمي قطعيّ، فلمّا تيقّن من أنّه لا جدوى من ممانعته، قال: إنّي لا أملك مالاً أعطيكه، فتركت له الدُّكان وما فيه سوى ما أخذت من الشيء اليسير منه وانصرفت إلى النّجف الأشرف؛ لأنّي علمت أن شراكتي معه تضرّ بسلوكي، وليس من رأي أُستاذي البقاء في شراكتي معه، وبعد أيام رجعت إلى كربلاء واستأجرت دُكاناً في منطقة أخرى لمزاولة صنعتي وهي الحدادة ـ ولكن لوحدي ـ وكنت أجدّ وأجتهد في عملي خلف الكورة ـ فرن الحدادة ـ لكي أجمع في الأُسبوع درهماً وأذهب به إلى النجف لأُعطيه لأُستاذي

لعلمي بحاجته، وكثيراً ما يصادف أن أُعطيه له عند باب منزله وأرجع؛ لكي لا أتأخّر عن عملي وفي أحد المرّات ذهبت إلى النجف وكنت آنذاك تعباً جدّاً ولم يكن السيّد في المنزل، فنمت عند باب داره، فإذا بالسيّد يضع يده على كتفي قائلاً بهدوء:

ولدي! ولدي! فاستيقظت وسلّمت عليه، وبعد ما أعطيته الدرهم رجعت إلى كربلاء دون الدُّخول إلى داره».

* * *

كلمات العلماء فيه (قدس سره)

الكلمة الأولى:

آية الله العلاّمة المرحوم الحاج السيّد محمد حسين الحسيني الطهراني[1] الذي كان يقول في جلسات خاصّة:

«إن كل ما عندنا هو من السيّد هاشم الحداد ـ روحي فاده ـ ولم أرَ أو أسمعْ عارفاً وصل إلى ذروة الكمال وبلغ المقام كالسيّد هاشم الحداد والذي ذكرتُه في كتاب الرُّوح المجرَّد هو نقطة من بحر ولم أذكر مقاماته التي شاهدتها لأنّ عُقول الناس لا تتحمّلها».

وكان يقول:

«عقله متفرِّع من العقل الأول وهو العقل المحمَّدي».

وله تعريف عظيم في حقّه أنه قال:

«السيد الجليل الكريم حجّة العرفاء العاملين ولُبَّة الأولياء المقرَّبين فريد عصره ودُرَّة دهره، الذي لم يسمع بمثله الزمان إنسان العين وعين الإنسان، العارف الكامل المُتحقق بحقيقة العبودية نقطة الوحدة بين قَوسي الأحديَّة والواحديَّة، حضرة الحاج السيّد هاشم السيّد قاسم السيّد

(١) ستأتي ترجمته في هذا الكتاب وإن كان العلاّمة محمد حسين الطهراني أشهر من أن يُعرَّف.

حسن الموسوي الحدّاد من أعلام العصر وفرائد الدهر أفاض الله علينا من بركات ترتبه».

تِهِبّ أرياح طيبة من آل هاشم   هاك اشتم عطر فوّاح هاشم
عطر السيّد الحدّاد هاشم   عطره يهيّم وبيه جاذبيّة

الكلمة الثانية:

وآية الله العارف المرحوم السيّد عبد الكريم الكشميري[1] رحمه الله.

---

(١) ترجمة آية الله العارف المرحوم السيّد عبد الكريم الكشميري (قدّس سرّه) أخذناها بعد الترجمة من كتاب (أسوة عارفان) باللغة الفارسية، حيث ترجم صاحب الكتاب حياة السيّد وأبيه وإليك نص الترجمة:

آية الله حسن الرضوي الكشميري ـ جد عبد الكريم الكشميري ـ من فضلاء علماء الشيعة في منتصف القرن الرابع الهجري. أصله من قم ومن أحفاد السيّد موسى المبرقع في قم، والده السيّد عبد الله الكشميري كان عالم عظيم وكان ينادي ابنه بـ (العلاّمة) بعد تمام دراسته العلمية العليا عند المولى حسين فاضل الأركاني والمولى محمد تقي الهراتي وبعد أن حاز على الدرجات الرفيعة في التبليغ وترويج مذهب الفقه الجعفري سافر إلى كشمير التي تنادي منذ القديم بـ (إيران الثانية). فهو عالم زاهد، وفقيه جليل وصاحب كرامات ومشاهدات غيبية. كما نُقل عنه حكايات متعددة في هذا الخصوص كما هو معروف بالمناظرة والاحتجاج الذي حصل مع أحد ناصبي المنطقة، حيث كان يدَّعي هذا الناصبي، ابنه يستطيع أن يرتفع عن الأرض ويصعد إلى السماء ويعتقد أن هذا دليل على صدق مذهبه الباطل. المرحوم سيد حسن طلب منه أن يعمل بمعجزته. فبعد أداء بعض الحركات الخاصة ارتفع ببضعة أمتار عن الأرض وصعد إلى السماء، وفي هذه الأثناء وهو صاعد في السماء دعا المرحوم سيد حسن دعاءً ورمى بنعله باتجاهه. فانطلق النعل حتى صار فوق رأسه يضربه ضرباً متناوباً على رأسه ويخفضه إلى الأسفل بعد كلّ ضربة، إلى أن سقط على الأرض مطروحاً ذليلاً حقير. المرحوم السيّد حسن كان يسكن في كربلاء ويدرس الفقه هناك وكان من أهمّ طلاّبه، الآيات العظام الشيخ علي زاهد القمي، الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (مؤسس حوزة قم العلمية والسيّد محمد هادي الرضوي الكشميري. كان وسيم الوجه حيث قال عنه الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (إنني في درسه كنت حائر بين أمرين، بين الانتباه إلى الدرس والنظر إلى وجهه الوسيم).

حجة الإسلام والمسلمين سيد محمد علي الرضوي الكشميري ـ والد عبد ا لكريم ـ

قيل له: لماذا لم تُعرّف لنا السيّد الحدّاد ولم تبيّن لنا حالاته؟ فأجاب (قدّس سرّه):

«السيد هاشم أسمى من أن يُعرَف في هذا العالم، وكان مستغنٍ عن

عالم عامل وزاهد متقي، من طلب السيّد كاظم اليزدي والحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي في النجف الأشرف، فزهده من زخارف الدنيا وقناعته معروفة عند القريب والبعيد وكان يتميّز بقراءة التذاكير بالخصوص دعاء (يستشير والاحتجاب).
المرحوم السيّد محمد علي الكشميري صهر آية الله العظمى كاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى ـ كان حريص جداً على ولده آية الله الكشميري ـ بحيث عندما كان يسافر إلى الكاظمية ببغداد كان يؤكّد عليه أن لا يدخل إلى داخل الأسواق احترازاً من مناظر الفساد في داخل المدينة فضلاً عن الأفراد الذين كان يرسلهم معه لحمايته توفي المرحوم السيّد محمد علي الكشميري في النجف الأشرف في العشرين من جمادى الأول من سنة ١٣٦٩ق عن عمرٍ يناهز السادسة والخمسين ودفن فيها.
وفي مثل هذا الجو المليء بالعلم والإيمان والتقوى ولد السيّد عبد الكريم الكشميري في سنة ١٣٤٦ قمري في النجف الأشرف وسمّاه والده بهذا الاسم بسبب المحبة والإرادة التي كان يعلقها إلى الشيخ المؤسس عبد الكريم الحائري اليزدي امه بنت آية الله السيّد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب العروة الوثقى ومن المخدرات الفاضلات الجليلات في عصرها.
انطوت سنوات الطفولة في أحضان والديه الدافئة العطوفة وعلى رغبة من ذاته وطبقاً لسيرة أسرته شرع في الدراسة الابتدائية الحوزوية منذ صغر سنه، فعلّمه والده أبرز أساتذة الحوزة في النجف الأشرف مثل آية الله اليخ مجتبى النكراني والشيخ راضي التبريزي (مكاسب)، والشيخ محمد تقي بهجت فومني (رسائل)، الشيخ محمد حسين الطهراني من أفضل تلامذة الآخوند الخراساني (كفاية الأُوصل)، الحاج فيض الخراساني (منظومة سبزواري)، الشيخ صدرا البادكوي (متون فلسفي) والشيخ عبد الحسين رشتي (أسفار) في أوائل شبابه حضر دروس بحث الخارج من الفقه على يد آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي، السيّد عبد الأعلى السبزواري والشيخ علي محمد البروجردي وميرزا حسن البجنوردي وسعى واجتهد بكلّ ما أُوتي به من طاقة فاستطاع بمدة وجيزة أن يأخذ رخصة الاجتهاد من السيّد الخوئي رحمه الله ينقل حجة الإسلام والمسلمين مروي أن السيّد الخوائي قال للكشميري: حُرِّم عليك التقليد).
وفي نفس الوقت الذي كان يتعلم هذه العلوم الظاهرية كان يدرس العلوم الغريبة أيضاً فتبحّر بعلوم مختلفة مثل الجفر، علم الأعداد، التكسير، والحروف والزبر والمبنيات والمربّعات وأسماء الله.

هذا الخلق في حياته، فكيف يفتقر إلى تعريفه بعد مماته؟».

وله قِصة جميلة عنه (قدّس سرّه) أنه قال:

«تشرّفت بزيارة كربلاء المقدَّسة وكان مجيئي من النجف الأشرف، فوقفت أُفكِّر إلى أين أذهب الآن، هل أذهب إلى زيارة المولى سيد الشهداء عليه السلام أو أذهب إلى رؤية السيّد الحدَّاد؟».

يقول:

«لمّا وصلت زقاق منزله الذي لا يبعدُ عن مرقد الإمام الحسين عليه السلام إلاّ مسافة قليلة صمَّمت أن أذهب أولاً إلى رؤية السيّد الحداد وبعدها أذهب إلى زيارة المولى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولمّا دخلت الزّقاق رأيت عائلة متوجّهة نحوي وكأنهم أهل بادية من ملابسهم وهيئتهم وإذا بطفل صغير معهم يخاطب أباه وقال: أبي انظر إلى هذا السيّد قد ترك المولى وقصد العبد».

يقول:

«فاندهشت في تلك اللحظة مِمّا أنطقه الله وأنا على تلك الحالة فصمَّمت الذهاب إلى زيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام. وإنِّي كنت على علم بأن السيّد الحداد كان لا يرضى لأحدٍ بأن يُقدِّم زيارته على زيارة الإمام الحسين عليه السلام».

ويقول آية الله المرحوم السيّد عبد الكريم الكشميري (قدّس سرّه) في حقّ السيّد الحداد:

«كان رجلاً حكيماً هنديّ الأصل، وكان يتقن اللغة الفارسية أيضاً، وكان حليماً، إذ أنّ أحد أقربائه عرّضه ذات يوم للأذى، فقال: دعوه يستخرج أضغان صدره.

أدرك السيّد علي القاضي (قدّس سرّه)، ولازمه عشرين عاماً تقريباً، وكان القاضي كلَّما سافر إلى كربلاء يعرّج على دار الحداد. وكان ينشد شعر ابن الفارض بإتقان، وكان مولعاً به.

وكان أوّل عهدي بالسيّد الحداد أن أحد أصدقائي جاءني يوماً، وقال لي: إن شخصاً في كربلاء يدعى السيّد هاشم الحداد، وكان تلميذ السيّد القاضي، هلمّ نزوره. سافرنا معاً إلى كربلاء، وذهبنا إلى داره، وكنت آنذاك منكفئاً إلى التدريس، فقال لي: كان أجدادك أهل المعنى، فينبغي أن تكون من أهل المعنى، وتوطّدت فيما بيننا أواصر الصداقة والمودَّة يوماً بعد يوم، بحيث كنت كلَّما أتيت من النَّجف ميمّماً صوب كربلاء أزوره في داره، وكلَّما جاء إلى النجف زارني في داري.

وكان قليل الكلام، كثير السُّجود والمثابرة على ذكر اليونسيّة في سجوده، وكان من يأتي إليه ليأتمر بأوامره، يلتفت إليَّ أحياناً ويقول: علِّمه شيئاً من الأوراد.

وزكان يقول فيما يؤثّر في معرفة النفس ومعرفة الرَّب: إن ذكر اليونسيّة في السُّجود وذكر: (يا الله يا إلٰه يا ربّ) ساعة من الوقت في السجود له أثر بالغ في تقوية الرّوح، وأوصى من يتلظّى غيظاً بأن يقرأ سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ عدة مرَّات، فإنه مؤثِّر ويؤدث إلى شرح الصدر.

سألت السيّد الحدّاد يوماً: لماذا ينتهي ذكر اليونسية بلفظ: (الظالمين) وليس بجملة: (نُنجِّي المؤمنين؟).

قال: ينتهي هذا الذكر بعبارة: (كنت من الظَّالمين)؛ لأنَّه هنا للعبد، وما بعده وهو استجابة ونجاة المؤمنين لله، فقلت: كلام الملوك ملوك الكلام».

وقال (قدّس سرّه): «جاء إلى داري أحد العلماء في النَّجف ذات يوم وقال: إنَّ بعض الناس قد سموا إلى المكارم، ولا يعدّون من العلماء، وهم منكبُّون على طرق غريبة لا تمتُّ إلى الفقه بصلة، وكان يشير بذلك إلى السيّد الحدّاد، فقلت له: إنِّي لازمته خمس عشرة سنة، وكانت لي معه صحبة فلم أسمع منه كلاماً فيه مغمز».

وقال كان المرحوم الشهيد المطهري في يوم ما يبحث عن منزل السيّد الحدّاد فذهبت به إلى منزله وفي خلال لقاء تكلم السيّد الحدّاد له كلاماً طيباً له أثر بالغ في القلب والروح من حيث المعنوية بحيث أبكى الشيخ حتى قام يبكي بصوت عال ووقعت العمامة من رأسه ومن جملة ما قال له: إنك ستقتل.

وقال: جاء السيّد الحدّاد في يوم إلى بيتنا في النجف الأشرف، وحين وجوده جاء أحد من أهل العلم إلى بيتنا فقام يتكلم ويعترض على أهل العلم وقد وصل الحدّ به أن قال: إن الأطفال يألفون كتباً للخلق مع أن علمنا أكثر وعمرنا أكبر وكان كلامه من هذا القبيل.

وقد ا كتفى السيّد الحدّاد بكم جملة في جوابه والردّ عليه وبعد مدة رآني ذلك الشخص فقال لي: في الواقع من كان ذلك السيّد الذي رأيته في بيتك، لأن كلامه أثّر في وجودي.

وكان يقول: إنّ أحداً جاء إلى السيّد الحدّاد، وكان حارّاً فكان يتكلم من مختلف المجالات.

وقد اكتفى السيّد الحدّاد بآية من القرآن تدلّ على حرارة ذلك الرجل وهي: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾[1].

---

(١) سورة التكوير، الآية: ١٢.

وفي قصة أخرى كان السيد الكشميري يقول: إن أحداً جاء إلى السيّد الحدّاد، وكان كثيراً ما يتكلّم بكلمات واهية فتعب السيّد الحدّاد من كلامه وكان يريد خروجه من البيت فتمسّك بقراءة هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾[1]. وما مضى إلاّ هنيئة، وإذا شخص جاء إلى بيت السيّد الحدّاد بطلب ذلك الشخص وقال له: قم وأسرع لكي نسافر فقد اشتريت تذكرة السفر.

وقال مؤلّف كتاب روح وريحان: «كان سماحة الأُستاذ قد أصيب في السنوات الأخيرة من حياته بأمراض جسميّة عديدة، وتعرَّض للجلطة الدمويَّة، قال: رأيت السيّد الحدّاد في المنام، وقال لي: ما يشجيك؟ إنَّ الفرج لقريب.

وهكذا حصل أخيراً، إذ رحل سماحة الأُستاذ إلى ربّه، وهو أَسمى مراتب الفرج والفتح».

وقال: «**إن العِظام كلُّهم رحلوا، وكان آخرهم السيّد هاشم الحدّاد، وتمثَّل بهذا البيت**:

همه بار سفر بستند ورفتند
مرا خونين جگر كردند ورفتند

أي:

شَدُّوا الرِّحالَ وخَلَّفوني بعدَهُمْ
أشْكُو الضَّنا وأُكَابِدُ الآلاما

ثم بكى وقال: «**أفرغ مجهودك، وسدَّ الثُّلمة التي أحدثها رحيل هؤلاء**».

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

وقد سُئل منه: هل يمكن انسلاخ روح الإنسان عن جسمه؟.

أجاب: «نعم، يمكن أن يحدث ذلك للأَولياء، وقد حدث الانسلاخ ثلاثة أيّام للمرحوم السيّد هاشم الحدّاد».

أيضاً سُئل: أرأيت مَن وصل إلى مقام الفناء؟

فأجاب: «نعم، السيّد علي القاضي والسيّد هاشم الحدّاد رحمه الله»[1].

---

(١) كتاب ـ آفتاب خوبان وكتاب روح وريحان ـ وهما في ذكرى آية الله المرحوم السيّد عبد الكريم الكشميري.

مع أستاذ السيّد الحدّاد (قدّس سرّه)

قال ـ نَوَّر الله مضجعه ـ:

«أُستاذي المرحوم السيّد علي القاضي، وكان أُستاذه أباه السيّد حسين القاضي، وقد استفاد الأب من السيّد علي الشوشتري، واستفاد السيّد الشوشتري من جولائي.

وقضية جولائي هي: أنه كان يسكن في تبريز، وفي يوم جاء إليه جندي، وهو من الذائبين بالإمام المهدي عليه السلام وكان جولائي يخدمه، ومنها أنه قال له: كيف تُعِدَّ طعامك؟

فقال: أُعطي قمحاً أو شعيراً لشخص وهو يُعِدُّ لي خبزاً ويأتي به إليَّ.

فقال له الجندي: قل له يعمل لي كذلك.

ويوافق على هذا، وتمتدُّ مدة مديدة على هذا المنوال. إلى أن يموت الجندي، فيُكفِّنه ويدفنه، بعد ذلك يُستدعى فيظنُّ ذلك للسؤال عن أوضاع الجندي، ثم إنه يذهب، ويدخل في مجلس فيه عدّة أشخاص جالسون لهم بهاء ونورانية خاصّة، فيقولون له: نريد أن نحوّل إليك أعمال الجندي الذي كان من أنصار الإمام وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه».

ويروي السيد الطباطبائي قصة طريفة فيقول: قبل حوالي مائة سنة كان في شوشتر عالم جليل القدر.. وكان مشتغلاً كسائر العلماء الأعلام بالتدريس والقضاء وشؤون المرجعية.. وذات يوم، فجأة طرق باب المنزل طارق.. وعندما سأله السيّد من أنت؟ قال: اِفتح الباب، شخص له معك شغل...

عندما يفتح السيّد علي الباب يرى شخصاً نسّاجاً فيسأله: ماذا تريد؟

يقول النسّاج: الحكم الفلاني الذي حكمت به بناءً على دعوى الشهود بملكيّة العقاري الفلاني للشخص الفلاني (هذا الحكم) ليس صحيحاً، هذا العقار لطفل صغير يتيم، ووثيقة ذلك مدفونة في المكان الفلاني..

هذا الطريق الذي سلكته خاطىء وليس لك.

يقول آية الله الشوشتري: وهل أخطأت؟ يقول النسّاج: كما قلت لك..

يقول ذلك وينصرف. ويستغرق آية الله الشوشتري في التفكير من هو هذا الرجل..

وماذا قال؟! وقرّر أن يتأكد من صحة كلامه فيتبيّن أن وثيقة ملك الطفل اليتيم مدفونة في ذلك المكان.. والشّهود الذين شهدوا على ملكية غيره كانوا شهود زور.. يخاف السيّد على نفسه كثيراً ويقول في نفسه: ومن يدري أن كثيراً من الأحكام التي حكمت بها ليست من هذا القبيل فيستبدّ به الخوف..

وفي الليلة التالية في الوقت نفسه يطرق النسّاج الباب قائلاً: يا جناب السيّد علي الشوشتري الطريق ليس هذا الذي تسلك.. وفي الليلة

الثالثة يتكرر ذلك بهذه الكيفية ويقول النسّاج: لا تتأخر، هيىء أثاث البيت للسفر ـ بع البيت ـ وتشرف بالانتقال إلى النجف الأشرف وأعمل بما قلت. وانتظرني بعد ستة أشهر في وادي السلام في النجف.

وبمجرد أن يصل إلى «وادي السلام» مع شروق الشمس يجد النساج هناك وكأنه نبع من الأرض فيزوّده بتوجيهات وينصرف.

ويدخل المرحوم الشوشتري إلى النجف ويعمل بهذه التوجيهات، فيصل إلى مرتبة سامية ومقام لا يمكن بيانه.

وجاء نفس القصة في كتاب بيان الأئمة ج ١ ص ٢٥ مع زيادة توضيح وهي: إنّ أحد العلماء ـ وهو السيّد علي الشوشتري ـ كان عالماً في بعض بلاد إيران وكان رجلاً زاهداً عابداً صاحب دين وأمانة وعقل وكان مبرّزاً معروفاً في تلك البلدة فجاءه أحد التجار يوماً وبيده ورقة بيع بعض الأملاك العظيمة التي كانت في تلك البلدة وطلب منه أن يمضي تلك الورقة ويصادق عليها ويختمها بخاتمه فأمضاها السيد، وصادق عليها فلما صار الليل وكان الوقت بارداً جداً وكان هو وزوجته قد التحفا بفروة في زاوية الغرفة تحفظاً من البرد إذ طرقت عليهم باب الدار فتثاقل السيد من الخروج فلمّا ألحّ في طرق الباب قالت زوجته للسيد: لعلّ هذا الطارق صاحب حاجة قم إليه.

فلبس الفروة وترك زوجته في البرد وذهب إلى الباب ففتحها فرأى رجلاً عليه ثياب الزهّاد ـ وهو قلي النسّاج ـ فسلّم على السيّد وقال له:

إن لي معك شغل فهل تأذن لي بالدخول إلى دارك؟ فأذن له إلاّ أن السيّد استثقل منه كثيراً في هذا الوقت العصيب كما أنه استغرب من زيّه. فلمّا استقرّ به الجلوس شرع في موعظة السيّد وإرشاده.

وقال: إنّ العالم ينبغي له أن يتأمل ويتأنّى في القضايا الواردة عليه وأن لا يتسرّع فيها لأن العالم إذا تسرّع هلك وأهلك وألقى نفسه في المهالك فيكون مسؤولاً مام الله تعالى فثقل على السيد العالم أكثر، لأنه فهم منه أنه غير متّعض وهو نقص كبير في العالم إلى أن قال له: كيف صدّقت الورقة التي وردت عليك اليوم مع أن هذه الأملاك وقف للإمام الحسين عليه السلام وأنا أدلّك على أوراق وقفها. فإنّك تذهب بكرة إلى حاكم البلدة، وتأخذه معك إلى دار صاحب ورقة البيع وخذ معك أحد الفعلة فتحفرون الموضع الفلاني من داره وعيّن له الموضع فتجدون صندوقاً فيه وقفية هذه الأملاك وخذ ورقة البيع من صاحب الدار وخرّقها، وأعلن في البلدة وقفيّة هذه الأملاك. ثم ودّع السيّد وانصرف ولمّا أصبح السيد ذهب إلى الحاكم وأخذ معه بعض الفعلة، وقصد الدار على الوصف وحفر الموضع وأخرج الصندوق وأعلن وقفية تلك الأملاك في البلد واشتهرت القصة بين الناس وقد صار للسيد عنواناً عظيماً عند أهل البلد حتى قالوا:

إنه يعلم الغيب كما أن الحاكم تعجّب من ذلك، وعرف السيّد أن هذا الرجل الذي أخبره بخبر الأوراق كان من رجال الغيب وإنه من الأبدال وندم على عدم احترامه له وبعد مدة من الزمن سمع السيّد بابه تطرق ليلاً فأسرع فرأى ذلك الرجل على الباب فرحّب به وأدخله داره وتشكّر منه على ما أسدى إليه من الإحسان وأخبره بما صنع. فقال ذلك الرجل للسيد:

سيدنا أنت رجل كبير السن ولا يصلح لك البقاء في هذه البلدة فألحق بالنجف الأشرف وأسكن في جوار قبر جدك الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، واقض الباقي من عمرك بالعبادة هناك فإذا

سافرت فتصل في اليوم الفلاني إلى النجف فاذهب يوم الجمعة إلى وادي السلام فستجدني في المكان الفلاني.

ثم ودّع السيّد وانصرف ولمّا أصبح السيّد عزم على المسير إلى النجف فعلم به أهل البلد فاْجتمع عليه الأشراف والتمسوا منه البقاء فلم يسمع من أحد وسافر فوصل إلى النجف في اليوم الذي ذكره وذهب إلى المكان الذي عيّنه له الرجل في وادي السلام فرأى صاحبه جالساً ينتظره فرحّب به. فقال ذلك الرجل للسيد: إنّي مريض وإني أسكن في حجرة في خان دار الشفاء بجانب الصحن الشريف فآت يوم الجمعة إلى حجرتي تجدني ميتاً.

فقم بتجهيزي وصلّ عليّ وادفني، وأنا أحد الأبدال والعمال عند صاحب الزمان عليه السلام وقد أمرني الإمام عليه السلام أن أنصّبك في مكاني وأن تقوم مقامي وكلما ذكرت لك من الأخبار بالوقفيّة وأمري لك بالقدوم إلى النجف كان بأمر الإمام الحجّة عليه السلام فلمّا صار يوم الجمعة ذهب السيد مسرعاً إلى خان دار الشفاء فرأى ذلك الرجل ميّتاً، وقد فاضت نفسه الشريفة فجهّزه وصلّى عليه ودفنه وصار في مكانه بدلاً من الأبدال ومن عمال الإمام الحجّة عليه السلام[1].

وقال السيّد الحدّاد:

«قال المرحوم السيّد القاضي: ما كان يُولد لأبي وأمّي ذكور، ثم توسَّلا بحضرة حبيب بن مظاهر الأسدي، ونذرا قطعة قماش تُوضع على قبره إن رُزقا ذكراً».

قال السيّد الحدّاد:

«فمنَّ الله عليهما بمولدو ذكر هو السيّد علي القاضي».

---

(١) بيان الأئمة ١: ٢٥.

وقال:

«كلٌّ يفتخر بأبيه وأمه، إلاّ أبويه فإنهما يفتخران بولدهما ويستمدّان منه، فكان والده يقول له: بُني إنّ الناس يفتخرون بأنسابهم، ولكنّي أفتخر بك وأعتزّ بذلك وشرفي منك، وكان والداه مساء يأتيان ويطلبان من ولدهم اللطف والمحنة لينالوا من بعض الإفاضات القدسيَّة والأنوار البهية التي لديه.

ويذكر عنه السيّد الحدّاد قصة طريفة:

«إنه جاء في إحدى الأيام لسوق المشراق يريد شراء شيئاً من الشاي لأنّه كان عازماً على أخذه معه إلى مسجد الكوفة فجاء إلى العطّار وهو المرحوم الشيخ محمد الشيرازي فوزن له التنباك عوض الشَّاي.

فقال السيّد ـ رضوان الله تعالى عليه: قلت في نفسي، إنّي قلت له: زِن لي شاياً فوزن ليَ التنباك حتماً إنّ في ذلك خير ومنفعة، فأخذ منه التنباك، وقال للعطَّار: زِن لي شاياً، فوزن له، ولمَّا قدم إلى مسجد الكوفة وجد أحد الدَّراوشة في إحدى زوايا المسجد قد حظَّر غليونه وأشعل الفحم، وهو يخاطب الجليل قائلاً: سيدي كم مرة أقول لك: إني أُريد تنباك؟ ولمَّا رآه بتلك الحالة أخرج التنباك من كُمِّه وناوله له، ففرح الدَّرويش كثيراً».

وقال:

«إن السيد القاضي كان يُسأل: لماذا لا تؤلّف مؤلَّفاً ينتفع به أهل الطريق إلى الله؟ فكان يجيب: لم يترك السَّابقون شيئاً لم يذكروه».

وقال:

«إن المرحوم كان يحثّ كثيراً على أداء الفرائض بوقتها وخصوصاً

صلاة المغرب وكان يقول لي: سيّد هاشم! صلاة المغرب داريها مثل ما أتداري ماي عينك»[1].

وقال:

«كان المرحوم قوياً في مبدأه فلديه قوّة مبدأ لا يحيد عنه. ومن الأمثلة على ذلك: أنّه جاءني إلى داري في كربلاء، ولمّا أردنا الخروج لحقت ابنتي بنا وكانت صغيرة جداً قد لا تتجاوز الخمس سنوات، فاْستأذنت منه لإرجاعها إلى البيت، فقلت لها كلمة غير مناسبة فلمّا سمعها منّي ثارت أعصابه وتألَّم كثيراً قائلاً: كيف يحقّ لك أن تتفوّه بهذا الكلام وهي قطعة من جسم رسول الله ﷺ.

فقلت له: مولاي إنَّها ابنتي.

قال:

«وإن كانت فلم يكن لك الحقّ أن ترميها بمثل هذه الكلمة أليست مسلمة فضلاً عن كونها علويَّة، فليس لك الحقُّ بطعن أحدٍ من المسلمين».

وقال:

«كان للسيد المرحوم رفقة مع السيد أحمد الكربلائي الذي هو من تلاميذ المرحوم مُلاّ حسين قُلي الهمداني، وهذا المرحوم كان من تلاميذ المرحوم الشّوشتري. وكان المرحوم السيّد القاضي يقول: كلُّ ما وصل لي فقد وصل لي من أبي».

وقال:

«ما كان أحدٌ يعرف المرحوم السيّد القاضي حتى صَحِبه شخص باسم

---

(١) أي: حافظ على صلاة المغرب مثل ما تحفظ عينك من أن يصيبها الأذى.

السيّد حسن المسقطي، وكان يدرّس الحكمة ودائم البحث، فيتباحثا في التَّوحيد، وكان السيّد حسن متمكِّناً جداً يجيب كلّ أحداً، وهو الذي عرّف بالمرحوم القاضي، وإلاّ فإنَّ أحداً لم يكن يعرفه، فحدثت ضجّة في حوزة النجف العلمية، حتى بعثه المرحوم السيّد أبو الحسن الأصفهاني إلى مسقط للتبليغ، فراجع السيّد حسن المرحوم السيّد القاضي يستشيره، فقال له: وافق، فوافق ثم ذهب للتبليغ هناك».

وقال:

«**كانت للمرحوم السيّد القاضي رابطةٌ قوية بالإمام أبي عبد الله الحسين** عليه السلام، ففي أحد الأيام قال لي: كُلُّ موضعٍ من الصحن المطهّر قد بتُّ فيه».

سُئل السيد الحدّاد: كيف كان السيّد المرحوم يعلّم تلاميذه؟.

قال: «**يعلّم كُلاًّ حسب وضعه، ويشير إلى الرياضات الروحية كلاًّ حسب استعداده**».

كان للسيّد هاشم موسوي الحدّاد (قدّس سرّه) تلامذة ومريدين توفقوا لصحبته وقبول نصائحه وإرشاداته فبعضهم رحل إلى المستقر الأبدي وبعضهم لا يزال على قيد الحياة وإليك جملة أسماء تلامذته ومريديه مع بعض أحوالهم:

١ـ العلاّمة المرحوم آية الله السيّد محمد حسين الطهراني (قدّس سرّه) صاحب كتاب الروح المجرد.

٢ـ المرحوم الحاج السيّد عبد الكريم الكشميري (قدّس سرّه).

٣ـ المرحوم السيّد مصطفى الخميني (قدّس سرّه) حيث كان يأتي السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) في منزله في كربلاء المقدسة بأمر من والده

السيّد الخميني (قدّس سرّه) وفي إحدى المرات جاء وطرق باب السيّد وقدم له خاتماً من العقيق خاص لعسر الولادة ولقطع الدم وقال أثناء إعطائه الخاتم للسيد الحدّاد (قدّس سرّه) «يا سيد هذا الخاتم عمره ٥٠٠ سنة حيث وصل إلينا من أجدادنا الطاهرين وقد ورثناه إلى أن وصل إلى والدي السيّد ولذا بعثه إليك هدية ليكون صلة بيننا» فتقبّله السيّد الحدّاد ولا يزال الخاتم موجود عند أولاد السيّد الحدّاد (قدّس سرّه).

٤ـ الحاج محمد علي الطائي.

٥ـ الحاج خلف زادة وكان من الملازمين للسيد الحدّاد (قدّس سرّه).

٦ـ آية الله الشيخ محمد ناصري دولة أباد من أصفهان.

٧ـ آية الله الشهيد الشيخ مرتضى المطهري (قدّس سرّه).

٨ـ آية الله المرحوم السيّد دستغيب (قدّس سرّه) وكانت له جلسات خاصة وزيارات متبادلة مع السيّد الحدّاد (قدّس سرّه).

٩ـ السيّد حسن معين الشيرازي ووالده السيّد عبد الحسين الشيرازي.

١٠ـ الحاج الشيخ محمد صالح الكميلي.

١١ـ الحاج العارف المرحوم عبد الزهراء الگرعاوي (قدّس سرّه).

١٢ـ الحاج حبيب السماوي.

١٣ـ الحاج موسى محيي ووالده الحاج جعفر محيي والحاج عبد الجليل محيي.

١٤ـ الشيخ آية الله زين العابدين حيث كان يتردد عليه في الزيارة من النجف الأشرف، وكان أيضاً يقصده السيّد.

١٥ـ الشيخ العارف المرحوم جعفر المجتهدي (قدّس سرّه) كان يأتي بمعية السيد عبد الكريم الكشميري (قدّس سرّه).

١٦ـ سماحة الحاج أبو علي (عبد العزيز).

١٧ـ الحاج محمد حسن البياتي من إيران، وكان من تلامذة الشيخ محمد جواد الأنصاري وفي يوم قال له السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) إن الشيخ محمد جواد الأنصاري يوصل سالكي الطريق من طريق واحد وأنا أوصلهم من ثلاثة طرق.

سيرته ومكارم أخلاقه (قدّس سرّه)

الوضع المعيشي له (قدّس سرّه):

يقول أولاد السيّد الحدّاد (قدّس سرّه): حينما كنا نذهب إلى المدرسة كانت والدتنا رحمها الله تهيّىء لنا طعاماً بسيطاً لشدَّة فقرنا نأكله في المدرسة وهو رغيف خُبزٍ في وسطه سُكَّر، وهذه الحالة كانت تتكرر علينا.

كما كانت تأتي علينا ليالٍ ننام بدون طعام، فكانت أمعاءُنا تتقطَّع من الجوع وكان والدنا رحمه الله يقول: الآن آتي لكم بطعامٍ، ويستمرُّ منه هذا الكلام إلى أن تأخذنا الغفوة فننام.

قال الحاجّ محمد علي الطّائي ـ خلف زاده ـ:

«كان يشتدُّ عليه الفقر، فيدخلون عليه الرّفقاء في أكثر ليالي الجمعة وأكثرهم من أهالي الكاظمية والنَّجف الأشرف، فيأمرني أن أجلب لهم طعاماً من السُّوق قرضاً. والحا أنه لا يملك شراء الطعام لأولاده».

وقال أيضاً:

وفي يوم اشتدَّت به الحالة بحيث لا يملك فلساً واحداً، وكان يأمرني أن أكنس تحت حصير غرفته فأكنس، فتخرج نقود مع الأوساخ فيأمرني أن أشتري خبزاً وخضاراً».

ويُنقل عنه قصة تحيي قلب المشتاق، وتضيء لأهل العرفان درب الصَّبر والقناعة وهي:

أنّه جاءه أحد المؤمنين الكرام، فقال: سيدي هذه أموالٌ وها أنا قد أتيت بها إليك فهي حقوقكم.

وكانت الأموال كثيرة فتقبَّلها السيّد بسرور ثمَّ احتضنها، وقال له:

«إنّي تقبَّلتها منك وها هي منّي إليك هدية واذهب بها إلى الحج».

فأخذها صاحبها وتقبلها هديةً منه في الوقت الذي كان لا يمتلك قوتاً لنفسه ولعياله.

قال سماحة الحاج السيد حسن معين الشيرازي (حَفظه الله):

«كنّا مع جمع من الرّفقاء وكان السيّد الحدّاد معنا في سفر، فحللنا في كربلاء المقدسة ليلاً. وكنا قد صمّمنا أن يكون طعامنا من السُّوق، ولكن السيّد رفض وقال: تعالوا في منزلي وأنا أُهيئُ لكم طعاماً.

يقول: **«جئنا إلى منزله فنظر السيّد إلى قدور الطعام فرآها خالية، ونحن ننظر إليه، فأخرج قِطعاً من الخبز اليابس، فوضعها في صحنٍ، وألقى عليها ماء، ثم بدأ يبلل الخبز بيده، فقدَّمه أمامنا وقال: كلوا بِسم الله، فأكلنا منه وشبعنا ولم نأكل طعاماً طيباً مثل طعامه. وإلى الآن أحسّ طعمه الشهيّ لا يفارق فمي»**.

منزله المتواضع:

كان منزله بسيطاً متواضعاً، وكان حينما يدخل عليه فصل الشتاء في شدّة البرد يخرّ من سقف منزله ماءً عند نزول المطر على الحصران المفروشة، فيأمر أحد أهل بيته بأن يجعل تحت كلِّ ثقبٍ صحناً، وفي يوم دخل عليه رفقائه ـ والدّمعة على أعينهم ـ وقالوا له: سيدنا أعطنا إجازة

لبناء المنزل من أوّله وقبل هذا دعنا نستأجر لك منزلاً في هذه المنطقة إلى أن ينتهي البناء، فأجابهم (قدّس سرّه):

«إن كان مجيئكم إليَّ فأهلاً وسهلاً وإن كان مجيئكم لتعمير المنزل فأنا أرفض ذلك».

ومع ذلك كان منزله يمتلك روحيَّة وصفاء ونورانيَّة خاصة: لأنَّه كان مقرّ الأولياء ومحطَّ الملائكة.

اكتسابه (قدّس سرّه) مقام التَّوحيد:

قال السيّد ـ أعلى الله مقامه ـ:

«أمُّ زوجتي آذتني كثيراً وكنت منها في بلاء شديد، حتى قلّ ما رأيتها لا تشتمني فأستريح من كلماتها اللاذعة».

وقال ـ بعدما انكشفت له الحقائق بسبب تعامل أُمُّ زوجته، بحيث كان ما يظهر من كلامهالا يؤثّر عليها ـ: **«في هذا الموقع يكون الإنسان في سلام مع كلّ العالم».**

وفي الروح المجرّد قصة دركه المقام، وشق حجب الظلام من التحمّل والأذى، فحصل له التجرُّد التام، قال أعلى الله مقامه: «لقد حصل لي التجرّد للمرة الأولى في كربلاء. . .».

يقول العلاّمة الطِّهراني: «وتفصيل ذلك أنَّه كان يعيش مدفوعاً بِعُسر المعيشة في بيت أبي زوجته وأُمّها، فكان أُولئِك يعيشون في جانب من البيت وهؤلاء في جانب في غرفةٍ أعطاها إيّاه أبو زوجته مجَّاناً، ودام ذلك اثني عشر سنة.

وكان أبو زوجته حسن أبو عمشة يحبُّه كثيراً، لكن حماته كانت على العكس من ذلك، ولم تكن لتفتقد فقط مشاعر العطف والمحبّة نحوه، بل

كانت لا تتورَّع عن إبداء أنواع الأذى في القول والفعل. . . وكان السيّد يقول: كان يفصل بين غرفتهم وغرفتنا في هذا الجانب أكياس الرُّز ذو رائحة العنبر وظروف السِّمن المعدنيَّة مكدَّسة على بعضها، لكنَّهم لم يكونوا ليعطونا منها شيئاً، بل كانت أُمّ زوجتي واسمها نجيبة تتعمَّد أن ترانا في شدَّةٍ وعُسْرٍ، وكأنَّها كانت تسعد بذلك وتسرُّ.

وكنتُ وزوجتي نفتقد الفِراش والغطاء، وكُنَّا نسحب نُصف الحصير من أسفلنا أحياناً فنلقيه علينا من شدَّة البرد.

وبالرّغم من أنني كنت أذهب للعمل بصورة منتظمة، لكنَّ أكثر المراجعين كانوا من الفقراء الذين يعرفونني، والذين كانوا يأخذون منّي نسيئة، وكان بعضهم لا يدفع الثَّمن، كما أنَّ معاوني كان يأخذ ما يحتاج من مصارف، فلم يكن ليبقى لي شيئاً غالباً، إلاَّ مائة فلس أو خمسون فلساً كانت بالكاد تغطّي نفقات شراء الخبز والنَّفط وفتيلة المصباح وأمثالها، وكانت الأشهر تتصرَّم فأعجز عن شراء قليل من اللحم خلالها لأحمله لعائلتي. وكان سبب نفور هذه المرأة مِنِّي مسألة الفقر الذي كان في نظرها أمراً قبيحاً، ومع هذا الوضع الذي كانت تلمسه والذي كان يتوجب عليها فيه أن تُمدّ إلينا يد المساعدة، فقد كانت في غاية التمكّن والثروة، لكنَّها كانت على العكس تسعى إلى أن يتلف لدينا شيء ليزداد ضيقنا وتزداد محنتنا.

ومن جهة أُخرى فلم تكن شِدَّة الحالات الرُّوحية والاستفادة من محضر سماحة المرحوم القاضي لتسمح لي بجمع المال وتكديسه، أو رَدّ الفقير والمحتاج، أو رفض إعطاء شيء نسيئة وقرضاً، وكانت حالتي بهذه الكيفيَّة التي لم يكن يسعني أن أمتلك يغرها.

وكانت زوجتي تتحمَّل وتصبر، لكنَّ صبرها وتحمُّلها كان محدوداً، ولذا فقد عرضتُ للمرحوم القاضي أنَّ أَذى حماتي لي بالقول والفعل قد بلغ حدَّه الأقصى ولقد عيل صبري في الحقيقة فلم أعد أمتلك الصَّبر والحلم والتَّحمل على أذاها، وأُريد منكم أن تمنحوني الإذن في طلاق زوجتي.

فقال المرحوم القاضي: بغضِّ النظر عن هذه الأُمور، فهل تحبُّ زوجتك؟ رددتُ نعم!.

قال: أفتحبُّك زوجتك؟ قلت: نعم!.

قال: لا آذن لك في الطَّلاق أبداً! فاْذهب واصبر فإنَّ تربيتك تكون على يد زوجتك، وبهذا الشكل الذي بيَّنته فإن الله سبحانه قد قرَّر أن يكون تأديبك على يد زوجتك، فعليك بالتحمُّل والمداراة والحلم!.

ولم أكن لأتخطَّى وأتجاوز تعليمات المرحوم القاضي أبداً، وكنت أتحمَّلُ ما تضيفه حماتي هذه فوق مصائبنا، حتى كانت ليلة من ليالي الصَّيف، عدت فيها إلى المنزل من الخارج بعد أن مرَّ جزء من الليل تعباً مرهقاً وجائعاً وعطشاناً وأنا ذاهب إلى الغرفة رأيت حماتي جالسةً قرب الحوض في ساحة المنزل وحين علِمْت أنَّني قد دخلتُ المنزل شَرَعَتْ في كيل كلمات التَّجْريح والسّباب والشَّتائم التي تخاطبني بها، ولم أدخل إلى الغرفة، بل اتّجهتُ نحو السُّلَّم وصعدت إلى السَّطح لأَستلقي فيه، فرأيت أنَّها رفعت صوتها وزادت نبرات صراخها بحيث صار الجيران يسمعونه فضلاً عنّي، وهكذا فقد كالت لي سيل الشَّتائم والسَّباب واستمرَّت تُعدِّد وتُعدِّد حتّى عيل صبري، فهبطت الدَّرج بدون أن أنتهرها أَو أَردَّ عليها بكلمة واحدة، وخرجت من باب البيت فَهِمْتُ على وجهي بلا هدف

وظللتُ أسير في الشَّوارع بلا قصد ولا التفات، بل هكذا أسيرٌ في الشَّوارع دون أن أعرف إلى أين أذهبُ، فقط أسيرُ.

وفجأة رأيت في تلك الحال أنَّني صرت اثنين: أحدهما: السيّد هاشم الذي اعتدتْ عليه حماته وسبَّته وشتمته والآخر هو أنا مجرَّد ومتسامٍ عن كلّ أذىً، لم ينلني سبابها وشتائِمها، فلم تكن أساساً تسبُّ السيّد هاشم هذا، ولم تكن لتسبَّني أو تشتمني، بل كان السيّد هاشم ذاك هو الجدير بكلٍّ أنواع القبيح من القول.

أمَّا السيّد هاشم هذا، الَّذي هو أنا، فلا يستحق أن يُسَبَّ، بل إنها كلَّما سبَّت وشتمت، فإنَّ ذلك لن يصل إليَّ وانكشف لي في تلك الحال أنَّ تلك الحالة الرَّائعة الّتي تبعث على السُّرور والبهجة قد حَصَلَتْ لي، فقد أثر تَحَمُّل تِلْكَ الشَّتائم والألفاظ القبيحة الَّتي كالتها لي، حيثُ إطاعة الأُستاذ المرحوم القاضي قد فتح لي هذا الباب، فلو لم أطعْهُ ولم أتحمَّل أذى حماتي لَبَقِيتُ إلى الأَبَد السيّد هاشم المحزون المغموم الضَّعيف المُشَتَّت الفكر والمحدود.

ولله الحمد فأَنا الآن السيّد هاشم هذا، حيث أَتَربَّعُ في مكانٍ رفيعٍ ومقامٍ كريمٍ وعزيزٍ لا تنالني غبار جميع الهموم والأحزان والغموم الدُّنيويَّة بذرَّة منها ولا تتمكَّن من أن تنالني بشيءٍ من ذلك، وهكذا فقد عدت فوراً من هناك إلى البيت، فانكببت على يَدَي حماتي ورجليها أُقبِّلهما وأَقول: لا تتخيّلي أنَّني انزعجت من كلامك ذلك، فقولي بعد الآن فِيَّ ما شِئْتِ فإنَّها مفيدة لي».

براضي كربله السيّد ولي صار — واللي لَح يظل بيهه ولي صار
التحق بأجداده الطّاهر ولي صار — خدمته بهاي الأبيات الأبوذيّة

خضوعُه لله تعالى:

نقل صاحب كتاب نظرات المُفسِّرين حول القرآن الكريم في عشرين مُجلَّداً آية الله الخطيب الشَّيخ مُحمَّد الطّهراني الدَّماوندي «حَفظه الله» أنّه قال:

«كُنتُ في بعض الأحيان أرى السيّد الحدّادرحمه الله يَمشي حافياً على قدميه مُتوجِّهاً لزيارة الأماكن المقدّسة في كربلاء والنَّجف الأشرف. وفي مرة رأيتُه يمشي حافياً قاصداً مسجد السَّهْلة، وكان حنك عمامته مُسدلاً، وهو في حالة وقار وسكينة وخضوع وخُشوع كامل وكأنَّه شخص عاديٌّ يمشي على مثل هذه الهيئة وكان وراءه رجال يتبعونَه فأخذتني الدَّهشة الرَّهيبة من ذلك المنظر العجيب الذي لم أر عالماً من علمائنا في النَّجف الأشرف كان بمثل هذه السَّكينة؛ لأنَّ علماءنا على ظاهرة الحياة الاجتماعية هم أهل التَّشريفات ويراعون الظَّواهر الاعتباريَّة، ولكنَّ السيّد كان خلاف ذلك من التَّواضع الكامل والمشي بوقار، بحيث إنَّ الناظر إليه يظنُّهُ رجلاً عادّياً».

الله يرحم المرحوم حدّاد ما چان ابمناصب چان حدّاد
للتوحيد منهج رسم حداد وأصبح صدگ رمز العُبوديَّة

خشوعه في صلاته:

قال الحاجّ موسى محيي (حفظه الله)، وهو أحد تلامذة السيّد الحدّاد، وقد أعطاه منزلة الأُبوَّة، بحيث كان يعدّ أحد أولاده ـ وقد كتب هذه العبارة في دفتره الخاصّ ـ:

«إنَّنا كُنَّا في إحدى الأيّام مجموعة من الرُّفقاء في النَّجف الأشرف في بيت جدِّي المرحوم الحاج محمد محيي وهي أوَّل مرة يتشرَّف بها جدِّي

بخدمة السيّد الحدّاد ولمّا تلاقيا قبّل جدّي يده واحترمه كثيراً، ولم يكن من أهل السّير والسلوك ولما حان وقت الصلاة صلّينا خلف السيّد الحدّاد جماعة وكان جدي من جملة المأمومين ولسبب كبر سنّه كانت آخر مرة يُصلّي بها خلفه؛ لأنّ المرحوم السيّد الحدّاد ـ رضوان الله تعالى عليه ـ كانت صلاته بتأنٍّ وتوجّه كامل، فلو تسمعه وهو يُصلّي تحسُّ بأنّه في عروج لمولاه وكأنَّه يناجي ربَّهُ ويتحدّث إليه من أوّل صلاته حتى آخرها من قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ وقنوت، فهو متّصل مع حبيبه اتّصالاً تامّاً فلا حاجز ولا شيء بينهما تسمع صلاته بصوت عذب شجيّ هادىء ترتاح إليه القلوب وتنسلب من السامعين الألباب، فترى الدُّموعُ تذرف من أكثر المصلّين خلفه ولا يستطيع جُلُّهم من حبس دموعه عندما يأخذه الحال والإقبال والعروج لذلك العالم الملكوتي.

وكان في إحدى سفراته للنّجف الأشرف وفي الدار المذكورة قد بدأ صلاته ونحن خلفه وإذا بأحد المعارف وهو المرحوم الحاجّ حسن أبو الهوى دخل البيت مسرعاً حيث كان يروم الالتحاق بصلاة الجماعة وكان المرحوم جدّي جالساً في صحن الدّار على كرسيٍّ وأبو الهوى ينادي يا الله يا الله لكي يعطي إشارة للسيّد الحدّاد بانتظاره ولكي لا تفوته ركعة من الصلاة، فقال له جدّي: لا تسرع ولا تزعج نفسك فلو تذهب إلى الكوفة مشياً على قدميك وترجع للحقت بصلاة السيّد هاشم.

وفي إحدى ليالي شهر رمضان المبارك حيث كُنّا أكثر ليالي الجمع وخصوصاً في شهر رمضان بخدمة السيّد الحدّاد، فطلب أحد الرُّفقاء من السيّد الحدّاد أن يخفِّف من صلاته ـ صلاة المغرب لأجل الإفطار ـ مستشهداً بالحديث الشريف: (يا عليّ صلِّ بهم صلاة أضعفهم)، فامتثل وأخذ يخفِّف شيئاً منها مع العلم إنّي أشهد وأعلم حقّ اليقين بأنّه هو الذي

كان أكثر من عندنا جميعاً عطشاً، ولمّا تغرب الشمس لم يكن همّه سوى صلاته ومناجاة معشوقه.

ومن خصائصه ـ رضوان الله تعالى عليه ـ كان ينام مبكراً ويستقيظ بما يقارب السّاعتين قبل الآذان، فينشغل بتهجُّده وصلاته دون أن يُؤثِّر على مَن هو نائم بقربه، إلاّ إنّني والله وأنا طفل كنت أشعر أنّ روحي تقوى ولم تكن أحلى من تلك اللحظات وأسعدها عندما كنت أنظر إليه وأستمع إلى مناجاته وتهجّده.

ما أحلى ما جاء عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، حيث سلَّم لنا مفتاح الوصول إلى الله تعالى، فقال عليه السلام:

«إنَّ الوصُولَ إلى الله سَفرٌ لا يُدْرَكُ إلاَّ بامتطارِ اللَّيل»[1].

وأمّا كيفيّة التَّوفُّق لدرك صلاة الليل، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَن خاف أن يَنام عن صلاة الليل فليقرأ عند منامه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾، ويقول: «اللَّهُمَّ أنبهِني لأحبِّ الساعات إليك أدعوك فتُجيبني، وأسألك فتُعطيني وأستغفرك فتغفر لي».

وقال صلى الله عليه وآله: «اسْتعينوا بطعام السَّحر على صيام النهار، وبالقيلولة على قيام الليل، وما نام كله أحدٌ إلاّ بال الشيطان في أُذنيه، وجاء يوم القيامة مُفلساً، وما من أحد إلاَّ وله ملك يوقظه من نومه كل ليلة مرتين يقول: يا عبد الله أُقعد لتذكر ربَّك، ففي الثالثة إن لم ينتبه يبول الشيطان في أُذنه».

وقال بعض العابدين: «رأيت في منامي كأنِّي على شاطىء نهر يجري بالمِسك الأزفر، وعلى حافته شجر من اللؤلؤ، وقصب الذَّهب، وإذا بجوارٍ مزيّنات لابسات السُّندس كأنَّ وجوهَهُنَّ الأقمار وهنَّ يقلن:

---

(١) البحار: ٧٥/ ٣٨٠، ب ٢٩، ح ٤.

سبحان المسبّح بكلِّ لسان سبحانه، سبحان الموجود في كلِّ مكان سبحانه، سبحان الدّائم في كلِّ الأزمان سبحانه، فقلتُ لهنَّ: مَن أنتُنَّ؟

فقلن شعراً:

ذَرَأنـا إلٰـه الـنَّـاس رَبُّ مُـحـمَّـدِ لِقَوْمٍ عَلَى الأَطرَافِ بِاللَّيْلِ قُوَّمُ
يُنَاجُونَ رَبَّ العَالَمِينَ إلٰهَهُمْ وَتَسْرِي حَمُولُ القَوْمِ وَالنَّاسُ نوَّمُ

فقلت: بَخٍّ بَخٍّ لهؤلاء القوم مَن هم؟ فقلن: هؤلاء المُتهجِّدون بالليل بتلاوة القُرآن الذَّاكرون الله كثيراً في السرِّ والعَلن، المنفقون والمستغفرون بالأسحار».

وقال بعضُ الصَّالحين: «نمت ذات ليلة عن وِرْدِي فسمعت هاتفاً يقول:

أَتَنَامُ عن حضرةِ الرَّحمنِ، وهو يقسِّم
جوائزَ الرِّضوانِ بينَ الأَحبَّةِ والخلاَّن»[1]

أمّا طعامه فكان دائماً الشيء اليسير، فكان يأكل قليلاً ومتمهّلاً، وكان جُلَّ طعامه الخضرة فلا تخلو سفرته نها، خصوصاً تلك الخضرة الكربلائية التي لم أرَ بجَودَتِها من طعم ونكهة في غير ذلك المكان قطّ».

تَوَاضعه (قدّس سرّه):

قال سماحة الشَّيخ محمد صالح الكميلي (حفظه الله): «كان السيّد الحدّاد كثير التَّواضع بحيث كان يجلس كأحدنا ويتكلَّم معنا كصديق متساوٍ لا أكثر».

أقول: ومن تواضعه كان أولاده يسألونه لماذا هؤلاء الكسبة والعلماء يقبِّلون يدك؟

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي، باب فضل صلاة الليل.

فكان يجيبهم:

«هؤلاء أصدقائي وقد تعلَّقوا بي ولذلك يحبُّون يدي».

فكانوا يقولون له: إذا كان كذلك، فلماذا يقبِّلون عتبة دارنا ومن ضمنهم السيّد محمد حسين؟

فيجيبهم: **«إنَّهم يقبِّلون عتبة دارنا لأنَّنا في كربلاء وأراضي كربلاء كلّها مقدّسة ولذلك يقبِّلون عتبة دارنا لأنَّها من ضمن كربلاء».**

أخلاقه مع تلامذته وتربيته لهم:

كان بعض المشعوذين ممّن ارتدى لباس الدِّين وزعم أنّه من أهل اليقين يحرّك وينفّر السائرين على درب التوحيد حتى أثّر على أحد تلامذة السيد الحدّاد فأصبح هذا التلميذ يتنفر من أستاذه بحيث كان إذا اتَّفق أن رأى السيّد الحدّاد أمامه من بعيد في إحدى الأزقّة يغيِّر مسيره.

يقول الحاج محسن شركت:

«كنت مع السيّد الحدّاد نمشي، فاتَّفق أن رأى ذلك التلميذ.

فقال (قدّس سرّه): **ما باله لا يسلِّم عليَّ وعلى أيِّ شيء هو متنفِّر منِّي؟**

قلت له: اتركه لا علينا به.

قال: لا، لا بدَّ أن أذهب إليه، فذهب إليه، وتلا عليه الشهادتين، وبعدها قال له: ألستُ مسلماً؟

قال: بلى.

قال له: إذاً ما بالك تفِرُّ منِّي؟

فبكى وقام يعتذر من السيّد، ويُقبِّل يديه. وبهذه الأخلاق والمسامحة صار من مخلصيه».

ونقل أحد الأولياء المعاصرين وأحد تلامذة السيد الحدّاد (قدّس سرّه): «كنا بخدمة السيّد الحدّاد في الطبقة العليا لدكان الحاج عبد الزهراء الگرعاوي في بغداد، وممّن كان حاظراً معنا السيد العلاّمة الطباطبائي والحاج حبيب السماوي، فقلت رأيت رؤيا ولا أقصّها حتى نكتمل، وبعد أن جاء شخص معين وكانت تعنيه الرؤيا، قلت للسيد الحدّاد: رأيت في المنام أطفالاً يتبعونك فيسخرون منك ثم بعد ذلك جاء هذا الشخص ـ وأشار إلى الشخص المعيّن ـ فضربك بعصاه ولمّا أتممت ذكر الرؤيا للسيد الحدّاد أخذ ذلك الشخص بالبكاء بصوت عالٍ وأخذ يضرب على رأسه بقوّة، فقال السيّد الحدّاد: إن تعبير هذه الرؤيا أنه: قبل مدة تكلمت أمام هذا الشخص كلاماً حول التوحيد فلم يتحمّل ذلك فأخذ يكفّرني ويتكلم عليّ أمام أهل الدنيا فأصيب بسبب ذلك بمرض خطير وهو مرض السرطان الذي عجز عن شفائه الأطباء.

ثم انتبه بعد ذلك هذا الشخص وتاب ممّا فعله ورضيت عنه فرفع البلاء عنه وشفي.

مقامات السيّد الحدّاد (قدّس سرّه)

حقيقة كماله (قدّس سرّه):

قِيل لأُستاذه ومربيه العارف العظيم السيّد علي القاضي التبريزي (أعلى الله مقامه الشريف) ـ وكان مع جمع من رفقاءه ـ: إنَّ الذي يليك ويكون الوحيد في العرفان بعدك هو السيد حسن المسقطي.

فأجابه (قدّس سرّه):

«**ليس الأمر كما تزعم، بل يوجد واحدٌ أخفيته وجعلته خلفي**».

قيل له: ومَن هو؟

أجاب:

«**هو السيد هاشم الحدّاد**».

هذه هي حقيقة كمال السيّد هاشم (قدّس سرّه)، كونه أُيِّد من قبل أستاذه، وكونه من الأبدال والأوتاد، وكما إنَّ أستاذه أخبره بما بعد وفاته:

«**أنّه يأتون إلى منزلك من جميع أنحاء العالم جماعات زحفاً فيقبِّلون عتبة دارك**».

قال الحاج محمد علي الطَّائي ـ خلف زاده ـ:

«وصل بي الحال بحيث صمَّمت أني مستغنٍ عن تبعيَّة السيّد الحدّاد وأثناء تفكيري بهذا الموضوع وإذا بالسيّد الحدّاد يخاطبني قائلاً: حاجَّ محمد علي ابتعد عن ذلك فأنا جبل من نار، وإلاَّ أحرقتك، فانتبهت من ذلك وعرفت أنَّه كان من دافع هوى النَّفس».

نعم، كان المرحوم (قدّس سرّه) عارفاً بمعنى الكلمة، وله مقام عظيم عند الله ببركة الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، حيث لم يدركه في زمانه عارف، وحتى خواصّ طلاَّبه الذين أخذوا منه مسلكاً نورانيّاً، فكان تلميذه العلاَّمة الطَّهراني نوّر الله مرقده يُقسِم ويقول:

«أُقسم بالله إنَّ أيدينا لم تصل إلى مقام السيّد هاشم الحدّاد رُوحي فداه».

وقال مرةً:

«إنَّ السيد كان معنا غريباً وذهب عنّا غريباً».

ويقصد بكلامه هذا: إنَّا لم نصل إلى معرفة مقامه فكان بيننا كَنَهْرٍ يجري لم يغترف منه أحد إلى أن جاءه الأجل.

قال الشيخ عباس القوجاني: «لقد كان للمرحوم القاضي عناية خاصَّة بالسيّد الحدّاد، وكان لا يعرِّفه لأَصحابه في السلوك ويظنّ به؛ لئلاَّ يضايقه أحد منهم، وكان هو التلميذ الوحيد الذي كان يحصل له الموت الاختياري في حياة المرحوم القاضي، وكانت ساعات موته تطول أحياناً إلى خمس ساعات أو ستّ. وكان المرحوم القاضي يقول: (إِنَّ السيّد هاشم... كان متعصِّباً في توحيد ذات الحقِّ تعالى، ولقد ذاق طعم التَّوحيد ولمسه بشكل استحال معه لأَيِّ شيءٍ أن يُوجد خللاً فيه)».

وقال العلاّمة الطهراني:

«نعم، كان السيّد هاشم الحدّاد حقًّا وواقعاً ـ رُوحي فداه ـ رجلاً لا تنال أيدينا القاصرة أذيال أثوابه المتطاولة وكنت... أرد منزله في كربلاء غالباً وأُعدُّ من عياله وأولاده؛ لكنَّه مع ذلك رحل وبقينا حتى يومنا هذا تلفّنا الحيرة، ويكتنفنا الحياء، خاضعين مُطأطئين أمام ذلك العلوِّ وذلك المقام وتلك الجلالة».

وقال ـ أعلى اللهُ مقامه ـ: «وكم هو رائع وبليغ قول مولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام في تبيانه لمحلِّه ومقامه، حيث يقول: **(صَحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدّعاة إلى دينه آه آه! شوقاً إلى رؤيتهم)»**[(١)].

وقال آية الله المرحوم السيّد عبد الكريم الكشميري (قدّس سرّه):

«زَارني أحد المجتهدين في النجف الأشرف وكان السيّد الحدّاد موجوداً آنذاك فلمَّا جلس أخذ السيّد الحدّاد يشرح له كُلَّ ما بقلبه من أسئلة قبل أن يتفوَّه بشيءٍ، وقال له: طبع الرِّسالة العملية تُؤخِّر الإنسان عن تكامله؛ لما تعتريه من مشاغل الدُّنيا، فتعجَّب لذلك وانصرف بعد ما حصل على الشيء الذي كان قد قدم لأجله».

يوقل السيّد الكشميري:

«إنَّ ذلك الشخص المجتهد لمدة خمسة عشر سنة يحلِّفُني بالله. أليس أنَّه الإمام المهدي (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف)؟ فكنت أجيبه بالنَّفي، إلاَّ أنَّه كلَّما يراني بعد مدة يعيد عليَّ نفس السؤال».

---

(١) الرُّوح المجرَّد: ١٢.

وقال أيضاً:

«ذات يوم ذهبت بخدمة السيّد الحدّاد مع الشَّيخ جعفر المجتهدي رحمه الله وبعد أن رحَّب بنا، سأل السيّد الحدّاد الشيخ جعفر: إلى أين وصلت وكيف وصلت؟.

فقال: توسَّلت بالأئمَّة الأطهار عليهم السلام فأعطوني كراماتٍ من ضمنها الاسم الأعظم.

فقال له السيّد الحدّاد: تعطيني إجازة لأُسلِبَ ذلك منك كي تطوي المراتب بصورةٍ أفضل وأوضح.

يقول السيّد الكشميري: فامتنع خوفاً أن يُؤخَذ منه وبعدها يبقى صفر اليدين».

السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) وقوله:
أكمِل ذكرك هنا، فإنّه مقرٌّ لبقية الله الأعظم

قال المرحوم الحاج محمد حسن البياتي[1] وهو من تلاميذ آية الله العارف الشيخ محمد جواد الأنصاري الهَمداني:

«حينما كنت في خدمة أُستاذِي الأنصاري، أخذتُ منه ذكراً وورد الولاية الكلية لمدة أربعين يوماً، فشرعتُ بالعمل به وأنا جالس في مُصَلاَّي، فرأيتُ نوراً نازلاً عليّ من السَّماء، فجذبني إليه وأصعدني إلى عالم السموات، فهناك رأيت باباً عليها رجلان وكان من طرف اليمين رجلاً طويل القامة وعلى رأسه عمامة خضراء، ومن طرف اليسار كان أُستاذي الشيخ الأنصاري واقفاً مُؤدَّباً كوقفة الجُندي، فتكلّم متبسِّماً معي الرجل الذي على اليمين، وقال: (أكمل ذكرك هنا فإنَّه مقرٌّ لبقية الله الأعظم).

---

(١) وهو أحد تلامذة السيّد الحدّاد بعد وفاة أستاذه الشيخ الأنصاري.

ولمّا دخلت الباب سطعت عليَّ أنوار قهّارية، ففنيت بعد غلبتها عليَّ ولم يبق منّي شيءٌ، فعندها وجدت نفسي جالساً في مُصَّلاّي وأنا مشغولٌ بذكري. فقصصت ذلك على أُستاذي الأنصاري، فقال لي: بعد أن تنتهي من الأربعينيّة الأُولى وفي الثانية سوف ترى ذلك السيّد إن شاء الله.

فلمّا قُضِيت الأولى رحل الأنصاري إلى لقاء ربه، وبعد انتهاء الثانية جاء العلاّمة الطّهراني وكان معه ذلك السيّد الذي رأيته في عالم المعنى وهو السيّد الحدّاد، فقلت له: سيِّدي إنّي رأيتك قبل مجيئك فأجابني بوجهٍ بشوشٍ: حسناً حسناً يا حاج»(١).

السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) وتجلي النورا لإلهي:

كتب سماحة الشيخ محمد صالح الكميلي (دَامَ عِزُّه) ـ بخطّ يده ـ هذه النُّورانيَّة: «**إنَّ مولاي السيّد الحدّاد عرَّفني نفسه بنفسه وعرِفته أستاذاً بالنورانيّة الإلهية، وبالتصرف الروحي فانجذبت إليه بجذباتٍ معنوية وربَّانية، وقد تكرر ذلك مراراً، وفي تصرُّفه كنت ألمس التوحيد المطلق، فأرى الأشياء والعالم فانياً في الله، وأرى روحي كالطَّير يطير في السماء. ومرة في زيارتي من النَّجف إلى داره في كربلاء، ومع جلوسي إلى جنبه ظهر لي نور من ناحية روضة أبي الفضل العباس عليه السلام قد توجَّه مع عناية خاصة إلى قلب سيدي ومولاي الحدّاد، وقد شملني في نفس الوقت من ذلك الفيض الغيبيّ بحيث أدخلني معه في تلك الولاية النورانيّة، وإلى الآن لا يزال حُسن نظره شاملاً لي والحمد لله**».

---

(١) نقلاً عن مستندات مكتوبة بخط ابن عمّتي محمد حسين.

تجلي العشق الحسيني
عند السيد الحدّاد (قدّس سرّه)

علاقته بسيد الشهداء عليه السلام:

كان له محبَّة وعلاقة مع سيد الشهداء عليه السلام لا توصف أبداً، وكان أكثر ليالي الجمعة يذهب لزيارته.

قال السيّد عباس «حفظه الله»:

«كان أحد أصدقائي اسمه علي وله علاقة ومحبَّة لجدي السيّد هاشم فجاءني في أحد الأيام وقال: إني أحمل نذراً قدره عشرة دنانير وأريد أن أعطيها بيد جدِّك في حرم الإمام الحسين عليه السلام».

يقول أخي:

«وكان ذلك في ليلة الجمعة وكان جدي السيّد هاشم مريضاً في تلك الليلة ولذلك السبب لم يستطع القيام بزيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنَّه كان يزوره عليه السلام كل ليلة جمعة، ولما أخبرته بذلك نهض قائلاً: إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد طلبني، فلمَّا وصلنا الحرم أعطى صاحبي العشرة دنانير لجدي وقد ناولها لي دون أن أُطالبه».

وكان يقول (قدّس سرّه):

«قال لي أُستاذي السيّد المرحوم القاضي (قدّس سرّه): إنّه محال أن يصل سالكٌ إلى مقام التَّوحيد بدون طريق سيد الشهداء عليه السلام».

وكان يقول:

«**إنَّ أكثر الناس حينما يذهبون إلى زيارة العتبات المقدَّسة يقفون ماسكي الضَّريح فيتوسلون بالإمام عليه السلام** لحوائجهم المادية فيحملون ثقلاً على ثقلهم ولم يسألوا الإمام عليه السلام بأن يأخذ منهم ثقلهم وهو التَّعلق بالدُّنيا ويقولون له: سيِّدي ومولاي أسلب منّا التعلق بالدُّنيا، بل يسألونه بأن يعطيهم بيتاً أو ولداً أو زوجاً أو سيارة، وما سمعنا عن أحد دخل بخدمته وقال له: خذ منّي كذا وكذا».

يقول آية الله السيّد عبد الكريم الكشميري (نوَّر الله مرقدَه):

«**كنت بمعيَّة السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) جالسين تحت قبَّة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام** وكان ذلك في ليلة ولادة الإمام الحجَّة (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) في النِّصف من شبعان والازدحام شديد في الرّواق المقدَّس بالزوار، فقال لي السيّد رحمه الله: (سيد عبد الكريم خوش أوجوه ولكن كلهم يردون دنيه)[1]».

وعنه أيضاً أنه قال:

«**كنت جالساً مع السيّد الحدّاد في منزله، فدخل عليه رجل من أهل العلم وجلس أمامه، فقال له السيّد الحدّاد: يا هذا أنت تزول أبا الفضل العباس عليه السلام** وتقرأ عنده زيارة الجامعة الكبيرة، وقد جلست ساعة ونصف بتأمُّل وتأنّي وبعدها تطلب منه أموراً دنيوية!؟ أما تستحي!؟، فتعجب الرجل وتندم وقال: نعم، والله صدقت».

---

(١) أي: إنّ هذه الوجوه التي نشاهدها حسنة، ولكن كلّها تروم الأُمور الدنيوية.

يقول السيّد عبد الكريم (قدّس سرّه):

«كنتُ يوماً بخدمة السيّد هاشم الحدّاد (قدّس سرّه) وأردتُ أن أذهب إلى زيارة حرم المولى أبي عبد الله الحسين (عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام)، فقال لي: الآن لا تذهب، فخالفته وذهبت وفي الطَّريق عثرت رجلي فسقطت على الأرض وكادت أن تنكسر رجلي لولا بركات مَن كنتُ قاصداً زيارته (عليه أفضل التحية والسلام)».

قال السيّد الحدّاد (قدّس سرّه):

«**كنت أخرج من حرم أبي الفضل العباس**عليه السلام، فرأيت كلَّ أجزاء بدني صارت ذرَّة ذرَّة، ولم يبق منِّي شيءٌ، ثم عادت تلك الذرّات إلى أصلها الأوَّل، (كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون، وكما تبعثون تحشرون)».

وهـا أنـا أُبـدي فـي اتـحـادي مـبـدئـي
وأُنـهـي انـتـهـائـي فـي تـواضُـع رفـعـتـي
جـلـت فـي تـجـلـيـهـا الـوجـود لـنـاظـري
فـفـي كـلِّ مـرئـيٍّ أراهـا بـرؤيـةِ
وأُشـهـدت غـيـبـي إذ بـدت فـوجـدتُـنـي
هـنـالـك إيّـاهـا بـجـلـوة خـلـوتـي
وطـاح وجـودي فـي شـهـودي وبِـنْـتُ عـن
وجـود شـهـودي مـاحـيـاً غـيـر مُـثـبـتِ
وعـانـقـتُ مـا شـاهـدتُ فـي مـحـو شـاهـدي
بـمـشـهـدِهِ لـلـصَّـحـوِ مـن بـعـد سـكـرتـي
فـفـي الـصَّـحْـوِ بـعـد الـمـحـو لـم أكُ غـيـرَهـا
وذاتـي بـذاتـي إن تـحـلّـت تـجـلَّـتِ

أروحُ بفقدٍ بالشهودِ مؤلِّفي
وأغدُو بوجدٍ بالوجود مُشتَّتي
يُفرِّقني لُبِّي التزاماً بمحضري
ويجمعني سَلبي اصطلاماً بغيبتي[1]
جُنُونِي فيك لا يَخْفى
وناري مِنك لا تخبو
فأنت السَّمعُ والأبصارُ
والأركانُ والقلبُ

وقال أيضاً:

«**في يوم كنت في حرم أبي الفضل العباس**عليه السلام فخرج من داخل القبر نورٌ ودخل في بدني، فأُطعمت ونُظّفتُ جميع ذرَّات بدني من ذلك النّور، ثم رجع إلى القبر الشَّريف».

وقد شوهد أنه تشرف لزيارة أبي الفضل العباس عليه السلام وهو واضع يده على شبّاك ضريحه المقدّس يقرأ من خاطر القلب هذا الدّعاء: يا من تُحلُّ به عقد المكاره ويا من يفثأُ به حدُّ الشدائد، ويا من يُلتمس منه المخرج إلى روح الفرج ذلّت لقدرتك الصّعاب وتسببت بلطفك الأسباب وجرى بقدرتك القضاء ومضت على إرادتك الأشياء فهي بمشيّتك دون قولك مؤتمرة وبإرادتك دون نهيك منزجرة أنت المدعو للمهمات وأنت المفزع في المُلِمّات لا يندفع منها إلاّ ما دفعت ولا ينكشف منها إلاّ ما كشفت وقد نزل بي يا ربِّ ما قد تكأّدني ثِقله وألَمَّ بي ما قد بهضني حمله وقدرتك أوردته عليّ وبسلطانك وجهته إليّ فلا مصدر لما أوردت ولا

---

(١) التائية الكبرى المسمّاة بنظم السلوك لابن الفارض.

صارف لما وجَّهت ولا فاتح لما أغلقت ولا مغلق لما فتحت ولا ميسّر لما عسّرت ولا ناصر لمن خذلت فصلِّ على محمد وآله وافتح لي يا ربِّ باب الفرج بطولك واكسر عنِّي سلطان الهمّ بحولك وأنلني حُسن النظر فيما شكوت وأذقني حلاوة الصنع فيما سألتُ وهب لي من لدنك رحمة وفرجاً هنيئاً واجعل لي من عندك مخرجاً وحِيّاً ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فروضك واستعمال سنّتك فقد ضقت لما نزل بي يا ربِّ ذرعاً وامتلأت بحمل ما حدث عليَّ همّاً وأنت القادر على كشفِ ما مُنيت به ودفع ما وقعتُ فيه فافعل بي ذلك وإن لم أستوجبه منك يا ذا العرش العظيم.

هو الحب فاْسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خلاياً فالحب راحته عنا
وأوّله سقم وآخره قتل
ولكن لديَّ الموت فيه صبابة
حيٰوة لمن أهوى عليَّ بها الفضل
نصحتك علماً بالهوى والّذي أرى
مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو
فإن شئت أن تحيا سعيداً فمُتْ به
شهيداً وإلاّ فالغرام له أهل
فمن لم يمت في حبه لم يعِش به
ودون اجتناء النحل ما جنَتِ النّحلُ
تمسَّك بأذيال الهوى واخلع الحيا
وخلِّ سبيل النّاسكين وإن جلّوا

وقُل لقتيل الحُبِّ وفّيت حقّه
وللمدّعي هيهات ما الكَحَلُ الكَحْلُ[1]
تعرّض قوم للغرام وأعرضوا
بجانبهم عن صحّتي فيه واعتلّوا
رضوا بالأماني وابتُلوا بحظوظهم
وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلّوا
فهم في السّرى لم يبرحوا من مكانهم
وما ظعنوا في السّير عنه وقد كلّوا
وعن مذهبي لمّا استحبّوا العمى على الـ
ـهدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا
أحبّة قلبي والمحبة شافعي
لديكم إذا شئتم بها اتّصل الحبل
عسى عطفة منكم عليّ بنظرة
فقد تعبت بيني وبينكم الرسل
أحبائي أنتم أحسن الدّهر أم أسا
فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخِلُّ
إذا كان حظّي الهجر منكم ولم يكن
بعادٌ فذاك الهجر عندي هو الوصل
وما الصدُّ إلاّ الودّ ما لم يكن قِلىً
وأصعب شيء غير إعراضكم سهل

---

(١) أي: قل لمن قُتل في الغرام لقد وفّيت حقّ الحب وقل للّذي يتظاهر بالمحبّة بلسانه قد بَعُد عنك الوصول ولست من أهل المحبّة إذ الكحل المتصنع بالعينين ليس كالكحل الطّبيعي بها.

وتعذيبكم عذب لديّ وجوركم
علَيّ بما يقضي الهوى لكم عدل
وصبري صبر عنكم وعليكم
أرى أبداً عندي مرارته تحلو
أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي
يضرّكم لو كان عندكم الكلُّ
نأيتم فغير الدّمع لم أرَ وافياً
سوى زفرة من حرِّ نار الجوى تغلو
فسهدي حيٌّ في جفوني مخلّد
ونومي بها ميت ودمعي له غسل
وقد علموا أنّي قتيل لحاظها
فإنّ لها في كلّ جارحة نصل
ولي همّة تعلو إذا ما ذكرتها
وروح بذكراها إذا رخُصت تغلو
جرى حبّها مجرى دمي في مفاصلي
فأصبح لي عن كلّ شغل بها شغل
فنافس ببذل النّفس فيها أخا الهوى
فإن قبِلَتها منك يا حبّذا البذل
فمن لم يجُد في حُبِّ نُعم بنفسه
ولو جاد بالدنيا إليه انتهى البخل
ولولا مراعاة الصيانة غيرة
ولو كثروا أهل الصبابة أو قلّوا

لقلت لعشّاق الملاحة أقبلوا
إليها على رأيي وعن غيرها ولُّوا
وإن ذكرت يوماً فخرّوا لذكرها
سجوداً وإن لاحت إلى وجهها صلّوا
وفي حبّها بعت السعادة بالشّقا
ضلالاً وعقلي عن هداي به عقل
وفرّغت قلبي عن وجودي مخلصاً
لعلّي في شغلي بها معها أخلو
وأصبوا إلى العذّال حبّاً لذكرها
كأنّهم ما بيننا في الهوى رُسلُ
فإن حدّثوا عنها فكلّي مسامع
وكلّيَ إن حدّثتُهم ألسنٌ تتلو[1]
سكران بمحبَّتك بيك الگلب هايم
الأُمّ الذي ربّتك والغذتك هايم
نشدتني أمي اتگلّي إلمن تحب هايم
گتّلها بسّ البطل راعي الشّرف عبّاس

بكاؤه على الإمام الحسين عليه السلام

ذكر تلميذه سماحة الشيخ محمد صالح الكميلي دام عزّه أن السيّد الحدّاد كان يبكي كثيراً عندما يسمع بمصائب الإمام الحسين عليه السلام، وفي بعض الأحيان بعض خطباء المنبر الحسيني إلى منزله يوصي إليه بأن يقرأ مجلس التعزية بإخلاص ومع حرقة قلب ولاسيد جالس يتصنت إليه بكل

---

(١) ديوان ابن الفارض: ١٥٦.

وجوده ويبكي بكاء الثكلى منفعلاً ومتأثراً بالمصيبة المذكوة على لسان القارىء.

اهتمامه بزيارة عاشوراء:

وفي يوم تاسوعاء كان يقرأ على زيارة عاشوراء في منزله، ثمَّ اللعن مائة مرة والسَّلام مائة مرَّة، ثم يقرأ دعاء علقمة بعد صلاة الزِّيارة، فسأل أحد الحاضرين في نهاية الدُّعاء: كيف تنسجم هذه اللعنات الشَّديدة الأكيدة بهذه المضامين المختلفة مع روح الإمام الصادق عليه السلام التي كانت مركزاً ومنبعاً للرَّحمة والمحبّة؟! ففي هذا الدُّعاء الذي يبدأ بـ «يا الله يا الله يا الله، يا مُجيب دعوة المُقرين» يصل إلى القول: اللَّهُمَّ من أرادني بسوء فأرده! ومن كادني فكده! واصرف عني كيده ومكره وبأسه وأمانيه! وامنعه عني كيف شئت وأنَّى شئت!

اللهمَّ اشغله عني بفقر لا تجبُرُهُ، وببلاء لا تستُرُه، وبفاقة لا تسدّها، وبسقم لا تُعافيه، وذلٍّ لا تُعزُّه، وبمسكنة لا تجبُرها!

اللهُمَّ اضرب بالذُّل نصب عينيه، وأدخل عليه الفقر في منزله، والعلَّة والسُّقم في بدنه، حتى تشغله عني بشغل شاغل لا فراغ له، وأنسِهِ ذكري كما أنسيتَه ذكرَك، وخذ عني بسمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وقلبه وجميع جوارحه، وأدخل عليه في جميع ذلك السُّقم، ولا تشفه حتى تجعل ذلك له شغلاً شاغلاً به عنِّي وعن ذكري، وٱكفني يا كافي ما لا يكفي سواك، فإنَّك الكافي لا كافي سواك، ومفرِّج لا مفرِّج سواك ومُغيث لا مغيث سواك، وجارٌ لا جار سواك.

فكان جوابه على ذلك: أنَّ هذا الدُّعاء كلَّه طلب للخير والرَّحمة، بالرُّغم من ظهوره بعبارة وكلام اللعنة. وبشكل عام فإنَّ جميع اللعنات

الَّتي ترد على لسان الله تعالى أو على لسان النَّبي والأئمة الطَّاهرين (صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين) هي كلُّها خير محض؛ فلا ينضح عن الله وأوليائه غير الخير.

وهذه اللعنات تنصبُّ كلُّها على الشَّخص المعتدي، لا المؤمن المتَّقي المشغول بعمله، فمهما أُعطي ذلك المعتدي الظَّالم عمراً وصحَّة وقدرة، صرفها جميعاً في إضراره بالآخرين واعتدائِه على حرمة المظلومين. وعليه فإنَّ في تحديد سلامته وقدرته وحياته دفع للضَّرر، ودفع الضَّرر ليس في الحقيقة إلاَّ نفعاً، وقد يخيَّل إلينا بهذه النَّظرة الطبيعية والحسّية أنَّ الخير هو على الدوام في السلامة والقدرة والحياة، من دون ملاحظة لواقعية الحياة في النيَّة الحسنة أو السيِّئة وفي الإرادة الحسنة أو السيئة وفي الاعتقاد الحسن أو السيّيء، لكنَّ الأمر ليس كذلك؛ إذ ينبغي أيضاً ملاحظة المعنى؛ فالحياة خير للإنسان حين يكون منشأ خير لنفسه وللآخرين، أمَّا لو صار منشأً للشَّر، فإنَّ إطالة عمره وزيادة سلامته وصحَّته وزيادة قدرته سيوجب تعدِّيه وتجاوزه وظلمه لنفسه ولحرمة البشريَّة، فلا خير في الأَمر هنا ولا يصدق على ذلك عنوان الخير.

وفي هذه الحالة وفي هذا الفرض، فإنَّ ضدَّه سيكون خيراً، أي إنَّ الموت والمرض والمسكنة لهذا الرَّجل خير، ولو لم يكن هو أوِ الآخرون يعلمون بذلك. إنَّ مبضع الجرّاح حينما يستأْصِل عضواً فاسداً، قد قام بعمل خير ولو استلزم المرض والتَّخدير وإراقة دم المريض وتناول الأدوية المُرَّة؛ وعلى الرغم من أنَّ ذلك العضو الفاسد يعدّ نفسه جيِّداً، إلاَّ أن الحقيقة ليست كذلك.

وليست الرَّحمة مقرونة دائماً بالسِّمنة وتناول الأغذية الدَّسمة

والحلويّات، بل هي أحياناً في الهزال وتحمُّل الجوع والقناعة بتناول الأطعمة البسيطة. ومن شأن الطِّفل أن يطلب من أبيه الحلويّات والشُكُولاتة، لكن أباه العطوف لا يعطيه ذلك دوماً، بل يعطيه منها أحياناً وبقدرٍ مُعيَّن، فذلك خير للطِّفل ورحمة. كا أنه يُعطيه أحياناً الدواء المرَّ، ويزرقه أحياناً أُخرى بأُبَر الدَّواء، ويُرقده على سرير المستشفى لإِجراء عمليَّة جراحيَّة، ويمنعه من اللعب، فلا يرضَى الطِّفل بهذا الأُسلوب، فهو يرغب دوماً في الركض واللعب وتناول الحلوى؛ لذا فهو ينتقد أباه في حصره ومنعه له ولرُبَّما فكَّر أنَّ أباه عدوٌّ له وشخص يتعمّد إيذاءَه! لكن حقيقة الأمر وواقعه غير ذلك، فلقد كانت جميع تصرُّفات الأب خيراً للطِّفل ورحمة لأنَّها توجب حياته، ولو جهل الطِّفل ذلك ولم يرده؛ لذا نرى الأب ينزعج كثيراً ممَّا ينتاب طفله من سوء، فيستعصي عليه النَّوم ويقف في المستشفى ساهراً عند سرير طفله وهو ما يمثّل عين الرصحمة.

والرَّحمة تتجلَّى أحياناً في مجال الإعطاء وتقديم الحلوى، وأحياناً في المنع وزرق المغذِّي في الوريد، وكلاهما رحمة بمظهَريْن وكيفيَّتَين.

ولقد جاء الأنبياء والأئمّة من أجل الحياة الحقيقية والسعادة الخالدة للبشريَّة وتركَّزت رسالاتهم وانصبَّت في هذا المجال؛ لذا فأينما تعارضت الحياة الواقعيَّة الحقيقيَّة مع الحياة الطبيعيَّة، والصحة الحقيقية مع الصحة المجازية، والقدرة الأصلية مع القدرة الاعتبارية، أغضوا عن الثانية لحفظ الأُولى. فهم يُصدرون الأمر بالجهاد فيقتلون المشركين والكفَّار، ويؤَدِّبون المنافقين، ويعاقبون المجرمين، وهي جميعاً خير لإِيصال الشَّخص المعتدي والظَّالم للهدف الإنساني الرَّفيع.

كما أنَّ فرك الأُذُن للتأديب، والإصابة بالإِقعاد، والفقر والفاقة،

والمرض وانحراف الصحة هي خير جميعاً؛ لأنَّها تنبِّه الإنسان وتعيده لنفسه وتقلِّل من التَّضخُّم الفارغ للنَّفس الأمَّارة وتمنح الإنسان أصالة، فهي خير ورحمة إذن[1].

قال طاب ثراه:

«التَّوحيد في يوم عاشوراء طغى على كُلِّ شيء».

تـجـنّـن قـيـس لـمّـن عـشـگ لـيـلاه

أبـحـسـرات الـنـهـار وسـهـر لـيـلاه

عـاف الـخـلّـة عـابـس[2] يـجَـن لـيـلاه

والـسـيّـد وراه جـدّد الـنّـيـة

(١) الرُّوح المجرَّد: ١١٨.

(٢) أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

مقام التوحيد عند العارف

بيان السيّد الحدّاد عن التَّوحيد والعارف بالله:

قال: «التَّوحيد هو الحق ومنور القلب ومحرّك الظواهر وعلام الغيوب، نظر العارفون فتاهوا ولم يعمر قلوبهم إلاَّ هو، فهم به والهون، قلوبهم تسرح في رضاه في الحضرة العلية، وأسرارهم لمن سواه فارغة خلية، جالت أسرارهم في الملكوت، فلاحظوا عظمته، وتجلّى لقلوبهم فأنطقهم حكمته، فهو للعارف ضياء ونور، وقد أشغله به[١] عن الجنّة والقصور، آنسه به فهو جليسه، وأفناه عنه فٱمتزج بالمعنى وذهبت الرسوم وفنيت العلوم[٢]، **ما عرَّجوا على أهل ولا أولاد ولم يشركوا بعبادة ربهم أحداً**[٣].

(١) تعلم أيُها السَّالِك لمن يرجع ضمير ـ به ـ؟! يرجع إلى توحيد الله، فيكون المعنى: أنَّ الله أشغل العارف بتوحيده، فلا ينظر إلى جنّة وقصور، بل جنّته وقصوره هو توحيد ذات الحق.

(٢) قال ربُّ العِزَّة في حديث قدسيّ: **«من طلبني وجدَني، ومن وجدَني عرَفني، ومن عرفني أحبَّني، ومن أحبَّني عشقني، ومن عشقني عشقته، ومن عشقته قتلته، ومن قتلته فعليَّ ديته، ومن عليَّ ديته فأنا ديته»**.
كلمات مكنونة للفيض الكاشاني: ٨٠.

(٣) قال تبارك وتعالى في سورة الكهف الآية: ١١٠. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾.

التوحيد نور، الذي منه مادة كل نور، وما عداه فأُغشية وستور، مادة كل ناقص وزائد، أودع بعض العارفين من الأسرار ما ميَّزه بها عن الأغيار، فصفات العارف أبداً تسمو وترقى، ينتظر ما يرِدُ به أوامره، لا يشغله عنه أبداً شاغل، هو معه كالميت بين[1] يدي الغسال يقلبه في أي الجهات كيف شاء، ويكشف عن قلبه كل غشاء[2] فينظر بعين التحقيق فيرد إليه الخلق من كل طريق. فالعارف من آفات[3] الغير محفوظ، وكل ما سوى الحق عنه مرفوض، فمن كانت هذه رتبته فقد علت همَّته. بنُوره أشرق كل نور، وتنزَّه عن ملاحظة ما سواه، ولم يقنع من مولاه إلاَّ بمولاه[4]، فأسرار العارفين[5] عن الخلق محجوبة، وعند من عرفهم ظاهرة. والناس نيام إذا ماتوا انتبهوا».

فالفيوضات التوحيدية المستقرَّة في قلب السيّد الحدّاد ـ أعلى الله مقامه ـ إشراقها كان من الواسطة العظمى في مسارح الشُّهود والعيان، قبلة العارفين وكعبة العاشقين عمَّته ومولاته عقيلة الهاشميين وأمينة أسرار أبي عبد الله الحسين الحوراء زينب عليها السلام الَّتي سنذكرها ألقاها عندما تشرَّف إلى زيارتها في الشَّام وهي قوله: (قدَّس اللهُ نفسه الزكيَّة): «إنَّ أغلبَ مسائل المعارف الإلٰهيَّة، بل جميعها لا يمكن إدراكها بدون إدراك

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن».

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ لله سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ من نُورٍ وظُلْمَةٍ، لَوْ كَشَفَها لأحرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ ما انتهى إليه بصرُهُ».
البحار ٧٣: ٣١/ ب١٠٠ ح ٢٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦٢، قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(٤) قال ربُّ العزَّة في حديث قُدسِيّ: «يا ابْنَ آدم خلقتُ الأشياء لأجلِك، وخلقتك لأجلي».

(٥) كما في الحديث القدسيّ: «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري».

التَّوحيد الشُّهودي، فمسألة الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين، مسألة الطِّينة والخلقة، مسألة السَّعادة والشَّقاء، مسألة القضاء والقدر، مسألة اللوح والقلم والعرش والكرسيّ مسألة الأزل والأبد والسَّرمد، مسألة ربط الحادث بالقديم، مسألة الدُّعاء وإجابته، وأمثال ذلك من المسائل الكثيرة الَّتي تُذكر في هذا الباب قد حلَّت بتوحيد الحق جلّ وعلا، أمّا بدونه فهي مستصعبة مغلقة.

فمثلاً يقول الإمام زين العابدين عليه السلام، في الصَّحيفة السجّاديّة:

«ولا ترفعني في الناس درجة إلاَّ حططتني عند نفسي مثلها ولا تُحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها».

فهذا الطلب هو عين تمنِّي التّوحيد. أي: يا إلٰهي! افتح عيني للقاك حتَّى أراك ولا أرى نفسي وتشخيصي، فأُدرك شهوداً ووجداناً عزّة إلاّ لك، وأنَّ عِزَّتي وذُلّي منك لا مِنّي.

ويقول أيضاً في الصَّحيفة:

«وألهمنا الانقياد لما أوردت علينا من مشيئتك حتى لا نُحِبَّ تأخير ما عجلتَ، ولا تعجيل ما أخرت، ولا نكره ما أحببت، ولا نتخير ما كَرِهتَ».

ومن الجلي أن هذه الطلبات لن تتجاوز لقلقة اللسان ما لم يَحصل للإنسان الشهود العيني للتوحيد، كما أنَّ هذه الحالات لن ترسخ لدى الإنسان إلا بانكشاف التوحيد الأفغاني والأسمائي الذي سيُوضع ويظهر هذه المعاني: لذا فإن الطلبُ لهذه المعاني هو طلبٌ للتوحيد.

«ولا تشغلني بما لا أدركه إلاّ بك، عمّا لا يرضيك عني غيره».

أي: عرِّفني نفسك ليمكنني الاشتغال بما يُرضيك، وأن لا أشتغل ـ

بمعونتك ومساعدتك ـ حال الغفلة والنسيان بأعمال أخرى، وهذا لا يَحصل إلاّ حين ينكشف التَّوحيد للإنسان.

ويُعرض في الصحيفة أمام ساحة العِزِّ الربوبيّ:

«لك يا إلهي وجدانية العدد وملكة القدرة الصَّمد»، حيث إن وحدانية الله، واسم القادر الصَّمد، وصفة القُدرة والصَّمدانية لا تتّضح للإنسان إلاّ بطلوع نور التَّوحيد».

ويقول أيضاً في ناء القُدس الإلٰهي:

«اللهم يا ذا المُلك المتأبّد بالخلود... حتى يصل إلى قوله: ضلَّت فيك الصِّفات، وتفسَّخت دونك النعوت، وحارت في كبريائك لطائف الأوهام».

ومن الجِليّ هنا أنَّ وصفاً كهذا سبحانه غير ممكنٍ بدون المشاهدة العينيَّة والرؤية القلبية.

كما يقول أيضاً: **«أنت الذي لا تُحدُّ فتكون محدوداً، ولم تمثَّل فتكون موجوداً»، حتى يصل إلى قوله: «سبحانك لا تُحس ولا تُجسُّ ولا تُمسّ، ولا تُكاد ولا تُماط ولا تُنازع ولا تُجارى ولا تُمارى ولا تُخادع ولا تُماكر».**

فمثَّل هذا الخطاب لله سبحانه بطور الجدِّ واليقين يصدر حين يكون التّوحيد قد انكشف للقائل.

وقد ورد مثَلاً هذا الدُّعاء في الصَّحيفة العلويّة الثانية عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«يا من ليس معه رب يُدْعى، يا من ليس فوقه خالق يخشى، يا من ليس دونه إلٰه يُتّقى، يا من ليس له وزير يُرشى، يا من ليس له نديم يُغشى،

يا من ليس له حاجب يُنادى، يا من لا يزداد على كثرة السُّؤال إلاّ كرماً وجوداً، يا من لا يزداد على عظيم الذَّنْب إلاَّ رحمة وعفواً وأسأله ما أحببت فإنّه قريب مجيب».

وليس هناك إمكانٌ أبداً لمثل هذا الوصف إلاّ لمن يُشاهد بالوجدان الله سبحانه في جميع العوالم واحداً أحداً فرداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وليس في يد موجودٍ غيره قُدْرة ولا اختيار ولا علم بقدر ذرّة خَرْدَلٍ، ألا هو الملك الحيّ القيُّوم.

وفي خاتمة دعاء أبي حمزة الثمالى المروي عن الإمام عليّ بن الحسين سيّد السَّاجدين عليه السلام من جملة أدعية أسحار شهر رمضان المبارك نرغَب إلى الله قائلين:

«اللَّهُمَّ إني أسألك إيماناً تُباشِر به قلبي ويقيناً حتى أعلم أنَّه لن يصيبني إلاّ ما كتبت لي، ورضِّني من العيش بما قسمت لي يا أرحم الراحمين».

فالإمام السجّاد عليه السلام يقول هنا: يا إلٰهي! هَبْ لي إيماناً تُدخله قلبي، وتجعله يباشره، فتصير أفكاري وآرائي وآرائك! فهل يمكن أن يكون لتصرّف الله في قلب المؤمن بالمباشرة معنى غير انكشاف حقيقة التوحيد في جميع مراحله من التوحيد الذاتي والأسمائي والصفاتي والأفعالي؟!.

والعجيب هنا أن هذا الدعاء يتكرّر بهذه العبارة عينها في جميع أدعية الليالي العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، من الليلة الحادية والعشرين إلى الليلة الثلاثين، فالعشرة الثالثة باعتبارها أفضل أوقات شهر رمضان، وباعتبار حصول المؤمن الصائم بتقرّبه إلى الله وبالدعاء والمناجاة وتلاوة القرآن وغيرها على الصفاء الروحي، فإنه صار مهيّئاً

للاستفاضة من الفيوضات الغيبيّة الإلٰهية واكتسب اللياقة لمثل هذا الدُّعاء في الرَّغبة إلى ربّه ليرفع عنه جميع الحُجُب ويوصله إلى مقام التوحيد الكامل ويُجَلِّي ذاته القدسيّة في قلبه، وهو حقًّا فوز عظيم.

لاحظوا أنَّ عين هذه العبارة مكرّرة في جميع أدعية هذه العشرة المباركة الّتي تزيد في بركتها على العشرة الأُولى والثانية:

«أسألك أن تُصلِّي على محمد وآل محمد، وأن تجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء، وروحي مع الشهداء، وإحساني في عليين، وإساءتي مغفورة وأن تهب لي يقيناً تباشر به قلبي، وإيماناً يُذهب الشك عني، وتُرضيني بما قسمت لي».

أو فكرنا حتَّى الآن فيما يريد قوله في هذه الفقرة من دعاء أبي حمزة الثمالي: «معرفتي يا مولاي دليلي عليك، وحُبِّي لك شفيعي إليك، وأنا واثق من دليلي بدلالتك، وساكن من شفيعي إلى شفاعتك»؟.

فهو يقول هنا: إنّ عليَّ كي أصل إلى مقام القرب أن أعرفك، لكن ما يدلّني عليك هو معرفتي، وما يشفع لي ويُعينُني في هذا الوصل هو حُبِّي لك، لكن هذه المعرفة وهذه المحبة لا قيمة لها؛ لأنّها من جانبي أنا، ولستُ إلاّ موجوداً محدوداً متعيّناً وضعيفاً وجاهلاً، فلا تلك المعرفة تنفعني ولا تلك المحبّة يمكنها الشفاعة لي وإيصالي إلى مَرامي، ولكن لعلمي وثقتي أنّك قد أريتني نفسك لأعرفك، وأنّك قد أحييتني لأكون محبّاً لك؛ فإنّ هذه المعرفة والمحبّة تمتلك قيمة لأنّها هي تجعلني أصل إلى قصدي، لأنّها من جانبك أنت لا من جانبي أنا! وفي هذه الفقرة تفسير وتوضيح للفقرة الّتي وردت في صدر الدّعاء:

«بك عرفتك، وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت!».

فهذه الفقرات جميعاً لها الدّلالة على لزوم التجلّي الذاتي لرفع الحجب الإمكانية النورانية والظلمانيّة، وبدون تجلّي ذات الحقّ المتعالي، الذي يُقال له لقاء الله والشهود الباطني وصولاً إلى آخر درجة من درجات الفناء في الله، ثم إلى البقاء بالله، فإنَّ تحقُّق الإيمان الكامل والمعرفة الحقيقة لله تعالى أمرٌ محال. وهذا هو معنى التوحيد، والعرفان والمعرفة، واللقاء، والوصول وكشف وحدة ذات الحقّ، وأمثال ذلك من العبارات المتداولة على الألسُن والمسطورة في الكتب والمنطبعة في القلوب[1].

قال آية الله المرحوم السيّد عبد الكريم الكشميري (قدّس سرّه):

«**في إحدى السّنين وكانت زيارة مخصوصة لسيِّد الشهداء عليه السلام**، وقد اجتمع في منزل السيّد الحدّاد (قدّس سرّه)في ليلة ذلك اليوم ما يقارب من سبعين نفراً من أهل المعنى، فأخذ الحاضرون يتكلّمون في مواضيع مختلفة والسيّد الحدّاد (قدّس سرّه) مطرق برأسه إلى الأرض، وقبل الفجر تكلَّم السيّد الحدّاد بعبارة واحدة في التَّوحيد أسقط كلَّ ما تكلَّم به الرجال في تلك الليلة!».

وقال الحاجّ جعفر محيي حفظه الله:

«**أوَّل زيارة زرت بها مسجد السَّهلة بخدمة السيّد الحدّاد مع جمع من الرّفقاء وجلسنا أمام مقام الإمام الصادق عليه السلام**، فالتفتّ إليَّ المرحوم السيّد ثواب الأعمال السيّد سائلاً: ما تنظر؟

قلت: شخصاً.

قال: ما يعمل؟

---

(١) الرُّوح المجرَّد: ٥٩٦.

فأجبته: قائماً يصلِّي.

فقال: هل تنظر إلى ظلِّه؟

قلت: نعم.

فقال: كلُّنا كهذا الظِّل والأصل غيرنا فإذا تحرَّك تحرَّكنا».

قال أعلى الله مقامه الشريف:

«كان أحد العرفاء يتمشَّى بين القبور فشاهد قبراً عليه مكتوب (خَسِرَ الدُّنيا والآخرة)، فأخذ يقبِّل القبر ويقول: بأبي أنت وأُمي فقد نلت كلَّ شيء. وكان قصد ذلك العارف أنَّ الميت بخسرانه وتركه للدُّنيا والآخرة كان همُّه وعشقه ومحبوبه هو الله وحده لا سواه فهنيئاً له».

وقال قدس الله سره الشريف في العارف:

«العارف يتوب في كل نفس تائب إلى الله من جميع أفعاله الصادرة منه توبة شرعية وتوبة حقيقية. التوبة الشرعية من المخالفات ـ المعاصي ـ والتَّوبة الحقيقية هي التبرِّي من الحَولِ والقوَّة إلا بالله، بحول الله وقوته. فلم يزل العارف في الحياة الدنيا التي هي دار التكليف تائباً في جميع الأحوال».

بيانه في الولاية:

«الولاية، عامَّة وخاصَّة، والولاية الخاصة: هي الفناء في الله ذاتاً وصفة وفِعلاً. الولاية: بقاء العبد بالحق في حال الفناء، وهي في اللغة بمعنى القُربة وفي العُرف: التخلُّق بالأخلاق الإلٰهية والبقاء بعد الفناء والصحو بعد المَحْوِ»[1].

(١) الصَّحْوُ: هو بقاء العبد بالله، والمَحْوُ: هو فناء العبد واندكاكه في ذات الحقِّ تعالى وورد لفظهما في جواب أمير المؤمنين عليه السلام حينما سأله كميل بن زياد النَّخعي عن الحقيقة، فقال عليه السلام: **«الحقيقة... مَحْوُ المَوهُوم، مع صَحْو المَعْلومِ».**

وقال:

«**الولاية: هي قيام البعد بالحق عند الفناء عن نفسه وعند ذلك يتولّى الحق إياه حتى يبلغه مقام القرب والتمكين**».

وقال: «**الوليُّ هو الفاني في الله القائم به الظاهر بأسمائه وصفاته**».

سُئِلَ: ما الفرق بين ا لنبي والولي؟

فأجاب:

«**النَّبي: هو الذي له الحكم في الأحكام الشرعية الظاهرية والولي: هو الذي له التمكن في الأمور الباطنية**».

بيانه في الفناء:

قال (قدّس سرّه):

«**كمال العبودية هو الفناء والفناء هو الانعدام والوجود به**».

وهو لا يحصل إلاّ بالتوجه التام، وذلك التوجه لا يمكن إلاّ بالمحبة الذاتية في العبد، وظهورها لا يكون إلاًّ بالاجتناب عمّا يضادّها ويناقضها وهو التقوى مما عداها، فالمحبّة هي المركب، والزاد هو التقوى، وهذا الفناء موجب لأن يتعيَّن العبد بتعيّنات حقّانية وصفات ربانية وهو البقاء بالحقّ فلا يرتفع التعيّن وفي الحديث القدسيّ: «أحبَّني حتى أجعلك مثلي وليس كمثلي شيء»[1]

وقال (قدّس سرّه):

«**قال المرحوم السيّد القاضي: إنّ الخواجة حافظ الشيرازي لبس يوماً جبَّته ثم راح يبحث عنها، وبعد مدة فطن إلى أنَّه لابس للجُبَّة!**».

---

(١) كلمات مكنونة: ١٢٢.

سُئل منه: ما بال العبادة لا تُؤثر في روحنا؟!

أجاب نَوَّر الله مرقده الطاهر:

«لا بد من أحد أمرين، إمّا أن يأتي العشق والحب الإلٰهي فيحرق كل شيء، وإما أن يتغيَّر الحال بمجاهدات وأتعاب تدريجية، فيحصل ذلك مع مرور الزمان، وإن الله لا يُضيع مَن كان في طلبه، والخواطر النفسية لا بد أن تزول وإذا زالت تحقق حال الفناء[1]، وإن الخواطر شيء يولد، وقد عبَّر القرآن عنها بالكفر. ولكن الخواطر المتعلَّقة بالكسب والمعيشة وأمور الإنسان لا ضرر فيها.

أما الخواطر العابثة والشيطانية، فليست حسنة، وعلامتُها أنها تتوالد...

وقال نوح ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[2]. قوله تعالى: **ولا يلدوا إشارة إلى توالد الخواطر الشيطانية».**

وقال طاب ثَراه: «إن الخواطر على أربعة أقسام:

القسم الأول: خواطر إلٰهية، وهي الخواطر التي تصرف الإنسان عن نفسه وتوجّهه اتجاه ربه وتدعوه إلى قُربه.

القسم الثاني: خواطر شيطانية، وهي الخواطر التي تجعل الإنسان غافلاً عن الله وتثير في قلبه الغضب والحِقْد والجشع والحسد.

القسم الثالث: خواطر ملكوتيَّة، وهي الخواطر التي تقود الإنسان إلى العبادة والتقوى.

---

(١) وقد جاء شاهدٌ لما قال أعلى الله مقامه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **«مَنْ عرف نفسه تجرَّد». غرر الحكم ـ الحكمة ١٨٨.**

(٢) سورة نوح، الآيتان: ٢٦ـ ٢٧.

القسم الرابع: خواطر نفسانية، وهي الخواطر التي تدعو الإنسان إلى زينة الحياة الدنيا وإلى حبّ الشَّهوات».

وللإنسان قوة رفيعة ومتعالية يمكنها تبديل جميع الخواطر الشيطانية والنفسانية إلى حسنات، واستخدامها جميعاً في سبيل الله، فيكون جمع المال والشهوة وجلب الزينة لله تعالى لا للنفس. كما أن له قوة أعلى من تلك الأولى، يمكنهُ بها أن يُبدِّل جميع تلك الخواطر إلى خواطر ملكوتية وخواطر إلٰهية، فيعدّها جميعاً من الله ويراها منه، فلا يكون له أساساً معاملة مع غير الله سبحانه.

وإذا ما صار نفي الخواطر يحصل بصورة جيدة لدى السالك، فإنّه سيوصله أخيراً إلى عالم الفناء الذي هو وجود محض. فلا يتوقف عنه ورود الخواطر فقط، بل إنَّ ذلك ينتفي ويصبح أمراً غير ممكن، وسيصبح ذلك السالك مستغرقاً في عالم التوحيد بشكل لا مجال له معه في النزول إلى عالم الكثرات ولا لمرور الخطرات عليه، لكأن سدّ الاسكندرية قد شُيِّد بينه وبين الخواطر، ذلك السدّ المنيع الذي لا يستطاع نقبه وثلمه وفي هذه الحالة فإن الخواطر سترد عليه بإجازته وإذنه النفساني، فإن أجاز لخاطرة ما على ذهنه خطرت وإلا فلا.

وقال (قدّس سرّه):

«كُمُون الشيطان كان مخالفة، ولم يكن هناك قدر يمنع هذا الكُمُون، فخالف. وله شغل مع الكلِّ إلا المخلَصون[1]؛ لأنَّهم أهل الدار، كما لا شأن للكلب بأهل الدار ـ فهو يطرد الغرباء ـ بل إنه يفِرُّ من أهل الدار، كذلك يفِرُّ الشيطان من أهل الحق».

---

(١) قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ سورة الحجر، الآيتان: ٣٩ـ ٤٠.

وقال:

«المؤمن في جميع أوقاته كالشَّاهر سيفه أمام الشيطان، فإذا كان كذلك فمتى يجرأُ الشيطان أن يدنو نحوه».

وقال (نَوَّر الله ثراه): **«يقول أبو سعيد الخرَّاز: ما عُرف الله إلا بجمعه بين الضدين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾**[1].

وقال لأبي يزيد: كيف أصبحت؟ قال: لا صباح ولا مساء؛ فإنَّ الصباح والمساء لمن له تقيُّد بالصفة، وأنا لا صفة لي، فإني بكيت زماناً وضحكت زماناً، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي».

أقول: إن الشيطان له علاقة مع كلِّ من غفل عن الله تعالى، وقد جاء في كتاب الخصال في تفسير الآية عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«لمَّا دعا نوح ربه على قومه أتاه إبليس، فقال له: يا نوح، إن لك عندي يداً أريد أن أُكافئك عليها.

فقال نوح: والله إني لبغيض إليَّ أن يكون لي عندك يد، فما هي؟

فقال: بلى، دعوت الله على قومك فأغرقهم، فلم يبق أحد أغويه، فأنا مستريح حتى ينشأ قرن آخر فأغويهم.

قال له نوح: فما الذي تريد أن تُكافئني به؟

قال له: أُذكرني في ثلاث مواطن فإني أقرب ما أكون إلى العبد، إذا كان في إحداهنّ: أُذكرني عند غضبك، واْذكرني إذا حَكَمْتَ بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد»[2].

وسأله العلاّمة الطهراني: إنَّ من يشاهد الله في حيِّز الأسماء

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٢) الخصال: ١/١٣٢، باب الثلاثة ح ١٤٠.

والصفات لا يشاهده في حقيقة ذاته ووجوده حتى يتحدَّث ويتكلم معه ويعرض حاجاته عليه. ومَن يفنى في الأسماء والصِّفات، ويندكُّ ويفنى في الذات، لا يبقى له وجود، فيطرح السَّائل والمسؤول والسؤال، ومتى يعرض حاجاته؟

قال نوَّر الله مرقده الطاهر:

«أجل، هو كذلك، بيد أنه قيل: كان لملك خادم يعشقه؛ إذ استهوته جلوات المَلِك وشؤونه ومقاماته، وبلغ به العشق حدّاً: أنه حينما يرى الملك يقع على الأرض مغشياً عليه.

وكان الملك يحضره في هذا الحال ويقعد عنده ويستميله، إلاَّ أنه لا يفيق من غشيته حتى ينصرف الملك ويبتعد عنه.

أدرك الناس قربه من السلطان، فكانوا كلما سنحت لهم حاجة يكتبونها في عريضة ويضعونها في ظرف حتى يعرضها على السلطان ويقضي حوائجهم.

ويقبض الخادم الرسائل من أصحاب الحوائج ويضعها في خرج كي يقدِّمها إلى السلطان في الموعد المقرَّر للقائه.

وهكذا تتجمَّع الرسائل ريثما يذهب الخادم بالخرج إلى لقاء الملك في الوقت المعيَّن، وما أن تقع عيناه على الملك حتى يُغشى عليه، فيمكث الملك جنبه ويقعد عند رأسه، ثم يأمر بفتح الخرج وقراءة الرسائل كلها ويقضي حوائج أصحابها في ذيلها، وتصدَّق بختم وإمضاء ديوان الملك، ثم تُوضع في ظروف وتُعبَّأُ في الخرج وتُشَدُّ فوهتَه.

وفي هذه الأثناء ينهض الملك وينصرف، ثم يفيق الخادم وينهض ويحمل الخرج وهو يظنُّ أنه لم يفتح بعد ولم يبتّ بما فيه، وكان يعتقد أنَّ

عرائض الناس جميعها لا زالت كما كانت، فيقول لهم: معذرة لعدم استطاعتي تقديم عرائضكم إليه.

يتناول الناس رسائلهم من الخرج آيسين، وفجأة يبتهجون ويفرحون حينما يرون حوائجهم مقضية ومختومة بالختم الملكيّ»[(١)(٢)].

وسُئل منه أيضاً: الفناءُ كسبيّ أو عطائيّ؟!

قال:

«كسبي بالعبادات والجدّ والجهد والثبات والدوام إلى أن يتحقق العطاء من الله سبحانه وتعالى»[(٣)].

وقال:

«الفناء يحصل بنفي الخواطر».

قيل له: نفي الخواطر عملٌ مشكل.

قال:

«كيف يكون مشكلاً والله قادر على قلب الحجر ماء[(٤)] وجاعل النار برداً وسلاماً[(٥)]، فتوكَّل عليه وليكن نظرك إليه، فالإنسان إذا أراد أن

---

(١) فيكون جواب السؤال: هو أن العارف الفاني المندكّ في الذات الأحدية بدون أن يطلب من الله تعالى فحاجته مقضيَّة.

(٢) (معرفة الله: ج ١ للعلاّمة الطهراني).

(٣) ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سورة العنكبوت، الآية: ٦٩ـ وسورة الروم، الآية: ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٠، قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٦٠﴾ وسورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩، قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

يصلّي ركعتين يجب عليه أن ينفي الخواطر وأن تكون صلاته مع التَّوجُّه وحضور القلب».

بيانه في النفس والغفلة:

قال قدّس الله نفسه الزكيَّة:

«الاهتمام بالنفس يُصفِّي النفس، ويجعلها تطَّلع على المغيَّبات ـ عطاؤه كرامة واستدراج ـ بمعنى: أن تأخذ منها الرذائل بالتدريج».

وقال:

«يقول التُّستري: أبغض الناس إليَّ من يريد أن يدبِّر أُموره بنفسه، ولا يدع أموره إلى الله تعالى وليس له توكُّل».

وقال:

«قلت لشخص كثير السفر إلى كربلاء ومشهد والمدينة: أنت دائماً إلى هنا وهناك، فمتى تلتفت إلى الله؟ فكَّر قليلاً، وفهم أن هذا السفر قد صار عادة له، وبدافع الهوى، وقال: كلامك صحيح، فإنه لم يكن لله».

قال قدّس الله نفسه الزكية ـ نقلاً عن أُستاذه المرحوم القاضي ـ:

«الإنسان يجب أن يكون هكذا مع نفسه مستعدّاً للقتال معها إذا أرادت غير ما يريد المعشوق».

إذا طالبتك النفس يوماً بحاجة … وكان عليها للقبيح طريق

فدعها وخالف ما هويت فإنها … هواك عدوٌّ والخلاف صديق

وقال:

«في الهند يهتم عبدة البقر بالبقرة الأُنثى. تهزُّ البقرة رأسها بأتّجاه الغرب، فينبىء عابد البقر بحوادث ستقع في الغرب. أو تحرِّك ذنبها

باتجاه الشرق فينبىء بما يحدث في الشرق. وإنه يظنُّ أنَّ هذا التنبؤ مصدره البقرة، والحال أنَّ مصدره نفسه حيث كان قد ارتاض، ومن توجُّهه هو الذي يستطيع به أن يطّلع على الماضي والمستقبل».

وقال:

«إن بعض النّفوس حصلت على ما تطلب وضيءَ لها الطريق، فإذا ذهبت إلى هنا ـ إلى أستاذ ـ وإلى هناك ـ إلى أستاذ آخر ـ لا يحصل لها ضرر، وبعضها تُشرِّق وتُغرِّب قبل أن تحصل على ما تريد، وكلّ ما تلتقطه من هنا وهناك يكون ضرراً عليها، وبعضها حصلت على ما تريد ولا تذهب هنا وهناك».

قيل له: إنّ بعضهم يقول: اِعلم العمل الفلانيّ وإلاّ فإنك لا تصل؟

قال أعلى الله مقامه:

«ليس هكذا. العطاء الذي يعطيه الله ليس لعى شيء معين إلزامي، إنَّه يُعطي شيئاً على عمل، ويحوِّل شيئاً من شخص بعمل آخر. ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[1]، و﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2]».

ثم استدلّ بهذه القصة:

«أحدهم عشق، ومهما حاول أن يصل إلى معشوقه ما استطاع، فقيل له: في كذا مكان يوجد شيخ للمجوس يستطيع مساعدتك، فذهب إليه.

قال له المجوسيّ: أعرض عن الله أربعين يوماً ولا تقم بأي عمل خير، فقبل ذلك، فلمّا مضت الأربعين جاء إليه قائلاً: ما صار الذي أُريده؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

قال: قمت بعمل خير.

لكنَّه كلَّما فكَّر لم يتذكَّر... فقط قال: في أحد هذه الأيام كنت أمرُّ في إحدى الأزقَّة فرأيت حجراً وسط الطريق، فضربته لأُزيحه لئلاّ يعثر به أحد.

قال المجوسيّ: كان هذا هو المانع.

عند ذلك تفطَّن العاشق، وقال: الله الذي أدبرتُ عنه أربعين يوماً ولم يهمل لي عمل خير واحد... كيف أفرُّ منه؟!».

قال آية الله المرحوم السيّد عبد الكريم الكشميري:

«إن للسيد ثواب الأعمال السيّد الحدّاد قابلية عظيمة في تشخيص النفس والإخبار عن سريرة الأشخاص، ففي يوم كنت مع جمع من الرّفقاء عند السيّد الحدّاد، فقام أحد الجالسين يفكِّر سائلاً نفسه يا ترى أين الآن السيّد الحدّاد هل هو الآن في المدينة، أو في مكة، أو في... فهناك صاح به السيّد قائلاً له: (إِنت شِلَّكْ شُغُلْ بِيَّه، لِيشْ إِنتَ مَسْؤُول عَنِّي!)[1]».

وقال آية الله سماحة الشيخ محمد ناصري دولت آبادي دام عِزّه:

«ذات يوم كنت أتمشّى مع السيّد الحدّاد في مسجد السَّهلة وكانت الخواطر تمرُّ علي، فقال لي عليك بنفي الخواطر، ولا تدع النفس تغلب عليك».

---

(١) أي: أنت لا يعنيك أمري ولست مسؤولاً عني!

الإرشادات السلوكية للسيد الحدّاد (قدّس سرّه)

تعليماته وإرشاداته السلوكية الخاصّة والعامة:

كان لكلامه (طاب ثراه) أثر غريب في القلوب بحيث قلَّ ما ينصح أحداً أو يوصيه بوصيَّة إلاَّ ويُؤثر في نفسه وهواه، وتصرّفه إلى طاعة مولاه، فمنها كان يوصي تلاميذه بأُمورٍ تصلحهم في السَّير والسُّلوك، وتفيضهم معنويات نورانية وإليك بعض ما كان يذكرها في مجالسه[1].

١ــ عدم إيذاء رفقاء الطريق في الله:

إنَّ الظاهر من مراجعة المأثورات الروائية الواردة عن المعصومين عليهم السلام جاءت تؤكد على حقيقة خالدة وهي أن أذى المؤمن يُوجب سخط الله تعالى، والدليل على ذلك ما ورد عن لسان الإمام الرِّضا عليه السلام مرويّ عن عبد العظيم الحسني قال: قال:

«يا عبد العظيم! أبلغ عني أوليائي السلام وقل لهم: أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً، ومُرهُم بالصدق في الحديث، وأداء الأمانة، ومرهم بالسكوت، وترك الجدال فيما لا يعنيهم وإقبال بعضهم على بعض، والمُزاورة، فإن ذلك قربة إليّ، ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق

(١) وقد نقلتُ بعضها من الرُّوح إلى المجرَّد لأهميتها.

بعضهم بعضاً فإنّي آليت على نفسي أنه من فعل ذلك، وأسخط ولياً من أوليائي دعوت الله ليُعذِّبه في الدُّنيا أشدَّ العذاب وكان في الآخرة من الخاسرين، وعرِّفهم أن الله قد غفر لمحسنهم، وتجاوز عن مُسيئهم، إلاَّ من أشرك أو آذى ولياً من أوليائي أو أضمر له سوء، فإن الله لا يغفر له حتى يرجع عنه، فإن رجع، وإلاَّ نُزع روح الإيمان عن قلبه، وخرج عن ولايتي، ولم يكن له نصيب في ولايتنا وأعوذ بالله من ذلك»(١).

٢ـ تعليمه لبعض الأذكار التوحيدية:

قال لأحد رفقائه وهو سماحة الشيخ محمد صالح الكميلي:

«عليك بذكر: (لا هُو إلاَّ هُو) ثلاثة آلاف مرة في كل يوم، وإن تمكَّنت أن تذكر هذا الذِّكر بقلبك لا بلسانك فهو أفضل».

وأعطى ورداً للمرحوم الحاجّ حبيب السماوي رحمه الله وهو (يا هُو يا مَن لا هُو إلاّ هُو) ثلاث آلاف مرة في كل يوم.

ومن الأذكار والأوراد التي كان يُعطيها لبعض تلامذته: زيارة عاشوراء، وبعدها دعاء علقمة، ثم الصلوات على محمد وآل محمد بمقدار أربع عشرة سبحة، وكذا الزيارة الجامعة، ودعاء يستشير، وكان يؤكِّد عليه، وكان يقول في زيارة عاشوراء:

«إنَّ كمال زيارة عاشوراء بدعاء علقمة».

٣ـ قوله (قدّس سرّه) إنَّ تكرار الاستغفار التالي عند السَّحَر مفيد لطريق السالك، وكلما زاد من تكراره كان ذلك أفضل.

وهو: **«أستغفر الله الذي لا إلٰه إلاَّ هو الحيُّ القيُّوم، الرحمٰن**

---

(١) البحار: ٧١/ ٢٣٠، ب ١٥، ح ٢٧.

الرحيم، بديع السموات والأرض، من جميع ظلمي وجرمي وإسرافي على نفسي وأتوب إليه».

وكان يقول:

«من داوم على هذا الاستغفار وفْق رغبته وقابليته فإنه سينال غايته، ولا إشكال في قوله حال الحركة والعمل».

٤ـ عدم التفكُّر والاهتمام في أُمور البيت والعيال، وتفويض ذلك إلى الله تعالى[١].

٥ـ إنّ المكاشفات في الطريق حصلت أم لم تحصل لا تؤثّر في السلوك، غير أن بعضها حسن في بداية الطريق، ولكن لا بد من عدم التعلُّق بها؛ لأنّها تزول في نهاية السلوك، فيجب أن لا تؤثّر في حال السالك.

٦ـ لا تسعوا وراءَ الكشف والكرامات! فأمثال هذه الطلبات تبعد السَّالك عن الله حتى ولو تحقَّق طلبه ونال غايته، إن الكرامة والكشف الذي يأتي به الله هي الكرامة المحمودة لا الَّتي يسعى إليها العبد.

«وينبغي أن لا يعتني الإنسان بالمكاشفات التي تنتابه وإذا توجَّه صار إليها فتشغله عن مواصلة مسيره والوصول إلى محبوبه، وليَكُن همُّ السالك هو مقصوده الذي يصبو إليه».

جاءه في أحد الأيام تلميذ من تلاميذه قائلاً: حصلت لي كرامة.

فسأله: **«وما هي؟»**.

قال: رأيت نفسي قد وقفت على الماء وقمت أمشي عليه لا إراديًّا.

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض أصحابه: «لا تَجعلنَّ شُغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله، فإن الله لا يُضِيعُ أولياءه، وإن يكونوا أعداءَ الله، فما همُّك وشُغلك بأعداء الله؟!» نهج البلاغة.

قال له: «**لا تهتم بها وهذا ليس بعجيب فإنَّ العودة ـ أي الخشبة الصغيرة ـ أيضاً تقف على الماء وتمشي عليه**».

٧ـ إنَّ الأدعية والتوسُّلات أمر جيد، لكن على الإنسان أن يعتبر الأثر من الله تعالى، وأن يطلب منه سبحانه.

٨ـ إدامة التفكُّر والنظر في الحديث المعروف عن أمير المؤمنين عليه السلام:

(رَحِمَ الله امرىء أعدَّ لنفسه واستعدَّ لِرَمْسِهِ وعلم من أين، وفي أين، وإلى أين)».

فالتَّفكُّر هو حياة القلب، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**عليكم بالفِكر، فإنه حياة قلب البصير ومفاتيح أبواب الحكمة**»[١].

وقال الصادق عليه السلام: «**القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله**»[٢].

ولذلك فإن رحمة الله اقتضت أنّ نبياً من أنبيائه عليهم السلام أحبَّ أن يريه الله بعض أهل أحبَّائه وأوليائه، وهو أنَّ داود عليه السلام سأل ربه أن يُرِيَهُ بعض أهل محبَّته.

فقال له ربّ العزّة:

«**ائْتِ جبل لبنان، فإن فيه أربعة عشر نفساً فيهم شبان، وكهول ومشايخ وإذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: يقول ربكم: ألا تسألوني حاجة، فإنكم أحبَّائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم، وأُسارع إلى محبتكم**».

---

(١) البحار ٧٥/١١٥، ب ١٩، ح ١٢.
(٢) البحار ٦٧/٢٥، ب ٤٣، ح ٢٧.

فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون، يتفكَّرون في عظمة الله وملكوته، فلمَّا نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرَّقوا عنه.

فقال لهم داود عليه السلام:

«أنا رسول الله إليكم، جئتكم لأُبلغكم رسالة ربكم»، فأقبلوا نحوه، وألقوا أسماعهم نحو قوله، وألقوا أبصارهم إلى الأرض، فقال لهم داود عليه السلام: **«ربُّكم يقرئكم السلام، ويقول لكم، ألا تسألوني حاجة، ألا تنادوني فأسمع صوتكم وكلامكم، فإنكم أحبَّائي، وأصفيائي، وأوليائي، أفرَح لفرحكم، وأُسارع إلي محبتكم، وأنظر إليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفقية الرفيقة»، سيد الساجدين زين العابدين** عليه السلام فلمَّا قال داود عليه السلام ذلك، جرت الدموع على خدودهم وسبَّح الله كلٌّ واحد منهم، ومجَّده، وناجاه بكلمات تدلُّ على احتراق قلوبهم من الحب والشوق[1].

وانعقاد هذا الحبِّ هو من تكفُّرهم سرًّا في عظمة الله وملكوته فألهمهم ربُّهم رُتبة الحب والشوق فتخلَّوا عن الهموم إلاَّ هماً واحداً وهو الوصول إلى محبوبهم وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذُّ شراباً، ولا يستطيب رُقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس ثياباً، ولا يَقِرُّ قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً، راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه، ويُناجيه بلسان الشوق معبِّراً عمّا في سريرته».

كما أخبر الله تعالى عن موسى عليه السلام في ميعاد ربه: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[2].

---

(١) جامع السعادات: ٣/ ١٠٠.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٤.

وفسَّر النبي ﷺ عن حاله:

«أنه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربه فإذا دخلت ميدان الشوق فكبِّر على نفسك ومُرادك من الدنيا، وودِّع جميع المألوفات وأصرفه عن سوى مشوِّقك، ولَبِّ بين حياتك وموتك، لبَّيك اللهم لبيَّك عظَّم الله أجرك، ومَثَلُ المُشتاق مثل الغريق، ليس له هِمَّة إلاَّ خلاصُهُ، وقد نسي كلَّ شيء دونه[1].

فإنَّ أولياء الله في مقام الشوق، يشغلهم الله عزّ وجلّ به عن كلِّ شيء ما سواه.

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام:

«يا من أنوار قدسه لأبصار مُحبِّيه رائقة، وسُبُحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة، يا مُنَى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبِّين، أسألك حبَّك وحبَّ من يحبك وحب كل عمل يوصلني إلى قربك، وأن تجعلك أحبَّ إليَّ مما سواك، وأن تجعل حُبِّي إياك قائداً إلى رضوانك، وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك، وآمنُن بالنظر إليك عليَّ، وانظر بعين الوُدِّ والعطف إليَّ، ولا تصرف عني وجهك، وآجعلني من أهل الإسعاد والحُظوة عندك، يا مُجيب يا أرحم الراحمين»[2].

وقال رسول الله ﷺ:

«**إنَّ شُعيباً** عليه السلام بكى من حب الله عزّ وجلّ حتى عمي، فردَّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عَمَي فردَّ الله عليه بصره، ثم بكى حتَّى عَمي فردَّ الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شُعيب! إلى متى يكون

---

(١) مصباح الشريعة: ١٩٦.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٨١، مناجاة المحبّين.

هذا أبداً منك؟ إن يكُن هذا خوفاً من النار فقد أجَرْتُكَ، وإن يكن شوقاً إلى الجنَّة فقد أبحتُك.

فقال: إلٰهي وسيِّدي! أنت تعلم أنِّي ما بكيت خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنَّتك، ولكن عقد حُبَّك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جلّ جلاله إليه: أمَّا إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأُخْدِمُكَ كَلِيمِي موسى بن عمران»[1].

٩ـ قوله (قدّس سرّه) لأهل بيته: عوِّدوا أنفسكم بأن تستيقظوا بين الطُّلوعين؛ لأن الأرزاق تُقسَم في ذلك الوقت للعباد، وإن لم يكن عندكم حال للذِّكر وبدون التوجُّه[2].

١٠ـ قوله (قدّس سرّه) أفضل الطّاعات حفظ الأوقات، وهو أن لا يُطالِعَ العبد غير حدِّه، ولا يراقب غير ربِّه، ولا يُقارن غير وقته.

١١ـ قوله (قدّس سرّه) لو أقبل على الله العبد ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله، استعمل الرِّضا جهدك ولا تدع الرِّضا يستعملك، فتكون محجوباً بلذّته عن حقيقة ما تطالعه.

١٢ـ قوله (قدّس سرّه): «احرص أن تكون عبده في كل حال، كما أنه ربُّك في كل حال.

١٣ـ قوله (قدّس سرّه): ينبغي للسالك أن يكون ذكره الدائم في جميع الأحوال الذِّكر اليونسيَّ الذي هو: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

---

(١) البحار: ١٢/ ٣٨٠، ب ١١، ح ١.

(٢) روي عن رسول اللهﷺ: «مَن أخلص العبادة لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». البحار: ٣٢٦/٥٣؛ المحجة البيضاء: ٤٦/٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

١٤ـ قوله (قدّس سرّه): بلزوم التعمُّق الكامل وبذل الجهد التام في دروس الحكمة والفقه.

١٥ـ كان كثيراً ما يردِّد ويستشهد بشعر ابن الفارض وكان يؤكّد على تلامذته قراءة ديوانه وتطبيقه على حال كل واحد منهم.

أقول: وقد جاء في ديوانه أبياتٍ حول أهل البيت عليهم السلام وولائه لهم واضح إذ قال:

ذهبَ العمرُ ضياعاً وانقضى
باطلاً إذ لم أفُزْ منكم بشيء
غيرَ ما أوليتُ من عِقدِ ولا
عِترةِ المبعوث حقاً من قُصي(١)

وقال:

بعِترتِهِ استغنَت عن الرُّسل الوَرى
وأولادَه الطاهرين الأئمة(٢)

وقوله:

أنتم فروضي ونفلي
أنتم حديثي وشُغلي
يا قِبلَتي في صلاتي
إذا وقفتُ أصلّي
جمالُكم نصب عيني
إليه وجَّهتُ كُلّي(٣)

---

(١) آخر أبياته من ديوانه الأول

(٢) تائيته الكبرى المسمّاة بنظم السلوك وقد حُرِّف المصرع الثاني إلى وأصحابه والتابعين الأئمة لعن الله ظالمي محمد وآل محمد.

(٣) أي جمالكُم يا أهل بيت محمد.

وسـرُّكـم فـي ضـمـيـري
والـقـلـبُ طـورُ الـتـجـلِّـي

آنَـسْـتُ فـي الـحَـيِّ نـاراً
لـيـلاً فـبَـشَّـرتُ أهـلـي

قُـلـتُ امـكُـثـوا فـلـعَـلِّـي
أجِـدْ هُـدَاي لـعَـلِّـي

دَنَـوتُ مـنـهـا فـكـانـت
نَـارُ الـمُـكَـلَّـمِ قَـبْـلـي

نُـودِيـتُ مـنـهـا جَـهـاراً
رُدُّوا لـيـالـيَ وَصْـلـي

حـتـى إذا مـا تَـدانـى الـ
ـمـيـقـاتُ فـي جـمـعِ شَـمـلـي

صـارتْ جِـبـالـي دَكّـاً
مِـن هَـيـبَـةِ الـمُـتَـجـلِّـي

ولاحَ سِـرٌّ خَـفـيٌّ
يـدريـهِ مـن كـانَ مِـثـلـي

وَصِـرْتُ مُـوسـى زمـانـي
مُـذ صـارَ بَـعْـضـي كُـلـي

فـالـمـوتُ فـيـه حـيـاتـي
وفـي حـيـاتـي قَـتـلـي

أنـا الـفـقـيـرُ الـمُـعـنَّـى
رِقُّـوا لـحـالـي وذُلِّـي (١)

---

(١) ديوان ابن الفارض: ٢٠٥.

١٦ـ قوله (قدّس سرّه): بأنّه ينبغي لنا أن لا نحرم أحداً من رحمة الله، ذلك لأنَّ الأمر ليس في أيدينا، بل هو في يده سبحانه وتعالى.

فإن سألكم أحدٌ أن تدعوا له، فقولوا: سندعوا لك.

وإذا قال: أيغفرُ الله الذَّنب؟ فقولوا: يغفر.

١٧ـ قوله (قدّس سرّه): بأنَّ من الأجدر على الإنسان احتراماً للطِّفْل المولود حديثاً أن يجتنِبَ الجماع أربعين يوماً.

١٨ـ قوله (قدّس سرّه): ضعوا أطفالكم في زاوية الغرفة التي تقام فيها التَّعزية على أبي عبد الله الحسين عليه السلام أو الذِّكر الذي تقومون به! فلقد كان العلماء السابقون يفعلون ذلك لأنَّ الآثار التي يكتسبها الطفل في هذا الزمان تبقى ثابتة فيه إلى آخر عمره وتصبح ضمن غرائزه وصفاته الفطريّة، ذلك لأنَّ نفس الطفل في هذا الزمن لها قابلية محضة مع أنَّ عامة الناس لا يدركون هذا المعنى المهم والسرِّ الخطير.

وأن يُؤخذ الطِّفل الصغير الذي لم يتعدَّ عدَّة أشهر وهو في قماطه إلى مجالس العلم ومحافل الذِّكر وإلى الحُسينيّات وأماكن إقامة العزاء التي يُذكر فيها اسم سيد الشهداء عليه السلام؛ ذلك لأنَّ نفس الطفل أشبه بالمغناطيس تجذب العلوم والأوراد والأذكار القُدسيّة روح الإمام الحسين عليه السلام فمع أنَّ الطِّفْل لا يستطيع الكلام لكنَّه يتمتَّع بالإدراك، لو وضعتْ روحه في محلٍّ أو محالّ المعصية لتلوَّثت بذلك الجرم وتلك المعصية أمَّا لو أُخذ إلى محالِّ الذِّكر والعبادة والعلم لاكتسب تلك الطَّهارة والصَّفاء.

١٩ـ قوله (قدّس سرّه) بأنّ مَن لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسُنَّة ولم يتَّهِمْ خواطره فلا تعدّه في ديوان الرِّجال.

٢٠ـ قوله (قدّس سرّه) بأنّه لو نُقِشَ على عقيق ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾[1] ونُقش على وجهه الآخر: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾[2]، ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾[3]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾[4]، ثمَّ صيغ منه خاتم فتختَّم به لكان حسناً[5].

٢١ـ وكان السيّد الحدّاد يقول: هناك خواص وآثار ورموز عجيبة لا يعلمها إلاّ الله في هذه الحروف المقطّعة في أول سور القرآن، فهي ليست إلاّ رموزاً وأسراراً بين المحب والمحبوب، بين النفس المقدسة لرسول الله وبين الذّات الأحدية لله جلّ شأنه واسمه، وهناك بين كل حبيب وحبيبه وكل عاشق ومعشوقه رموز خاصة لا يدركها ولا يفهمها أحد آخر.

بين المحبين سرّ ليس يفشيه
قول ولا قلم للخلق يحكيه

وهذا السرّ هو ولاية مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إذ هي سرّ العاشقين وغاية آمال الطالبين وكنز الله المكنون من الأزل حيث قال تعالى: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف» عن ولايته عليه السلام ولذلك إذا جمعت الأحرف المقطعة كلها وطرحت المتكررة لرأيتها تحكي عن التمسّك بها وهي (صراط عليٍّ حقٌّ نمسكه).

وقد عرضت على جميع الكائنات فلم يتمسّك به إلاّ أهله. فعن

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٠.
(٢) سورة طه، الآية: ١١١.
(٣) سورة مريم، الآية: ١.
(٤) سورة الشورى، الآيتان: ١ـ ٢.
(٥) نقلاً منه (قدّس سرّه): عن السيّد القاضي.

محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عرض ولايتنا على جميع الأمصار فلم يقبل إلاّ أهل الكوفة»[1].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: إذا كان يوم القيامة زفّت أربعة أيام إلى الله، كما تزفّ العروس إلى خدرها، قيل: ما هذه الأيام؟ قال: يوم الأضحى، ويوم الفطر، ويوم الجمعة، ويوم الغدير... وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السموات السبع، فسبق إليها أهل السماء السابعة، فزيّن بها العرش، ثم سبق إليها أهل السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور، ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا فزيّنها بالكواكب، ثم عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكة فزّينها بالكعبة، ثم سبقت إليها المدينة فزيّنها بالمصطفى صلى الله عليه وآله ثم سبقت إليها الكوفة فزيّنها بأمير المؤمنين عليه السلام.

وعرضها على الجبال فأول جبل أقرّ بذلك ثلاثة أجبل: العقيق، وجبل الفيروزج، وجبل الياقوت، فصارت هذه الجبال جبالهن وأفضل الجواهر، ثم سبقت إليها جبال آخر فصارت معادن الذّهب والفضة، وما لم يقرّ بذلك ولم يقبل صارت لا تنبت شيئاً.

وعرضت في ذلك اليوم على المياه، فما قبل منها صار عذباً وما أنكر صار ملحاً أجاجاً.

وعرضها في ذلك اليوم على النبات، فما قبله صار حلواً طيباً، وما لم يقبل صار مرّاً، ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير، فما قبلها صار فصيحاً مصوّتاً وما أنكرها صار أخرس مثل اللكن.

ومثل المؤمنين في قبولهم ولاء أمير المؤمنين في غدير خم كمثل الملائكة في سجودهم لآدم، ومثل من أبى ولاية أمير المؤمنين في يوم

---

(١) بصائر الدرجات: ٧٦، ح ١.

الغدير مثل إبليس، وفي هذا اليوم أنزلت هذه الآية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[1]. وما بعث الله نبياً إلاّ وكان يوم بعثه مثل يوم الغدير عنده، وعرّف حرمته إذ نصب لأمته وصياً وخليفة من بعده في ذلك اليوم[2].

٢٢ـ قوله (قدّس سرّه) بأنّه إذا كانت لك حاجة: مَشِّ سبّاحة إصبعك على كلِّ سطر من القُرآن من أوله إلى آخره مع قراءة البسملة لكلِّ سطر، فإنَّه مفيد وله أثر عظيم لكلِّ ما يقع إشارة السبَّاحة على أي قضية كانت مادية أو معنوية فإنها تُقضى إن شاء الله تعالى.

٢٣ـ لاستجابة الدعاء وقضاء الحوائج ذكر الصلوات على محمد وآله بعد الانتهاء من قراءة كل آية من آيات القرآن الكريم.

٢٤ـ قوله (قدّس سرّه) بأنّ من قرأ على كلِّ حُمُّصة سورة التوحيد ونفخ فيها، ثم جمع الحمُّص وطبخه مع ماء اللحم، فإنه جيِّد ومفيد.

يقول الحاج محمد علي الطائي: «**كنا نفعل بهذه الطريقة، فبعد أكل ماء اللحم نحسّ بانزراع شجرة التوحيد فينا، ونحسُّ أيضاً بخفَّة بدن واشتياق كامل والتفرّغ لذكر الله والتبتُّل له.**

٢٥ـ قوله (قدّس سرّه) بأنّه لجهة تقوية الحافظة يُكتب بماء

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) البحار: ٢٧/٢٦٢، إقبال الأعمال: ٤٦٤.

الزَّعفران على قعر صحن سبع آيات من أي القرآن الكريم وهي:

أ ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾[1].

ب ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ١٠٩﴾[2].

ج ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٩﴾[3].

د ـ ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ٥٨﴾[4].

هـ ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ١٣٠﴾[5].

و ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[6].

ز ـ ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ٥﴾[7].

ثم ألقِ عليه ماء واشربه.

٢٦ـ قوله (قدّس سرّه) بأنّ قراءة آية الكرسي[8]، وآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾[9] إلى آخر الآية، وسورة التوحيد كل واحدة عشر مرات يومياً، مفيد لدفع شرّ العدوّ.

٢٧ـ قوله (قدّس سرّه) بأنّه من الأفضل للسّالك أن يديم قراءة مناجاة المريدين للإمام زين العابدين عليه السلام[10].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٢٠.
(٢) سورة الصافات، الآية: ٧٩.
(٣) سورة الصافات، الآية: ٧٩.
(٤) سورة يٰس، الآية: ٥٨.
(٥) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٧٣.
(٧) سورة القدر، الآية: ٥.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.
(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.
(١٠) مفاتيح الجنان: ١٧٩. وهي إحدى المناجاة المعروفة بالمناجاة الخمسة عشر.

٢٨ـ قال (نوَّر الله مَرقده الطَّاهر): أراد أحدهم ـ أحد التلامذة ـ تعليماتٍ، فقلت له: اقرأ سورة يٰس، فإذا وصلت إلى قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾﴾[1] كرِّرها ألف مرة، ثم تكمل السورة، وواظب عليها مدة، ثم بعث شخصاً يطلب له تعليماً آخر، وأصرَّ هذا الوسيط أن أُبدِّل التَّعليم السابق؛ لأنَّه يُصاب فيه بالملل، فأعطيته تعليماً آخر.

ولكن هذه الآية هي سلامُ اللَّهِ وَاسْمُ اللَّهِ الأعظم، ويجب المداومة على الذِّكر فيها، والدوام والثبات في الذكر له أهمية كبيرة.

أقول: إن الاسم الأعظم هو من محمد وآل محمد وفي محمد وآل محمد وعن محمد وآل محمد وإلى محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله.

فعن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني أظن أنّ لي عندك منزلة؟

قال: أجل.

قال: قلت: فإن لي إليك حاجة.

قال: وما هي؟

قلت: تعلمني الاسم الأعظم.

قال: وتطيقه؟

قلت: نعم.

قال: فادخل البيت.

قال: فدخل البيت، فوضع أبو جعفر عليه السلام يده على الأرض فأظلم البيت، فأرعدت فرائص عمر.

---

(١) سورة يٰس، الآية: ٥٨.

فقال: ما تقول: أعلّمك؟

فقال: لا.

قال: فرفع يده فرجع البيت كما كان[1].

عن عمار الساباطي قال: قلت لأبي عليه السلام: جُعلت فداك أحب أن تخبرني باسم الله تعالى الأعظم..

فقال لي: إنّك لن تقوى على ذلك.

قال: فلمّا ألححت، قال: فمكانك إذن، ثم قام فدخل البيت هنيئة، ثم صاح إلي ادخل، فدخلت، فقال لي: ما ذلك؟

فقلت: أخبرني به جُعلت فداك.

قال: فوضع يده على الأرض، فنظرت إلى البيت يدور بي، وأخذني أمر عظيم كدت أهلك. فضحكت.

فقلت: جُعلت فداك حسبي لا أريد[2].

وجاء أن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ في طريق فسايره خيبري، فمرّ بوادٍ قد سال فركب الخيبري مرطه ـ إزار من صوف ـ وعبر على الماء ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام يا هذا لو عرفت كما عرفت لجريت كما جريت.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: مكانك. ثم أومأ إلى الماء فجمد ومرّ عليه.

فلمّا رأى الخيبري ذلك أكبّ على قدميه، وقال: يا فتى ما قلت حتى حوّلت الماء حجراً؟

---

(١) البحار: ٢٧/٢٧، ح ٦.

(٢) البحار ٢٧/٣٧، ح ٨.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فما قلت أنت حتى عبرت على الماء؟

فقال الخيبري: أنا دعوت الله باسمه الأعظم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وما هو؟

قال: سألته باسم وصي محمد.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا وصي محمد.

فقال الخيبري: إنه الحق. ثمّ أسلم(١).

وعن عمار بن ياسر قال: أتيت مولاي يوماً فرأى في وجهي كآبة، فقال: ما بك؟ فقلت: دين أتى مطالب به.

فأشار عليه السلام إلى حجر ملقىً، وقال: خذ هذا فاقض به دينك.

فقال عمار: إنه لحجر.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ادع الله بي يحوله لك ذهباً.

قال عمار: فدعوت باسمه فصار الحجر ذهباً.

فقال لي: خذ منه حاجتك. فقلت: وكيف تلين؟

فقال: يا ضعيف اليقين ادع الله بي حتى يلين، فإنّ باسمي ألان الله الحديد لداود عليه السلام(٢).

٢٩ـ قوله (قدّس سرّه) بأنّ في هذا العالم إذا عبر امرؤٌ العوالم السّابقة فغقد عبر ووصل إلى الحقيقة، وإلاّ فإنّها لا تنكشف له إلاّ عند الموت، وقال المرحوم القاضي: كلُّ حقائق العالم أمامنا، ونحن بعيدون عنها.

---

(١) مشارق أنوار اليقين: ١٧٣.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ١٧٣.

٣٠ـ كان (قدّس سرّه) يوصي: من أراد أن يكون ولده ذكراً أنّه عند الجماع وإنزال المنيّ بالذّات يمسك بيده اليمنى موضع مفصل القدم اليسرى ويضغط بشدَّة رِجْل زوجته.

٣١ـ قال (قدّس سرّه): إنَّ السالك يجب عليه أن لا يحيد من الشَّرع مقدار شعرة واحدة، بل عليه تطبيقه، وكان يقول أُستاذي المرحوم السيّد القاضي: إضافة إلى الواجبات، فإن السالك يجب عليه أن يُؤدِّي جميع المستحبَّات.

٣٢ـ قوله (قدّس سرّه) بأنّه يجب على السَّالك أن يبحث عن أستاذ كامل ومتى وجده يجب عليه أن يلتزم بأوامره وينتهي عن نواهيه ومن الأخطار المهلكة للسالك أن يتَّخذ أكثر من أستاذ ومن اتخذ أكثر من أستاذ ففي ذلك هلاكه وسقوطه ولا يستفاد من أحدهما شيء ولكن لو كان مشربه من عين واحدة صافية ألا وهو الأستاذ الكامل فهو يصل إلى مراده ويطوي المراحل على أحسن وجه ويأخذ بيده عند موارد الخطر[1] فما أكثر المكاشفات الشَّيطانية، وما أكثر من يضع الموانع والعراقيل أمام من يريد السَّير إلى الله تعالى.

لا بُد لمربِّي سالكي الطريق إلى الله أن يكون متحقِّق بالحقائق الإلٰهية، وقد قال السيّد الحدّاد:

«ينبغي أن يكون الأستاذ ممتلكاً لمقام التَّوحيد كما أن الإنسان لا يمكنه اتّخاذ أكثر من أستاذ واحد، بيد أنَّه يمكنه الرُّجوع إلى غيره عند موته، على أن يكون الأستاذ الجديد هو الآخر ممتلكاً لمقام التوحيد، وأنَّ الرفيق ـ يعني: الأُستاذ ـ ضروريٌّ عند طيِّ الطريق، فالمرء يحتاج في

(١) قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «هَلَكَ من ليس له حَكيم يُرشِده».

سفره في طريق المعنى والمنازل السُّلوكيَّة إلى رفيق يصحبه في سفره أكثر منه في سفره في طريق الظاهر والطريق الصحراوي؛ لأنّه غاية الخطر الذي يتهدَّده من الانفراد في ذلك السفر هو هلاك بدنه وجسمه، في حين أنَّ خطر الانفراد في هذا السَّفر يتضمَّن هلاك نفسه وروحه الآدمية ودخوله في زمرة الأشقياء والأبالسة، وقال: إنَّ هناك أفراداً لا يطيقون حمل الأثقال، فهم ينوؤون بأثقالهم بيد أنَّهم يجرُّون وراءهم آخرين. ومع أنهم تصدَّروا المسيرة واستتبعوا وراءهم الكثير من الأتباع في حين أن نفوس الكثير من تلامذتهم أفضل وأقوى وألطف من أُستاذهم، وأنَّ مسكيناً كهذا لم يصل نفسه إلى المصقد وتوجب عليه أن يلقي بأحماله في أعتاب أُخرى، قد جاء فأضاف أثقالاً إلى أثقاله؛ لذا فهو يجيء ويشكو تلامذته ويقول لي إنَّ كذا وكذا، ولقد قلت له: ليس العيب في تلامذتك، بل العيب فيك حين أريتهم باب بستان خضراء يانعة ودعوتهم إليك، وحين دخلوا البيت عجزت أن توفِّر لهم الطعام والغذاء، وها أنت قد تركتهم وهو أمر محال. على الأُستاذ أن يكون نفسه حُرَّاً طليقاً، في حين أنك الآن أسير مقيَّد، فكيف يمكنك أن تحرِّر امرىء ما؟ وكان يقول: مَن شاء المجيء فليأت فلن يضير ذلك شيئاً، ثم يشير إلى صدره ويقول: ألقوا ما تحملونه هنا فأنا حمَّال للأثقال. وقال طاب ثراه: وحصل يوماً أن جاء الحاج حبيب السَّماويّ بشابٍّ معه من السماوة، وهو الحاج أبو علي عبد العزيز حفظه الله وهو الآن في النَّجف الأشرف يتمتَّع بلياقة واستعداد عال، وقد ظهرت لديه حالات عرفانيَّة ومشاهدات سلوكية بواسطة علاقته بالحاج حبيب وكان الحاج قد قال له: ليس في يدي بعد الآن شيء لأعلّمه لك، وسآخذك معي إلى أستاذي حين أتشرَّف هذه المرة بالسفر للزيارة إلى كربلاء وستكون بعد ذلك تحت إشرافه وفي تبعيَّته. قال

العلاّمة الطهراني: وقد جاء به الحاجُّ حبيب إلى كربلاء ليمثل في محضر السيّد، وكان ذلك الشاب يشرح مكاشفاته القوية وحالاته، فيقول: إنَّهم يرقون بي في مراحل الصُّعود بحيث يشُّق عليَّ تحملها من شدة الجلال؛ لذا فإن الخوف يكتنفني، هذا الخوف الذي كثيراً ما يؤدِّي بي إلى الوقوف وعدم الحركة، فقال له السيّد: لا تخف! فأينما شاؤوا أخذك فسأكون معك!

وقد سُئل السيّد مراراً: ما السَّبب في أن المرحوم القاضي أعلى الله مقامه لم يجعلكم وصيَّه في الأُمور العرفانية والسلوكية والتوحيدية، واختياره سماحة آية الله الحاج الشيخ عباس القوگاني هاتف ليكون وصيَّه في ذلك؟ فكان يجيب: الوصاية قسمان: ظاهرية وباطنية، فالوصي الظاهر هو ذلك الذي يجعله الأُستاذ وصيّه أمام الملأ العام، فيكتب بذلك ويمضيه ويعلنه، وحسب ذوق المرحوم القاضي الذي كان عالماً جامعاً ومجتهداً وذا الرِّئاستين في العلوم الظاهرية من الفقه والأُصول والتَّفسير والحديث والحكمة والعرفان النَّظري، منعاً لانكسار سدِّ الشريعة ولئلا يكون هناك مسيران وجريانان اثنان. وهذا هو الأساس الذي كان المرحوم القاضي يعتمد عليه كثيراً، فكان يحسب للشريعة الغرَّاء حسابها بشكل كبير، وكان بنفسه رجلاً متشرِّعاً بتمام المعنى، ومعتقداً بأنَّ الشريعة هي السَّبيل لإدراك الحقائق العرفانية والتوحيدية، فكان جادّاً في هذا الأمر بحيث لم يكن ليفوته أبسط سُنَّة وعمل مستحبٍّ، حتى قال بعض المعاندين: إن هذه الدرجة من الزُّهد والإتيان بالأعمال المستحبَّة التي يقوم بها القاضي لا تنبع من الإخلاص، بل إنَّه يحاول إظهار نفسه خارجاً بهذا الشكل وبهذه الشمائل والأوصاف، حيث إنه رجل صوفيّ محض لا يعير لمثل هذه الأمور اهتماماً! وعلى هذا الأساس فقد كان

للمرحوم القاضي التفات واهتمام بالعلوم الظاهرية، والأمر الآخر هو أن العالم الدَّارس لا يمكن لأحد خداعه. ولو صار أساس تعيين الوصيّ من غير العلماء أمراً رائجاً ودارجاً ومعهوداً، فما أحرى أن يدَّعي الكثير من الشياطين المعرفة فيجرُّون الخلق إلى اتّباعهم وسيسقط البسطاء السُّذَّج في حبائلهم، وسيستحيل إقناع هؤلاء بخطئهم بأيِّ دليل ومنطق؛ لذا فقد اختار المرحوم القاضي من بين تلامذته الحاج الشيخ عباس، الذي كان رجلاً علماً متجرِّداً من هوى النَّفس، قد عانى الآلام والمشاقّ والمحن، ولقد حفظ الشَّيخ أُبَّهة ومقام ومسند المرحوم الأُستاذ القاضي على أكمل وأتمّ وجه.

أمَّا وصيُّ الباطن فهو الذي أكمل باطنه بكمالات الأستاذ، فصار يمتلك معرفة شهودية وقدرة باطنية وسرية، بالرغم من أن الأستاذ لم يقدِّمه للآخرين، ولم يعلن أمره؛ لأنه يمتلك في الباطن السيطرة على النُّفوس ـ شاءت أم أبت ـ فهو يهدي التلامذة إلى أمر الله، ويراقب طريقهم وسلوكهم ويتولى رعايتهم. وصيّ الظاهر يعمل في الظَّاهر بمقتضى وصايته، ويعمل وصيُّ الباطن من الباطن، ولأنَّهما يصبحان كالتَّوأم في عملهما معاً فكم من منافع لا تعدُّ ولا تحصى قد تظهر وكم من ورود ستتفتَّح من براعم بستان التوحيد. إنَّ وصيَّ الظاهر يقبل الأفراد الطالبين للسلوك، ووصيَّ الباطن ينتقي منهم وينتخب؛ لذا فإن الأفراد الذين خضعوا لتربية وصيِّ الظاهر مدة لو انكشف نفاقهم، فإنَّ وصيَّ الباطن لن يقبلهم من أوَّل الأمر، وهكذا فإنَّهم سيفقدون رغبتهم وحماسهم بعد حين فيرجعون، أو أنَّهم يلجؤون إلى العناد لا سمح الله.
أمَّا التلامذة الحقيقيون، فسيقوم بأمر هدايتهم وإرشادهم عن طريق الباطن، وفي هذه الحالة فإنَّهم باعتبارهم أهل رغبة صادقة ونيَّة صحيحة

سيتعرّفون على وصيّ الباطن وينهلون ويفيدون من تعاليمه. وبهذا البيان فإن أُستاذ الظاهر وأستاذ الباطن موجودان معاً، يؤيِّد أحدهما الآخر ويدعمه، ويتحمَّلان جزءً كبيراً من مسؤولية تقدّم التلاميذ وإيصالهم إلى المقصد الأصلي، وينبغي حتماً في هذه الحالة أن لا يقع خلاف بين أستاذي الظاهر والباطن، فالاختلاف دليل على عدم صحّة الطريق[1].

٣٣ـ قوله (قدّس سرّه) بضرورة أن يُدهَن السالك بدنه بزيت الزيتون، وكذلك بالسِّدْر وزهر الختمي: «خطمي».

٣٤ـ كان يصر على كتمان السر وعدم إظهار واقعة أو مطلب ما فيقول: إن إظهار المطالب الغيبية لمن لا خبرة له بالأمر يعدّ من أقبح القبائح عند الله، وذلك لأنه من الأسرار الإلهية، والله سبحانه غيور لا يحب أن يفشى سرّه. فالسر الذي في داخل الحرم ينبغي أن يبقى داخل الحرم، وهو خارج الحرم أمر قبيح وغير مستحسن.

ولأجل هذه الغيرة الإلٰهية فإن من يفشي سر الله يجد الله سبحانه في مقام معارضته ومواجهته ليسقطه ويخرجه من الحرم. وهذا الإخراج من الحرم هو أشدّ عذاب متصوّر للسالك. وهكذا فإن السالك سيفقد بهذا الجرم حالاته تدريجياً، ثم تخبو حالاته المعنوية ومكاشفاته الروحية وتخمد حتى تزول تماماً، وتبقى صورها العلمية فقط في دائرة خواطره. وبسبب تدرّج هذا الخمود من جهة، ولبقاء الصور العلمية لدى السالك من جهة أخرى، فكثيراً ما يحصل أن لا يلتفت السالك نفسه إلى هذا السقوط التدريجي غير الواقعي، فيعدّ نفسه ـ كما في السابق ـ صاحب أسرار خفية وعلوم ملوكتية، في حين أن شيئاً لم يبق لهذا المسكين، فهو يبهج نفسه بالخواطر والصور العلمية.

---

(١) مقتطفات من الروح المجرَّد.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

إن إفشاء سرّ الله من جملة تكذيب الآيات، ذلك لأن الله سبحانه يفتح ـ بإخفاء أسراره ـ طريق السلوك للجميع، في حين أن إفشائها سيغلق الطريق أمام الكثير. لأن أولئك الذين لا يمتلكون القابلية لتحملها سيرفضونها وسيكذبونها، فيغلقون بهذا الرفض الطريق على أنفسهم وعلى الآخرين، وهذا الإغلاق هو في الحقيقة تكذيب لآيات الله، وسببه إفشاء الأسرار الإلهية. خلافاً لأولياء الله الذين يفتحون سبيل الله وطريقه أمام الخلق، ويهدون الناس إلى الحق بعلاقتهم بعالم الأمر وغيب الملكوت. وهؤلاء عليهم حتماً كتمان السر ليمكنهم هداية جميع الخلق إلى الحق. ولهذا فقد جاء في الآية التي سبقتها: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾[(١)].

ولقد قال الرسول الأكرمﷺ في شأن سعد بن عبادة: (إنه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني). وجاء عنه أيضاً في الحديث: (لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. ولا أحبّ إليه المدح من الله، ومن أجل ذلك وعد الجنة ليكثر سؤال العباد إياها والثناء منهم عليه)[(٢)].

وكان يقول: المراد بـ (ما بطن) كشف الأسرار الإلٰهية، أي كل حرام وقبح ومنع بواسطة الغيرة الإلٰهية، سواء ما ظهر من الفواحش أو ما بطن. فالفواحش الظاهرة هي جميع القبائح والوقائح الظاهرية، والفواحش

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨١.
(٢) السيرة الحلبية: ٣/١٦٩.

الباطنة هي عبارة عن جميع القبائح والوقائح الباطنية في الأخلاق والعقائد وملكات السوء، ومن جملتها بل من أعظمها كشف سر الله تعالى.

٣٥ـ وكان يقول لأحد تلامذته: أتفرّ من الناس كي لا يصيبك أذاهم، أو كي لا يصيبهم أذاك؟! إن الاحتمال الثاني هو الجيد لا الأول، وأفضل منهما أن لا تراهم ولا ترى نفسك!

تأديب السيّد لبعض تلامذته:

قال المرحوم السيّد الكشميري (قدّس سرّه):

«في يوم جاءني أحد المجتهدين حينما كنت في النَّجف الأشرف وأراد مني أن أذهب به إلى السيّد الحدّاد ليتشرَّف بخدمته، فقلت له: اترك ولا تذهب».

يقول السيّد الكشميري:

«لأنه من أهل الدليل، فخفت أن يسبّب لي مشكلة أمام السيّد إذا تكلم معه، فيقول للسيّد: وما دليلك على ذلك، ولكنّه أصرَّ فأخذته والسيّد الحدّاد استقبله بأحسن استقبال وأجلسه أمامه ومع ذلك أنا مضطرب وخائف، فقام ذلك المجتهد وجلس بقربه على ركبتيه، وقال للسيّد الحدّاد جئتك لتأدِّبني.

فقال له السيّد: استغفر الله أنت سيد وعالم كيف تتكلَّم بهذا الكلام؟!

قم واجلس بمكانك، فقام وجلس أمامه، ولكن السيّد الحدّاد لم ينبس بكلمة من أوّل المجلس، وهنا دخل علينا درويش ـ وكان يقول: عليّ لعيّ بصوت غليظ ولم يسلّم ـ فرحبّ به السيّد الحدّاد وقال لذلك المجتهد: قُم واعمل له غليوناً، فأنبهت، وقال: أنا أعمل لهذا غليوناً.

فصاح به وقال له: أنت جئتني وجلبت معك صنماً اذهب واكسر صنمك ـ أي: نفسك ـ وتعال».

وقد سُئل منه: هل هناك طريق غير نفي الخواطر وغير التوجُّه إلى شخصيَّة الأستاذ في حال الذِّكر؟!

أجاب (طاب ثراه):

«نعم هناك طريق ثالث وهو التوجُّه إلى النفس، وعند التوجُّه إليها قد تظهر في بعض الأحيان صور من نفسه متعددة صورتين أو ثلاث صور أو أربعة أو خمسة وقد تصل إلى عشرين صورة».

وقال (نوَّر الله مرقده الطاهر) لشخصٍ كان يتوجّه دائماً إلى حقيقة نفسه:

«هل وصلت إلى مرتبة بحيث إذا توجّهت إلى الحقيقة عرفت المطالب التي تُعطى إليك؟!»

ثم قال:

«وكان قصدي من هذا الكلام أن يفهم أنه إذا طلب شيئاً ولم يُعط له أو أُعطيَ له، فهل يعرف لماذا أُعطي له أو لم يُعطَ له؟! وإذا لم يُعطَ له فهل يعلم أنه لم يكن من مصلحته أن يُعطى له أو يعلم أن وقت العطاء لم يحصل حالاً وسيحصل مُستقبلاً أو لم يحصل له أبداً».

وقال (نوَّر الله ثراه):

«يقول أبو سعيد الخرَّاز: ما عُرف الله إلاَّ بجمعه بين الضِّدَّين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[1].

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.

وقال لأبي يزيد: كيف أصبحت؟ قال: لا صباح ولا مساء؛ فإنَّ الصباح والمساء لمن له تقيُّد بالصفة، وأنا لا صفة لي، فإني بكيتُ زماناً وضحكت زماناً، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي».

قال الحاجّ موسى محيي (حفظه الله) عن قصة الحاج هادي الأبهري وكيف صار من رفقاء السيّد الحدّاد بعد ما كان يخالف بكلمات يقصده بها:

«المرحوم الحاج هادي الأبهري من أبهر الإيرانية وممَّن يتكلّمون باللغة التركية وبداية حياته كان راعياً للغنم، ولكنَّه يتحلَّى بالصَّفاء والإخلاص، وكان عاشقاً للإمام الحسينعليه السلام حتى سمَّاه البعض ـ حسين إلٰهي ـ من شدَّة عشقه للحسين عليه السلام، وكانت الدمعة لا تغادر عينيه وقد أثَّر البكاء مأثره بهما، وهو من أصحاب المكاشفات، فقد نقل عنه أنَّه رأى واقعة كربلاء وهو بجانب ضريح الإمام الحسين عليه السلام بأكملها إلى أن وصل بالحسين عليه السلام وحيداً فريداً وأخذ ينادي هل من ناصر ينصرني هل من معين يعينني، فأخذ الأبهري يبكي ويستنجد الناس لنصرة أبي عبد الله عليه السلام».

قال الحاج موسى:

«وأما ما رأيته من اتجاه المرحوم السيّد الحدّاد، هو أنه دائماً كان يتفوَّه بكلمات يقصد بها السيّد الحدّاد كأن يقول:

من هذا؟ ولماذا هذا الاجتماع حوله؟! وإلى آخره.

والسبب كان يعود إلى تحريض البعض ممَّن هو مخالف مع السيّد الحدّاد، وفي أحد الأيام كنا جالسين في دارنا في الكاظمية في بستان السَّادة وكانت بابها مفتوحة لكلِّ الرُّقاء وذويهم وأصدقائهم وأقاربهم من مبيت ومأكل وعقد جلسات مختلفة لكثير من الطَّبقات، وفي ذلك اليوم

كُنَّا مجتمعين في ساحة الدار وكان الجو حارّاً والوقت عصراً وممَّن كان معنا المرحوم الحاج عبد الزهراء الگرعاويرحمه الله، وكان مستلقياً على قفاه والحاجّ هادي جالساً جنبه يُدخِّن الغليون ويقول للحاج عبد الزَّهراء:

إنَّ المرشد والأستاذ ليس بضروري بالنِّسبة للإنسان الذي قلبه نظيف ويرى بواطن الأمور تنكشف له، وكان يقصد السيّد الحدّاد ليُبعِّد الگرعاوي عنه.

فنهض الگرعاوي قائلاً له: (آقا بس خدا اشتباه كرده كه پيغمبرها فرستاده براى مردم)[1].

فأجابه الأبهري: لا بل أنا الذي اشتبهت بانتقادي وكلامك هو الصحيح، ولا بد للإنسان من مرشد ودليل يدلُّه على طريق الحقِّ والصواب ويحفظه من الزَّلل والسُّقوط».

* * *

(١) أي: هل اشتبه الإله بإرساله الرسل إلى الناس.

شذرات من كلامه وقضاياه (قدّس سرّه)

يقول السيد الحداد (قدس سره):

«ذات يوم خرجت في تشييع جنازة بكربلاء، فذهبنا بالجنازة إلى المغتسل القديم وكان الجو بارداً جداً، وكانت لي معرفة برجل مُسِنٍّ لديه محلٌّ قرب المغتسل يحوك ويبيع فيه الزَّنابيل والمراوح اليدوية والحصران المصنوعة من سعف النخيل، وما إن وصلت عنده وسلَّمت عليه رأيت أمامه منقلة فيها بقايا نار خامدة.

أردت أن أُدفىء يديَّ عليها، فقلت له: إنَّ جوَّ اليوم بارد جداً.

فأجابني بعد أن نظر إليّ شزراً: ماذا يخصُّك من ذلك، وما الذي يعنيني، ومن أين لك الحق أن تتدخّل بمثل هذه الأُمور التي ترجع إلى أمر الله، فعند ذلك شعرت وكأنِّي نائم وأيقظني هذا المؤمن.

فقلت له: إنَّ كلامك صحيح وإني أستغفر الله ربي وأتوب إليه»[1].

سُئل: بعد وفاة الأستاذ هل يمكن للتلميذ الاستمداد من روحه؟

---

(١) يظهر أن هذه القصة ترجع إلى أوائل سلوكه «رحمه الله».

فأجاب:

«نعم، مثلما عرف الطَّريق، وتنبَّه إلى المطالب، واستطاع التَّمييز في حياة أستاذه، فإنه ممكن أن يستمدَّ منه بعد وفاته، فلا فرق بين ممات الأستاذ وحياته».

سئل منه أيضاً: كيف كان المرحوم السيّد القاضي يُربي تلاميذه؟

قال:

«كان يُربي كلاًّ حسب وضعه، ويشير إلى الرياضات الروحية كُلاًّ حسب استعداده».

وقد سُئِل منه: بعض الناس يذهبون في خدمة الأستاذ فيتلمذون عنده خمسة عشر أو خمسة وعشرين سنة، ولم يحضوا بمقام من عند الله!؟

قال: **«أجل، إلاَّ أنَّه قيل: إنَّ شخصاً ذهب إلى أستاذ يتلمذ عنده فبقي عنده سبع سنين وطيلة هذه المدة لم يسأل أستاذه إلاّ عن اسمه واسم أبيه وجده.**

فقال له تلميذه: أنا سبع سنين في خدمتك وأنت تسألني عن اسمي واسم أبي وجدّي ولم أحصل على ما ينفعني منك؟!

فأراد أستاذه: أن يمتحنه فقال له: فإنِّي أُعطيك أمانة توصلها إلى صاحبها، فأخذ الأمانة ـ وهي علبة مربّعة ـ وفي الطريق وسوس إليه الشَّيطان أن يفتح العلبة وينظر ما فيها فلربَّما فيها أسرار تجبر نقصه، ولمَّا فتحها خرجت منها فأرةٌ وبعدها رجع إلى أستاذه وأخبره بالقضيَّة، فقال له:

أعطيتك أمانة لتوصلها لأهلها فلم تحفظها، فكيف تريد أن أعطيك علوماً وأسرار إلٰهية».

وسُئِلَ يوماً: كثيراً ما نرى أدعية واردة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في طلب الأُمور المادية والمعاشية أو الأُمور المعنوية كالقرب إلى الله تعالى، فهل هذه الأدعية هي لنا، أو أنَّهم يدعون لأنفسهم كما هو ظاهر الدّعاء؟

أجاب (قدّس سرّه) ـ بعد تأمُّل ـ:

«**النبي** ﷺ والأئمة عليهم السلام هم أفقر الناس إلى الله سبحانه وتعالى من جميع الكائنات؛ لمعرفتهم به جلَّ شأنُه، ولذلك حاجتهم إليه أكثر وسؤالهم منه دائم يربو على جميع المخلوقات ويستمدُّون العَون واللطف منه، كما قال في محكم كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

وقال:

«**لدينا أشياء نعملها نحن، والأشياء الأُخر يعملها هو ـ أي: الله سبحانه وتعالى ـ من وراء السِّتار، ويكون ما يريده هو، فمثلاً إذا سرق شخص شيئاً، فإن هذا الشيء ـ في نهاية الأمر ـ يزول من السَّارق، ويعود إلى صاحب المال، سواء كان عين المال، أو بأخذ عوضٍ عنه في معاملةٍ، أو بنحوٍ آخر يصل إليه الشَّيء، وفي النتيجة يعود إليه ويُؤخذ من السَّارق، العمل عمل رقيب، يسحب المال من السارق ويصل إلى صاحبه، والله سريع الحساب، فمثلاً أعطى أبو زوجتي منزله كلَّه لي، وبعد وفاة الأب غصب زوج أخت زوجتي نصف المنزل ـ طبق قانون الإرث ـ وبنى فيه بيتاً، وفي إحدى الليالي رأيتُ أبا زوجتي في عالم الرُّؤيا.**

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

وقال لي: هو لك.

قلت له: أخذوه وبنوا فيه وسكنوه.

فأجاب مرَّة أخرى وقال: هو لك.

وبعد سنوات عديدة انتقلت خلالها ملكيَّة المنزل بين عدّة أشخاص، وفي النِّهاية اشتراه شخص اسمه (بهلوان)، وبعد مدة جاءني وقال: أنا غير مرتاح هنا، فتعال وخُذ المنزل، وبعد سنوات عديدة من تصرُّف الآخرين فيه عاد إلى تصرّفنا».

وقال: «قال لي المرحوم السيّد القاضي: لا تُفشِ سِرَّك، فإذا أفشيتَه ابتُليت، وقد أفشيتُ سِرّاً لأصدقائي فأُوذِيتُ من قبلهم كثيراً، واستمرَّ بي البلاء مدة مديدة».

وقال: «سُئل سري هل يمكن لتلميذٍ أن يرتقي فوق مقام أستاذه؟

قال: نعم كان الجُنيد تلميذي، ومقامه أعلى من مقامي.

وقال: (التَّوبة: الخروج من كلِّ خلق دنيَّة إلى كل خلق حميدة).

والهِمَّةُ: (قوة انبعاث القلب في طلب لاشيء والاهتمام به).

والزُّهد في الشيء:

(هو خروج محبَّته من القلب وروده منه، وعند القوم: بُغض كلّ ما يشغل عن الله، ويحبس عن حضرته، ويكون في المال، وعلامته أن يستوي عنده الذهب والتُّراب، والفضة والحجر).

والإخلاص: (هو التَّبري من الحول والقوة إلاَّ بالله).

والجلال والجمال: (الأُنس بالجمال مربوط، والهيبة بالجلال مربوطة)».

وقال: «قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[1].

أي: نسيت نفسك، أي نسيت ما سواه».

وقال: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾[2]، أي: في تعب، فهو خاصٌّ بأهل الحجاب».

وقال: «النِّعمة نوعان: نعمة تُعطى من قبل الله سبحانه وتعالى، وعندا يستدرجها أي: يأخذها فهي نعمة أيضاً».

وقال: «إن العرفاء كانوا مجتمعين في أحد الأيام في بيت الله الحرام وطُلب من كلِّ واحد منهم أن يعرِّف الشُّكر، فأخذ كل واحد يعرِّفه بما يراه.

فواحد يقول: إنَّ الشكر الذي يؤدِّيه الإنسان يجب أن يشكر الله على ذلك الشُّكر، وبهذا يكون تسلسل والتسلسل باطل.

وآخر يقول: إن الإنسان لا يستطيع أن يؤدِّي الشُّكر لله تعالى.

وآخر يقول: كذا.

وكان الجُنيد بينهم في حينه طفلاً لا يتجاوز عمره عن عشرة سنوات فسألوا منه: وأنت كيف تعرِّف الشُّكر؟

فقال: الشكر أن لا تعصي الله في النِّعمة ولا تجعل النِّعمة عرضة للمعصية، فالكلُّ احترموه وأذعنوا له ـ عن جميل ما عرَّفه ووصفه للشُّكر ـ وقالوا: إنَّه أحسن من عرَّف الشكر».

قال (نوَّر الله تعالى مرقده الطَّاهر):

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٤.

(٢) سورة البلد، الآية: ٤.

«إنَّ ملك أفغانستان كان في يوم معيَّن من السَّنة يعقد مجلساً مع وزرائه لسبّ الشيعة بأن يقول كل وزير: فلان ابن فلان كان رافضيّاً والباقين يصفّقون ويقولون: لعن الله أباه.

وكان أحد وزراءه يخفي تشيّعه، ولمّا وصل الدَّور إليه بقي متحيّراً ماذا يقول فأُلهم بأن يقول محمد بن أبي بكر كان رافضياً.

فالجميع قالوا: لعن الله أباه من غير توجّه، وبعد ذلك التفتوا إلى ما قالوا، ولكن التفتوا بعد أن سبُّوا خليفتهم».

وقال السيّد الكشميري (قدّس سرّه):

«كنت ذات يوم بخدمة السيّد هاشم الحدّاد (قدّس سرّه) فأطرق إلى الأرض ثم قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[1] ثم بيَّن حقائق الآية الشريفة بتفسير أعلى وأرقى من المطالب التي أودعها ملاَّ صدرا رحمه الله في كتاب أسفاره».

* * *

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

كراماته الشريفة (قدّس سرّه)

الكرامة الأُولى
السيّد الحدّاد وانفتاح باب مسجد الكوفة

قال الحاجّ محمد علي الطّائي ـ خلف زاده ـ:

«كان السيّد الحدّاد في داري الواقع في حي كندة في النجف الأشرف، وفي ذات ليلة قال لي: أُريد أن أُصلّي في هذه الليلة في مسجد الكوفة.

فقلت له: إنَّ باب المسجد الآن مغلق.

فقال: أنا عازم على الصَّلاة في المسجد الآن.

فامتثلت أمر السيّد ونهضنا متوجِّهين إلى المسجد الشَّريف، ولمّا وصلنا بالقرب منه، فكان كما قلت له.

فأَعدت عليه مرة أُخرى ألم أقل لك إنَّ بابه مغلق الآن! وبينما أنا أكلمه، وإذا بالباب تُفتح، وبعد دخولنا نظرت خلفي لأَرى من الذي فتح الباب ـ حيث إني لم أُشاهد أحداً فتح الباب ـ فلم أر أحداً.

فبقينا تلك الليلة مشغولين بالعبادة والتَّهجّد حتى الصباح».

الكرامة الثانية
السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) وتصرّفه بالأرواح

قال السيّد موسى (حفظه الله):

«نقلت لي أمّ زوجتي هذه القصة: في ليلة ما كنت نائمة جنب زوجي، فرأيت شخصاً قد دخل من باب الغرفة، كأنّه زوجي تماماً شكلاً وهيبةً، ويأتي نحو زوجي فيتلبّس به ويتّحد معه جسميّاً ويصيران واحداً، وهذا كلُّه شاهدته عيناي.

يقول أخي: سألت أبا زوجتي[1] عن القضية التي نقلتها لي زوجته.

فقال: نعم، إنّي كنت في خدمة السيّد الحدّاد أياماً في منزله، فقبل تلك الليلة أصرَّ عليَّ أن أذهب إلى زوجتي، ولكني رفضت وقلت له: إنّي لا أقدر على فراقك ولو للحظة واحدة.

فقال: إذاً لو كان كذلك، فأذهب إلى منزلك ودع الأمر إليَّ وبعدها تكون معي.

فوافقت عند ذلك على أمره وذهبت إلى منزلي والذي رأته زوجتي هو أن السيّد كان يتصرَّف في روحي فيُثمل شخصاً نائماً جنبها كأنه أنا وروحي عنده.

الكرامة الثالثة:
السيّد الحدّاد(قدّس سرّه) وتجسُّد الذِّكر بصور رفقائه

نقل أحد رفقاء السيّد الرواية التالية:

«كان السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) يعطينا ذكراً ونحن ثُلّةٌ من الرُّفقاء، فنعمل به ليلاً قبل أن نرقد إلى الفراش، فلما كنّا نستيقظ من النَّوم صباحاً

---

(١) وهو الحاجُّ محمد علي الطّائي ـ خلف زاده ـ.

يتشكَّرُ أحدنا من الآخر، فيقول له: جزاك الله خيراً في مساعيك على ما أيقظتني من نومي.

فيجيبه: ماذا تقول متى أيقظتك من نومك ومتى جئتك كي تدعُو لي؟!

وكذا يتشكَّر الرَّفيق الثالث من الرابع إلى آخرهم وكلٌّ ينفي المُدَّعى.

يقول: وبعدها عرفنا الحقيقة في علَّة ذلك، وهو أنَّ الذِّكر نفسه هو الذي كان يُوقظنا من نومنا بصورنا وشكلنا، فنتصوّر أنَّ أحدنا يُوقظ الآخر».

الكرامة الرابعة:

السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) وطلبه بجلب كتابين من إيران

يقول أحد تلامذة السيّد الحدّاد (قدّس سرّه):

«إنَّ السيّد أمرني أن أذهب إلى إيران عند مشهد الإمام الرِّضا ـ على ساكنها آلاف التحية والسَّلام ـ لأجلب إليه كتابين من هناك وقال لي: عليك أن تجيئني بالكتابين من... فقط ولا تذهب إلى أيِّ مكان غيره.

فقلت له: ولكن الطَّريق صعب وبعيد وفيه مشقَّة، فضلاً على عدم وجود جواز سفر معي.

فقال: إذن لو كان كذلك، فخذ معك هذه الفَرْوة والبسها في الطَّريق، فإنَّها تعينك في سفرك.

فوافقت وسافرت إلى إيران عبر الحدود بمشقَّةٍ وكان عبوري من النهر الذي يفصل بين العراق وإيران في نصف الليل؛ لعدم وجود مجوِّزٍ قانوني معي، ولمَّا وصلت مشهد الإمام الرِّضا عليه السلام ـ والقُبَّة العلويَّة الذهبية أمامي ـ قلت في نفسي: ماذا يقول السيّد هل يصحُّ لي أن أترك زيارة الإمام عليه السلام

وتحمُّلي الأذى والمشقَّة في الطريق أياماً بمجرَّد أن أجلب إليه كتابين؟

يقول: فبمجرَّد أن نويت الزِّيارة وإذا بمسؤول أمْنِيّ إيراني يمسكني من ورائي ويقول: أيُّها العرب إلى أين؟ فبعد اللُّتيا والتي ألقى القبض عليَّ وأخذني إلى المخفر، فعاقبوني على التَّخلُّف القانوني، وأرسلوني من سجن إلى سجن لمدة خمسة عشر يوماً إلى أن أُطلق سراحي في كربلاء، فذهبت بعدها مباشرة إلى خدمة السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) كي أخْبره بما جرى لي.

فلمَّا وصلت منزله وإذا بالسيّد يخرج من البيت، فقال لي قبل أن أبدأ بكلمة:

ألم أقل لك لا تذهب إلى أي مكان غير الَّذي قلت لك به؟.

* * *

الكرامة الخامسة:

السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) والحديدة الحارّة

يقول عامل السيّد الحدّاد الذي كان يعمل معه في دُكّانه ـ واسمه زمان ـ:

«**كان السيّد هاشم**رحمه الله يُخرج الحديد الذي هو نعل الصحن من الكورة، ثم يضعها على السِّندان، فأضرب عليها إلى أن يستوي سطحها، فصادف مرة أن أخرج حديدة بيده ثم وضعها على السِّندان، فأخذت أضرب عليها بالمِطرقة وأنا غافلٌ أنَّه قد أمسكها بيده وإذا بي أرى يد السيّد هاشم صار لونها كلون الحديدة الحمراء، وهو واقف متكفِّر خارج عن الدّنيا وما فيها ولا يحسّ بحرارتها، فاندهشتُ وتوقفت عن الضَّرب، فقلت له: أيُّها السيّد! ارفع يدك فقد احترقَت».

يقول: «فانتبه إلى نفسه وألقى ما في يده، وبعدها أقسم عليَّ وألزمني بأن لا أُحدِّث بذلك أحداً ما دام حياً، وقال: من اليوم نعطِّل العمل.

وكان (طاب ثراه) يقول بعدها: لا يصلح العمل مع حالي في ذلك الوقت، خوفاً من أن يظهر شيء منّي أمام الناس، فيُشاع بينهم».

الكرامة السادسة:

السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) ووصيتُّه لتلميذه

إذا رأيت شيئاً فلا تخبر أحداً

قال أحد تلامذة السيّد الحدّاد:

«أردت أن أتشرَّف إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحجِّ، فلمّا أردت الذهاب أوصاني السيّد: أنه إذا رأيت شيئاً أو ظهر لك شيء، فلا تخبر به أحداً».

يقول:

«**فلمّا وصلتُ إلى هناك ذهبت لزيارة الرسول الأكرم ﷺ**، فدخلت حرمه الشَّريف وكان معي أحد رفقائي، وفي ذلك المكان دارت حولي رائحة طيِّبة كأنَّها العطر المُحمَّدي ﷺ، فقمت أتلذَّذُ بها، وقلت لصاحبي:

يا فلان أتشَّمُّ رائحة طيِّبة؟

فقال: أين هي، أين هي؟

وهو يشَّم، وإذا بالعطر يذهب، فتندَّمت على غفلتي بإخباري عنها؛ لأنَّها لم تكن مادية، فرجعت من الحجّ وذهبت إلى منزل السيّد الحدّاد، وما إن رآني صاح بي: ألم أقل لك لا تخبر أحداً، فلماذا أخبرت؟!».

الكرامة السابعة:

السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) وصعقة رفقاءه في حال الذِّكر

يقول أحد رفقاء السيّد:

«أعطى السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) لرفقائه ذكراً وأمرهم أن يجلسوا معاً في مكان واحد، فقاموا يذكرون بالذِّكر الخفيّ مع مراعاة السُّكوت يقول أحدهم: بينما نحن مشغولون بالذِّكر وإذا بنور عظيم يجول فوق رؤوسنا، فصار كالدَّائرة النُّوريَّة وإذا بنا كلّنا نصعق من تلك الهالة النوريَّة، فقال السيّد: قوموا مالكم لا تتحمَّلون؟ وهو يتبسَّم».

الكرامة الثامنة:

السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) واهتزاز بيته

قال أحد مريدي السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) ـ وهو أوَّل شخصية تشرَّف بخدمته ـ:

«إنَّني كنت أكثر أوقاتي عند السيّد الحدّاد، وفي أحد الأيام قال لي السيّد:

إلى متى أنت هنا اذهب إلى زوجتك وأطفالك وانظر ماذا يحتاجون من اللوازم المنزليَّة.

يقول: فقلت له: سيِّدي ومولاي لا أقدر وليس لي تَحمُّل على فراقك، يقول: ولكنَّ السيّد أصرَّ عليَّ بأن أذهب، فقبلت وذهبت وفي وسط الطريق وقفت متأمِّلاً تُرى ما العلَّة التي جعلت السيّد يَصِرُّ عليَّ في أن أذهب؟

فصمَّمتُ في ذلك الوقت بأن أرجع إلى منزله وأرى الحقيقة، ولمَّا وصلت قرب منزله رأيت جدران المنزل تهتزُّ من دون بقيَّة البيوت

الأُخرى، فقصدت داره فلمَّا وصلت باب حجرته سمعت السيّد يدعو بمناجاة إلهيَّة حزينة، وفي ذلك الموقف وقفت أتلذَّذ بسمعها وأخذت أنفاسي تقلّ وكادت روحي تخرج من بدني من تلك المناجاة، فشهقت شهقة قويَّة، فرأيت السيّد قد وقف أمامي وهو يخاطبني قائلاً: ألم أقل لك اذهب ولا تأتي إلى هنا؟!!.

* * *

الكرامة التاسعة:

السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) والذكر

كان السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) يوصي إحدى المريدات يقول لها:

أيّ شيءٍ يحصل أمامك في حالة الذّكر لا تفزعي منه.

وفي ذلك تقول زوجة أحد العلماء: «**كنَّا نذهب بعض الأحيان إلى منزل السيّد الحدّاد حينما كنَّا نتشرَّف من إيران إلى كربلاء، وفي يوم ما طرح عليَّ زوجي بأن آخذ دستور العمل من السيّد الحدّاد؛ ليكون برنامجاً يومياً، فوافقت وبعدها تشرَّفنا في خدمته.**

وقلت له: أُريد من سماحتكم أن تُعطوني ذكراً يومياً، فوافق السيّد وأعطاني ذكراً زمانه يكون ما بين الطُّلوعين، وقال لي: استمرِّي عليه في كلِّ يوم بعد صلاة الصُّبح، وأي شيء يحصل أمامك في حالة الذِّكر لا تفزعي منه.

تقول: فعملت به في داري في طهران، وفي يوم من الأيَّام، وأنا في حالة الذِّكر، وإذا بي أرى من جهة القبلة سيِّداً فارساً نورانيّاً وجهه كالقمر ينشقُّ منه النُّور كأنَّه السيّد الحدّاد بشكله وهيئته يأتي إلى صوبي، فأخذني الخوف وتركت وِرْدي وأطرقتُ برأسي، وبعد هنيئة نظرت إليه، فإذا به قد غاب عنِّي».

الكرامة العاشرة:
السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) والتصرُّف الروحيّ

كان السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) يرسل ولده من غير أن يراه إلى آية الله السيّد عبد الكريم الكشميري، وفي ذلك قال السيّد عبد الأمير (حفظه الله):

«**قصدتُ حرم المولى سيد الشهداء**عليه السلام ـ بعد عودتي من العسكريَّة ـ فدخلت الصحن الشريف ليلة الجمعة، فرأيت إمام الجماعة آية الله السيّد عبد الكريم الكشميري (قدّس سرّه) يقيمها هناك، وبعد مضيِّ الصلاة، قلت له ـ وبدون أن أرى والدي رحمه الله ـ: إنَّ أبي يطلبك وهو الآن ينتظرك في المنزل، فقام وذهبت معه إلى المنزل، فاستقبله والدي برحابة صدر، ولكن والدي لم يقل اذهب وآتِ بالسيّد الكشميري، بل كان تصرّف غيبي منه جذبني إلى هذا الفعل».

أقول:

«**وفي مرور الزمان قال السيّد الكشميري:**

جئتُ من النَّجف الأشرف إلى كربلاء المقدّسة في يوم الخميس، فذهبت لزيارة السيّد هاشم (قدّس سرّه)، فرأيتُ أنَّه لم يفتح لي قلبه، ولم يستقبلني بصدرٍ رحبٍ، فخرجت من منزله وقصدت زيارة المولى أبي عبد اللهعليه السلام، فبدأت أتوسَّل به وصلَّيت ركعتين في الصَّحن الشَّريف لكي يفتح الله عليَّ قلب السيّد الحدّاد، وبعد إتمام الصَّلاة بلا فاصلة جاءني أحد أولاده وهو السيّد عبد الأمير مسروراً قائلاً: سيِّدنا إنَّ والدي يطلُبك، فقمت مروراً لزيارته وأصررت على نفسي أن أذهب إليه حافياً، ولكن رأيت أنَّ الحياء يمنعني أمام الناس، فتنعَّلْتُ وذهبتُ إليه ماشياً،

وكان ابنه يُصِرُّ عليَّ أن يأخذ لي عربة ـ على النهج القديم ـ ولكني رفضتُ ذلك ولمَّا وصلنا إلى منزله استقبلني السيّد بأحسن استقبالٍ وفتح لي قلبه وتلقّاني بصدر رحب كعادته».

نقل لي الحاج موسى محيي هذه الحادثة وهي أنَّه: «**اختلفت مع والدي في قضيَّة، فتركته، وفي نفس الوقت ركبت سيارتي وقصدت كربلاء، وكان مجيئي من بغداد، وبعدها ذهبت إلى منزل السيّد الحدّاد، فبمجرَّد أن رآني، صاح: لماذا اختلفت مع أبيك؟! ارجع واعتذر منه.**

يقول: فرجعتُ إلى والدي واعتذرت منه، وأخبرته بما قاله لي السيّد الحدّاد: وقلت له: هل علم شخص بالقضيَّة الَّتي جرت بيننا؟

قال: لا.

فعرفت أنَّه أخبرني بذلك عن طريق غيبيّ».

الكرامة الحادية عشر:

السيّد الحدّاد (قدّس سرّه) وسلمان الفارسي وفي سامراء

قال السيّد عبد الكريم الكشميري (نوَّر الله مضجعه):

«**ذهب السيّد هاشم الحدّاد (قدّس سرّه) برفقة أصحابه، إلى زيارة الصَّحابي الجليل سلمان الفارسي (رِضوان الله تعالى عليه).**

يقول أحدهم: دخلنا إلى المرقد وجلس جناب السيّد عند رجلَي القبر، وبعد أن استقرَّ في الجلوس قام سريعاً وجلس عند رأس القبر الشَّريف وعندما خرجنا من المرقد الشريف أقسمت عليه أن يذكر لي لماذا جلس ثمَّ قام سريعاً؟

قال: عندما جلستُ عند رجليه قام حضرة سلمان الفارسي من القبر، وقال: أنت سيِّد ابن رسول الله ﷺ وتجلس عند رجلي؟! قُم واجلس عند

رأسي، فاستجبتُ لطلبه وجلستُ عند رأسه الشَّريف».

تقول زوجة السيّد قاسم: **«ذهبتُ مع عمّي السيّد هاشم إلى زيارة المرقدين الشَّريفين للإمامين العسكريين عليهما السلام وبعد الزِّيارة جلسنا في الصحن المطهَّر، فقلت لعمي ما رأيكم في أن أذهب وأشتري رقيّة؟[1].**

فقال: لا مانع، وأعطاني مقداراً من النقود للشراء ـ وكان الرقّي يُباع عند باب الصَّحن المطهَّر ولا يُحصى عدده من كثرته، وكانت هيئته كالتلِّ يصل ارتفاعه إلى مترين ونصف تقريباً ـ فاشتريت واحدةً وقدمتها إليه، فلمَّا شقَّها بالسكين، خرجت منها رائحة طيِّبة، ما شممت مثلها قطُّ، فأشرت عليه أن أشتري مرة ثانية عدداً منه ونأخذه معنا إلى كربلاء، فوافق وأخذت منه نقوداً، وقصدت المكان الذي اشتريت منه سابقاً، وإذا بي أراه خالياً من الرقّي، فرجعت متحيِّرة مندهشة، فأخبرته بما رأيت فنظر إليَّ متبسِّماً وهو يقول:

«أُگعدي! إِتگول رَگِّي رَگِّي، إِمنين أَكُو رَگِّي»[2]، فعرفت أنَّه قد حصلت أمامي من قِبَلِهِ كرامةٌ»[3].

* * *

---

(١) أي: البطيخ الأحمر، وهي: الركّيّة باللهجة الدارجة في العراق.

(٢) أي: اجلسي تقول: رقّي رقّي، وليس هناك رقّي.

(٣) وقد نقل هذه الكرامة أخوها حسن الندّاف.

سيرة العارف السيد
عبد الأعلى السبزواري (قدس سره)

السيد عبد الأعلى السبزواري

الجانب الشخصي

نسبه الشريف (قدس سره):

هو سماحة آية الله العظمى السيّد عبد الأعلى، خلف العلاّمة المقدّس السيّد علي رضا، نجل السيّد عبد العليّ ابن السيّد عبد الغني ابن السيّد محمد ابن السيّد حسين ابن السيّد محمد ابن السيّد علي بن مسعود بن إبراهيم بن حسن بن شرف الدين بن مرتضى بن زين العابدين بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد شمس الدين بن أحمد بن عليّ بن محمد «أبو الغنائم» ابن «أبو الفتح» الأخرس ابن أبي محمد إبراهيم بن أبي القيثان بن عبد الله بن الحسن بركة بن أبي الحسن معصوم بن أبي الطيّب أحمد بن الحسن بن محمد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد ابن الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام[1].

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عموداً

---

(١) مجلّة الموسم: الملفّ الخاص بالسيّد السبزواري (قدّس سرّه)، نقلاً عن:
- المشجر الوافي في السادة الموسويّة: ١/ ٦٣ـ ٦٩.
- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٢٢٨.

ولادته:

وُلد (قدّس سرّه) في يوم الولاية الكبرى «عيد الغدير الأغرّ» الثامن عشر من شهر ذي الحجّة الحرام، عام ١٣٢٨هـ[1].

وكان ميلاده الشريف في مدينة «سبزوار»، وهي مدينة في الشمال الشرقي من إيران، في ولاية «خراسان»، وتقع إلى الغرب من «نيسابور»، وقد ضُبطت في بعض المعاجم اللغوية بـ «سبزور» بدون ألف بعد الواو.

وهي مدينة عريقة في التاريخ، تخرّج منها الكثير من فطاحل الفقهاء والفلاسفة والمتكلّمين.

وكأنّ ميلاده جاء لينبىء عن سموّ قدره، وعظم مكانته؛ إذ أنّ ميلاده جاء مقترناً بيوم تتويج خليفة الله في أرضه «عليّ بن أبي طالب عليه السلام» إمرة المؤمنين، في السنة العاشرة من الهجرة المباركة.

أسرته:

ينتمي السيّد السبزواري (قدّس سرّه) إلى أُسرة علمية عريقة، حفلت بالكثير من رجالات العلم وكبار المفكّرين.

حتى قيل: إنّ هذه الأُسرة الشريفة لا يمرُّ بها عصر من العصور إلاّ وفيها أحد رجالات العلم المجتهدين.

ومن المناسب في المقام أن نذكر بعض أعلام هذه الأُسرة:

والد صاحب الترجمة:

هو سماحة العلاّمة المقدّس، الزاهد الورع التقيّ، السيّد علي رضا

---

(١) ضُبط عام ولادته في الذريعة: ١٨/ ٢٨١ بسنة (١٣٢٩هـ)، وفي الملف الخاصّ من مجلة الموسم بسنة (١٣٢٦هـ)، نقلاً عن هامش مسجّل على أحد كتبه، إلاّ أننا رجّحنا الضبط المذكور في المتن؛ لأنّه هو التاريخ المنقول عن السيّد (قدّس سرّه) نفسه، وقد نقله عنه مباشرة سماحة سيّدنا الأستاذ الأعرجي (طيّب الله ثراه) في كتابه المخطوط: «جلاء البصر في تراجم مجتهدي القرن الرابع عشر».

الموسوي السبزواري (قدّس سرّه)، كان من أكابر علماء «سبزوار» المقدّسين المشهورين بالورع والتقوى.

عمّ صاحب الترجمة:

وهو سماحة العلاّمة الكبير، والخطيب الشهير، السيّد عبد الله الموسوي السبزواري (قدّس سرّه)، المعروف بالبرهان، المولود عام ١٣٠٠هـ، والمتوفّى عام ١٣٨٤هـ.

ذكره الأميني في «معجم رجال الفكر والأدب» فقال عنه:

«عالم جليل، فاضل خطيب، متكلّم متبحّر، مؤلّف بارع، من أعلام المنبر والخطابة، ومن سلالة علويّة شريفة معروفة بالتقوى والمجد.

هاجر إلى النجف، وتخرّج على أعلامها في الفقه والأُصول والتفسير والكلام، وأصبح من رجال الفضل المشاهير، وأعلام الخطابة والوعظ، والإرشاد والتأليف.

له: رسالة في البداء، الكوكب الأسعد في مولد سيّدنا محمد ﷺ، التقريرات، غاية الإفادة في أسرار الشهادة، حقيقة الإبداع في تفسير كلمة الاسترجاع، اللطمة على منكري العصمة»[١].

أخو صاحب الترجمة:

وهو سماحة العلاّمة المجتهد، آية الله السيّد فخر الدين الموسوي السبزواري (قدّس سرّه)، (المتوفّى عام ١٤٠٢هـ، أحدُ مفاخر مدينة «سبزوار».

وقد نشأ السيّد السبزواري (قدّس سرّه) بين أحضان هذه الأُسرة، أحضان العلم والفضيلة، والطهر والقداسة، حتى اخضرّ عوده، وتبرعم ساعداه على العلم والتقوى، فكان مثالاً حيّاً لأعلام أُسرته وأجداده الطاهرين[٢].

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب: ١/ ٢٤٠.

(٢) أُسرة السيّد السبزواري (قدّس سرّه) تُعرف بأسرة «الأفقهي»، ولكن تبعاً للعادة الجارية في النجف الأشرف في نسبة كلّ شخص إلى بلاده لُقّب السيّد (قدّس سرّه) بالسبزواري.

عائلته:

تزوّج السيّد السبزواري (قدّس سرّه) بزوجة واحدة، تنتمي في نسبها إلى أسرة علميّة معروفة، وهي أسرة المدرّسي، فأخوها هو سماحة العلاّمة المرحوم السيّد كاظم المدرّسي(١)، وكانت من النساء الفاضلات الأديبات.

وقد أنجبت له هذه الزوجة الصالحة بنتاً واحدة تزوّجها صاحب الفضيلة السيّد حسين العلي الشاهرودي(٢) سبط المرجع الديني السيّد محمود الشاهرودي (قدّس سرّه).

وثلاثة من الذكور، وهم:

١ـ سماحة العلاّمة الحجّة السيّد محمد السبزواري (قدّس سرّه):

المولود في العاشر من شهر صفر عام ١٣٦٤هـ، والمتوفّى في شهر ذي القعدة عام ـ ١٤١٤هـ، تربّى منذ طفولته في حجر والده المقدّس، فدخل الكتاتيب، وتعلّم القراءة والكتابة، ثم آثر الالتحاق بقافلة أجداده وأسلافه، فانخرط في سلك الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، حتّى أنهى المقدّمات عند أساتذة أكفاء كلّهم مهرة في فنّهم، بإشراف من والده

---

(١) هو والد الكاتبين المعروفين: العلاّمة السيّد محمد تقي، وسماحة السيّد هادي المدرّسي.

(٢) هو سماحة السيّد حسين الشاهرودي نجل العلاّمة المقدّس المرحوم السيّد جواد العليّ الشاهرودي (قدّس سرّه) صاحب الكتاب المشهور «آداب الحرمين»، وسبط المرجع الكبير سماحة آية الله العظمى السيّد محمد الشاهرودي (قدّس سرّه).
ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٧٤هـ، وفيها أكمل دراسة مرحلتي المقدّمات والسطوح، وبعدها حضر الأبحاث العالية عند العلمَين الكبيرين: السيّد الخوئي والسيّد السبزواري (قدّس سرّهما)، وبقي مستمراً في الحضور عندهما حتى اعتقل سنة ١٤١١هـ بعد أحداث الانتفاضة الشعبانيّة، ولم يعلم خبر شهادته إلاّ بعد سقوط النظام البائد.

المقدّس، ودخل في مرحلة السطوح عند كبار الأساتذة الأكفّاء، كآية الله العظمى، المرجع الديني الكبير، الميرزا جواد التبريزي ـ دام ظلّه ـ وآية الله الشيخ محمد صادق السعيدي، وآية الله الشيخ صدرا البادكوبي (قدّس سرّه)، الذي كان له أكبر الأثر على شخصية الفقيد الراحل.

وبعد أن أنهى كلتا المرحلتين، بدأ الحضور في الأبحاث العليا عند أساطين الحوزة، فحضر بحث الإمام الخوئي (قدّس سرّه) فقهاً وأُصولاً، وحضر أبحاث آية الله العظمى الميرزا باقر الزنجاني (قدّس سرّه)، إلاّ أنّ معظم استفادته كانت من درس والده المقدّس السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، الذي أغدق عليه من فيض معارفه وفنون علومه فقهاً وأُصولاً وفلسفة وتفسيراً وعرفاناً وكلاماً، حتى حصل على الملكة القدسيّة، والدرجة العليّة، مجازاً من والده المقدّس.

وكان إلى جانب اشتغاله بالدرس والتحصيل مشتغلاً بالتدريس وتربية الطلبة المحصّلين، فكان من أساتذة الحوزة في النجف الأشرف على مستوى السطح العالي، ولمّا هاجر من العراق إلى إيران إثر الانتفاضة الشعبانيّة المباركة بدأ التدريس على مستوى البحث الخارج.

إلى أن اختاره الله لدار كرامته، إثر حادث مؤلم بين مدينة قم المقدّسة وطهران، في شهر ذي القعدة عام ١٤١٤هـ، تاركاً للحوزة خلفه الصالح، ولده المهذّب الفاضل السيّد حسن السبزواري ـ دام توفيقه ـ أحد المشتغلين المحصّلين في قم المقدّسة.

٢ـ سماحة العلاّمة الحجّة السيّد علي السبزواري:

المولود في النجف الأشرف عام ١٣٦٩هـ تقريباً، من تلامذة والده المقدّس والإمام الخوئي (قدّس سرّه)، ويعدّ اليوم من أساتذة الحوزة

العلمية في النجف الأشرف على مستوى الخارج والسطح العالي، ويُعرف في أوساطها بالتضلّع في العلوم العقلية والنقليّة، يشغل الآن مكان والده الراحل (قدّس سرّه) في دعم الحركة العلميّة في النجف الأشرف، وتنظيم الوضع الاجتماعي.

وقد خرج عن قلمه مجموعة من المؤلّفات القيّمة، من جملتها: (الاستنساخ بين التقنيّة والتشريع) وغيره.

٣ـ سماحة العلاّمة السيّد حسين السبزواري:

المولود في النجف الأشرف عام ١٣٧٠هـ تقريباً، وفيها نشأ وترعرع، واستفاد من محضر كبار أساتذتها، كالشيخ الميرزا جواد التبريزي ـ دام ظلّه الشريف ـ والمدرّسَين المعروفَين: الشيخ صدرا البادكوبي والشيخ مجتبى اللنكراني (قدّس سرّهما)، ثمّ حضر الدراسات العليا في الفقه عند السيّدين العلَمَين: الخوئي والسبزواري (قدّس سرّهما)، كما حضر في الأُصول عند السيّد علي البهشتي (قدّس سرّه).

ومن النجف الأشرف هاجر مكرهاً ـ قبل سنوات قريبة ـ واستقرّ في مشهد المقدّسة، ولا زال يؤدّي دوره الديني فيها من خلال التدريس على مستوى السطح العالي، ومن خلال صلاة الجماعة وتعليم الأحكام الشرعيّة والمعارف العقائدية.

وله الكثير من الخدمات والمشاريع الخيريّة التي تعكس حضوره الاجتماعي الفعّال، كما له عدّة من المؤلّفات، ومن أهمّها: دورته الفقهية «بصائر الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة» الواقعة في أربعة عشر مجلّداً.

الجانب العبادي في حياة السيد السبزواري (قدس سره)

نتحدث في هذا الجانب عن عدّة سمات كان يحملها السيد السبزواري في شخصيته من حيث الخضوع التام والتعلّق الشديد بالله عزّ وجلّ.

السمة الأولى: حبّ الصلاة

فقد كان السيّد السبزواري (قدّس سرّه) يتفانى في حب الصلاة، والصلاة أجمل محبوب؛ إذ بها ـ كما يصرّح هو (قدّس سرّه) ـ تفتح أبواب الغيوب، وبها تطمئنّ القلوب، وبها ترفع الدرجات، وفيها المناجاة برفع الأستار، وتتّسع فيها ميادين الأسرار، وبها تشرق شوارق الأنوار، وبها تُزال الحجب والأستار بالقرب إليه عزّ وجلّ، وبها تصفو المحبّة من كدر الجفاء، ويتّصل المحبّ مع حبيبه في محلّ الصفا[1].

فكان السيّد السبزواري (قدّس سرّه) محافظاً على نوافل الصلاة

---

(١) مواهب الرحمن: ٩/ ٢٣٠.

اليوميّة مع إمامته للجماعة، ولذلك كان يحضر جماعته أهل العرفان والورع والتقوى أكثر من غيرهم[1].

وكان السيّد السبزواري (قدّس سرّه) أيضاً عاشقاً لصلاة جعفر عليه السلام، متفانياً فيها، فإنّ فيها فضلاً كثيراً[2]، ومن صلاّها كل يوم لا تكتب عليه السيّئات، وتكتب له بكل تسبيحة حسنة، وترفع له درجة في الجنّة[3].

وكان ملتزماً بها في طلب الحوائج من الله تعالى، وكم قضى الله تعالى له حاجات متعسّرة كثيرة بفضلها وبركاتها[4].

السمة الثانية: قيام الليل:

فقد كان الليل ـ ولا سيّما وقت السحر منه ـ من أحبّ الأوقات لديه؛ لأنه كان وقت تلذّذه بمناجاة المحبوب، فكان (قدّس سرّه) يحيي الليل بالعبادة منذ الساعة التاسعة منه وحتى الصباح، وكان إذا ما طلع عليه الصبح يبكي ويقول: لقد انقضى الليل وما قضينا منالحبيب وطراً.

وكان عاشقاً لصلاة الليل، متفانياً فيها؛ لأنّه من جملة أولئك الخواصّ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[5]، أولئك الذين منحهم الله ديمومة الصلاة من الأزل إلى الأبد.

فكان يحافظ عليها مهما كانت الظروف؛ إذ أنّ شرف المؤمن صلاته بالليل[6]، ومَن رُزِقَ صلاة الليل من عبد أو أمَة، وقام لله عزّ وجلّ

---

(١) جذوة مقتبسة من حياة السيّد السبزواري: ٢٢.
(٢) بحار الأنوار: ٨٨/ ٢٠٩.
(٣) بحار الأنوار: ٨٨/ ٢٠٩.
(٤) جذورة مقتبسة: ٢٢.
(٥) سورة المعارج، الآية: ٢٣.
(٦) بحار الأنوار: ٦٨/ ٢٦٧.

مخلصاً، فتوضّأ وضوء سابغاً، وصلّى لله عزّ وجلّ بنيَّة صادقة، وقلب سليم، وبدن خاشع، وعين دامعة، جعل الله تبارك وتعالى خلفه تسعة صفوف من الملائكة، في كلّ صفّ ما لا يحصي عددهم إلاّ الله تبارك وتعالى، أحد طرفي كلّ صفّ بالمشرق، والآخر بالمغرب، فإذا فرغ كتب له بعددهم درجات[1].

وهو في محافظته على صلاة الليل يطبّق كلامه عنها، حيث قال وهو في صدد بيان صفات من ينوب عن المعصوم عليه السلام في عصر الغيبة: «الرابع ـ وهو الأهمّ ـ: انسلاخه عن المادّيات بتمام معنى الانسلاخ، وعلوّ همّته من كلّ جهة، وكثرة اهتمامه بالدين وأهله، وجهده في الورع والتقوى، ومتنزّهاً عن الصفات الرذيلة بل المكروهة عند الناس، وعدم توهّم الاعتلاء في نفسه على أحد، وكثرة مواظبته على العبادة مع الخلوص، كالتهجّد في الليل والمداومة على النوافل، ليأخذ الله بيده ـ كما في بعض الروايات ـ ويلهمه بما هو صلاح النوع»[2].

ونتيجة محافظته على صلاة الليل ومداومته عليها، فقد لمسَ لها الكثير من الآثار الروحيّة والمعنويّة، بل والماديّة، التي تحدّث عنها بقوله: «وكم لله من نفحة عطرة يمنّ بها على من يشاء، وجائزة موفرة يخصّ بها من أخلص في الدعاء، وكم من عبادة فيه ـ أي: وقت نافلة الليل ـ هبّت عليها نسمات القبول، ودعوة من ذي طلبة مشفوعة ببلوغ المأمول، ومشكل مسائل اتّضح بمصابيح الهداية، وعريض من المطالب افتتح بمفاتيح الهداية، فهو وقت العلماء العاملين والعرفاء المتعبّدين،

---

(١) بحار الأنوار: ٧٩/ ٤٠٤ف.

(٢) مهذّب الأحكام: ١٥/ ٨٧.

والسعيد من سعد بإحياء هذا الوقت الشريف، واستدرّ به أخلاف الكرام من الجواد اللطيف»[1].

السمة الثالثة: التفاني في الولاء:

كان السيّد السبزواري (قدّس سرّه) شديداً في حبّه لأهل البيت عليهم السلام، متفانياً في ولائهم إلى أبعد الحدود، فلا يعشق شيئاً إلاّ بهم وفيهم وإليهم، وطالما ما كان يلهج بذكرهم، وإذا أقبل شهر عاشوراء بأحزانه ومآسيه تجلبب بالسواد حزناً عليهم، وتأسّياً بهم، حتى إطلالة شهر ربيع الأوّل.

وقد مشى سيراً على قدميه وعمره عشرون عاماً ـ تقريباً ـ من مشهد الإمام الرضا عليه السلام إلى النجف الأشرف، ومشى عدة مرات كذلك بين النجف الأشرف إلى كربلاء المقدّسة.

السمة الرابعة: عشق الذكر:

كان السيّد السبزواري (قدّس سرّه) عاشقاً للذكر، دائم التسبيح، لا يلهج لسانه إلاّ بذكر الله، محافظاً على الأدعية والأوراد؛ لأنّ الذكر ـ كما يتحدث عنه (قدّس سرّه) ـ من أجلّ مقامات العارفين، بل هو منأعظم مظاهر حبّ الحبيب لمحبوبه، فإنّ من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره، ومن علامات الحبيب الاستمتاع بذكر حبيبه، وقد قالوا: إنّ المحبّ إذا صمت هلك، والعارف إذا نطق هلك؛ لأنّ الأوّل مجبول على ذكر الحبيب، والثاني مأمور بستر الأسرار[2].

وكان السيّد (قدّس سرّه) متقيّداً بالأذكار الوارد عن أهل بيت العصمة

---

(١) مهذّب الأحكام: ٥/١٠٨.

(٢) مواهب الرحمن: ٢/١٨٠.

والطهارة ﷷ دون غيرها من الأذكار الصوفيّة المخترعة، وقد تحدّث عنها في بعض كلماته المشرقة فقال: «ومن أهمّ أسباب الإفاضة والتقرّب إلى الله تعالى الأذكار الواردة عن الأئمّة الهداة ﷷ المنتهية إلى الوحي من السماء، وهي كثيرة مذكورة في محلّها.

وأهمّها الاستغفار الموجب محو الذنوب ورفع الدرجات، بل قال نبيّنا الأعظم ﷺ: **إنّه من خير العبادة**، ففي الكافي بإسناده عن الإمام الصادق ﷷ، قال: قال رسول الله ﷺ: **الاستغفار وقول لا إله إلاّ الله خير العبادة.** وقال الله العزيز الجبّار: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[1]، ولذا كان رسول الله ﷺ يواظب عليه.

فعن الإمام الصادق ﷷ: **أن رسول الله ﷺ** كان لا يقوم من مجلس وإن خفّ حتى يستغفر الله خمساً وعشرين مرة»[2].

كما كانت له بعض الأذكار والأوراد الخاصّة، التي تناقلها علماء مدرسة أهل البيت ﷷ كابراً عن كابر، عن معادن الوحي وأسرار التنزيل ﷷ، وما كانوا يطلعون عليها إلاّ الخواص وأصحاب السرّ، ومن ذلك ما ينقل عنه (قدّس سرّه) من أنّ أستاذه السيّد البادكوبي (قدّس سرّه) قد علّمه ذكراً خاصّاً، واشترط عليه أن لا يقرأه إلاّ في وقت الشدّة، فصادف أن عرضت عليه (قدّس سرّه) ـ وهو في طريقه إلى مسجده لإقامة الصلاة ـ حالة إعياء شديدة حالت بينه وبين إكمال مسيره إلى المسجد، فما كان منه (قدّس سرّه) إلاّ أن قرأ ذلك الذكر الخاصّ، فقام من وقته وواصل مسيره إلى المسجد وصلّى، وبعد رجوعه إلى منزله جيء لهب

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) مواهب الرحمن: ٨/ ٣٦٩.

الطبيب ليفحصه، فتعجّب كيف تجاوز السيّد (قدّس سرّه) تلك الحالة ـ مع كونها جلطة شديدة ـ وكيف ذهب إلى الصلاة وأدّاها ورجع إلى منزله، ولم يجد لذلك مبرّراً معقولاً سوى التسليم بشمول العناية الربّانية للسيّد (قدّس سرّه) ببركة ذلك الذكر الخاصّ[١].

وكان (قدّس سرّه) يستفيد من خزانة أذكاره وأوراده في علاج ما يستعصي علاجه من الأمراض العضويّة والروحيّة، ومن ذلك ما حدّثني به بعض الثقاة عن إحدى النساء المؤمنات، فقال: إنّها ابتليت في فترة من فترات حياتها بسلوك غير طبيعي، فكانت لا ترى طفلاً صغيراً إلاّ وتحاول القضاء عليه والتخلّص منه، فذهب أحد أولادها إلى السيّد (قدّس سرّه) وعرض عليه الأمر، فما كان من السيّد (قدّس سرّه) إلاّ أن أرشده إلى أحد الأذكار الشريفة، وهو: «ربّنا آتنا في الدنيا حسنة»، وأمره أن يطلب من أمّه أن تردّد هذا الذكر بكيفية معيّنة، فما مرّت إلاّ فترة قصيرة حتى ارتفع عنها ما كانت تعاني منه، ببركة أذكاء السيّد السبزواري (قدّس سرّه) وأوراده الخاصّة.

السمة الخامسة: المداومة على الطهارة:

كان السيّد السبزواري (قدّس سرّه) مديماً على الوضوء والأغسال المستحبّة، محافظاً على الطهارة في كلّ الأوقات.

وكان (قدّس سرّه) يعتقد ـ كا صرّح بذلك في موسوعته الفقهيّة ـ بأن الوضوء إنّما هو نحو نورانيّة للنفس، ونورانية النفس راجحة ومطلوبة في كلّ الآنات الزمانية[٢].

---

(١) جمال السالكين: ٥٢.
(٢) مهذّب الأحكام: ٢/ ٢٨٣.

السمة السادسة: تلاوة القرآن:

كان السيّد السبزواري (قدّس سرّه) مواظباً على تلاوة القرآن، بل كان يختمه في كلّ أسبوع مرة واحدة، وأمّا في شهر رمضان المبارك فقد كان يختم فيه القرآن عشر مرات، وكان (قدّس سرّه) دائماً ما يوصي فيما يتعلّق بهذا الجانب بأمرين:

الأوّل: اختيار الوقت لقراءة القرآن؛ لأنه (قدّس سرّه) كان يرى بأنّ اختيار الوقت له مدخليّة كبيرة في حصول الكثير من التوفيقات، ولعلّ من تلك الأوقات ما بين الطلوعين، كما سمعنا ذلك من بعض المرتبطين بالقرآن.

الثاني: الاستمرار والمواظبة على قراءة القرآن، ولو بمقدار ورقة واحدة في كل يو، حتى لا يعدّ المؤمن تاركاً للقرآن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾[١].

السمة السابعة: الدعاء:

كان (قدّس سرّه) ـ كما يصفه بعض من كتب عنه ـ دؤوباً على قراءة الأدعية والمناجاة، وخصوصاً منها أدعية الصحيفة السجّادية التي كانت تلازمه في جميع الأوقات، ولشدّة عشقه للدعاء فقد جمع جملة من الأدعية في محفظته يحملها معه في حلّه وترحاله، فيقرؤها حين تتاح له الفرصة، حتى إنّه (قدّس سرّه) لم يترك دعاءً ورد عن الأئمة عليهم السلام إلاّ وقرأه[٢].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٩.

(٢) جمال السالكين: ٥١.

وكان (قدّس سرّه) لا يلتذّ في مناجاته إلاّ بقراءة أدعية أهل البيت عليهم السلام؛ لأنها بنظره الشريف ـ كما تحدّث بذلك في بعض كلماته الشريفة ـ مشتملة على أعظم المعارف الربوبية التي حرص الأئمة عليهم السلام على بيانها بأسهل بيان، وهذا أحسن تدبير في إشاعة المعارف الحقّة وبيانها للنّاس، مقتبس من تدبير القرآن.

إلى أن يقول (قدّس سرّه) ـ وهو في صدد بيان الفارق الكبير بين أدعية أهل البيت عليهم السلام وبين أدعية غيرهم ـ: «من نظر إلى دعوات الأنبياء السابقين، كمزامير داود، وصحف إدريس، يجد الفرق بينهما أوسع ممّا بين السماء والأرض».

ثم ينقل (قدّس سرّه) عن صدر المتألّهين (قدّس سرّه) قوله: «الأدعية المأثورة عن أئمّتنا وسادتنا الهاشميين الأكابر، والمعصومين من الذنوب الصغائر فضلاً عن الكبائر، كثيرة شائعة بين جميع الأُمم، ذائعة بين طوائف العالم، المؤالف والمخالف، ولم يوجد مثلها في شيء من الملل والأديان، ولم ترَ عين الأعيان نظيرها عن أحدٍ من أئمّة القرون والأزمان»[1].

(١) مواهب الرحمن: ٣/ ٦٣.

منهجيّة علم العرفان
عند السيّد السبزواري (قدّس سرّه)

من المناهج العرفانية لدى آية الله السبزواري ما يلي:

الأوّل: وجود المرشد

وهذا أوّل الطريق الذي ينبغي أن يضع عليه السالك قدمه، إذ من غير المرشد ستكون نتيجة السير هي الضياع في متاهات الطريق، فالعرفان والسير إلى الله طريق طويل وشائك جداً، وكلّ سالك فيه يختلف طريق سيره عن طريق غيره من السالكين بحسب اختلاف الملكات والاستعدادات التي يحملها كلّ واحد منهم، وهذا ما يحتّم وجود الأستاذ الخبير، والمرشد البصير، من أجل أن يأخذ بيد السالك بعيداً عن متاهات الطريق، ويوصله إلى الغاية المنشودة بحسب ما لديه من الاستعداد.

وعن هذه الجهة يتحدّث السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، فيقول: «ليُعلم أنّه لا يمكن السير والسلوك إلاّ بعد التزوّد بالمعرفة والعلوم الحقيقية، والمعلِّم الذي يرشد الإنسان إلى طريق استكماله، ومن ذلك يُعرف أهمية أهل الذكر في الرجوع إليهم»[1].

---

(١) مواهب الرحمن: ١٢/ ٤٦٢.

كما يحكي بعضهم عن أستاذ السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، بل أستاذ العرفاء الشامخين قاطبة، السيّد القاضي (قدّس سرّه) أنّه قال: «أهمّ ما يلزم في هذا الطريق الأستاذ الخبير البصير، الخارج من أسر الهوى، الواصل إلى المعرفة الإلهية... وإذا أمضى الإنسان الذي يطلب طريق الله نصف عمره يبحث عن أستاذ هذا الطريق، فإنّه يكون مصيباً، فمن وصل إلى الأستاذ وحصل عليه فقد قطع نصف الطريق»[1].

الثاني: التوبة:

ويقول عنها (قدّس سرّه): «التوبة.. وهي أوّل منازل السائرين إلى الله سبحانه، وأساس درجات السير والسلوك الإنساني، وهي مفتاح التقرّب إليه عزّ وجلّ، والوصول إلى المقامات العالية، بل لا تتحقّق التخلية عن الصفات الرذيلة والتحلية بالصفات الحسنة إلاّ بها، ويكفي في فضلها أنّها من صفات الباري عزّ وجلّ، فإنّه «التوّاب الرحيم»، وقد منَّ على عبيده أن تقرّب إليهم بالتوبة عليهم بعد البُعد عنه تعالى بالمعاصي والذنوب، فقال تبارك وتعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقد ورد في فضلها نصوص كثيرة، ففي الكافي: عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام: «**إنّ الله تبارك وتعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلَّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها**»، فالله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها!»[3].

---

(١) جمال السالكين: ٤٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٣) مواهب الرحمن: ٢/ ٢٣٢.

الثالث: طلاق الدنيا:

وهو أوّل منزل من منازل السير إلى ربّ العباد، ومن جهة الاستقامة والبقاء عليه تجتمع فيه سائر المقامات من التخلية والتحلية والتجلية، بل الفناء، والثبات عليه ثبات في الرحمة الواسعة التي لم تزل ولا تزال، ويشتدّ مقام التوحيد فيعبد الله جلّت عظمته حبّاً له لا لشوق الوعد ولا لخوف الوعيد[١].

ولذا قال علماء السير والسلوك: «إنّ أول قدم للسالك أن يخرج من الدنيا وما فيها، وأن يخرج من النفس وصفاتها»[٢].

والنقطة المهمّة التي يجدر الالتفات إليها هنا: أنّ التعلّق بشوائب الدنيا له مظاهر كثيرة جدّاً، وبعضها قد يكون في غاية الدقّة والخفاء، بحيث لا يلتفت إليه الكثير من السالكين، وهذا ما يقتضي إيقاظ نور البصيرة عند طيّ طريق السير والسلوك، وقد نبّه (قدّس سرّه) على ذلك في بعض كلماته الشريفة، فقال: «ولحبّ الدنيا وسكرها مظاهر كثيرة، فقد يحصل من المال أو الجاه أو الرياسة، وقد يدخل في أمور دقيقة عند السالكين والعارفين، وقد يغفل عنها فتظهر على نواياه أو أقواله وأفعاله، فإن لم يعالجها يرجعه إلى أسفل السافلين، ولذا كان الأنبياء والمرسلون يتعوّذون بالله منها.. فإنّ الأمر دقيق جدّاً»[٣].

وقد أفصحت وصاياه (قدّس سرّه) عن بعض الأمور الخفيّة جدّاً، التي تترك السالك متعلّقاً بشوائب الدنيا وإن لم يكن ملتفتاً، من قبيل ما ينقله عنه نجله الحجّة السيّد علي أنّه قال: «أوّل خطوة في طريق العرفان عدم التفريق بين أحد من الناس».

---

(١) مواهب الحرمن: ٤/٢٩.

(٢) مواهب الرحمن: ٩/١٦٣.

(٣) مواهب الرحمن: ١٢/٤١٨.

الرابع: تطبيق الأحكام الشرعيّة

وعن هذا الجانب يقول (قدّس سرّه): «وتلك السبل ـ أي: سبل التقرّب إلى الله تعالى، والارتباط بعالم الغيب ـ هي الأحكام الشرعيّة بأقسامها التابعة للمصالح ـ العائدة إلينا، والمفاسد التي تضرّنا ـ المجعولة ممّا وجب حقّه علينا، ولذا تكون الأحكام أمانات منه تعالى عندنا، لا بدّ من مراعاتها وردّها إلى أهلها، وإنّما جعلت لأجل ارتباط الإنسان معه جلّ شأنه، ولا يحصل هذا الارتباط لو تخلّف أحد عن تلك الأحكام ولم يودِّ حقّها»(١).

الخامس: الطاعة:

إذ بعد أن تبيّن أنّ الخطوة الرابعة في طريق علم العرفان هي تطبيق الأحكام الشرعيّة، لزم الالتفات إلى أنّ هذا التطبيق لا يجدي شيئاً إلاّ إذا كان كلّياً وشاملاً، والتطبيق الكلّي هو المعبّر عنه في كلمات العرفاء بمقام (الطاعة).

والمراد من الطاعة: الانقياد الكامل، والامتثال مع الإخلاص لجلب رضا الحقّ، وترك ما سواه، فهي الوسيلة للوصول إلى الدرجات الرفيعة السامية، والأُفق القريب منه جلّ شأنه، وهي التي أكّدت عليها الآيات الشريفة، ودعا إليها الأنبياء والأولياء بألسنة مختلفة، واهتمّوا بها لأنّها المبعث لتكريم الإنسان ونيله أشرف المراتب وأجلّ المقامات.

وبالطاعة الحقيقية ينال الإنسان الدرجات الرفيعة، والمراتب الشريفة، ويتجاوز عن حدّ الكمال، ويصل إلى درجة التكميل، فتكون له المعيّة في الدرجة لا في الاتّحاد، كما في بعض الروايات لأنّ التساوي في كلّ جهة معه محال كما ثبت في الفلسفة الإلهيّة(٢).

---

(١) مواهب الرحمن: ٨/ ٣٣٩.

(٢) مواهب الرحمن: ٩/ ١٧.

السادس: الإخلاص:

و(الإخلاص) يأتي كخطوة سادسة في طريق السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى، إذ لا يمكن تحقّق مقام الطاعة إلاّ مع تحقّقه، وعنه يقول السيّد السبزواري (قدّس سرّه) في بعض كلماته الشريفة: «ويتشرّف المؤمن بالإخلاص إلى أعلى مراتب الكمال بلذّة ذلّ العبوديّة له تعالى، وبه يخرق الحجب ويصل إلى معدن العظمة، فعن نبينا الأعظمﷺ «أنه سئل عن الإخلاص، فقالﷺ: **حتى أسأل جبرئيل**، فلما سأله قال: حتى أسأل ربّ العزّة، فلما سأله قال له: **هو سرّ من أسراري أودعه قلب مَن أحببت من عبادي، لا يطّلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده**».

وعن سيد العرفاء أمير المؤمنين عليه السلام: «**هو أن تعبد الله كأنّك تراه**»، فحقيقة الإخلاص يدركها الخلّص من عباده، ولكنّها لا توصف، والإخلاص من أعلى مراتب التفويض»[1].

السابع: جهاد النفس

وهذا هو أهمّ خطوة في الطريق، وجميع ما تقدّم إنّما هو مقدّمة له، ولذلك يقول السيّد السبزواري (قدّس سرّه): «جميع ما يذكره الفقهاء في أحكام العبادات والمعاملات من مقدّماته، والعمل بها يكون من بعض مراتبه».

ويتحدّث (قدّس سرّه) عن أهمّيته فيقول: «بل هو أهمّ شيء اعتنت به جميع الكتب السماوية، خصوصاً القرآن المهيمن عليها، وهو نتيجة دعوة كلّ الأنبياء والمرسلين، ولا سيّما خاتم الأوصياءﷺ وخلفائه المعصومين عليهم السلام، وهو غاية رياضات العرفاء الشامخين والحكماء المتألّهين، من هبوط آدم عليه السلام إلى انقضاء العالم»[2].

---

(١) مواهب الرحمن: ٩/ ٢٧٥.

(٢) مهذّب الأحكام: ١٥/ ٢٦٩.

ومن الفوائد التي نقلت عنه (قدّس سرّه) في سبيل تنمية هذه الخطوة: أنّ نفس السالك كما تُقبل فيبعض الأحيان، فإنّها تُدبر في بعض الأحيان الأخرى، فإذا أدبرت ينبغي علاجها بالجلوس في در مظلمة، فإنّ النفس تلين بذلك.

الثامن: الهجرة

وهي الانتقال والرحيل، وإنّها من أكمل الصفات الحسنة وأجلّها إن كانت ناشئة عن الحبّ الواقعي لله سبحانه وتعالى، والانقطاع إليه جلّ شأنه، وبها يحصل الودّ والحبّ له عزّ وجلّ، ومنه تعالى لعبده.

بل أنّ الهجرة من الفناء في ذاته جلّت عظمته، لأنّ بها يخرج الإنسان عن ذلّ ما توطّن فيه من الصفات الذميمة، ويبعد عن المعاصي التي تحصل عن الأهواء الشيطانية، كالكبر والحسد والبطر والجهل، وغيرها.

وبالهجرة يفوز الإنسان وينال الكمالات بأنواعها وأقسامها الظاهرية والمعنوية، فعن نبيّنا الأعظم ﷺ: «**مَن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومَن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

وبالهجرة يرتقي الإنسان عن حدود البشريّة في طلب حضرة الربوبية إلى منتهى السعادة بصفاء القلب وتزكيته، والعروج إليه جلّت عظمته؛ لأنّ البقاء والسكون فيها اللذين لا يرضاهما تعالى من آثار الحجب والبعد عن ذاته المقدّسة، والقرب من الشيطان.

وبها يستغني المهاجر عمّا سواه تعالى، ويذوق لذّة العبودية لله جلّ شأنه، وينال شرفها بالخضوع الحقيقي له عزّ وجلّ.

فالهجرة الواقعية من أسمى الصفات الكريمة، وأجلّ الكمالات الواقعيّة، وأرفع المنازل العظيمة، وأشرف الحقائق، بل هي غاية السير والسلوك إليه عزّ وجلّ لأنّها مبايعة الله تعالى مع عبده بالهجرة إليه عزّ وجلّ[1].

التاسع: الصمت:

وقد قالوا: إنّ الصمت لازم في جميع مراحل السلوك، وفي كلّ الأوقات، بل ممكن أن يقال بأنّه ممدوح في كل الأحوال، وإشارة إلى هذا الصمت قوله عليه السلام: «**إنّ شيعتنا الخرّس**»، وأيضاً ما نقل عن الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة: «**الصمت شعار المحبّين، وفيه رضا الربّ، وهو من أخلاق الأنبياء، وشعار الأصفياء**».

«وفي حديث البزنطي عنه عليه السلام: «**الصمت باب من أبواب الحكمة، وأنّه دليل على كلّ خير**»[2].

وصرّح بذلك العارف الإلٰهي السيّد الطهراني (قدّس سرّه) فقال: «وقد اهتمّ به عظماء الطريق كثيراً، وأمعنوا في توصية تلامذتهم به، سواء كان في العمل والأوراد والأذكار أم كان في الواردات والمكاشفات والحالات»[3].

---

(١) مواهب الرحمن: ٩/١٩٦.
(٢) رسالة لبّ الألباب: ١٠٧.
(٣) رسالة لبّ الألباب: ١١٠.

أساتذته (قدس سره)

من مظاهر العناية الإلهيّة بالسيّد السبزواري (قدّس سرّه): أن الله قد يسّر له أساتذة أكفّاء، نهل من علومهم واغترف من كوثرهم، فحصل على عصارة أفكارهم وخلاصة آرائهم.

كما منحه سبحانه وتعالى ذكاءً حادّاً، وحافظة قوية[١]، وعبقرية نادرة، فساعده كلّ ذلك على النبوغ والتفوّق والوصول إلى أعلى المراتب العلميّة.

١ــ أساتذته في خراسان:

١ـ الأديب النيسابوري الأول: المولود عام ١٢٨١هـ، والمتوفى عام ١٣٤٤هـ، وكان أستاذ العلوم الأدبية الأوّل في مشهد المقدّسة، وقد قرأ لديه السيّد السبزواري (قدّس سرّه) العلوم الأدبيّة[٢].

٢ـ آية الله الشيخ محمد حسن البرسي (قدّس سرّه): المتوفّى عام ١٣٤١هـ، وكان من خيرة الأساتذة المعروفين في مشهد المقدّسة، وقد

(١) نُقل عن السيّد الخوئي (قدّس سرّه) أنه قال: «ما من حديثٍ من الأحاديث المعصوميّة إلاّ والسيّد السبزواري (قدّس سرّه) حافظ له».

(٢) مشاهير مدفون در حرم رضوي: ٥٥.

قرأ عنده السيّد السبزواري (قدّس سرّه) الفقه والأصول[1].

٣ـ آية الله السيّد آقا بزرك الحكيم (قدّس سرّه): المتوفّى سنة ١٣٥٥هـ، وكان من مبرزي أساتذة الحوزة في مشهد المقدّسة[2].

٤ـ آية الله السيّد محمد الطهراني اللواساني (قدّس سرّه): والمعروف بـ (العصّار): المولود عام ١٦٥هـ، والمتوفى عام ١٣٥٦هـ، كان من تلامذة المحقّق صاحب الكفاية (قدّس سرّه) المجتهدين، ومن المؤلّفين المكثرين في الفقه والأصول والحكمة والأخلاق والتاريخ والكلام، ومن وجوه أساتذة حوزة مشهد العلمية[3].

وقد قرأ عندهما في الحكمة والفلسفة.

٥ـ آية الله الشيخ حسن عليّ الأصفهاني (قدّس سرّه)، والمشهور بـ (النخودكي): المولود عام ١٢٧٩هـ، والمتوفّى عام ١٣٦١هـ، وكان من تلامذة السيّد الفشاركي (قدّس سرّه) في العلوم العقلية والنقليّة، ومن تلامذة العارف الكبير السيّد مرتضى الكشميري (قدّس سرّه) في المعارف الإلهيّة[4].

وكانت لهذا الشيخ كرامات فوق حدّ العدّ والإحصاء، كما كانت له حالات غريبة ومكاشفات عجيبة تحتفظ بها ذاكرة السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، منها:

أنّ الشيخ الأصفهاني (قدّس سرّه) في أحد مجالس درس التفسير، كان يدرّس كتاب (الصافي) للفيض الكاشاني (قدّس سرّه)، فأغمض عينيه

(١) مشاهير مدفون در حرم رضوي: ٣٧٩.
(٢) مشاهير مدفون در حرم رضوي: ٤٥٩.
(٣) مشاهير مدفون در حرم رضوي: ٢٢١.
(٤) مشاهير مدفون در حرم رضوي: ٦٥.

أثناء الدرس، وكأنّه قد غطّ في نوم عميق، ولم يجرؤ أحد من تلامذته أن يوقظه، إلى أن مرّ وقت ليس بالقصير فتح عينيه وهو يردّد: «لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم»، واعتذر عن الدرس، فأراد أحد تلامذته معرفة سرّ هذه الحالة فلم يصرّح له بشيء.

يقول السيّد السبزواري (قدّس سرّه): «لمّا علمت بأنّ هذه الحالة خاضعة لبعض الأسرار الغيبيّة، صرتُ ألحّ عليه كثيراً لمعرفة السرّ، إلى أن أجابني فقال: إنّي في تلك الساعة ذهبت إلى النجف الأشرف لحضور تشييع جثمان أحد العلماء الصالحين».

يقول السيّد السبزواري (قدّس سرّه): «وكنّا في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، فبادرت إلى ورقة وكتبت اليوم والساعة بالتحديد.

ومرّ وقت على الحادثة، حتى جاء أحد المؤمنين من النجف الأشرف، فسألته عن يوم وفاة ذلك العالم ووقت تشييعه، فأفاد بأنّ يوم الوفاة ووقت التشييع هو نفس اليوم ونفس الوقت الذي ذكره الشيخ الأصفهاني (قدّس سرّه)[١].

ولعلّه (قدّس سرّه) يشير إلى هذه الحادثة، عندما تحدّث في بعض كلماته الشريفة عن حقيقة (خلع الروح) فقال: «وحينئذٍ يقدر العبد المجاهد المؤمن على الخلع واللبس، ومن حيث شروق نوره على هذا البدن يتحرّك البدن بقدر ذلك الشارق، ومع درك هذه المرتبة قد يصل إلى مرتبة جمع الجمع بأن يكثر بدنه، كما نُسب إلى بعض الأولياء عن وجودهم في زمان واحد في أمكنة متعدّدة، وقد رأينا بعض مشائخنا (رضوان الله تعالى عليه) ورآه بعض أصحابه في عين هذا البدن في محلّ آخر»[٢].

---

(١) جذوة مقتبسة: ١٤.

(٢) مواهب الرحمن: ٧/ ٧٣.

٢ـــ أساتذته في النجف الأشرف:

أولاً: في الفقه والأصول:

١ـ سماحة آية الله العظمى الشيخ أبو الحسن المشكيني (قدّس سرّه) (١٣٠٥ ـ ١٣٥٨هـ): فقيه أصولي نحرير، عالم متضلّع، شيخ جليل، مجتهد فاضل، من أساتذة الفقه والأصول، عُرف بالهدوء والسكينة، والتحقيق في العلم، والتثبت في الأمور العرفيّة، وهو أحد المدرّسين البارعين، حسن التقرير والبيان، وأكمل مقدّماته العلمية في أردبيل، وهاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٢٨هـ، وتتلمذ على الشيخ محمد كاظم الخراساني، والشيخ علي القوچاني، والميرزا محمد تقي الشيرازي، ثم اشتغل بالتدريس والتأليف والبحث، وبرع في تدريس علم الأصول، واجتمعت عليه حلقة من أهل الفضل والكمال، يملي عليهم فوائد جليلة ممّا أملوه عليه شيوخه.

له من المؤلّفات: حاشية العروة الوثقى، حاشية كفاية الأصول، حاشية المكاسب، الفوائد الرجالية، رسالة في الترتيب، رسالة في الرضاع، رسالة في المعنى الحرفي، وغيرها[١].

٢ـ سماحة آية الله العظمى الميرزا محمد حسين النائيني (قدّس سرّه): من كبار شيوخ الفقه والأصول، ومن أعاظم علماء الشيعة وأكابر المحقّقين، فقيه أصولي، من أئمّة التقليد والفتيا والمرجعية وزعماء الثورة، صاحب تحقيق وتدقيق، وله نظريّات سديدة في علم الأصول والفقه، متين في الحكمة والفلسفة، ربّى جمهرة من العلماء والفضلاء والمراجع، وغذّاهم بعلمه الغزير وأدبه الواسع.

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٣/ ١٢٠٤.

سلّمت إلى المرجعية بعد وفاة الشيخ محمد كاظم الخراساني (قدّس سرّه) صاحب الكفاية، ورجع إليه الكثير في التقليد من مختلف البلاد والأقطار، فنهض بأعباء الزعامة الروحيّة والقيادة الدينية.

إلى أن توفّي بعد اعتلال جسده وانهيار قواه في السادس والعشرين من شهر جمادى الأوّل عام ١٣٥٥هـ(١).

٣ـ سماحة آية الله العظمى الشيخ آقا ضياء الدين العراقي (قدّس سرّه): مجتهد محقّق من أكابر فقهاء العصر، ومراجع التقليد، وأساطين الفقه والأصول والتربية والأخلاق، وقد برع في الأصول حتى تخصص فيه، وأبدع وأصبح المدرّس الفذّ في النجف الأشرف في علم الأصول.

تتلمذ على الميرزا حسين الخليلي، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيّد محمد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، ونظرائهم في الفقه والأصول.

تتلمذ على الميرزا حسين الخيلي، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيّد محمد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، ونظرائهم في الفقه والأصول والرجال والحديث والحكمة والكلام.

ثم اشتغل بالتدريس بعد وفاة الشيخ الخراساني، وذاع اسمه، والتفّ حوله كثير من طلاّب العلوم، وأقبلوا عليه إقبالاً واضحاً؛ لما امتاز به من حسن الإلقاء، وعذوبة المنطق، وتخرّج عليه الكثير من الأعلام، ورجع الناس إليه في التقليد، وواصل جهاده الفكري إلى أن توفّي في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٣٦١هـ(٢).

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٣/ ١٢٦١.
(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٢/ ٨٨٦.

٤ـ سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني (قدّس سرّه): من أعاظم الفقهاء والمحقّقين، وكبار المجتهدين، وأجلاّء الفلاسفة المتألّهين، حكيم متبحّر، وأستاذ نحرير، وشاعر مبدع في اللغتين العربية والفارسية.

هاجر إلى النجف الأشرف، وتتلمذ على الشيخ حسن التوسركاني، والسيّد محمد الفشاركي، والشيخ آقا رضا الهمداني، والشيخ محمد كاظم الخراساني (قدّس سرّه)، فحصل على قسط وافر وعلوم جمّة، وأصبح يشار إليه بالبنان، وعرف بالنبل وإتقان الفلسفة، وعدّ من كبار أساتذة النجف، واستقلّ بالتدريس، وكان جامعاً للكلام والتفسير والحكمة والتاريخ والعرفان والأدب، إلى جانب الورع والتقوى والزهد، مع ضيق الحال وشدّته. ولقد امتاز شعره في اللغتين ببراعة وسلاسة ومتانة ودقّة ونبوغ وعبقريّة.

وبقي يزاول نشاطه الفكري إلى أن توفّي عام ١٣٦١هـ[١].

٥ـ سماحة آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني (قدّس سرّه): أُصولي، وعالم كبير، وشخصية فذّة، وعبقرية نادرة، استقلّ بالرئاسة الدينيّة والمرجعيّة الكبرى، وتولّى أعباءها، وطبقت شهرته الآفاق، وأصبح مفتي الشيعة في كافّة الأقطار الإسلامية من غير منازع.

تتلمذ على الشيخ محمد كاظم الخراساني، والشيخ موسى كاشف الغطاء، والميرزا حبيب الله الرشتي (قدّس سرّه)، وتوفّي على أثر مرض لازمه مدة عام ١٣٦٥هـ[٢].

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/ ١٣٤.
(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/ ١٢٩.

ثانياً: أساتذته في الفلسفة والعرفان:

١ـ سماحة آية الله العظمى السيّد حسين اللاهيجي البادكوبي (قدّس سرّه): من أجلّ الفقهاء، وأفاضل الحكماء والفلاسفة، ومن أساتذة الفقه والأُصول والحكمة والسير والسلوك.

هاجر إلى النجف الأشرف، وتخرّج على شيوخها، وسطع نجمه في الأوساط العلميّة، واستقلّ بالبحث والتدريس لغزارة علمه وكثرة فضله، واشتهر بالفلسفة والعلوم العقليّة، وعرف بالخبرة والمهارة، والتحقيق والتدقيق، وتخرّج على يديه جمع من الأفاضل حتى توفي عام ١٣٥٨هـ[١].

٢ـ سماحة آية الله العظمى السيّد علي القاضي الطباطبائي التبريزي (قدّس سرّه): عالم كامل، مجتهد جليل، مفسّر فقيه، محدّث أخلاقي، ورع فاضل. ولد في تبريز، وأخذ المقدّمات من والده وفضلاء عصره، وفي عام ١٣١٣هـ هاجر إلى النجف الأشرف، فحضر على المولى الفاضل الشربياني، والشيخ محمد حسن المامقاني، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والميرزا حسين الخليلي ﷺ، وتضلّع في العرفان والتفسير.

وكان من رجال الأخق، وتهذيب النفس، وتخرّج على يديه جمع كبير من الأعلام، كما كان موضع تبقدير وإكبار كافّة الطبقات في النجف، وأقام فيها إلى أن توفّي في السادس من ربيع الأول عام ١٣٦٦هـ[٢].

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/ ١٩٨.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٣/ ٩٦٦.

ثالثاً: أساتذته في علوم القرآن:

سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد جواد البلاغي (قدّس سرّه):
فقيه كبير، ومجتهد مجاهد، وعالم نحرير، وعابد زاهد، وناسك ورع، ومؤلّف خبير، متضلّع في العقائد، وهو صاحب اليراع المقدّ الذي سبح في بحار العلوم، ودحض شُبه الماديين والطبيعيين، وكان إلى جانب هذه القيم شاعراً مجيداً، وأديباً عبقرياً، خدم الشريعة والرسالة الحنيفة.

وخدم الإنسانية بقلمه السيّال، ولسانه المنيع، وبكلّ قواه، وذاعت مؤلّفاته واحتلّت خزائن الكتب في الخافقين، وأفنى عمره مناضلاً مجاهداً إلى أن توفّي في شعبان عام ١٣٥٢هـ[١].

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/ ٢٥٣.

تلامذته[1]

مدرسة السيّد السبزواري (قدّس سرّه) على مدى خمسة عقود متوالية خرّجت كوكبة من كبار الفقهاء والمجتهدين، والفضلاء المحققين، والذين أخذوا على عاتقهم مواصلة المسيرة الفكريّة والدرب الحافل بالبذل والعطاء والتضحية لخدمة الإسلام والدين والمجتمع.

وبعضهم اليوم يُعدّ من أساتذة الحوزات العلميّة في ا لنجف الأشرف وقم المقدسة، بل بعضهم يحمل الكفاءة والجدارة العلمية التي تؤهّله للقيام بمسؤولية المرجعية والقيادة.

وها هنا نذكر بعض أولئك العباقرة الذين خرّجهم منبر الإمام السبزواري (قدّس سرّه):

١ـ سماحة الشيخ محمد علي التوحيدي التبريزي (قدّس سرّه): مجتهد، فاضل، محقّق، عالم جليل، من أساتذة الفقه والأصول، ثقه،

---

(١) لا يخفى أنّ من ذكرناهم هنا إنّما هم بعض تلامذة السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، إذ من الواضح أنّ استقراءهم جميعاً يكاد أن يكون من الأمور المتعسّرة عادة، كما أنّه يجدر الالتفات إلى أنّ مصادر تراجم تلامذته (قدّس سرّه) التي اعتمدناها لم نعتمدها في أصل نسبة التلمذة، لأنّ بعضها قد أغفل ذلك، وإنّما كان اعتمادنا بالدرجة الأولى على نقل الثقات العارفين.

ورع، زاهد، طيّب الأخلاق والسيرة، حسن الحديث، كان محترماً لدى العلماء والفضلاء، تلمذ على يد السيّد أبو القاسم الخوئي (قدّس سرّه)، والسيّد عبد الأعلى السبزواري (قدّس سرّه). توفّي عام ١٣٩٥هـ في مدينة قم المقدّسة.

له من المؤلّفات:

١ـ مصباح الفقاهة (١ ـ ٧).

٢ـ حاشية الكفاية.

٣ـ الطهارة في شرح العروة الوثقى.

٤ـ تفسير القرآن الكريم (١ ـ ٢).

٥ـ حاشية منظومة السبزواري[1].

٢ـ سماحة السيّد عبد الكريم الكشميري (قدّس سرّه): عالم رباني، وعارف إلهي، وحكيم أخلاقي. وُلدَ في مدينة النجف الأشرف عام ١٣٤٣هـ، وفيها نشأ وترعرع تحت رعاية والده المقدّس، فأخذ به إلى طريق العلم والمعرفة في مرحلة مبكّرة من عمره.

وقد استفاد في علمي الفقه والأصول من أساطين الحوزة النجفيّة الشريفة، كالسيدين العَلمين: الخوئي والسبزواري (قدّس سرّه)، حتى عدّ من مبرزي أساتذة السطوح العليا المتمكّنين، كما استفاد في علم العرفان من أساتذة السلوك الشامخين، كالعارف الأخلاقي الكبير الشيخ مرتضى الطالقاني (قدّس سرّه)، الذي لازمه على مدى عشر سنوات متواصلة ملازمة الظلّ لذي الظلّ، حتى وصل على يديه إلى أرقى منازل السير

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/ ٣٢٣.

والسلوك، وصار من وجوه العرفاء في زماننا هذا، ولم يزل في النجف الأشرف حتى طالته حملة التفسير الظالمة، فهاجر إلى قم المقدّسة، وبقي فيها حتّى لحق بالرفيق الأعلى عام ١٤١٩هـ.

وقد خرج عن قلمه الشريف:

١ـ المحاضرات الأخلاقيّة (تقريراً لمحاضرات العارف الكبير الطالقاني (قدّس سرّه)).

٢ـ تقريرات أبحاث المحقّق الخوئي (قدّس سرّه).

٣ـ شرح كفاية الأصول، وقد قرّضه السيّدان المحقّقان: الخوئي والميلاني (قدّس سرّه).

٤ـ ديوان شعر باللغة العربية[١].

٥ـ سماحة الشيخ محمد صادق الكاشمري النجفي السعيدي (قدّس سرّه): عالم فاضل، مجتهد، جليل، متتبّع، محقّق، من أساتذة الفقه والأصول والتفسير، ورع صالح، خيّر متواضع. ولد في «كاشمر» سنة ١٣٥٢(قدّس سرّه)، وأخذ الأوّليات ومقدّمات العلوم في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وفي عام ١٣٥٧هـ هاجر إلى النجف الأشرف وتتلمذ على الميرزا محمد باقر ا لزنجاني، والسيّد الخوئي، والسيّد عبد الأعلى السبزواري.

وفي عام ١٣٨٤هـ عاد إلى مشهد وتصدّى للتدريس والبحث والدعوة والتوجيه، وإدارة الحوزة العلمية، وأقبلت عليه كافّة الطبقات لإخلاصه وقدسه وورعه وفضله.

---

(١) لسان الصدق: ٩ ـ ٢١.

له من المؤلّفات:

١ـ تقريرات أبحاث السيّد الخوئي في الفقه والأصول.

٢ـ كتابات في التفسير والحديث[١].

وقد تشرّفتُ بزيارة هذا الشيخ (قدّس سرّه) لعدّة مرات في مدرسته العلمية (حوزة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام) في مشهد المقدّسة، فوجدته آية في الأخلاق والتواضع لم أرَ لها نظيراً حتى الآن، ولكنّ حياة هذا الرجل العظيم لم تدم طويلاً، فقد داهمه المرض في أواخر حياته، وبقي ملازماً له حتى انتقل إلى جوار ربّه تعالى في ثاني يوم الغدير الأغرّ من عام ١٤١٦هـ، وقد فاجأني خبر رحيله وأنا أعتزم السفر من مشهد المقدّسة إلى قم المشرّفة، فأبّنته بمقطوعة شعرية وأنا على متن الطائرة، وإليكها:

التلبية الأخيرة

حينما يرجع الحجيجُ من الحجّ
يلبّونَ أروعَ التلبياتِ
أنت تطوي الجنان قصراً فقصراً
وتلبّي بأعذب الكلمات
يحتضن روحك النبي ويحنو
بذراعيه ضامنُ الجنّاتِ
والإمامُ الزكيّ يمنحك الخلدَ
ويهديكَ باقة الحسناتِ
ونمير الغدير يروي صداك
المتلظّي بأنعش الشرباتِ

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٢/ ٦٧٦.

وشــعــاع الــقــرآن يــزهــو بــجــنــبــيــك
ويــمــتــدّ فــي ذرى الــمــشــكــاةِ

* * *

أنــت يــا روعــة الــمــكــارم نــبــعٌ
حــســنــي يــفــيــض بــالــمــكــرمــاتِ
أنــت نــبــع الأخــلاق لــم تُــرَ إلاّ
بــاســم الــثــغــر مــشــرق الــوجــنــات
لــمــلــمــت خــطــوك الــقــيــود ولــكــن
لــم تــلــمــلــم أخــلاقــك الــســامــيــات
إن تــؤاذىٰ تــصــفــح وإن طــفــح
الــكــيــلُ تــحــدّيــت أصــعــب الــكــربــاتِ
هــكــذا كــنــت فــي مــعــالــيــك فــرداً
كــيــف تــرويــك ريــشــتــي ودواتــي

٤ـ سماحة الشيخ محمد الرحمتي السيرجاني (دامت فوائده):

المولود عام ١٣٥٠هـ تقريباً، من خيرة الأساتذة والمدرّسين في حوزة قم المقدّسة، هاجر إلى النجف وحضر على كبار أساتذتها، كالسيّد الخوئي والسيّد الشاهرودي والسيد الحكيم هـ، ونهل من علومهم، حتى أُجيز بالاجتهاد من قِبل جماعة منهم، كالسيّد الشاهرودي والسيّد البجنوردي والسيّد الحمامي (قدّس سرّه، ثم عاد إلى مدينة قم المقدّسة مدرّساً ومؤلّفاً عام ١٣٩٦هـ، فصدر عن قلمه: كتاب الحدود (في مجلدين)، وكتاب القصاص (في مجلّدين)، وإنجاز العدات في أحكام الديّات، ورسالة عملية في (مناسك الحجّ)، وإرث المنهاج، وغير ذلك[١].

---

(١) يادنامه حضرت آية الله العظمى القائيني: ١٧.

٥ـ سماحة الشيخ قربان عليّ المعروف بالمحقّق الكابلي (دام ظلّه):

المولود عام ١٣٤٩هـ تقريباً في إحدى قرى كابل، وقد نشأ فيها وأخذ المقدّمات عند أساتذتها، ومنها هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٧٤هـ تقريباً، فاستفاد من محضر كبار أساتذتها، كالسيّد السبزواري والميرزا كاظم التبريزي والشيخ محمد تقي آل راضي والشيخ صدر البادكوبي والشيخ مجتبى اللنكراني والشيخ عباس القوجاني (قدّس سرّه)، ثم حضر الأبحاث العالية عند أعاظم مدرّسيها، كالسيّدين: الحكيم والخوئي (قدّس سرّه)، والشيخ حسين الحلّي والميرزا باقر الزنجاني والسيّد الحمامي (قدّس سرّه).

وبعد عشرين سنة قضاها مجاوراً لمثوى سيد الموحّدين عليه السلام، رجع إلى مسقط رأسه، ومكث فيه لمدجة سبع سنوات مشتغلاً بالبحث والتدريس ومعالجة مشاكل المجتمع، ثم غادره متوجّهاً إلى قم المقدّسة، وبقي فيها ـ ولا زال ـ أُستاذاً للدراسات العليا المعروفة بأبحاث الخارج.

وقد خرج عن قلمه:

١ـ كتاب الخمس.

٢ـ المباحث الفقهية (١ ـ ٣).

٣ـ وظيفة القضاة.

٤ـ تحرير العروة الوثقى.

٥ـ مناسك الحجّ.

٦ـ توضيح المسائل[1].

---

(١) الترجمة مقتبسة من موقعه على الإنترنت.

٦ـ سماحة الشيخ محمد رضا الجعفري (دام ظلّه): عالم جليل، وبحّاثة محقّق، ومتكلّم بارع. وُلد في مدينة لانجف الأشرف عام ١٣٥٠هـ في عائلة مشهورة بالعلم والفضيلة، وأخذ فيها مقدّمات العلوم والسطوح العليا عند فضلاء الحوزة العلمية، ثم حضر في الفقه والأُصول عند السيّدين: الخوئي والروحاني (قدّس سرّه) حتى صار من مبرّزي تلامذتهما وخواصهما، وحضر في الحكمة عند السيّد السبزواري (قدّس سرّه).

ولمّا تشكّلت جماعة العلماء سنة ١٣٧٩هـ، واستقرّ في طهران، حتى هاجر منها قبل سنوات قريبة وألقى برحله في قم المقدّسة مدرّساً ومؤلّفاً، وهو الآن مشغول بإعداد مؤلفاته القيّمة، سيما في الكلام والتاريخ لترى النور قريباً إن شاء تعالى.

وحريّ بنا أن نختم هذه الترجمة المختصرة بما قاله فيه صديقه الخاص المحقق السيّد عبد العزيز الطباطبائي (قدّس سرّه)، حيث نقل عنه قوله: «ولا أراني مغالياً إذا قلت لا أعرف له اليوم نظيراً في علمائنا، في سعة الاطّلاع، وتشعّب المعلومات، وكثرة المحفوظات».

٧ـ سماحة السيّد عبد الصاحب الحكيم (قدّس سرّه): عالم مجتهد جليل، من أعلام الفضل والدين والأخلاق والمعرفة[1].

ولد في النجف الأشرف عام ١٣٦١هـ، وتتلمذ فيها على أفاضل تلامذة والده، وسار بتفوّق مستمرّ حتى حضر الدراسات العليا عند السيّدين: الخوئي والروحاني (قدّس سرّهما) واختصّ بالأخير منهما، فقرّر أبحاثه الشريفة في القفه والأُصول، فكان كتابه (منتقى الأصول) من أهمّ الموسوعات الأصولية في الفترة الأخيرة.

(١) الترجمة المستقاة من مقدّمة كتاب (منتقى الأُصول).

وقد قام بتدريس السطح العالي (المكاسب والرسائل والكفاية) سبع دورات متتالية، ثم شرع في تدريس البحث الخارج فقهاً وأُصولاً عام ١٣٩٩هـ، واستمرّ فيه حتى اعتُقل من قِبل ا لنظام البعثي البائد، وقد بلغ في الأصول إلى مسألة حجّية خبر الواحد، وأتمّ من الفقه كتاب الاجتهاد والتقليد والطهارة، وبقي رهن الاعتقال حتى قُتل مظلوماً مع خمسة من أسرته عام ١٤٠٣هـ[1].

٨ـ سماحة السيّد محمد الفيروزآبادي (قدّس سرّه): نجل سماحة آية الله العظمى السيّد مرتضى الفيروزآبادي (قدّس سرّه) صاحب الكتاب المشهور «عناية الأصول»، عالم جليل، ومدرّس قدير. وُلد عام ١٣٤٩هـ في مدينة النجف الأشرف، وأخذ فيها مقدمات العلوم ودروس السطح العالي على يد كبار مدرّسيها، ثم حضر الأبحاث العالية عند أساطين الفقه والأصول، كالسيّد الحكيم والسيّد عبد الهادي الشيرازي والسيّد البجنوردي والسيّد الخوئي (قدّس سرّه)، كما استفاد في العلوم العقليّة من محضر السيّد السبزواري (قدّس سرّه).

وبقي في النجف الأشرف حتى هُجّر منها عام ١٣٩١هـ، فقصد قم المقدّسة، ولكنّه لم يبرح فيها طويلاً، حيث غادرها إلى مدينة الريّ، وعلى إثر وعكة صحّية غادرها هي الأخرى إلى منطقة (شميرانات)، وكان في جميع تنقّلاته مشتغلاً بالبحث والتدرس والكتابة وصلاة الجماعة، حتى توفّي عام ١٤١٥(قدّس سرّه).

وقد خرج من مؤلّفاته:

١ـ كفاية المفسّرين في تفسير القرآن المبين.

---

(١) عدّه من تلامذة السيّد (قدّس سرّه) السيّد حسين نجيب محمد في كتابه (جمال السالكين: ٢٣)، وأكّد لي ذلك نجله السيّد علي حفظه الله.

٢ـ ذخائر العقبى في شرح العروة الوثقى.

٣ـ منتهى العناية في شرح الكفاية، وغيرها[١].

٩ـ سماحة السيّد محمد كلانتر (قدّس سرّه): عالم فاضل، ومؤلّف جليل، ومتتبّع خبير، وكاتب محقّق. ولد في النجف الأشرف عام ١٣٤٣(قدّس سرّه)، وقرأ مقدمات العلوم والأوّليات، ثم حضر على أقطاب الحوزة، كالسيّد الخوئي والسيّد السبزواري (قدّس سرّه)، وتولّى عمادة «جامعة النجف الأشرف الدينيّة» التي أسّسها في حي السعد، وهي من أوسع وأضخم مدارس النجف الدينية، وقام بإدارتها[٢].

له من المؤلفات:

١ـ دراسات في أُصول الفقه (١ ـ ٣)، وهو من خيرة الشروح النافعة لكتاب (كفاية الأصول).

٢ـ الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة (١ ـ ١٠).

٣ـ شرح المكاسب (١ ـ ١٧).

٤ـ البداء.

٥ـ شرح دعاء الصباح، وهو آخر ما طبع له هـ.

١٠ـ سماحة الشيخ محمد آصف المحسني: عالم، فاضل، متتبّع، محقّق.

ولد في مدينة (قندهار) في أفغانستان عام ١٣٥٢هـ، وأخذ فيها دراسته الأولية، ثم هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٧٣هـ، فحضر عند كبار أساتذتها، كآية الله العظمى السيّد الخوئي (قدّس سرّه)، وآية الله

---

(١) منتهى العناية في شرح الكفاية: المقدّمة.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٣/ ١٠٨٩.

العظمى السيّد الحكيم (قدّس سرّه)، وآية الله العظمى الشيخ حسين الحلّي (قدّس سرّه)، وآية الله العظمى الميرزا باقر الزنجاني (قدّس سرّه)، وآية الله العظمى السيّد عبد الأعلى السبزواري (قدّس سرّه)، حتى وصل إلى المراتب العليا في الفقه والأصول.

له من المؤلفات:

١ـ حدود الشريعة (١ ـ ٤).

٢ـ بحوث في علم الرجال.

٣ـ صراط الحقّ (١ ـ ٣).

٤ـ فوائد رجالية[١].

وآخر ما صدر عن قلمه كتاب (مشرعة البحار)، وقد أحدث هذا الكتاب ضجّة كبيرة في أوساط الحوزة العلميّة؛ لأنّه اعتبر مشروع إسقاط المئات، بل الآلاف، من الروايات الشريفة، وليت المترجم قد كتب بدلاً عنه كتاباً يحاول فيه تصحيح الروايات من خلال إقامة القرائن الخارجيّة على صحّتها، عوضاً عن إسقاطها والإعراض عنها، فإنّه لو فعل ذلك لكان قد أسدى للتشيّع خدمة كبيرة لا يمكن أن تقدّر.

١١ـ سماحة الشيخ غلام رضا عرفانيان (دام ظلّه): عالم متتبّع، فاضل، محقّق جليل، كثير البحث والتأليف، ومن ذوي الخبرة في الرجال والأحاديث.

ولد عام ١٣٤٩هـ، وأخذ المقدّمات والسطوح من فضلاء عصره، وهاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٧٥هـ، وواصل الدراسة وطلب

(١) أفغانستان/ الشيخ حسين الفاضلي: ٢٨١. بحوث في علم الرجال: ٥٢٤،

العلم، فحضر على السيّد الحكيم، والسيّد الخوئي، والسيّد السبزواري، والشيخ محمد رضا المظفّر (قدّس سرّه)، واشتغل بالبحث والتأليف، والتتبّع والمباحثة، إلى جانب التواضع وكرم الأخلاق، هاجر إلى قم إثر تهجير الإيرانيين عام ١٣٩٨هـ، ومنها إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

له من المؤلّفات:

١ـ الثقات في أسانيد كتاب كامل الزيارات.

٢ـ صلاة الليل.

٣ـ الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد، وهو تقرير لبحث المحقق الخوئي (قدّس سرّه).

٤ـ المغانم الحسنى في شرح العروة الوثقى.

٥ـ تتمّة كتاب (أُصول الفقه) للشيخ المظفّر (قدّس سرّه)[1].

١٢ـ سماحة السيّد عبد العزيز الطباطبائي (قدّس سرّه): عالم فاضل، بحّاثة محقق، من أعلام المتتبّعين والمحققين، ومن أهل الورع والتقوى.

ولد في الحادي والعشرين من جمادى الثاني عام ١٣٤٨هـ في مدينة النجف الأشرف، وتتلمذ على أيدي كبار علماء النجف، كالسيّد هاشم الطهراني، والسيّد عبد الأعلى السبزواري، والشيخ البادكوبي، والسيّد عليّ الفاني، وحضر الدروس العليا عند السيّد الخوئي، والسيّد عبد الهادي الشيرازي (قدّس سرّه).

وتردّد خلال هذه الفترة على العلَمين العملاقَين الشيخين: آقا بزرك

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٢/ ٨٩٠.

الطهراني صاحب الذريعة، والشيخ الأميني صاحب الغدير، ولازمهما طوال ربع قرن، واستفاد منهما كثيراً في مجال تخصّصهما، فاتّبع أثرهما، ومن خلال هذه الملازمة أصبحت له خبرة واسعة بالكتاب الإسلامي، مخطوطه ومطبوعه، وأماكن وجوده؛ إذ سافر سماحته إلى الكثير من البلاد التي فيها خزانات المخطوطات، كالأردن وسوريا ولبنان وتركيا وبريطانيا والولايات المتّحدة، وعمل كثيراً على إخراجها ووضع الفهارس لها، كما استدرك على موسوعة (الذريعة).

وفي عام ١٣٩٦هـ هاجر إلى قم المقدّسة، وواصل جهاده العلمي من أجل إحياء التراث الإسلامي حتى توفّي في شهر رمضان عام ١٤١٦هـ.

له من المؤلّفات:

١ـ الغدير في التراث الإسلامي.

٢ـ أضواء على الذريعة.

٣ـ نهج البلاغة عبر القرون.

٤ـ معجم أعلام الشيعة (المهدي في السّنة النبوية)، وغيرها[١].

١٣ـ سماحة الشيخ حسين الراستي الكاشاني (حفظه الله):

ولد في مدينة كاشان عام ١٣٤٨هـ، وأخذ فيها المقدّمات على أيدي فضلائها، ثم هاجر إلى قم المقدسة وحضر السطوح العليا عند كبار أساتذتها آنذاك، كالسيّد المرعشي والعلاّمة الطباطبائي (قدّس سرّهما)، وبعدها هاجر إلى النجف الأشرف ونهل من عمالقة مدرّسيها في

---

(١) مرآة الكتب ـ العدد ١٧ : ٣٢.

الدراسات العليا، كالمحقّق الخوئي والميرزا باقر الزنجاني والسيّد الخميني (قدّس سرّه)، واستفاد في علم الحديث والحكمة من محضر السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، وبعد عودته إلى قم المقدّسة أصبح عضواً في جماعة مدرّسي الحوزة العلمية فيها.

١٤ـ سماحة الأستاذ الشيخ حسنين الباكستاني النجفي (دام ظلّه): عالم جليل، من أساتذة المعقول والمنقول في النجف الأشرف.

ولد عام ١٩٤٢م في محافظة «اسكاردو» من مقاطعة «جموكشمير» المتنازع عليها حالياً بين حكومتي الهند والباكستان.

وفيها تعلّم القراءة والكتابة، وأخذ بعض المقدّمات على يد والدته ووالده الشيخ علي، الذي كان من أبرز علماء تلك المنطقة.

إلاّ أنّه طلباً لتحقيق طموحاته العالية هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٩٦٣م، فأخذ عند أساتذتها ما تبقّى من المقدّمات والسطوح، ثم حضر الأبحاث العليا عند كبار أساتذتها، كالسيّد الخوئي والسبزواري والصدر (قدّس سرّه)، حتى استقلّ بالتدريس معتمداً على جهده النفسي، فكان من مبرزي أساتذة الحوزة في الفترة الأخيرة، ولم يزل بها حتى أُلزم بالخروج منها من قِبل بعض الجهات، فهاجر منها قبل فترة قريبة إلى قمّ المقدّسة، ولا زال فيها مشغولاً بالتدريس والتأليف، وقد خرج من قلمه العديد من المؤلّفات، ومن أهمّها شرحه على كتاب (التجريد).

١٥ـ سماحة السيّد محمد جواد فضل الله (قدّس سرّه): عالم جليل، وشاعر رقيق مجيد. ولد في النجف الأشرف عام ١٣٥٧هـ، وقرأ على والده المقدّس السيّد عبد الرؤوف فضل الله (قدّس سرّه)، ثم حضر أبحاث الخارج على عمالقة البحث آنذاك، كالمحقق الخوئي والشيخ

الحلي والسيّد السبزواري والسيّد الروحاني (قدّس سرّه).

يقول عنه الأميني (قدّس سرّه): «زاملته سنين طويلة، وما شاهدت منه غير الأدب والفضل والكمال».

وفي السنّي الأخيرة من عمره رجع إلى لبنان وأقام فيها إلى أن داهمه المرض، فتوفّي على أثره عام ١٣٩٥هـ، تاركاً وراءه مؤلّفات ثمينة، منها: صلح الإمام الحسن عليه السلام، وحياة الإمام الرضا عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام، وغيرها(١).

١٦ـ سماحة السيّد إبراهيم الموسوي الزنجاني (قدّس سرّه): عالم جليل، ومؤلّف فاضل، عبّر عنه فخر الطائفة السيّد الخوئفي (قدّس سرّه) في مقدمة كتاب المترجم (عقائد الإماميّة) بـ (جناب العلاّمة، ركن الإسلام، عماد العلماء الأعلام والفضلاء الكرام).

كثير البحث والمطالعة، والتجوال والحركة، والاختلاف إلى المجالس والأندية، ومن رجال الوعظ والإرشاد والهداية، هاجر إلى النجف الأشرف وأخذ عن أساتذتها، كالسيّد الحكيم، والسيّد الخوئي، والسيّد عبد ا لهادي الشيرازي، والسيّد السبزواري (قدّس سرّه)(٢).

له من المؤلّفات:

١ـ مدارك العروة الوثقى.

٢ـ أحسن التقارير في أصول الفقه (١ ـ ٤).

٣ـ بداية الفلسفة.

٤ـ نهاية الفلسفة.

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٢/ ٩٤٤.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٢/ ٦٤٣.

٥ـ شرح التجريد.

٦ـ بداية الأصول.

٧ـ عقائد الإمامية (١ ـ ٣).

١٧ـ سماحة السيّد محمد مهدي البجنوردي: المولود عام ١٣٥٣هـ، عالم فاضل، من أجلاّء الفضلاء والعلماء، وفي طليعة المشتغلين المثابرين، حضر على يد والده سماحة آية الله العظمى السيّد حسن البجنوري (قدّس سرّه)، وكذا على يد الآيتين العظميين: سماحة الشيخ حسين الحلّي، وسماحة السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، وبقي في النجف الأشرف مفيداً ومستفيداً، إلى أن طالته حملة التسفير الغاشمة فغادرها إلى طهران واستقرّ فيها، وهو إلى جانب ذلك كان يحمل ملكات نفسية فاضلة، برزت في تواضعه ورحابة صدره وحُسن خلقه.

له من المؤلّفات:

١ـ مباحث الألفاظ.

٢ـ تقريرات الأصول، من بحوث والده (قدّس سرّه).

٣ـ تقريرات الطهارة، من بحوث الشيخ الحلّي (قدّس سرّه)[1].

١٨ـ سماحة السيّد علاء الدين الغريفي (حفظه الله):

المولود في بغداد عام ١٣٦٥هـ، وفيها أخذ مقدمات العلوم والسطوح العليا على يد فضلائها المعروفين، كالسيّد مسلم الحلّي (قدّس سرّه)، ثم هاجر منها إلى النجف الأشرف فحضر على أساطين أساتذتها، كالمحقّق الخوئي والسيّد السبزواري (قدّس سرّه)، وغيرهما، وله

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/ ٢٠٢.

مؤلّفات عديدة، منها: غنية المتّقين في أحكام الدين، وفضائل القرآن وعلومه، وغيرهما، وأغلب مؤلّفاته فتوائية[1].

١٩ـ سماحة السيّد جمال الدين الأسترآبادي (دام ظله): فاضل جليل، عالم محقّق، أديب ورع، من أجلاّء الفضلاء وأعلام المتتبّعين.

ولد في طهران عام ١٣٥٣هـ، وهاجر إلى النجف الأشرف، وأكبّ على البحث والدرس والتأليف والمطالعة، تتلمذ على السيّد عبد الأعلى السبزواري (قدّس سرّه)، ثم عاد إلى طهران مواصلاً مسيرته العلمية.

له من المؤلّفات:

المحجّة العظمى في شرح العروة الوثقى، تقريراً لأبحاث السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، وقد طُبع منه مجلدٌ في الصلاة، مزيّناً بتقريض من السيّد (قدّس سرّه)، جاء فيه: «وبعد، فإنّ جناب العالم الفاضل، عماد الأعلام، ثقة الإسلام والمسلمين، الحاج السيّد جمال الدين الأسترآبادي ـ دامت تأييداته ـ قد جمع جملة وافية من أبحاثنا الفقهيّة والأُصوليّة، وقد رأيت ما ضبطه وجمعه، فرأيته قد أتبع فيه نفسه، وسهر ليله...».

٢ـ شرح الكفاية (١ ـ ٢).

٣ـ المحصول في فنّ الأصول[2].

٢٠ـ سماحة الشيخ منصور البيّات القطيفي (قدّس سرّه): عالم جليل، فاضل كامل، كاتب متتبّع، شاعر مقل، من علماء القطيف وفضلائها، يعيش سلوكاً خاصّاً في ورعه وتقواه وتعلّقه الشديد بمأساة

---

(١) الترجمة مستقاة من موقعه على الإنترنت.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/١١٨.

الحسين عليه السلام، يحكي به سلوك قدماء علماء الطائفة.

ولد في القطيف عام ١٣٢٥هـ، وأخذ فيها مقدّمات العلوم وقسماً من السطوح على يد بعض علمائها، كالشيخ عليّ الجشي، والشيخ فرج العمران (قدّس سرّهما)، ومن ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وهناك أتمّ السطوح على يد بعض علمائها، كالسيّد محمد جمال الهاشمي، والسيّد محمد حسين الحكيم (قدّس سرّهما)، وحضر الأبحاث العليا في الفقه والأصول عند السيّد الحكيم، والسيّد الخوئي والسيّد السبزواري (قدّس سرّه)، واختصّ بهذا الأخير حتّى أُجيز منه بالاجتهاد.

وهو مع ذلك مكفوف البصر، إلاّ أنّ عزمه وإصراره وجدّه واجتهاده صهره في العلم والمعرفة، بين درس وتدريس، وبحث وتأليف، حتى رجع إلى مسقط رأسه عالماً جليلاً عام ١٤٠٠هـ، واشتغل بالإمامة والجماعة والوعظ والإرشاد والهداية والتأليف.

له من المؤلّفات:

موسوعة (النظرات)، وهي موسوعة علمية متضمّنة للكثير من البحوث الجيدة منها:

١ـ النظرة الفقهية (١ ـ ٣).

٢ـ النظرة الحسينيّة.

٣ـ النظرة العلويّة.

٤ـ النظرة النفسيّة.

٥ـ النظرة الرشيدة.

٦ـ النظرة الأزلية (١ ـ ٣).

٧ـ النظرة الروحانيّة.

٨ـ النظرة الميثاقية.

٩ـ النظرة التوحيدية.

١٠ـ النظرة العدلية (١ ـ ٢).

١١ـ النظرة الشرعيّة في اللعقة الرحميّة.

١٢ـ النظرة العلمية في دفع الإشكال عن النظرة الحسينيّة.

١٣ـ النظرة الظالميّة.

وما زال يثري القطيف بعطائه الروحي والمعرفي، حتى انتقل إلى جوار ربه عام ١٤٢٠هـ، فشيّع تشييعاً باهراً، ودفن في مقبرة القطيف العامّة المعروفة بالحباكة.

وقد رثيته بقصيدة، كما أرّخته بقولي:

إلى النعيم والجنان العالية
هاجر سيّد العيون الباكية
لمن بكى على الحسين لحظةً
بيت بجنّة الخلود الباقية
فكم لمن بكاه طول عمره
من البيوت والقصور الزاهية
بدمعه (المنصور) أرخه: **نجا**
لصدره ضمّ الحسينُ باكيه

٢١ـ سماحة السيّد جلال الدين اليزدي: من مبرزي تلامذة السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، ومقرّري أبحاثه الشريفة، وقد طَبَع تقريراته حول كتاب الخمس تحت عنوان «المحجّة العليا في شرح العروة الوثقى» في

مجلّد واحد، يتصدّره تقريض من أستاذه السبزواري (قدّس سرّه) جاء فيه: وممّن شملته العناية، السيّد السند، والثقة المعتمد، ثقة الإسلام، الحاج السيّد جلال الدين الموسوي اليزدي (دامت تأييداته)، فضبط ما نقّحه العبد القاصر بين أوراق ذخائره، ثم أبرزه للطبع والنشر، جزاه الله تعالى خيراً، ورفعل له ذكراً.

٢٢ـ سماحة الشيخ طالب الخليل (قدّس سرّه) المولود في الغبيري من ضواحي بيروت عام ١٣٦١هـ، ومنها هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٨٨هـ، فأخذ فيها مقدّمات العلوم على يد ثلّةٍ من أساتذتها، كالسيّد جمال الخوئي والسيّد محيي الدين الغريفي والشيخ محمد تقي الأيرواني والسيّد محمد حسين الحكيم (قدّس سرّه)، ثم حضر الدراسات العليا عند السيّد الشهيد الصدر والسيّد نصر الله المستنبط والسيد السبزواري والسيّد الخوئي (قدّس سرّه)، حتى اعتقل عام ١٤١١هـ فانقطعت أخباره في سجون طاغية العراق، وقضى فيها شهيداً.

وله من الكتابات:

١ـ وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ـ شرح الباب الحادي عشر[١].

٢٣ـ سماحة الشيخ نور الدين الواعظي (قدّس سرّه): من أجلاّء العلماء، وفضلاء الطلاب، ورع، صالح، خيّر.

ولد في الكاظمية عام ١٣٥٢هـ، وفيها أخذ مقدّمات العلوم، وفي سنة ١٣٧٦هـ هاجر إلى النجف الأشرف، فتتلمذ على السيّد حسن البجنوردي، والشيخ حسين الحلّي، والميرزا محمد باقر الزنجاني،

---

(١) علماء ثغور الإسلام: ١/٤٠٨.

والسيّد عبد الأعلى السبزواري، والسيّد محمود الشاهرودي، والسيّد أبو القاسم الخوئي (قدّس سرّه).

كان مجدًّا في دراسته، إلا أنه أُصيب بالسرطان، فكابد أشدّ الآلام حتى توفّي في الرابع عشر من ذي القعدة عام ١٣٩١(قدّس سرّه).

من مؤلفاته:

١ـ حكم الأواني.

٢ـ حرمة الغناء.

٣ـ العلم الإجمالي.

٤ـ تقريرات أبحاث أساتذته[١].

٢٤ـ سماحة السيّد محمد تقي الحكيم الموسوي: المولود عام ١٣٤٥هـ، عالم فاضل، أديب كامل، مؤلّف متتبّع، هاجر إلى النجف الأشرف، وتتلمذ على يد الأعلام الثلاثة: الحكيم والخوئي والسبزواري (قدّس سرّه)، ثم عاد إلى مدينة الأهواز وتصدّى للبحث والتدريس، ومنها انتقل إلى طهران مواصلاً مسيرته العلمية والإرشاديّة.

وقد أنتج كثيراً من المؤلّفات، منها:

١ـ فلسفة وأسرار حجّ.

٢ـ حقوق زن در اسلام.

٣ـ أربعين حديث[٢].

٢٥ـ سماحة السيّد محمد الحسيني الغروي القمشهي: عالم فاضل،

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٣/ ١٣٢٠.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/ ٤٣٤.

كاتب متتبّع. ولد في النجف الأشرف عام ١٣٥٩هـ، ونشأ وترعرع ودرس بها، وأكمل المقدّمات والسطوح، ثم دخل البحوث العليا، فحضر على السيّد الخوئي والسيّد محمد باقر الصدر والسيّد عبد الأعلى السبزواري (قدّس سرّه)، واشتغل بالبحث والتدريس، وفي عام ١٣٩٥هـ خلال العاصفة السياسية العارمة ترك النجف الأشرف وتوجّه إلى لبنان وأقام في مدينة صور، واشتغل بالإمامة والوعظ والتأليف والإرشاد، وقام مقام المجاهد العلم السيّد موسى الصدر(١).

له من المؤلّفات: الله والمادة، المرأة في الفقه الإسلامي، التشيّع مذهب أهل البيت عليهم السلام، مع علماء النجف الأشرف؛ إلاّ أن كتابه الأخير قد اشتمل على الكثير من الاشتباهات، وتعدّى فيه المترجم على عدة من أعلام الطائفة، لاختلافه معهم في التوجّه السياسي، علماً بأنهم ينطلقون من منطلقات اجتهادية خاصّة، وهي بلا ريب معذرة لهم بين يدي الله تعالى كما هي معذرة لمن يخالفهم الرأي.

٢٦ـ سماحة الشيخ عبد الله المحمدي الكلاهي: فاضل جليل، عالم متتبّع، طيّب المعشر، حسن الحديث.

ولد عام ١٣٦٨هـ، وتتلمذ على الشيخ محمد علي المدرس الأفغاني، والشيخ مجتبى اللنكراني، والسيّد نصر الله المستنبط، والسيّد عبد الأعلى السبزواري (قدّس سرّه)، وكان معروفاً بالفضيلة والمعرفة، ترك النجف الأشرف إثر المحنة السياسية، وهاجر إلى مدينة قم مواصلاً الدرس والتدريس والبحث والتأليف(٢).

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٢/ ٩١٦.
(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٣/ ١١٦٥.

٢٧ـ سماحة الشيخ محمد حسن الاصطهباناتي: عالم فاضل، جليل، ورع، ثقة، صالح، من أهل الفضل والكمال والتحقيق والتتبّع والتأليف.

ولد في مدينة قم عام ١٣٥٠هـ، وهاجر بصحبة والده عام ١٣٥٥هـ إلى النجف الأشرف، وقرأ عند والده وغيره من فضلاء عصره، فأكمل المقدّمات بتفوّق، وحضر الأبحاث العالية، فتتلمذ على السيّد علي البهشتي، والشيخ محمد رضا المظفّر، والسيّد الخوئي، والسيّد أحمد الخوانساري، والسيّد الحكيم، والسيّد السبزواري (قدّس سرّه)، واستقلّ بالبحث وعاد إلى طهران عام ١٤٠٠هـ[(١)].

٢٨ـ سماحة الشيخ أسد الله الدهاقاني الأصفهاني: كاتب فاضل، كثير البحث والمطالعة، درس في النجف الأشرف عند علمائها، أمثال: السيّد الخوئي، والسيّد السبزواري، والسيّد المستنبط (قدّس سرّه).

من مؤلّفاته: أبو ذر الغفاري، الفهارس الفنية لشرح ابن أبي الحديد، وغيرهما[(٢)].

٢٩ـ سماحة السيّد مرتضى النجومي الكرمانشاهي: عالم فاضل، صالح تقي، ذو حظّ وافر من الفنون الجميلة.

ولد في كرمانشاه، وأخذ مقدمات العلوم والسطوح من فضلاء عصره، وفي عام ١٣٦٩هـ هاجر إلى النجف الأشرف، وأخذ عن الشيخ علي الفلسفي، والسيّد علي البهشتي، والسيّد الروحاني، والسيّد السبزواري، والشيخ الزنجاني، والسيّد الشاهرودي، والسيّد الحكيم،

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/ ١٢٨.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ١/ ١٢٠.

والسيّد عبد الهادي الشيرازي، حتى أُجيز بالاجتهاد من قِبل السيّد السبزواري (قدّس سرّه)، ثم اشتغل بالبحث والتأليف والكتابة.

وفي عام ١٣٩٠هـ عاد إلى وطنه، وتصدّى للوظائف الشرعية، وواصل عمله الفني والعلمي[١].

٣١ـ سماحة السيّد محمد السبزواري المختارشاهي: عالم فاضل، خطيب جليل، شاعر حسن السيرة، متواضع، أخذ مقدّمات العلوم في سبزوار وقم المقدسة، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وواصل دراسته في الفقه والأصول، وحضر على السيّد الخوئي، والسيّد عبد الأعلى السبزواري (قدّس سرّه).

ثم سافر إلى الباكستان، واشتغل بالوعظ والإرشاد والتوجيه[٢].

٣٢ـ سماحة السيّد جواد آل شبّر (قدّس سرّه): عالم جليل، من ذرية السيّد الفقيه السيّد شبّر البحراني، ورث من جدّه وأبيه السكنى في منطقة (دبي) أداءً للوظيفة الشرعية، وكان (قدّس سرّه) من تلامذة السيّد السبزواري (قدّس سرّه) المجازين من قِبله بالاجتهاد.

٣٣ـ سماحة السيّد أبو الحسن الزراعي (قدّس سرّه): وُلد في قرية مزارعي في محافظة «بو شهر» عام ١٣٤٩هـ، وتوفّي فيها عام ١٤١٤هـ.

قرأ المقدمات في شيراز، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وقرأ عند بعض أساتذتها، كالشيخ محمد تقي الجعفري والسيّد السبزواري (قدّس سرّه).

ثم استقرّ في قمّ المقدسة مدة من الزمان، فبرزت فيها نشاطاته الأدبيّة والعلمية، وقد تمخّض ذلك عن عدّة من المؤلّفات.

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٢/ ١٤٩٢.
(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٣/ ١١٧٩.

١ـ سيرة المعصومين عليهم السلام.

٢ـ رسائل في الفقه.

٣ـ دوافع قيام الإمام الحسين عليه السلام وشهادته[١].

٣٤ـ سماحة السيّد محمد رضا المدرّسي الحسيني (قدّس سرّه): المولود في مشهد المقدسة عام ١٣٥٠هـ تقريباً، ومنها هاجر إلى النجف الأشرف، فأخذ السطوح العليا عند أساتذتها، ثم حضر أبحاث الخارج عند السيّدين: الخوئي والسبزواري (قدّس سرّهما) واستفاد منهما، وبعدها عاد إلى مسقط عام ١٣٨٩هـ، وأقام فيها إماماً للجماعة ومرشداً ومبلّغاً، حتى اختاره الله تعالى إلى دار كرامته عام ١٣٩٨هـ[٢].

٣٥ـ سماحة السيّد نسيم عطوي (حفظه الله): المولود في منطقة (مركبا) عام ١٣٥٧هـ، وقد ابتدأ بطلب العلم عام ١٣٧٧هـ على يد الشيخ حسين معتوق والسيّد محمد حسن فضل الله، ثم هاجر إلى النجف الأشرف ١٣٨٩هـ فحضر السطوح العالية عند السيّد عبد الصاحب الحكيم والسيّد محمد حسين الحكيم والشيخ محمد تقي الأيرواني (قدّس سرّه)، ثم حضر دروس الخارج عند السيدين العلَمين الخوئي والسبزواري (قدّس سرّه) إلى أن عاد إلى لبنان عام ١٤٠٠هـ فأسّس في مقرّ ولادته (المعهد الشرعي الجعفري)، وعلى يديه تخرّج العشرات من طلبة العلوم الدينية[٣].

---

(١) موسوعة مؤلّفي الإمامية: ٢/ ٥٦.

(٢) مشاهير مدفون در حرم رضوي: ٢٨١.

(٣) علماء ثغور الإسلام: ١/ ٥٩٨.

من كرامات السيد السبزواري

ومِمَّا يدل على سموّ مقامه الروحي تلك الكرامات التي صدرت منه في حياته وبعد موته، فإن «الكرامات لأصحاب المقامات» وقد اشتهر الكثير منها بين النَّاس وتناقلها الثقات من سائر الطبقات.

وقبل ذكر كرامات السيد رضوان الله عليه يعجبني في هذا المجال أن أنقل عبارة له من كتابه «مُهذب الأحكام» وهي قوله:

«مقتضى العرف والعادة في جميع المذاهب والأديان والملل والنحل أن يكون لعالمهم مقام إمامهم أو نبيهم جميع ما كان للإمام والنبي من الشؤون الدِّينية والمناصب مطلقاً إلاَّ ما خرج بالدليل وبحسب هذا الارتكاز يترقب الناس من العلماء صدور الكرامة والمعجزة أيضاً»[1].

حدثني العلاّمة الحجَّة السيّد علي السبزواري حفظه الله أن طبيب العيون قرَّر إجراء عملية لعيني السيّد (قدّس سرّه)، ولما حان وقت العملية وأراد الطبيب تزريق السيّد بإبرة البنج رفض السيّد رحمه الله ذلك لأنَّه يرى أنَّها تُسبّب الإغماء الذي يترتب عليه أحكام شرعية والَّتي منها إبطال الوكالات التي أعطاها السيّد لوكلائه، فأصرَّ الطبيب على وضع البنج لأنَّ عملية

(١) مهذَّب الأحكام: ج ١٥، ص ١٥٧.

العين حساسة جداً كما هو واضح، فقال السيِّد علي حفظه الله للطبيب: اِجرِ العملية كما يقول السيّد، وهكذا حصل وعندها بدأ السيّد بالتسبيح وأخذ الطبيب بإجراء العملية من دون تخدير وانتهت العلمية بالنجاح.

ولا شكَّ أنَّ منْ يتحمل إجراء عملية جراحية من دون ألم لانشغاله بالتسبيح لله تعالى لهو من أصحاب المقامات العالية الذين يعيشون الانقطاع إلى الله تعالى، وهو بذلك يشبه جدِّه أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يستغرق في عبادة الله تعالى إلى درجة أنَّه إذا أُصيب بالسهام في جسده تركوه حتى يُصلِّي فإذا توجَّه إلى الله تعالى في صلاته أخرجوا السهام من جسده بدون أن يشعر بالألم.

في طريق الحج:

١ـ الكرامة الأولى:

كان السيّد السبزواري (قدّس سرّه) في إحدى سني عمره ذاهباً لحج بيت الله الحرام مع حملة الحاج السيّد إسماعيل حبل المتين، وفي أثناء مسيرهم مروا بمنطقة «عرعر» السعودية فتاهت قافلتهم في الصحراء حتى نفذ الماء الذي كان معهم وحشرت السيارات في الرِّمال، إلى أن بلغ اليأس بهم أن حفر كل واحد منهم حفرة صغيرة في الرِّمال، كقبر له وضجُّوا بالدُّعاء والتوسّل.

وأمَّا السيّد السبزواري (قدّس سرّه) فقد ابتعد عن أنظار الحجاج، تدفعه روح إيمانه صامدة إلى مناجاة السَّماء.

وهنا انقطع إلى الله بصلاته المحبوبة «صلاة جعفر عليه السلام» متوسلاً إليه بصاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

وإذا برجلين أو ثلاثة قد أقبلوا إلى الحجاج، وملؤوا قربهم ماءً، ثم

أرشدوهم إلى جادة الطَّريق بعد أن ساعدوهم في إخراج السيارات من قعر الصحراء، وبعدها لم يجد الحجاج لأولئك الثلاثة أثراً.

٢ـ الكرامة الثانية:

كان السيّد السبزواري (قدّس سرّه) متوجهاً لحج بيت الله الحرام، فأضاع قطعة من القماش كانت تحتوي على جواز سفره وجميع ما يحمله من المال.

فلمَّا لم يجدها توجّه قاصداً البيت الإلٰهي المعمور، وهناك انقطع إلى خالق السماء برفيقة دربه وعشيقة عمره (صلاة جعفر عليه السلام).

متوسلاً للحق تعالى، طالباً منه الفرج وتسهيل الأُمور في تلك الظروف الشديدة والساعات العصيبة.

وإذا بشاب نوراني أقبل إليه فوجده مشتغلاً بالعبادة والمناجاة منقطعاً لله أيما انقطاع فقال له:

سيد عبد الأعلى هذا ما تبحث عنه.

وأعطاه تلك القطعة من القماش، وعندها انتبه السيّد السبزواري (قدّس سرّه) من مناجاته فلم يجد أثراً لذلك الشخص.

إنَّ هاتين الكرامتين دلالة واضحة على مى انقطاع السيّد السبزواري إلى الله تعالى في أحلك الظروف، وعلى قربه من الله تعالى حيث استجاب له الدُّعاء.

الشفاء من مرض القلب:

في سنة من سني عمره الشَّريف ابتلاه الله بمرض في قلبه، فطلب منه الذهاب إلى المستشفى، فرفض ذلك وأصرَّ على رفضه.

فذهب تلميذه الوفي سماحة السيّد محمد كلانتر «دام ظله» وجاء له بالطبيب محمد سعيد الأسدي لمباشرته بالعلاج والاطمئنان عليه.

وبعد إجراء الفحوصات اللازمة قرر الطبيب أن يذهب السيّد السبزواري (قدّس سرّه) إلى المستشفى لأنَّ الحالة كانت خطرة للغاية. ولكن السيّد السبزواري (قدّس سرّه) لا زال مصرّاً على موقفه، وما كان منه إلاّ أن توجّه إلى الله متوسلاً بالإمام الصادق عليه السلام ناذراً لأن ألبسه الله ثوب الصحة والعافية ليكتبنَّ دورة فقهية كاملة.

وإذا بالمرض العضال لا أثر له، وأفاق من نومه تلك الليلة وهو لا يشكو ألماً. وذهب إلى مسجد السهلة فور قيامه من نومه بعد منتصف الليل وكأن لم يكن به شيء.

فلمَّا جاء الطبيب الأسدي لملاحظة أوضاعه الصحية، تعجب أيما تعجب بعد أن ظهر له بأنَّ السيّد السبزواري (قدّس سرّه) قد شفي تماماً. وعلم بأنَّ الأمر ليس طبيعياً جزماً بل هو خارج حدود الطبيعة.

شفاء ولده بالتوسل:

عن العلاّمة السيّد حسين السبزواري حفظه الله أنَّه قال: «كان عمري سبعة أعوام فسقطت في سرداب عمقه حوالي ٢٠ متراً وكان سقوطي على قمَّة رأسي الذي خرقته عظمة دخلت في رأسي حتى أوشكت أن تصل إلى المخ، وأمَّا بطني فقد تمزقت بالزجاج، فأغمي عليَّ، ولمَّا افتقدتني أمي صارت تبحث عني فنادت لأبي وصار يبحث معها حتى وجداني فأسرع بي أبي إلى الطبيب، فقال له الطبيب: سيِّدنا هيىء نفسك للعزاء، وهكذا بقيت في المستشفى ثلاثة أيام وأنا في حالة إغماء والأطباء ينظرون إليَّ بنظرة يأس عند ذلك رفع والدي يديه إلى السماء متوسلاً بالإمام جعفر

الصادق عليه السلام وهو يقسم عليه بالضلع المكسور لجدّته الزهراء عليها السلام ثم حملني ليخرج من المستشفى فما خطا إلاَّ خطوات وإذا بي أفتح عيني في وجهه فاستغرب الأطباء وصاروا يؤمنوا بتأثير الأدعية(١).

السبزواري لم يسافر للحج ولكنَّه حجَّ

إنَّ جماعة من المؤمنين الأخيار قصدوا دار السيّد عبد الأعلى السبزواري في حاضرة العلم الكبرى النجف الأشرف بعد انفضاض الناس من أداء فريضة الحج المباركة وقدموا له التهاني والتبريكات بمناسبة رجوعه من بيت الله الحرام وتوفيق الله إيصاه بالوقوف في تلك العرصات الشَّريفة فشكرهم ولم يعترض بشيء مع أن السيّد السبزواري لم يكن قد حجَّ في ذلك العام. ولما خرجوا من داره سأله بعض خواصه عن السبب في عدم بيان الأمر الواقع، فأجابه السيّد بأنَّ الله تعالى قد وَكَّل عن كل عبد صالح مطيع ملكاً يحجُّ عنه كل عام كما ورد في أخبار المعصومين عليهم السلام ثم أمره بأن يكتم ما سمعه حال حياة السيّد فامتثل أمره ولم يخبر به إلاَّ بعد انتقال السيّد إلى الرفيق الأعلى.

رجوع العقل ببركة السبزواري

وعن السيّد حسين أبو سعيدة:

كتب لنا أحد الثقاة أنَّ أحد المؤمنين أصيب بجنون مطبق، وظلَّ هائماً على وجهه في شوارع بغداد، وقد عجز عنه الأطباء الأخصائيون. وانقطع عن عمله الوظيفي طوال تلك الفترة. فاتّصلت بسماحة الإمام السيّد رحمه الله وأخبرته بذلك فأعطانا قارورة ماء بعد أن قرأ عليه بعض الأذكار وأمر بغسل بدنه من ذلك الماء. وتمَّ العثور عليه وكان رثّ الحال

---

(١) قصص وخواطر: ص ١٤٥.

والهيئة، وأدخلناه إلى الحمَّام، وعندما اغتسل عاد إليه عقله، ثم أخذ يتحدث مع عياله بشكل طبيعي.

الحدس عند السبزواري:

وعنه حفظه الله:

نقل أحد الثقات عن أحد المؤمنين أنَّه كان يرتكب بعض الأُمور المنكرة في الخفاء بحيث لا يعلمها إلاَّ الله تعالى حتى زوجته لم تعلم بذلك. قال: فاتّفق أن زرت السيّد السبزواري (قدّس سرّه) في الكوفة وعندما أردت تقبيل يده قال لي: كفى فعل المنكرات وكان قوله سبباً في ردعي عنها وذهلت من إخباره إيَّاي مع أنِّي لم أخبر أحداً بذلك وكان ارتكابي لها في السر فقط.

شفائه للمرضى:

التمس منه أحد المرضى المبتلين بمرض الفقرات أن يدعوا له فوضع السيّد يده الشَّريفة على ظهر المريض فبرأ من مرضه ولا يزال حياً يُرزق وفي صحة جيدة يغبط عليها بعد معاناته المستديمة من ذلك المرض.

دعاؤه المُستجاب:

دعاؤه المستجاب للذين أتوا يلتمسون منه الدُّعاء لهم. وقد أخبر بعضهم أنَّه التمس من السيّد أن يدعو له بأن يلهمه الله تعالى قُوَّة الحفظ فوضع يده المباركة على رأسه ومن ذلك اليوم لم ينس ذلك الرجل شيئاً مِمَّا تعلمه وهو الآن أحد الخطباء، ولا يزال هذا الرجل يذكر تلك الكرامة إن استوجب الحال ذكرها.

إشعار مسبق برحيل السبزواري:

عن السيّد حسين أبو سعيدة:

أخبرني أحد الفضلاء أنَّ أحد العلماء من العرفانيين رأى في المنام في الليلة الَّتي توفى السيّد عبد الأعلى السبزواري في صباحها أنَّ النبي الأعظمﷺ متوجهاً إلى المدينة المنورة من النجف الأشرف وبصحبته السيّد السبزواري طاب ثراه. قال العالم: فاضطربت كثيراً ولما حلَّ ظهر ذلك اليوم وصلني نعي السيّد وأنَّه توفى صباح ذلك اليوم. وقد تحدّث بهذا الإشعار الربَّاني جملة من فضلاء الجامعة الدينيَّة وغيرهم من النَّاس[1].

(١) لاحظ «الأنوار الساطعة» و«ألطاف الباري».

قبسات نورانية

من

النفحات العرفانية

مستوحاة من كتاب

مواهب الرحمن للعارف السيد عبد الأعلى السبزواري

علم العرفان واشتقاقه

العرفان علم جليل ليس له مثيل في سائر العلوم مطلقاً في الشمولية والسعة والآثار والسالك والمسلوك فيه والمقصد والغاية وكلها جلائل عظام والبحث في كل واحدة منها يقصر عنه الإفهام إلاّ لمن كان ذا حظ من العلم والمعرفة وهم الأنبياء العظام والأوصياء الكرام فهم الأصل في هذا العلم الجليل والقدوة في هذا الطريق وغيرهم إن رجع ما قالوه فيه إليهم فلا بأس به وإلاّ فهو مجرّد كلام لا حقيقة له وإن ادّعى الكشف والشهود في ما ادّعوه ونحن لا نريد الدخول في التفاصيل فهو موكول إلى محلّه إلا أننا نذكر في المقام بعض ما يتعلّق بالسالك والمسلوك فنقول:

إن العرفان مأخوذ من المعرفة الحاصلة من العلم النفساني الحاصل من النظر في النفس وطرق صلاحها وأحوالها وأطوارها ودائها ودوائها وسائر خصوصياتها والنظر في الآيات الآفاقية ومعرفة الله سبحانه وتعالى مما يوجب هداية الإنسان إلى التمسّك بالدين الحق والشريعة الإلهية التي تمثل المعرفة الكاملة ومالها من التعلّق بعلم التوحيد والمعاد والنبوّة فإن هذه المعرفة الحقّة الحقيقية بما لها من المراتب الكثيرة إذا تحققت في فرد وجد نفسه متعلقاً بمعدن العظمة والكبرياء متّصلة في وجودها وحياتها وسائر خصوصياتها بمن لم يكن متناهياً في الحياة والعلم والقدرة وغيرها

من كل كمال وأشرقت عليها من بهائه وسنائه وجماله وجلاله وكماله ما لم يقدر أي لسان أن يكشفه فهو شهودي خاص.

ولعلّ هذه الكلمة (**العرفان**) مأخوذة من تلك الأحاديث المتواترة التي اشتملت على قولهم (صلوات الله عليهم) (من عرف نفسه فقد عرف ربه) الذي يُستفاد منه أمور:

الأول: إن السبيل في معرفة الرب إنما يكون بمعرفة النفس فإنها مظهر عظمته وكبريائه وقدرته وسائر صفاته.

الثاني: أن معرفة النفس كمعرفة الباري شهودياً أكثر من كونه نظرياً، فإن التصديق الفكري يحتاج إلى مقدمات ونظم الأقيسة واستعمال البراهين والتوجّه إلى الخصوصيات وإلاّ يزول العلم بزوال التوجّه والإشراق فتكثر فيه الشبهات ويتوارد فيه الاختلاف. بخلاف العلم بالنفس فإنه علم حضوري وأنه من العيان ويظهر ذلك لمن اشتغل بالنظر في النفس وعرف داءها ودواءها وطرق إصلاحها وشاهد فقرها إلى ربها وحاجتها في جميع أطوارها إلى خالقها فإنه حينئذٍ يجد نفسه متعلقاً ببارئها متفانياً في حبه والتعلّق به كما ستعرف.

الثالث: إن المرعفة بالنفس لها مراتب متفاوتة كما أن المعرفة بالرب كذلك.

الرابع: إن النفس لما كانت مضطرة في سيرها وسلوكها لا همّ لها إلاّ السير في مسيرها الاضطراري والوصول إلى المرجع، فإذا انتبهت إلى هذه الجهة تكون منقطعة عن كل شيء يحتمل الاختلاط معه إلاّ ربها المحيط بباطنها وظاهرها والعالم بجميع خصوصياتها فتكون في فرط التوجّه إلى ربها وانشغالها به وفي ذكر منه وإن كانت في ملأ من الناس

واختلاط معهم وهذا هو السر العظيم في هذا العالم الجليل الذي يجمع بين أمرين متنافين ظاهراً، فإن النفس في عين اختلاطها مع الناس لا يمكنها ترك طريقها الاضطراري فإذا انصرفت إلى بارئها وتوجّهت إلى ربها نسيت كل شيء فتكون على ذكر منه تعالى فلا يحجبها حجاب ولا يسترها ساتر وهذا هو حق المعرفة وهي معرفة الله بالله.

وأمّا المعرفة بالبراهين الحاصلة فهي مقيدة ولا يمكن أن تتعلّق به تعالى لأنه لا يحيط به علماً.

الخامس: استحالة المعرفة الكاملة بالنفس لاستحالة الإحاطة العلمية الكاملة بالله دون ما ذكره بعضهم من استحالة المعرفة بالنفس فإنه مردود بقوله ﷺ: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه» فيكون معنى الحديث من لم يعرف نفسه لا يعرف ربه، ونحن نذكر بعض الأحاديث الواردة في هذا المجال ثم نذكر ما يتعلق ببعض الخصوصيات.

في الغرر والدرر للآمدي عن علي عليه السلام: (المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين).

أقول: المراد من المعرفتين المعرفة الآفاقية والمعرفة بالنفس كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[2]، وعرفت أن معرفة النفس أنفع من معرفة آيات الآفاق لأن معرفة النفس لا ينفكّ عن التخلية والتحلية للنفس وبالآخرة توصل معرفتها بمعرفة الله تعالى وأما

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠ ـ ٢١.

معرفة الآفاق فإنها توصل إلى معرفة الله من حيث أسماؤه وصفاته وأفعاله عزّ وجلّ وإن كانت معارفه حقة حقيقية تهدي العارف بها إلى سواء السبيل وتوصله إلى السعادة والحياة المطمئنة ولكن تلك معرفة عظيمة وموقف علمي تهدي إلى دين الحق كما تهدي معرفة النفس إليه ويتّحد الطريقان في الغاية لكن المعرفة الأخيرة تهدي إلى معرفة النفس والعثور على دائها ودوائها ومراتبها وما يوجب اعتدالها وصلاحها وما يسبب طغيانها وخمودها ومن المعلوم إذا صلحت النفس كانت أقرب إلى المعرفة بالآيات الآفاقية والانتفاع بها، مضافاً إلى ما عرفت في أول البحث من أن معرفة الآيات نظرية ومعرفة النفس شهودية ولكن يمكن أن يصل العارف بالله إلى الشهود في آيات الآفاق كما قال عزّ وجلّ حكاية عن إبراهيم ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، ولكن لا يصل إلى هذه المرتبة إلاّ عن طريق معرفة النفس والخلوص في تهذيبها وإصلاحها وتكميلها بالكمالات حتى تصل إلى مرتبة التجلّي بالحق وفي الحق كما هو مفصل في محله.

وفي الدرر والغرر أيضاً عنه عليه السلام قال: (العارف من عرف نفسه فأعتقها ونزّهها عن كل ما يبعدها).

أقول: عرفت الوجه في ذلك آنفاً فإن أول مراتب المعرفة هي عتق النفس عن إسارة الهوى ورقية الشهوات واسترقاق الملكات الرديئة وسيئات الأعمال أو بعبارة أخرى تخليتها من كل ما يشينها ولا يتحقق إلاّ بمعرفة النفس داءها ثم علاجه بدوائه.

وفيه أيضاً: (أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

أقول: حكم المقابلة بين الجهل والعلم يقتضي أنه كل ما كان الأخير أعظم نفعاً كان الجهل بالنفس أعظم أنواع الجهل فإن بهذا الجهل يفوت كل الخير وتنسد جميع أبواب السعادة والفلاح وتنفتح أبواب الشقاء والعناء.

وفيه عنه عليه السلام: (الكيس من عرف نفسه وأخلص أعماله).

أقول: لأن الإنسان إذا عرف نفسه وأمكن تهذيبها وإصلاحها وعرف داءها ودواءها استطاع تذليلها وجعل زمامها بيد العقل الذي لا يريد إلا الخير في إرشاداته وتوجيهاته فكان العارف كذلك كيساً استعمل عقله ونفسه في طريق الهداية والصلاح وأخلص في أعماله من شوائب الرياء والنواقص. ومما ذكرناه يظهر السر في ما ورد عنه في ما يأتي من أقواله عليه السلام.

ففيه أيضاً عنه عليه السلام: (أعظم الحكمة معرفة الإنسان نفسه).

وفيه عنه عليه السلام: (أفضل العقل معرفة المرء نفسه فمن عرف نفسه عقل ومن جهلها ضل).

وفيه عنه عليه السلام: (عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه؟!).

وفيه عنه عليه السلام: (غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه).

وفيه عنه عليه السلام: (كفى بالمرء معرفة أن يعرف نفسه وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه)

وفيه عنه عليه السلام: (عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضلّ نفسه فلا يطلبها).

وفيه عنه عليه السلام قال: (من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة وعلم).

وفيه عنه عليه السلام قال: (معرفة النفس أنفع المعارف).

وفيه عنه عليه السلام قال: (من عرف نفسه كان لغيره أعرف ومن جهل نفسه كان بغيره أجهل).

وفيه عنه عليه السلام قال: («لا تجهل بنفسك فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل بكل شيء).

أقول: هذا ما يفسر ما قبله، فلما كانت معرفة النفس أمراً عظيماً وتستلزم تجرّدها عن العلائق المادية فتشبه المجرّدات، ولا يعوق المجرّدات من العلم والمعرفة بكل شيء عائق.

وفيه عنه عليه السلام: (من عرف نفسه تجرّد).

أقول: تقدم آنفاً المراد منه أي تجرد عن علائق الدنيا وهذا من آثار معرفة النفس العظيمة.

وفيه عنه عليه السلام: (من عرف نفسه جاهدها ومن جهل نفسه أهملها).

أقول: هذا أيضاً أثر من آثار معرفة النفس وفوائدها الكثيرة فإن بمعرفة النفس تعرف خصوصياتها كما عرفت سابقاً فيقوم بإصلاحها وتهذيبها، وهذا هو الجهاد معها ولا يمكن الجهاد مع مجهول لا يعرف خصوصياته.

وفيه عنه عليه السلام: (من عرف نفسه جلّ أمره).

أقول: فائدة أخرى من فوائد معرفة النفس وأثر من آثارها فإن معرفتها يوجب انشغاله بها ويوصل إلى معرفة الله عزّ وجلّ وهذا من جلائل الأمور أو يجلّ أمره ويعظم ثوابه.

وفيه عنه عليه السلام قال: (نال الفور الأكبر من ظفر بمعرفة النفس).

أقول: أثر من الآثار العظيمة المترتبة على معرفة النفس وهو الفوز الأكبر سواء كان معرفة الله عزّ وجلّ أو ثوابه أو السعادة العظمى أو تلك الآثار المتقدمة وغيرها التي هي بنفسها فوائد عظيمة.

إلى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين وكفى بما أوردنا دليلاً على أن معرفة النفس هي من أعظم المعارف وأتمّها وأشملها وأثبتها وأوصلها إلى المقصود، إن إثبات النفس وتجرّدها لا يمكن إنكاره إلاّ ممّن كان مكابراً للحق، ولذلك ترى أن الجهاد مع النفس والعرفان بها لم يكن مختصاً بملّة الإسلام بل كان في الملل الأخرى حتى الأديان الوضعية بل أن منهج بعضها وشريعتها لا تكون إلاّ بعرفان النفس ومعرفة سائر خصوصياتها وتشريع رياضات خاصة في هذا السبيل وحرمانها من اللذائذ الجسمانية وانعطاف الفرد إلى النفس بإصلاحها، ولذا كانت محورها وأساسها الارتياضات النفسانية والزهد والتقشف عن متاع الدنيا، فإن الانكباب عليها ومطاوعة هوى النفس يصرف الإنسان عن الاشتغال بنفسه وقد عرفت أن هذا النوع من العرفان تترتب عليه آثار عجيبة تشبه الموضوع الذي يجاهد فيه وهي أعظم من ما يترتب على الأمور المادية من الآثار بمراتب كثيرة، فإن النفس من عالم الأمر ومن المجردات التي لها تعلق بالبدن فكانت ذاتها منها ولكن أفعالها مادية لتعلّقها بالبدن فكانت الآثار والفوائد المترتبة على عرفان النفس تشبه هذا الموضوع المجرد، وعلى أي حال فإن هذا النوع من العلم قديم جداً منذ بدء الخليقة ومن السنن الدائرة بين الناس ما دام هذا المخلوق العجيب مركباً من هذين الأمرين وهما النفس والجسد فإن أحدهما لا بد أن يؤثر في مستوى الإدراك والعلم والمعرفة التي عنده كما عرفت آنفاً. بيد أن الاشتغال بالنفس وتوجيه المعرفة إليها على طرقها المختلفة بين الأقوام وأفراد الناس للحصول على الآثار العجيبة قديم جداً بل كان بعض الأفراد يعتبرها مهمة عظيمة يجب أن يبذل دونها الأنفس والأوقات وأغلى الأثمان والأهل والديار.

راجع تاريخ الشعوب والأديان ترى صحة ما ذكرناه. وقد حكى القرآن الكريم رهبانية الصنارى فقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾[1]، كما حكى تعبد بعض اليهود وتنسّكهم، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾[2].

ومن هذه الآيات يتبيّن أن هذا النوع من العلم وهذا القسم من العرفان له شروط وآداب وأحكام فإذا روعيت وصل الفرد إلى المقصود وهو رضوان الله تعالى، وأما إذا فقدت ترتب على هذه المجاهدة آثار خاصّة إلا أنهم قد يحرمون من المقصود الأهمّ ما عرفت.

ومن ذلك يظهر الجواب عن جملة من الإشكالات التي أوردوها ونحن نذكر الأهمّ منها:

الأول: إن ما كانت تفعله الأقوام أو الأديان والمذاهب التي تدعو إلى العبودية إنما هو الزهد والانقطاع من الدنيا وترك الهوى والابتعاد عن الذنوب والآثام واكتساب الفضائل لأجل أنه الدستور الديني المترتب عليه وبعبارة أخرى أن فعلهم إنما كان امتثالاً لأحكام الشريعة من دون أن يخطر بباله أن هناك نفساً مجردة ولها نوعاً خاصاً من المعرفة وفيها آثار معيّنة مما توجب سعادتها بلا فرق في ذلك بين أن يكون صاحب شريعة ودين أو لم يكن كما إذا كان صاحب رياضة خاصة أم أملته عليه العادات والتقاليد أو لحيازة مقام معيّن مترتب على هذا النوع من المجاهدة والرياضة كنفوذ الإرادة والاتصال ببعض الأرواح أو جريان بعض الأمور

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٣ـ ١١٤.

الخارقة للعادة على يديه وغير ذلك من المقاصد التي تترّتب على رياضة النفس والزهد في الدنيا وهو يفعل ذلك لا عرفان للنفس وما يترتب عليها من الأمور التي ذكرناها سابقاً.

والجواب عن ذلك يظهر من سالف ما ذكرناه من أن هذه الحالات والمواقف إنما يجمعها شيء واحد وهو صرف النفس عن الشهوات والملذّات والأمور الخارجية وأنواع التمتعات المادية، ولا ريب أن هذا النوع من المجاهدة توجب صرف النفس إلى نفسها ويترتب على ذلك آثار خاصة لا يمكن الوصول إليها بالأسباب الطبيعية والأمور المادية فإنها لا يمكن الوصول إليها إلاّ بالانقطاع عن هذه الأسباب العادية والانقلاع عمّا يوجب بعد النفس عن عالمها الروحاني المجرّد والاستقلال بنفسه للحصول على تلك النتائج والآثار وهذا الأمر لا يختلف فيه المتدين بشريعة ودين أو المتزهّد والمتعبّد الراهب أو المنكر لجميع ذلك ولكنهم يرون أن السعادة في ما انتحلوه من هذه الطريقة في المجاهدة لا يمكن أن تنال بالاسترسال في التمتعات الحيوانية واتّباع الهوى والخضوع إلى الهواجس المادية لكن المنتحلين للحياة الأخروية يزيدون على سعادتهم هذه في الحياة الدنيا الحياة الطيّبة في الآخرة والدخول في رضوان الله، فالجميع يرجع إلى نوع من الاشتغال بأمر النفس وهو ارتباط خاص معنوي يكون بين المرتاض وإرادته والنتيجة المتوخاة الموعودة بأن يحصل للنفس اطمئنان بأن المطلوب مقدور يمكن الحصول عليه بهذه الرياضة الخاصة ولو وصل العلم هذا إلى اليقين بالله لكان الأثر عظيماً وهذا لا يحصل إلاّ لمن كان على شريعة حقة ومشى على الصراط المستقيم الذي بينه الله تعالى في شريعة خاتم الأنبياء ولعله إلى هذا يشير ما رواه المجلسي رحمه الله عن إرشاد الديلمي عن أمير المؤمنين عليه السلام (فمن

عمل برضائي ألزمه ثلاث خصال أعرفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان ومحبة لا يؤثر على محبّتي محبّة المخلوقين، فإذا أحبني أحببته وأفتح عيني قلبه إلى جلالي ولا أخفي عليه خاصة خلقي وأناجيه في ظلم الليل ونور النهار حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم وأسمعه كلامي وكلام ملائكتي وأعرفه السر الذي سترته عن خلقي وألبسه الحياء حتى يستحي منه الخلق كلهم ويمشي على الأرض مغفوراً له وأجعل قلبه واعياً بصيراً ولا أخفي عليه شيئاً من جنة ولا نار وأعرفه ما يمر على الناس في القيامة من الهول والشدّة وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهال والعلماء وأنومه في قبره وأنزل عليه منكراً ونكيراً حتى يسألاه ولا يرى غمّ الموت وظلمة القبر واللحد وهول المطلع ثم أنصب له الميزان وأنشر ديوانه ثم أضع كتابه في يمينه فيقرؤه منشوراً ثم لا أجعل بيني وبينه ترجماناً، فهذه صفات المحبين.

(يا أحمد اجعل همك هماً واحداً واجعل لسانك لساناً واحداً واجعل بدنك حياً لا يغفل أبداً من يغفل عني لا أبالي بأي واد هلك).

وهذا مقام خطير لا يمكن الوصول إليه إلا بإفناء النفس في الله تعالى والبقاء ببقائه لا مجرد ترويضها وصرفها عن الشهوات والملذات فإن ذلك قنطرة واحدة من القناطر العديدة في هذا السير والسلوك.

الثاني: أن بعض الباحثين توهم وجعل الدين والشريعة ليس إلاّ التصوف والعرفان حتى جعل بعضهم كل متدين من الصوفية والدين عرفانياً فقط فقال إن المسلك الحيوي الدائر بين الناس هو على قسمين مادي وعرفاني الذي هو الدين.

وفيه ما ذكرناه آنفاً أن المجاهدة ورياضة النفس والتصوّف في الدنيا

ليس من العرفان المعروف الذي يسوق الإنسان إلى معرفة الله ويهدي إلى الصراط المستقيم وما يترتب عليه من الجزاء العظيم والأجر الجزيل، أما هذه المعرفة فهي تختصّ بالنفس من حيث الوصول إلى غاية محدودة يقصدها المجاهد والمرتاض في هذا المجال وتسميته هذا بالعرفان أيضاً مسامحة فهو شيء والدين شيء آخر وإن استلزم العرفان بالملازمة لما فيه من الإعراض عن الدنيا والإقبال على النفس ومراقبتها وتهذيبها من الرذائل وتكميلها بالفضائل وهذا هو الذي يدعو إليه الدين.

وإذا أمعنا النظر في الشرائع الإلهية والأديان السماوية وسائر النحل نرى أن العرفان بأية صورة كان إنما مصدره الدين ولكن الخلاف كان في جهة تطبيقه، كما حكى عزّ وجلّ في كتابه الكريم عن عباد الأصنام والأوثان ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1]. فإن عبادة الله الواحد الأحد مركوزة في الفطرة، وأن التوحيد دين الفطرة والناس وإن تشعّبوا في أهوائهم وعقائدهم ولكنها تميل إلى التوحيد وإن الخطأ حصل من تطبيقه والعرفان منبعه ومصدره هو هذا الأمر المركوز فهما يشتركان في الدعوة إلى السعادة الإنسانية فإن الدين يدعو إلى عرفان النفس على أنه طريق إلى الاشتغال بوظائف العبودية لا على نحو الاستقلال فالدين يدعو إلى العرفان الفطري ويدعو إلى التوحيد كما عرفت فأحدهما يدعو إلى الآخر ويشتركان في الغاية والمقصود وهما العبودية المحصنة.

وأما غير ذلك من العرفان الذي يمارسه أصحاب الرياضات والأرواح والسحر فهو ليس بالعرفان فإن الفطرة لا تدعو إلى مثل هذا بل إنما يمارسه لأجل الوصول إلى بعض الأعمال العجيبة بعد ما يرى أنها لا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

يمكن أن تنال إلاّ عن هذا الطريق، ولكن هذه الأعمال والآثار وإن ترتبت على هذا النوع من المجاهدة مع النفس التي هي من عالم الأرواح، فإذا قطعت من عالم المادة اتّجهت إلى الأرواح بقدر انقطاعها عنه ولا ريب أن الآثار حينئذٍ تكون ملائمة مع ذلك العالم وتناسب تلك المقامات ولذا نرى صدور بعض الخوارق على يد هؤلاء إلا أنها غير تلك التي تترتب من عرفان النفس الذي تدعو إليه الفطرة. والفرق بينهما كالفرق بين الآثار المترتبة على السحر وما يترتب على المعجزة وخوارق العادات التي تصدر على أيدي الأولياء والأصفياء فهم في الواقع قد فاتهم معرفة حقيقة النفس التي هي عالم خاص وسيع وفسيح جداً. وما يصدر منهم من هذه الأمور. ليست إلاّ أموراً مادية في الحقيقة والواقع لكن اشتبه الأمر عليهم فاعتروها من الأمور المعنوية فهي لا تخرج عن حيطة نفوسهم وإرادتهم وشعورهم الخاص الذي له دخل في هذه الحوادث المرتبطة به ولم يتعدّ إلى ذلك العالم الفسيح الذي هو جزء من الغيب.

وهناك إشكالات أخرى أعرضنا عنها وهي إنما نشأت من الخلط بين هذين المسلكين المختلفين والاتجاهين المتنافيين فإن أحدهما يكون بالاشتغال بعرفان النفس للحصول على بعض الآثار الغريبة الخارجة عن الطريق المألوف المبني على قانون الأسباب والمسببات المادية كأصحاب السحر والطلسمات وأرباب تسخير الأرواح سواء كانت أرواح الكواكب أو الموكلين على الجن وأرواح الآدميين وأصحاب الهمم والدعوات والعزائم وأرباب الذكر وأصحاب الشعوذة وغير ذلك، وقد قلنا إنها لا تخرج عن حيطة المادة وأن حقيقة النفس مغايرة لما عليه هؤلاء فهم نالوا شيئاً من آثار النفس ولكنهم غفلوا عن واقع النفس وفاتتهم معرفة حقيقتها.

أما الاتجاه الآخر وهم المشتغلون بمعرفة النفس والغوص في حقيقتها ومعرفة خصوصياتها مما يشينها ويزينها وأمراضها وأدوائها وغير ذلك مما لا بد من معرفته ولا بد في هذا الطريق من الانصراف عن الأمور الخارجة عنها.

فهذه الطائفة أيضاً لا تخلو من تشتت وافتراق.

ففريق منهم يسلك الطريقة لنفسها فلا يكون له هم إلاّ معرفتها، ولكن لا تتمّ المعرفة لهم لأنها إنما تتم بمعرفة صانعها، وبدئها ومنتهاها فكيف تتم لهم المعرفة وقد أغفلوا عن سبب وجودها والقائم بأمرها ويسلك في هذا كثير ممّن يشتغل في هذا الطريق كالصوفية والكهان وغيرهم وهم قد يحصلون على شيء من آثار النفس وعلومها.

والقسم الآخر هم الذين تمّت لهم المعرفة وكانت معرفة النفس طريقاً لهم إلى معرفة بارئها والوصول إلى حريم كبريائه والدخول في رضوانه وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وطريقتهم هي التي توافق الشرع المبين ويرتضيها الدين فتكون النفس عندهم آية من آيات الله وقد انجذبوا إليها بما أنها توصل السالك إلى الله فهو المقصد والغاية التي لا بد من أن ينتهي إليها، فكان قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[1]، محط أنظارهم، فلم يسلكوا طريقاً إلاّ بعد معرفة الغرض والفائدة والغاية والمنتهى فهم قد عرفوا الله قبل كل شيء وبعد كل شيء ولم يكن شغلهم هو الحصول على بعض الآثار المادية المرتبطة بالنفس ولا على علومها أو الآثار التي ترتبط بها التي تخرج عن حيطة المادة وإرادة السالك وشعوره بل كان غرضهم وشغلهم الشاغل هو الحصول على رضاء الله

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤٢.

تعالى والانتهاء إليه فإنه أعظم المقاصد وأهمها عندهم وتضمحل عنده جميع الغايات والمقاصد، فهم إن حصلوا على شيء مما يحصله غيرهم كتموه بمقتضى قولهم عليهم السلام (المؤمن ملجم) ولم يتحدّثوا بكل شيء وقع في سمعهم أو عند بصرهم أو جرت على أيديهم، فإن الأمر صعب مستصعب لا يتحمله إلاّ نبي مرسل أو ولي أو مؤمن امتحنه الله امتحاناً، فهم كما وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المباركة التي وردت في وصف المتّقين وهم عرفوا أنفسهم بالله ولم يعرفوها بنفسهم من نفسهم، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (تعرف نفسك به (أي بالله) ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك وما تعلم أن ما فيه له وبه)، فإن حقيقة النفس هي الفقر والحاجة إلى الله تعالى المملوكة له ملكاً لا تشتغل بشيء دونه فكيف يمكنهم التخطيء عما يريده المالك ويتعدّى عليه فلا إرادة لها دون إرادته عزّ وجلّ ولا حاجة لها دون رضاء سيدها ومالك زمامها وهو العرفان الحقيقي فهو علم وعمل وأما غيره فإن وصف به فإنما هو على نحو المجاز فاحفظ ذلك فإنه نافع لك في تمييز العرفان الحقيقي من الذي يدّعيه كل واحد ممّن سلك سبيلاً وقد ذكرنا في مباحثنا السابقة الشروط والآداب والأحكام فراجع، نفعنا الله عزّ وجلّ به ورزقنا من فيوضاته ليدخلنا في زمرة السالكين نحو جنابه والعارفين بأنفسنا والقاصدين لرضوانه إنه سميع مجيب[١].

---

(١) مواهب الرحمن، ج ١٢، ص ٥٤٣.

السلوك إلى الله تعالى

إن السلوك إلى الله تعالى والطريق إليه عزّ وجلّ له مظاهر مختلفة وسبل متعددة تختلف حسب استعداد كلّ فرد، ولكن لا بدّ أن يكون موافقاً للشرع وحكم الله تعالى، وإلاّ فلا يكون الطريق موصلاً إليه عزّ وجلّ. وقد نزل في القرآن الكريم من الأحكام والتكاليف والكمالات ما استوعب جميع الجوانب الظاهرية والمعنوية للإنسان، مما جعلته مهيمناً على سائر الكتب الإلهية فأصبح فريد نوعه، فصار غاية للاسلكين وأنيساً للمستوحشين ومجمعاً للخيرات، ففيه السبق وبه المسابقة، وعن طريقه تستكمل النفوس وتتخلّى عن الرذائل، ولأجل هذا أمر سبحانه نبيّه الكريم بالحكم بين الناس بما أنزله فيه بعد أن حكم عليه بأنّه المهيمن على جميع الكتب، فإذا ثبتت له الرقابة الإلٰهية، فلا بدّ أن تمرّ منه الطرق وتستنير به النفوس، فإنّه وإن كان لكلّ واحد منكم شرعة لتهذيب النفوس ومنهاج للوصول إلى الكمالات واجتياز المراحل حتى الوصول إلى الكمال المطلق، إلاّ أنها لا بد أن تتوجّه إلى ما أمر الله تعالى به، وهذا هو مطلوب العارف بالله الذي به يختلف عن غيره، فاستبقوا الأمور الموصلة لكم إلى الكمال حتى يستفيض كلّ بحسب استعداده ويستنير بما له من القابلية، ولا خير إلاّ فيما أنزله عزّ وجلّ، فإنه الموصل إليه، وبه

ترجعون إليه فينبئكم بما أوجب اختلافكم وتفرّقكم عمّا فيه الخير لكم، فيظهر لكم آثار ما اقتضاه الاختلاف، وهنالك الوعد الحق، فلا تكون مظاهرهم سبباً للفتنة ولا تكون موجبة للانحراف عن جادة الصواب والإعراض عن ابتغاء الخير والوصول إلى الكمال، فإنّ الحكم هو حكم الله تعالى، ويكفي في الإعراض والنكوص أنّ الله يحرمه من لذّة الوصال ويحجبه عن اللقاء. ولذا كان أكثر الناس فاسقين، لأنّهم التفتوا إلى ذواتهم، فاشتبه عليهم حبّ الذات عن حبّ اللقاء، فيحكمون على أنفسهم بالمحبّة والوصال ـ وشتان ما بينهما ـ وهذا هو حكم صادر عن النفس الأمّارة، لا عن علم الهي، فصار حكماً جاهلياً.

فلا تلتفت في السير غيراً وكلّ ما
سوى الله غير فاتخذ كره حصناً
وكلّ مقام لا تقم فيه أنه
حجاب فجد بالسير واستنجد العونا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى[1]

(١) م.ن، ج ١١، ص ٢٧٦ـ ٢٨٧.

من الآيات القويمة في السير والسلوك

يعدّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، من الآيات القويمة في السير والسلوك إلى الله تعالى، لأنّه يقوّي الروابط بين العبد وخالقه ويشدّد على إظهار العبودية ويجعل جميع حالات العبد تحت المراقبة والمراعاة، فقد أمر سبحانه بابتغاء الوسيلة إليه عزّ وجلّ الذي هو من شؤون العبودية الحقيقية، وأكّد على ذلك بالاهتمام به واتّخاذه مطلباً حقيقياً وبغية له، والإعراض عن غيره عزّ وجلّ، ولأهميّة ذلك في شؤون العبد فقد حفّه تبارك وتعالى بأمرين مهمّين، لهما الأثر العظيم في تحقّقه على الوجه المطلوب وترتّب الأثر عليه، وهما التقوى، والجهاد في سبيله تعالى، ولا ريب أنّ الاستمال وطلب الزلفى لديه عزّ وجلّ إنما يصحّ بعد تزكية النفس أولاً من رذائل الصفات وذمائم الأخلاق، فإنّها من أقوى الحجب الظلمانية المانعة من الكمال والاستمال، ثم تحلية النفس بالصفات الحميدة والأخلاق المرضية، ليتحقّق القرب والاستعداد، وأخيراً أمر عزّ وجلّ بالجهاد في سبيله، فإنّ الوصول إلى تلك المرتبة لا يكون بسهولة ويسر، وإنما يحتاج إلى جهاد وصبر ومثابرة، ولعلّ الآية الشريفة ترشد إلى أنّ المؤمن لا بدّ له من مراحل ثلاث: شريعة، وحقيقة،

وفيض، فإذا تحمّل بالشريعة وتوجّه إلى الله تعالى بابتغاء الوسيلة، اشتاقت نفسه إلى حضرة الملك وتغلّب عليها الشوق بالتوجّه إليه عزّ وجلّ، فيشتغل بمجاهدة النفس ومحاسبتها، وأوّل المنازل هو ترك الدنيا والعزوف عن زخرفها وزبرجها، ثم إسقاط جميع الروابط بمخالفة الهوى والاشتغال بالتوجّه إليه عزّ وجلّ، فمَن خرق عوائد نفسه تحقّق سيره ووصوله، ويعرف ذلك بحبّ الله تعالى وابتغاء الوسيلة إليه وجعله شغله الشاغل، فإذا جاهد الإنسان نفسه حتى هذّبها وأظهرها من الحجب والموانع، رجعت نفسه إلى أصلها، وهو الحضرة التي كانت فيها، فإنّه لم يكن بينها وبين محلّها إلاّ الحجب الظلمانية، فإذا تخلّصت عادت إلى محلّها الأرفع، ولعلّ هذا هو الفلاح الذي وعد عزّ وجلّ للسالكين في طريق الحقيقة والسائرين بنور معرفته، فإنّ الروح مهما تطهّرت وصفت من كدرات الحسّ عرجت إلى عالم الجبروت، فلم يحجبها عن خالقها شيء، فالآية الشريفة تبيّن الأثر العظيم لابتغاء الوسيلة، ومنها يظهر أنّ المجاهدة إنّما تكون بعد التوسّل بالوسيلة، وأما قبله فلا سبيل له حتى يجاهد، ولعلّه لذلك عقّب عزّ وجلّ على ذلك بأن الخروج عن تلك التعليمات كفر، ومَن يتبع غير ذلك السبيل لا يمكنه الوصول إلى تلك المقامات مهما حاول وبذل كلّ ما في وسعه، فإنّه لا يزيده إلاّ بعداً وحجاباً (ما تقبّل منهم)، فإن القبول إنّما ينحصر طريقه في ما ذكره عزّ وجلّ"[1].

---

(١) م.ن، ج ١١، ص ٢٣٣ـ ٢٣٤.

بعض آداب السير والسلوك

الآية الشريف[1] تبين بعض الآداب والأحكام في طريق السير والسلوك والتشرف بحضرة المعبود، فإن عظمة المقصود وشدّة الطريق ووعورته وطوله كل ذلك يحتاج إلى ما يؤمن به السلوك فإنه كل ما طال السفر وعظم مقصده اشتدّت الحاجة إلى الزاد والتعرّف على الخصوصيات لئلاّ يضع قدمه في طريق لم يعرف أحكامه وخصوصياته وآدابه فيوجب المذلّة والخروج عن الطريق بل النكوص على الأعقاب فبين عزّ وجلّ أولاً احتياج السالك إلى الإيمان فبدونه لن يصل إلى المعبود ولن يتوفّق إلى المقصود، نعم قد يدرك بجهده وتعبه بعض الآثار التي تترتّب على العمل كما نراه عند بعض المجاهدين للنفس في غير الملّة الحقّة، إلا أنها آثار العمل الذي عملوه، وأما أهل الإيمان فإنهم يتعدّون عن تلك الآثار ويطلبون معرفة الباري والحضور لدى جنابه عزّ وجلّ لمعرفة النفس والسلطنة عليها وكبح جماحها وتهذيبها وإرسالها في هذا الطريق ثم بيَّن عزّ وجلّ أن من أهم الآداب ترك الأسئلة التي لا تليق بالسالك إما لأجل عدم الإذن له فيها باعتبار أن المؤمن لا بد أن يكون سكوتاً لا يقول إلاّ عند

(١) ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

الحاجة، وقد ورد في بعض الآثار أن المؤمن ملجم، أو لأجل أن الرتبة التي هو فيها لا يليق فيها الأسئلة التي لا يليق بالسالك أما لأجل عدم الإذن له فيها باعتبار أن المؤمن لا بد أن يكون سكوتاً لا يقول إلاّ عند الحاجة، وقد ورد في بعض الآثار أن المؤمن ملجم، أو لأجل أن الرتبة التي هو فيها لا يليق فيها الأسئلة عن غيرها فإنها تكون من التعدّي، فإن أرباب الإيمان البرهاني مثلاً لا يحقّ لهم السؤال عن الحقائق التي لا يعلم إلاّ بالكشف والشهود إلاّ بعد طي مراحل، فإن السؤال عنها وظهورها يوجب الهلاك لقصورهم عن معرفتها فيكون ذلك سبباً لإنكارهم، وقد ورد في بعض الأخبار (لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لكفره) والله تعالى يغضب لأوليائه فلا يظهرها لهم لئلا يحصل منهم الإنكار فيخرجوا عن ربقة الإيمان، فالآية الشريفة تحذير لمن لم يكن له الاستعداد والقابلية عن كثرة السؤال عن أسرار الغيب فلا بد من التسليم والتحمّل في التهذيب حتى ينكشف لهم ما يريدونه وبعد حصول الاستعداد لنزول الفيض فليكن السؤال حينه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ تظهر لكم بواسطته، كما أن الآية الشريفة ترشد المؤمنين إلى صحبة الكمّل من أهل الإيمان ومن يرشدهم إلى ما يليق بهم ويبيّن لهم ما يوجب الانحطاط والمذلّة ليتركوه، وقد اهتمّ العلماء بهذا الأمر وجعلوه أصلاً أصيلاً في الولوج في هذا الطريق وهو حق لا ريب فيه واعتبروا شروطاً في من يتصدّى له، وقد ورد في بعض الأحاديث في بيان صفات العلماء (إنه الذي يذكركم الآخرة برؤيته).

هذه هي بعض الإشارات التي تضمنتها الآية الكريمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد[١].

---

(١) م.ن، ج ١٢، ص ٤٩٥.

ما يجب أن يستند عليه الإنسان في سيره وسلوكه

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم من حيث الجمال الظاهري وتمام الصنعة والخلق والاستعداد لتلقّي الفيوضات والقابلية للاستكمال، فأودع فيه الفطرة التي جمع فيها الحقائق والمواثيق وجعل فيه العقل الذي به امتاز عن سائر المخلوقات وليدرك به صنع ربه فيه وما أودعه في مخلوقاته، ويميّز بين الصالح من غيره وبعث لأجله التكليف والتشريع الذي هو نعمة إلهية خصّ بها أعزّ مخلوقاته وهو (الإنسان) ولكنه إذا غفل عن نفسه واتّبع هواه فصار مرتعاً للشيطان وأعرض عن ذكر الرحمن، أصبح عرضة للفساد والآثام، فلم يكن له مستند فطري ليردعه عن غيه ولإنساد عقلي ليمنعه عن ضلاله ولا أعتمد على مبدأ غيبي ليوصله إلى الكمال فحينئذ يأتي الخطاب بأنه ليس على شيء وما أشد هذا الخطاب الربوبي إذ هو يجرّد الإنسان عن جميع ما يكون سبباً لصلاحه إلاّ أن تدركه بارقة إلهية ليرجع إلى الطاعة فينقدح فيه نور الإيمان وليضيء له الدرب للاستكمال فيتوب إلى الله ويرجع إليه بالإنابة ويقيم الشريعة ولا ريب أن تلك المراحل والمراتب لا تكون إلاج بتوفيق من رب العالمين وإنما على الإنسان الاستعداد للرجوع إلى الطاعة والإنابة لدى جنابه ليكون معتمداً عليه بعدما سلب عنه الاعتماد، وأنه ليس بشيء فلو بقي

على هذه الحالة ولم يرجع إلى رشده لاختلّت عنده المشاعر، فيحسب الوهم والخيال واقعاً ويعطي لنفسه العظمة والكبرياء، ولم يكد يجعل لغيره أي منزلة فهو الأعمى والأصم عن سماع الحق ورؤيته لانقلاب الموازين عنده، وهذا الأمر عظيم لسوء الآثار المترتبة عليه حتى يصل إلى حدّ لا يرى في نفسه النقص والحرمان حق يستعد لإزالتها هذا هو الإنسان الذي نسيج وحده في هذا المجال، ولا أظن أن أحداً من مخلوقات الله عزّ وجلّ يكون بهذه المثابة فيصل إلى مرحلة اختلال الحواس عنده وحينئذ لم يقدر على الإصلاح بل يزداد طغياناً وكفراً فهو الأصمّ الأعمى بالنسبة إلى الحق، فكيف يؤثر فيه، فكان قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أمراً طبيعياً بالنسبة إليهم، فهم الذين أوقعوا أنفسهم في هذه المهلكة، وأوصلوها إلى باب مسدود، فإن هذه الجرائم والآثام لا تدع للإنسان اتصالاً بربه حتى يمكنه إقامة كتب الله معتمداً عليه إلا أن تلحقه رحمة إلٰهية فيتوب الله عليه لحكم ومصالح متعالية فيستفيد بعضهم منها فيرجع إلى طاعته ويعتمد على كتبه وينجّي نفسه بالإنابة إليه لكن كثيراً منهم فاسقون يعرضون عن الحق فعموا وصموا عنه ولكن الله تعالى بصير بأعمالهم وعليم بنواياهم، فيعلم المفسد من المصلح ومن له القابلية للاستفادة من فيوضات الخالق فإنهم وإن عموا عن رؤية الحق والعمل به إلا أن الله بصير بما يعملون[1].

(١) م.ن، ج ١٢، ص ٢٣٤.

السير والسلوك

الآيات الشريفة[1] المتقدمة تشتمل على مضامين عالية في السير والسلوك، ويعتبرها أهل الذوق والعرفان دستوراً ومنهاجاً لهم في عروجهم العرفاني، ونحن نشير إلى بعض ما تقتضيه الحال:

الأوّل: تتضمّن الآيات الشريفة على مخاطبة المربوب مع الربّ، ومثل هذه المخاطبة تستلزم الحضور، أي: حضور المخاطب لدى المتكلّم، وهو من طرف مخاطبة الله تعالى مع عباده وخلقه صحيح لا ريب فيه، لأنّه حضور إحاطي فعلي من كلّ جهة، وأما من طرف المربوب مع الربّ فهو حضور وجداني، وهو من أعظم مراتب تجلّيات الربّ العظيم على القلوب والضمائر، ويبيّن مثل هذا الحضور الوجداني قول أبي عبد الله الحسين عليه السلام في بعض حالاته الانقطاعية مع ربه: «سيّدي ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك»، ويشير إلى ذلك قول

(١) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾.

عليّ عليه السلام في الدعاء المعروف: «إلٰهي صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك»، وهذه هي الرابطة الاختيارية للعباد مع معبودهم الحقيقي.

ولعلّ من أعظم أسمائه الحسنى تأثيراً على القلوب وأشدّها حضوراً عند المخاطب اسم (الربّ). ولذا نرى أن الأنبياء العظام يتوسّلون بهذا الاسم المبارك في دعواتهم الشريفة وحالاتهم الانقطاعيّة، وهو يدلّ على كمال الخضوع والخشوع لربهم ويستميلون عطفه وعنايته عزّ وجلّ، الذي خلقهم وربّاهم منَّ عليهم بجميع النِعم الظاهرية والمعنوية.

الثاني: يُستفاد من الآيات المباركة أن أولي الألباب هم الذين وهبوا وجودهم وجميع حيثياتهم إلى خالقهم، فقد نظبوا أنفسهم على الجهاد والمثابرة والصبر على البلايا والأذى في سبيل الله تعالى، فصاروا بذلك مظاهر حقيقية لقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(١)، والالتفات إلى هذه الحالة وترتيب الأثر عليها من أهمّ الطرق التي سلكها الأنبياء عليهم السلام والأولياء في السفر إلى الله تعالى والسير إلاّ ما أشار إليه سيد الأنبياء بقوله صلى الله عليه وآله: «مَن رآني فقد رأى الحقّ»، وهذا هو المعراج الروحاني، الذي هو العلّة التامة لاستكمال النفوس المستعدّة.

وإن شئت قلت: هو إيجاد تمام العوالم في عالم واحد، وهو عالم الإنسانية الكبرى بالاختيار، فتصير النيران تحت إرادته والجنان تحت أقدامه، فتخاطبه النار بقولها: «جز يا مؤمن، فإنّ نورك يطفىء لهبي». وهذه كلّها لمحة يسيرة من سيرة الإنسان إلى الكمال غير المتناهي من كلّ جهة.

كما أنّها من تجلّيات أُولي الألباب بعدما لاقوا أشدّ المصاعب في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

هذه الدار الفانيّة، فقد هجروا الأهل والديار وتركوا المعاصي لأجل ربّ الأرباب، وقاتلوا النفس الأمّارة فقتلوها بالسيطرة عليها وتوجيهها إلى ما يرضي خالقها، ولأجل ذلك كانت عنايات الله جلّ شأنه بهم عظيمة لا حدّ لها، لأنهم مظاهر أخلاقه، وهم الصور المرئية من العقل الكلّي في هذا العالم وفي عالم البرزخ وفي عالم الآخرة، وقد أعدَّ لهم جنّات عظيمة لا نهاية لعظمتها، وهذه الجنّات هي جنّة الأعمال، وجنّة الرضوان، وجنّة اللقاء، وهي منتهى الغايات وأعلى الكمالات.

الثالث: غلبة ذكر الله تعالى على العبد توجب تجلّي عظمة الله جلّ جلاله عليه، فيصير طوع إرادته، فلا يعمل إلاّ بما يرتضيه، ولا يرى ولا يسمع إلاّ ما يشاء الله تعالى، ويصبح بذلك مرآة لوحي السماء، ولا معنى لأُولي الألباب إلاّ ذلك، فترى أنهم يسرعون إلى الإيمان عندما يسمعون المنادي ينادي إليه، لأنّ النداء جلب مشاعرهم بعدما كانت مشغولة بذكر الله تعالى، وهذا هو السمع الحقيقي الذي يغيّر العبد عمّا عليه من الغفلة.

وبعبارة أخرى: هي الجذبة الملكوتية التي تحصل للنفس، وكم لأُولي الألباب من هذه الجذبات إلى ربّ الأرباب، ولا بد من الارتباط مع هؤلاء بالمعنى الذي ذكره عزّ وجلّ، لأنّ العالم خلق لتكميل الإنسانية، ولا يحصل إلاّ بذلك. وهذا هو غاية دعوة الأنبياء العظام، خصوصاً سيّدهم ﷺ[١].

---

(١) م.ن، ج ٧، ص ١٧٤.

بعض المقامات لأصحاب السير والسلوك

يمكن أن تتضمّن الآيات الشريفة[1] إشارات لأصحاب السير وأرباب السلوك، لأنّهم حرموا على أنفسهم الدنيا وزخارفها، بل الموقنين منهم العاشقين إلى اللقاء والمشتاقين للحق حرّموا على أنفسهم نعيم الآخرة أيضاً، كما عن علي أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) في كثير من دعواته الشريفة وكلماته الحكيمة، وعن نبيّنا الأعظم ﷺ: «الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله تبارك وتعالى»، فسألوا بلسان الحال أو الاستعداد من الطيب الطيّبات، وفي الحديث: «إن الله طيّب لا يقبل إلاّ الطيب». فأوحى إلى حبيبه ونبيّه: قل للسالكين والمشتاقين والمؤمنين من عبادي الطالبين للحقّ ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ من طرق الوصول إلى ساحة كبريائه، مطيباً بجذبات الحق ونفحات الشهود، لا من كلّ مأكول ـ ومشروب أو ملبوس أو مقول أو معقول ـ فإنّها لا تليق بمقامهم وإن كانت لوجه الله تعالى، إذ لو لم تكن كذلك فقد لوّثت وخبثت، ومع ذلك أنّ المشتاقين للحقيقة والموقنين باللقاء والعارفين بالحقّ لا يهتمون

---

(١) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾.

بالمظاهر، بل هي محرّمة عليهم، لأنّها من شؤون الدنيا التي لا تحلّ لهم إلاّ بمقدار الاضطرار، كما تقدم عن أهل البيت عليهم السلام، فلا حظّ لهم فيها وإنما حظوظهم في الكمالات التي أهمّها أخلاق الله تعالى المنزّهة عن النقائص والشبهات، فإنّ أهل العرفان والسير والسلوك لا يتفكّرون إلاّ في عظمة الذات، ولا يسيرون إلاّ في ميادين الأنوار، فالدلائل عندهم مدلولات، والغيب شهادات، فأعيانهم في هذه الدنيا مشهودة وأرواحهم عنها مخلوعة، وهي تسير في أفلاك العظمة (بل تصاحب بعضها الأرواح القدسيّة والملائكة البررة)، وهي تيقّنت بعد المشاهدة بتوحيد الذات والفعل، وتهلّلت عن إخلاص بعدما ظهرت الحقيقة، وسبّحت بعدما رأت العجائب في الخلق وفي النفس، وحمدت بعدما أفاض الله تعالى عليها من النِّعَم، فهم للحقّ واجدون وللخلق مشاهدون، فبارك الله تعالى في عُمرهم، وتجلّى على قلوبهم، لأنّهم ساروا على نهج محمد صلى الله عليه وآله واقتدوا بخلفائه المعصومين عليهم السلام، ونبذوا الدنيا لأهلها، وتوكّلوا على خالقهم في الأشياء كلّها، وفي الآنات جميعها، وتواضعوا للعلم والحقيقة، فاكتسبوا أيضاً من الخلائق التي خضعت لخالقها وأشرقت بكلمة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ أسمى صفاتها، وأعرضوا عن ذمامها وعلّموا غيرهم بمختلف درجاتهم وطبقاتهم، وتحمّلوا عناء التعلّم من الذين لم ينالوا شرف العزّ والعرفان إلاّ لأجل سعادتهم، تقرّباً لوجهه الكريم وبثّاً لما أنعم من الفضائل عليهم بإذن منه جلّ شأنه، ولذا عطف عزّ وجلّ على الطيّبات ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾، أي: كاسبة لها لياقة الكسب والخروج عن ظلمات الجهل، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مسلطين على مخالفة الهوى، مشدّدين على هداية الناس ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ ترشدون الفئة الضالّة إلى طرق التوحيد، وتأدبونهن بآداب الشريعة التي فيها السعادة وارتياح النفس ممّا

ألهمكم الله تعالى، لأنّ العلم إمّا إلهام ربّاني أو مكتسب عقلائي، فهما منحة منه جلّ شأنه ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ بالتوجّه واستيعاب الضمير بأخذ العبرة والدلالة في عجائب خليقته، وبما منح الله من الألطاف المنتشرة على ما سواه، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ فتوجّهوا إليه لأنّه أخرجكم من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ورزقكم من أنواع الطيّبات، وباسمه أشرقت الكائنات وتجلّت، فلا اسم أشرف وأعزّ وأكرم من اسمه، فهو السموّ الواقعي المنحصر به، وهو اللائق بالذكر على جميع الأشياء دون غيره، وبه تنكشف المهمات، وتقضي الحاجات، وبه يدخل المؤمن الجنّة، وبنسيانه يدخل المنافق النار، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في جميع الشؤون وتمام الحالات، لأنّها السبيل الوحيد لنيل السعادة وكسب الفضائل، وبها يبتعد الشيطان ويرغم أنفه، وهي البذرة للوصول إلى المعالي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ في أقرب ما يمكن من الزمان والمكان، لإحاطته التامّة على كلّ ما جلّ ودق، فيحاسبكم على نواياكم، فكيف أعمالكم وأفعالكم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ تقييد إحلال الطيّبات ـ بعد ذكرها مطلقاً، وبمعناها الوسيع كما مرّ ـ باليوم لأجل بيان أمر واقعي وحقيقة منوطة به، وهي أن حلية الطيبات موقوفة على الولاية، ولولاها لما طابت وإن كانت طيّبة من كسب اليد، والوجه الحلال إلاّ أنها بحسب الظاهر لأجل حفظ النظام لا للكمّل من الإيمان، فالمراد من اليوم الزمان الخاصّ الذي تجلّى فيه سبحانه وتعالى بإكمال دينه وتنفيذ ولايته على لسان حبيبه ﷺ، و﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة، والأفعال الحسنة، والعلوم النبيلة والسبل المستقيمة، فإن جميعها حلّ للمؤمن الملتزم بما أنزله الله تعالى، لأنّه مثال للطيّبات لما اقتبسه من الأنبياء والأولياء عليهم السلام، ولذا قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ بتنوير

قلوبكم بنور العلم والمعرفة بالعروج من حضيض البهيمة إلى أوج العظمة من الكمال، بالاقتداء بالأنبياء والأولياء، ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ لأن المعارف الإلٰهية النازلة على قلب أشرف من في الورى لا اختصاص لها بأحد، فللجميع الفوز من هذا المنبع، والنيل من هذا المشرب بعد عناء كسب الأهليّة. نعم للنبي الكريمﷺ الاختصاص بالمقام المحمود وبالمشرب المحبوب: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني لا يشاركه فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسل»، فعلّهم يهتدون إلى الحقّ ويميّزون الخبيث من الطيب بطعامكم وعلومكم، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: اللاتي أحصنّ أنفسهنّ عمّا لا ينبغي، وإنّها الخواص من هذه الأمة، وهي طائفة أدركت حقائق الدين، وكشفت أسرار القرآن المبين، ووصلت إلى قمّة الإيمان وأعلى مراتب اليقين، حلّ لكم أن تقتبسوا منهن وتركنوا إليهن، سواء كانوا من المؤمنين أم المؤمنات لما حصنت نفوسهم بإطاعة الله تعالى ومخالفة الشيطان، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وهي الحقائق في الكتب المنزّلة على السالفة التي أحصنت من كلّ سوء، فإنّها كلّها لكم، بها تبلغون الكمال المنشود، ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ببذل الوجود بعد مخالفة الهوى، فإنّها مهور هذه الأبكار والحقائق ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ بتصرّف الهوى والتعدّي بالانحراف عن الشرع، ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ بأن لا يلتفت إلى غير الله تعالى ولا يتّخذ الدنيا مأرباً ومن فيها صاحباً، بل يكون هو جلّ شأنه الصاحب، والناصر، والمعين، والحافظ ولا غيره ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ لأنّه انحرف عن الصراط المستقيم، وبعد عن الحقّ القويم، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لأنّه غبن نفسه بالميل عن الطيبات إلى الخبائث والنزول إلى الهاوية بمتابعة الهوى والشيطان الذي هو على جانب النقيض من المؤمنين المخلصين، والعرفاء

الموقنين، والسالكين إلى الله تعالى الذين ليس في قلوبهم سواه عزّ وجلّ ولم تتّجه نفوسهم لغيره جلّ شأنه، وتفانوا في الله جلّت عظمته، فأفاض سبحانه وتعالى عليهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما في القدسيات.

وإن لم أر لهذه البحوث العرفانية إقبالاً عمليّاً إلاّ من أخصّ الخواص، لأنّ غيرهم توجّهوا للمظاهر وتركوا الحقائق، وأخذوا بالقشور ورفضوا اللباب، فإليه جلّت عظمته المشتكى من مكائد الشيطان، وقال شاعرهم:

تَركتُ هَوىٰ سُعدىٰ وليلىٰ بمعزلِ
وصرتُ إلى علياء أول منزل
فنادَتْنيَ الأكوان من كلّ جانبٍ
ألا أيّها الساعي رُوَيْدك فامهلِ
غَزلتُ لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد
لغزلي نسّاجاً فكسّرت مِغزلي[1].

(١) م.ن، ج ١٠، ص ٣٩٢ـ ٣٩٥.

بعض مقامات أهل السير والسلوك

ظاهر الآية المباركة(١) وإن كان خطاباً للمؤمنين بإبلاغهم تكاليف توجب رقيّ نفوسهم وتنوير قلوبهم، ولكن يحتمل أن يكون باطنها عتاباً لأهل السير والسلوك الذين يطلبون الحقّ ويسعون للوصول إلى الحقيقة بهجر الدنيا لنيل رضاه نعالى، فناداهم ربّهم جلّ شأنه بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ أي: الدنيا بأسرها، ففي كثير من الروايات التعبير عن الدنيا بالميتة، فعن جعفر بن محمد الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام: «والله لقد نزلت الدنيا منزلة الميتة متى اضطررت إليها أكلت»، فحرّمت الدنيا على الطالبين للحقّ والسالكين إلى ساحة قربه، ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ كذلك حرّمت عليهم الصفات التي توجب البُعد عن الأخلاق السامية كالحرص والقسوة، بل حرّمت عليهم جميع ألوان الدنيا ومتغيّراتها حتى الحلال منها فكيف بالحرام. ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ وأيضاً حرّمت عليهم كل فعل رفع صوت النفس بالأمر به، لأنّ صوتها لغير الله تعالى، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ وكذلك حرّم عليهم اختناق فطرته الداعية إلى الله العظيم بمخالب الأطماع، أو خنق نفوسهم بإخراج أنوارها الكائنة فيها

(١) ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)﴾.

بالرياء والإسماع، أو بضرب جرح الصدر المنشرح بالإسلام والمهيّأ للحضور عند صاحب القلب وخالقه العلاّم، ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ فحرّم عليهم أن يردوا أنفسهم من أعلى العليين إلى أسفل السافلين باتّباع الشهوات والتعلّق بالماديات، ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ أي: حرّم عليهم التناطح مع الأقران بالتفاخر والمماراة بالعلم والزهد - حتى في السير والسلوك - بين الأخوان، ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ فحرّم عليهم القرب عن كلّ ظالم الذين يتهاوشون على جيفة الدنيا تهاوش الكلاب، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ كما حرّم عليهم تقرّب نفوسهم لبيوت الأوثان، وهي المظاهر الموجبة للصدّ عن معرفة الله تعالى بالتوغّل فيما يوجب البعد عن ساحة قربه بمعاشرة غير الأولياء الأخيار والأبرار، ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ فلا تكونوا متردّدين متفائلين غير متوكّلين على الله تعالى بفتح قلوبكم لسهام الشيطان.

فإذا خلصتم من هذه الدواهي، وتركتم هذه القبائح، وخرجتم من هذه الظلمات لكون ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أي: أنّ جميعها مهالك وظلمات توجب إماتة القلب، وإخماد الفطرة، والعذاب الأليم، لأنّه يوجب الخروج عن طاعة الله تعالى فـ ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لتحلية نفوسكم بالفيوضات الإلهيّة بعد التخلية عن المكائد الشيطانيّة، ويأسهم عن إضلالكم لعدم تأثير الدنيا في نفوسكم مهما تزيّنت وتلوّنت، لحصول المقصود بعدما خلصتم أنفسكم من تلك الظلمات، فعادت ليلكم نهاراً ونهاركم أنواراً ﴿مِن دِينِكُمْ﴾ لأنّه المنهج الوحيد للرقي إلى المراتب العالية، والوصول إلى المقامات السامية والفوز بالسعادة الأبديّة، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ لأنّكم بلغتم المرحلة التي لا تؤثّر فيكم مكائد الشيطان ومصائده، ونلتم المقام الذي قاله رسول الله ﷺ لبلال: «ما فعلت يا

بلال سمعت دقّة نعليك قبل دخولي الجنّة»، ﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ لأن الكمال والتكامل منه تعالى وأنّ كيده متين وبطشه شديد، ولولا إمداده لانعدمت الكائنات وزالت السماوات وفنيت الموجودات، ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ وهو يوم ظهور الحقّ وكشف الحقيقة، ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ فإنّ كمال الدين كان في الأزل موجوداً ولكن أنعمت عليكم بالتوفيق لاستعدادكم بالتديّن به، وبه تنكشف الحجب وترتفع الأستار بعد صفاء نفوسكم وحياة قلوبكم، ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ التي أنعمت بها عليكم من التوفيقات والتأييدات وإظهار دينكم على الأديان كلها في الظاهر والحقيقة بالولاية، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ حتى تستكملوا به نفوسكم وتسلكوا به إلى الله تعالى بالخروج عن الوجود المجازي بالوصول إلى الوجود الحقيقي، فإنّ ابتغاء رضاءه من أسمى الكمالات، وإنّ الإسلام هو دينه إلى الأبد. ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ بالالتفات إلى الدنيا مضطراً إليها في غاية الاضطرار، ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ غير مائل إليها قلباً وغير متجاوز عن قدر الضرورة مع حفظ الحقّ والحقيقة التي نزلت في قلوبكم، والمعرفة التي أفاضها الله تعالى عليكم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لما ابتلى من الالتفات إلى غيره تعالى المضطر إليه، ﴿رَّحِيمٞ﴾ يهديهم إلى الحقّ بإقامة الدين والسير في الصراط المستقيم بعد الاستغفار وطلب الاستعانة من العزيز القهّار، ومن الله الاعتصام[١].

(١) م.ن، ج ١٠، ص ٣٤٩ـ ٣٥١.

بعض الرموز والإشارات للسالكين

الآيات الشريفة[1] تتضمن إشارات ورموزاً للسالكين يعرفونها بقوة حدسهم وصائب فكرهم والنور الذي أودعه الله تعالى في قلوبهم ومنها يستفيدون كيفية المخاطبة مع خالقهم العزيز ويتعلمون أدب المحاورة معه عزّ وجلّ فإنه له أثراً كبيراً وعظيماً بل هو الشرط في دخولهم في هذا الحريم وهو المحاورة مع الله تعالى والأنس به عزّ وجلّ بل في الأدب معه تتجلّى حقيقة العبد، والأدب المبحوث عنه في كتب الأخلاق وما ورد فيه في كتب الدعاء إنما هو هيئة حسنة، والصفة الخاصة التي يتلبّس بها الدّاعي أو الشخص لملاقاة شخص عظيم بلا فرق بين أن تكون في المنظر أو اللباس أو الأفعال والأقوال فتختصّ بما إذا كان الفعل محبوباً في حدّ نفسه فلا تشمل الممنوعات شرعاً وتشمل جميع الأفعال

(١) ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ﴾.

الاختيارية الحسنة وهذا مما اتّفق عليه العقلاء وإن اختلفت المجتمعات في مصاديقها فالأدب محبوب ذاته تدعو إليه الفطرة ويتعاملها العقلاء ويستحسنونه مطلقاً واختلافهم في المصاديق والإفراد لا يضرّ بأصل حسنه بحيث يكون أدب كل مجتمع حاكياً عمّا عليه من العادات والتقاليد والأخلاق. إلا أن في الإسلام آداباً خاصة تنبىء عن حقائق متأصلة وهي عامة تشمل جميع مظاهر الحياة وتدلّ على كمال الإسلام ورقيه عن جميع ما يكون مبتذلاً، ولمّا كانت دعوة الإسلام إلى التوحيد وتطبيقه في الاعتقاد والعمل به في جميع وجوه الحياة الدنيوية فكان الأدب في الإسلام موظفاً في هذا السبيل بحيث يرجع العبد في تطبيقه للأدب إلى جعل نفسه عبداً خاضعاً لله تعالى تظهر سمات العبودية على جميع جهات وجوده وأطواره ظاهراً وباطناً فكل من اشتدّ تأدبه مع الله تعالى كانت سمات العبودية عليه أظهر ولا ريب أن الأنبياء والأولياء والصالحين من عباده لهم الحظ الأوفر وهم الأساس المتين في العبودية فيكون أدبهم مع الله تعالى أشدّ وأظهر وأعمق ولذا صاروا مربين ومعلمين لأممهم بهم يقتدي في عنوان العبودية ومظاهرها ويتعلّم منهم سمات الأدب لأنهم علموا وعملوا بما علموه فصاروا مظاهر قدوة لغيرهم وتأثّرت نفوسهم القدسية فصاروا مظاهر العبودية لخالقهم وتهذّبت بالتعاليم الربانية واشتغلوا بالطاعة لبارئهم فتأثرت النفوس المستعدّة بهم فكانوا مربين حقيقيين وانقادت النفوس إليهم ومن المستحيل أن ينقاد شخص لآخر في العظة والنصيحة، والواعظ لم يعمل بما يعظ به غيره وهذا أمر فطري مركوز في النفوس لقد أرشد إلى هذه الفطرة قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

وقد أكّد الإسلام على العمل ولم يكتف بالقوانين العامة والكليات العقلية ما لم تنطبق على المجالات العملية ولذا كان المربي في الإسلام قدوة حسنة في العلم والعمل وفيه شروط معيّنة لا يمكن أن يكون مربياً ما لم يكن متّصفاً بما يصفه للمتعلّم ومتلبساً بما يريد أن يخلعه على غيره.

ويمكن تقسيم الأدب إلى أقسم متعددة كالأدب العملي المنطبق على العمل والأدب القولي الذي يتحقق في القول الذي يحكي طبيعة نفس المتكلم ويدور فيها من كفر أو نفاق أو إيمان فإن في الكلام الصادر من كل متكلم جهتين متميزتين الدلالة الوضعية التي تلازم جهة الصلاح غالباً، والدلالات الالتزامية التي تدل على ما يكمن في النفس من الصفات ولا يمكن أن يعرفها إلاّ من كان على بصيرة من الأمر، وقد قال تعالى في وصف المنافقين ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[1]، وإذ تتبعنا كلامه عزّ وجلّ في ما يحكى عن حالات الأنبياء والرسل عليهم السلام يتّضح ما يتجلّى فيها من غاية الأدب الإلٰهي في جميع حالاتهم مع الله تعالى أو مع الخلق وهي شواهد صدق على حسن تأدبهم وإن بنفسها تعليماً عملياً لغيرهم ممّن يريد الأسوة الحسنة وقد قال تعالى في حق أنبيائه الكرام ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2]، ولا ريب أن الهداية المأمور بالاقتداء إنما هي الهداية إلى التوحيد ونبذ الشرك وقد ذكرنا أنه لا بد من أن تظهر في الأعمال والأقوال والاعتقاد وتكون حاكية عن الاعتقاد الخالص الذي يتجسم في العمل فكان كل واحد منهما حاكياً ومرآة للتوحيد التام.

ومن هنا ترى أنهم في أدبهم العام في حياتهم العملية أنهم على خضوع وخشوع لله عزّ وجلّ فتراهم سجداً وبكيّاً ولا شبهه إنهما من أقوى

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

مظاهر التوحيد واستيلاء صفة العبودية على جميع مشاعرهم ونفوسهم القدسية فلا يفترق عندهم الحال بين الخلوة مع الله العزيز المتعال أو مع خلقه، فهم في جميع الأحوال على أدب إلهي مع الله ومع الناس جميعاً وجميع أطوارهم على نهج واحد، وهذا الأدب إن كان انفرادياً لكل رسول ونبي ولكنهم لم يخرجوا عن المجتمع فهم من أفراده ولهم أدب خاص وهم المسمى بالأدب الاجتماعي وقد جمعهما الله تعالى في آيات متعددة في القرآن الكريم. قال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1]. فقد أمرهم عزّ وجلّ بالأكل من الطيبات والتصرف فيها والتنزّه عن الخبائث التي تتنفر منها الطباع وإتيان العمل الصالح الذي يجعل الإنسان من الصالحين وما ينبغي أن يكون صالحاً لأن يقدمه إلى ربّ العزّة والجلال، وهذا الأدب ممّا يتعلق بالأفراد منهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وأما الأدب الذي يتعلّق بالناس بينهم بأن يكونوا أمة واحدة لا اختلاف فيها بلا فرق بين الرسول والمرسل إليهم وأن يجتمعوا على عبادة الرب ويتفّقوا على كلمة التقوى وبذلك ينقطع دابر الفرقة والاختلاف بينهم فيتحقق مجتمع توحيدي لا اختلاف بين أفراده الذين اتفقوا على عبادة الله الواحد الأحد وقد سرى الأدب الإلٰهي بين الأفراد في جميع أحوالهم وأطوارهم فلا تتعدّى السعادة عنهم حينئذ أبداً. والآيات في ذلك كثيرة.

وأما أدب الدعاء الذي امتاز الأنبياء والمرسلون به فقد بلغ أعلى مراتبه وأقصى درجات العبودية والخلوص والإخلاص فيه، وقد حكى عزّ وجلّ جملة منها في كتابه الكريم ولا نريد أن ندخل في تفاصيل أدب

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥١ ـ ٥٢.

كل رسول كما حكاه عزّ وجلّ في كتابه الكريم وما ورد في السنة الشريفة، إلاّ أننا نذكر ما يتعلق بعيسى ابن مريم عليه السلام وحالاته مع الرب العظيم وقد تجلّى فيه الأدب الإلهي على مظاهر وجوده الشريف، وندع غيره في المواضع المناسبة إن شاء الله تعالى.

فالآيات الكريمة التي وردت في هذه السورة المباركة قد بيّنت كثيراً من الوجوه من حياته الشريفة والانقطاعية مع الله عزّ وجلّ وما تضمّنته أفعاله وأقواله من الأدب الجليل العميق الظاهر عليه سمات العبودية المحضة الدالّة على غاية الخضوع والخشوع إلى الله المتعال وحُسن تأدبه معه وقد تقدم في قصة المائدة إذ قال عزّ وجلّ حكاية عنه ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

فإنه عليه السلام استعمل في كلامه ما يدل على غاية خضوعه وخشوعه لخالقه العظيم بعد مواجهته لسؤال الحواريين عنه في نزول المائدة وما تضمّن سؤالهم من الجفاء بظاهره وما لا يوافق الأدب العبودي وإن كان أصل قصدهم معروفاً عنده، مضافاً إلى أن طلبهم كان اقتراحاً منهم لآية جديدة مع آياته الكثيرة الباهرة الواضحة التي استوعبت أغلب مجالات حياتهم المادية وأحاطت بهم من كل جهة وقد عددها عزّ وجلّ قبل قصة المائدة تسجيلاً عليهم لإتمام الحجّة عليهم ورفع كل ريب وشك فكان اختيارهم لآية جديدة يعود نفعها لأنفسهم يشبه اللعب بالآيات وهم منزهون عنه كما قال عليه السلام عند الاستخبار عن نواياهم ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فأظهروا منوياتهم فاستجاب لطلبهم ودعا الله تعالى بدعاء ذي أدب رفيع وأدرج فيه اقتراحهم بما يناسب مقام العظمة والكبرياء ونحن نذكر السمات المشتركة في أدب الأنبياء أولاً ثم نذكر

الأدب الخاص به (عليه الصلاة والسلام) من جميع الآيات الواردة في شأنه.

الأول: إظهار العبودية المحضة الشاملة لجميع مظاهر وجودهم المبارك قال تعالى حكاية عنه ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَـٰنِيَ الْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. ومن لوازم مثل هذه العبودية السمع والطاعة فقالوا (سمعنا وأطعنا) لا كغيرهم إذ قالوا (سمعنا وعصينا).

الثاني: إبطال شأنهم مقابل معدن الكبرياء والعظمة فقال ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ فقد عرفت أنه لم يجعل لنفسه مرتبه حتى ينفي القول عن نفسه بل نفاه بنفي لازمه وهذا من الأدب العبودي المتّصف به هو وسائر الأنبياء العظام، ومن لوازم هذا النوع أن الأنبياء كلهم لم يتمنوا على الله بإيمانهم وطاعتهم شيئاً بل كانت طاعتهم عبادتهم عبادة الأحرار كما وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بأنه «وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» وفي الآيات الكريمة ما فيه الإشارة إلى ذلك فقال حكاية عنهم (غفرانك ربنا) بخلاف غيرهم فإن عبادتهم تختلف وقد حكى عزّ وجلّ عن اليهود حيث قالوا ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

الثالث: تنزيه ساحة الكبرياء والعظمة عن كل ما يتوهّم النقص فيه كما قال عيسى عليه السلام «سبحانك ربنا».

الرابع: اشتمال كلامهم على منتهى الثناء والابتهال بأبلغ بيان وأحسن وجه كما عرفت في آخر آيات هذه السورة وغيرها، وقال تعالى في حكاية عن داود وسليمان عليهما السلام ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾[1].

(١) سورة النمل، الآية: ١٥.

الخامس: تصدير دعواتهم المباركة بكلمة الرب كما قال عيسى عليه السلام: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً﴾ الدال على حضوره عزّ وجلّ ومراعاة خلقه وتربيتهم لهم كما في دعوات إبراهيم المباركة ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ﴾ وكذا غيره من الأنبياء والمرسلين.

السادس: إن جميع أحوالهم وألفاظهم تشتمل على ما يوافق أدب الحضور فكأن كل واحد منهم حاضر لدى جنابه عزّ وجلّ كما ذكرنا في قوله: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

السابع: اشتمال دعواته المباركة على ما يرجع إلى الصالح العام، قال عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ وقد عرفت أنه كان هذا الدعاء منه بأسلوب إيكال الأمر ليه عزّ وجلّ حتى لا يدخل في ضمن الدعاء للكافرين المرغوب عنه واستعمل من الأسماء العظام بما يناسب المقام وهم قد ألهموا علم الأسماء فيعلمون كيف يستعملون أسمائه المقدسة التي لها آثار خاصة، وقد قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وقال أيضاً: ﴿ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وفي دعوات نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله ما يبهر العقول.

الثامن: أنهم إذا أرادوا حاجة لأنفسهم أشركوا معهم غيرهم ليعمّ النفع وقد عرفت دعاء إبراهيم ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وفي دعاء عيسى عليه السلام ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

التاسع: أنهم إذا أرادوا من الله شيئاً بما يرجع على أممهم عند المخالفة والإمساك عن طاعتهم فلم يبق بعد الجهد الأكيد في التبليغ أن يرجعوا إلى الله تعالى بعد إتمام الحجة عليهم ونفاذ كل الوسائل في

هدايتهم لم يستعملوا الألفاظ الصريحة بل هم يكنون في دعواتهم فقد حكى عزّ وجلّ عن موسى بن عمران عندما أمر قومه بالدخول إلى القرية ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ فقال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ فقد كنى عن الإمساك عن أمرهم وتبليغهم ما أمره ربهم مرة أخرى بعد تلك المواجهة العنيفة منهم، ومن ذلك أيضاً دعاء شعيب على قومه إذ قال: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[1]، فإنه استنجاز منه للوعد الإلٰهي بعد اليأس من نجاح دعوته فيهم نعم ورد في قصة نوح عليه السلام التصريح بطلب العذاب لكنه بيَّن السبب في ذلك، فكان من أدب دعائهم بالشر أن تذكر الأمور التي يبعث إلى الدعاء بالنية بخلاف الدعاء بالخير فإن التصريح بالأسباب أدعى في المطلوب كما في دعاء موسى عليه السلام حيث قال تعالى حكاية عنه ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ عند دعائه على فرعون ولم يأت بتفاصيل أخرى بخلاف الدعاء في طلب الخير فقد حكى عزّ وجلّ دعاء عيسى في نزول المائدة التي ذكر فيها التفاصيل فراجع.

العاشر: أنهم كانوا يراعون منتهى الأدب مع قومهم وه ويرجع إلى التبليغ العملي الذي يضاهي التبليغ القولي، وفي القرآن الكريم الشيء الكثير.

قال تعالى حكاية عن نوح في المحاورة التي جرت بينه وبين قومه ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾[2]، فهي محاورة عجيبة تعجّ بالأدب الجميل والثناء

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٩

(٢) سورة هود، الآيات: ٣٢ـ ٣٤

والتبليغ مع الله تعالى والأدب اللطيف الذي يقبله مع طغاة قومه، ولذا كان نوح عليه السلام أول الأنبياء الذي فتح باب الاحتجاج في الدعوة إلى التوحيد ويعثر المتمعّن في محاوراتهم على لطائف دقيقة.

ومن فروع هذا الأدب الرفيع أنهم لم يستعملوا في كلماتهم وأقوالهم ما يسوء المخاطبين وإن كانوا من العتاة والجهلة والجبابرة ولم يخاطبوهم بكلمات نابية تدلّ على الإهانة والازدراء والشتم، وقد نال منهم المخالفون بشتى أنواع السب والشتم والاستهزاء والسخرية ولكنهم لم يجابهوهم إلاّ بالتي هي أحسن، قال تعالى حكاية عن عاد قوم هود ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾[1]. وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2] وقال تعالى حكاية عن قوم خاتم الأنبياء ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[3]، وغير ذلك من الآيات التي تحكي عن الأمم في محاوراتهم ومحاججتهم مع أنبيائهم المشتملة على أنواع الإهانة والشتم. وكان من أدبهم أنهم ينزلون أنفسهم منزلة آحاد الناس يكلمون كل طبقة منهم على قدر معرفة ومنزلته من الفهم وقد قال صلى الله عليه وآله: «إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» ومن أدبهم أنهم كانوا يتحملون أنواع الأذى في سبيل هداية الخلق وإرشادهم إلى الحق فليس لهم هم إلاّ التبليغ والإرشاد فهم تلبسوا بالحق وتنزّهوا عن الباطل بكل أنحائه ولأجل ذلك إنهم كانوا متّصفين بصراحة القول وصدق اللهجة وإن كان في بعض الموارد لا يقتضي ذلك كما هو الحال

---

(١) سورة هود، الآيتان: ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢٣ ـ ٢٨.

(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٨ـ ٩.

في المجتمعات غير الدينية التي تتبع سنة المداهنة والتساهل والأدب الكاذب ولهذا الأدب الاجتماعي وجوه مختلفة تجلّت في معاشرتهم مع الناس بجميع طبقاتهم الفقير والغني والحاكم والمحكوم والعبد والمولى، والرجل والمرأة والصغير والكبير فقد كانوا مثالاً للحق بكل معنى الكلمة هذا بالنسبة إلى أدب الأنبياء الذين تأدّبوا بالأدب الإلٰهي بجميع أنحائه وأطواره.

وأما عيسى عليه السلام فهو لم يخرج عن تلك الصفات المشتركة بينه وبين سائر الأنبياء والمرسلين فقد كان في غاية الأدب ومنتهى الحسن في الصفات والتأدّب مع الله تعالى إلاّ أنه اختصّ بالأدب الخاص لنفي ما ادّعاه قومه فيه من الألوهية فاشتملت كلماته المباركة على التنزّه والعبودية وإسناد أموره إلى الله تعالى وإلقاء شأنه أبداً مع خالقه العظيم[(١)].

---

(١) م.ن، ج ١٢، ص ٦٨٤.

بعض اللطائف عرفانية

يمكن أن تكون الآيات الشريفة[1] إشارة إلى معاني عرفانية، تتشوّق النفوس إليها وتنشط الأرواح بها وتنزيل التعب عنها وتتوجّه إلى خالقها وتستعين منه، ولعلّ الآية المباركة: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ إشارة إلى عهود العشّاق المنقطعين عن ما سواه، والعاكفين على أبواب فيضه ورحمته، فعقدوا معه جلّ شأنه على بذل وجودهم لنيل مقصودهم ـ وهو رضاه ـ وتحمّلوا ألم الفراق وعذابه لأجل لقاء جماله، وصبروا على المكاره حتى يتقرّبوا إليه بالشوق إلى دنوّه، فأنت الذي وهبت لهم من فيضك قدر ما يستحقّون، وأنعمت عليهم من آلائك قدر ما يتأهّلون باختيارهم، وجعلت في قلوبهم شوق لقائك، فهم منك، وإليك، ولك، ومعك تعاهدوا وتعاقدوا ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ

---

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

﴿مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾[1].

أو إشارة إلى أنّ ما تفضّل به على الإنسان ووهب له أعضاء يستخدمها في حياته، فكلّ عضو ـ نعمة وهبة ـ له عقد معه جلّ شأنه بأن لا يصرفه في معاصيه ونواهيه، فلا بدّ من الوفاء بهذه العقود التي عقدت معه تعالى، ويدلّ عليها روايات كثيرة ذكرها علماء الأخلاق في كتبهم.

أو إشارة إلى ما بذلوا من الجهد في هداية خلقك، ومهّدوا السبيل لهم للفوز إلى القرب من حضرة جمالك، وتعاقدوا ببذل أغلى وأعلى ما عندهم بقبولك بالدخول مع عبادك.

أو إشارة إلى إماتة الإنسيّة للنيل إلى المقامات العالية والعقد على مخالفة الهوى وطرد الشيطان، لتلقّي أنوارك.

وكيف ما كان، فمن أوفى بعهوده ودام على عقوده وصبر على بلائه ونجح في امتحانه، فقد فاز بمقصوده وتلقته السعادة، وتمثلته الإنسانية، ودخل الجنّة بعدما أزلفت له.

ولعلّ المراد من قوله جلّ شأنه: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ أحلّ ذبح بهيمة النفس التي هي كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، وقتل الأهواء الشريرة حتى تنكشف الحقائق وتزيل الأوهام، فعن علي عليه السلام: «المؤمن ينظر بنور الله»، لأنّه من الله تعالى وإلى الله تعالى، وهو في نور الله ويرى بنور الله، إن عرف الله وأزال الحجب بينه وبين الله تعالى، وهذه الأنوار غير محدودة، كما تقدّم في أحد مباحثنا السابقة، ولكن الاستعداد واللياقة بل الأهليّة لها دخل فيها.

ولعلّ الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

﴿حُرُمٌ﴾ يشير إلى الخلّص من عباده، وهم النفوس المطمئنة الثابتة التي فازت بالقرب إلى ساحة جماله، وتشرّفت بالخطاب الأبدي الربوبي، فسمعت بإذن نقية داعية قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، لأنّها أُحرمت بالتنفّر عن الدنيا وما فيها وتوجّهت إلى كعبة الوصال بتلبية الشوق، وتمسّكت بعرى العشق لحضرة الجمال، وآنست مع الطائفين حول بيت الحقيقة والأمان، وأوت إلى الركن خوفاً من الأغيار، وتجرّدت عن ما سواه، وانفردت عن كلّ محبوب ومطلوب بالتوجّه إلى المقام، ولذلك كلّه يرى في كل شيء جماله جلّت عظمته كما عن سيد العرفاء وإمام الموحّدين عليه السلام.

ولا شك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ﴾ بترقّي النفوس اللائقة وبذبح النفس إن اتّصفت بصفات البهيمة، ورعت في مراتع الحيوانات السفليّة، ورفثت كما ترفث الحيوانات البرية، وتشبّهت بالحيوانات السبعية حتى تنال طعمة من المآكل الدنيّة.

﴿مَا يُرِيدُ﴾ كما يشاء ويريد، فإنّه رؤوف كريم يحبّ أن يرى آثار نعمه على عباده، وفي الحديث: «إن الله جميل ويحب الجمال»، الأعمّ من الظاهري والمعنوي، ولا يحبّ القيود والسلاسل «ويبغض العبد القاذورة». أي: الصفات الذميمة المتوطنة في النفس أو الأوساخ الظاهرة على الجسد.

ولعلّ المراد من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ لا تقطعوا السبل عمّن أراد وجهه تعالى، لأنّ الجهة عظيم لا السالك شريف ـ إلاّ إذا كان مؤمناً ـ فإن القلوب تتسارع إلى الفضائل إن انكشفت لها الحقائق وتؤمن بالله العظيم وملائكته ورسله، لأنّ العبرة بالخاتمة،

فلا تتهاونوا بحُرمات الله تعالى بصدّ السير للسالك إلى المنازل والصعود من المواقف الدنيّة إلى التجرّد للقائه تعالى.

كما أنّ بعض النفوس المؤمنة تشرّفت بالقرب لساحته جلّ شأنه وفازت بنيل رضاه بالإفاضة عليها، كذلك بعض الأمكنة أشرق عليه نور ربّه جلّ شأنه فتشرّف وسما على غيره، وكذا بعض الأزمنة فضّل على غيره لتجلّيه تعالى فيه، وهو تعالى فضل الأشهر والأيام والأوقات والأمكنة بعضها على بعض، كما فضّل الرسل والأمم بعضها على بعض، لتتسارع النفوس المستعدّة لشوق اللقاء بعد تطهيرها عن الرذائل والأغيار، ثم التحلية بصفات الأخيار، فقال تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾، أي: لا تستحلّوا المآثم فيه وقدّموا التخلية بإزالة الصفات الذميمة حتى تنالوا شرف التحلية فيه، فإن للزمان والمكان والصاحب والأستاذ الدخل الكبير في تأثير النفس للإيصال إلى المقصود بها، وفي تحلية النفوس فيها.

ولا تمنعوا قوماً أرادوا التشرّف إلى كعبة الآمال وساقوا الهدى للقربان لأجل التوصّل لما يوجب الغفران من الآثام، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾، أي: لا تحلّوا الهدي الذي يريد صاحبه التقرّب به، ولا القلائد التي أسعرت بالشدّ لفكّ الشدّة.

ولعلّ المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أنّ كل مخلوق من حيث إضافته إلى خالقه جلّ شأنه حسن، مع قطع النظر عن كونه سعيداً أو شقياً، لأنّه تعالى خلقه بيديه ومن روحه وهو على صورته كما في بعض الأخبار، وإن لم يرض المولى بكفره ـ فإحسانه لخلقه لا لكفره ـ وإذا قصد بيت الأمن والأمان وأراد التوجّه إليه بالمقام، فلا تصدّوه عنه

علّه يتحلّى بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال ويتشرّف بهدي الإسلام، لأنّهم كسائر العباد ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ من التجارة في العاجلة أو الرضوان في الآخرة حسب زعمهم، والله يهدي لرضوانه من يشاء حسب لياقته وشأنه، فلا يجوز تحقيرهم بمنعهم عن الوصول إلى حرم الأمان، إلا إذا خبثت ضمائرهم، فخرجت عن قابلية الصلاح والإصلاح، فحينئذ لا يؤمّ البيت الحرام.

ويحتمل أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ الوصول إلى مرحلة التطهير بتمييز الحقّ عن الباطل بالعيان، لأنّه إذا حلّيت النفوس بعد التخلية وقربت إلى ساحة جماله بأداء شعائره، ورقّت الأرواح حتى وصلت إلى شهود أنواره، وخلت للأجسام النظر إلى صفاته والأخذ من رياض بهجته وبهائه، واستعدّت القلوب بعد ترويض النفوس وتزكيتها للمقام الرفيع، فحينئذٍ نالت مرحلة: «كلي واشربي وقرّي عيناً»، فأحاط التعظيم بها من كلّ جانب وشاهدت ما شاهدت وميّزت الخبيث من الطيب، وذاقت النفس طعم الحبّ وألم الفراق، وقال بعض العرفاء:

لا محبّة إلاّ بأصولٍ ولا وصول إلاّ غالي
ولا شراب إلاّ مختوم ولا مقام إلاّ عالي

ولعلّ المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ أن لا يصدّكم عن السير نحو الكمال بالوصول إلى مقام التسليم والرضا بعد الخلع بالبعد عن مساوىء نفوسكم التي هي الأغيار في جنوبكم، أ لا تمنعكم الصفات الذميمة في غيركم ـ الذين هم في زيّ الصادقين وعملهم عمل المعرضين ـ عن إصلاح سرائركم وتنوير قلوبكم والنيل بالأحبّة والفوز بمقام الخلّة بالتحلّي بصفات الغرّة، وقال شاعرهم:

أمّا الخيام فإنّها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها
لا والذي حجّت قريش بيتَهُ مستقبلين الركن من بطحائها
ما أبصرت عيني خيام قبيلة إلاّ بكيت أحبّتي بفنائها

قال تعالى: ﴿لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾[1]، فإذا سأل الصادقين عن صدقهم أيترك المدّعين من غير سؤال؟! فإنّ البعد عن الحق والحقيقة، والنيل من العزّ بذل العبودية بالأهواء ظلم واعتداء، لأن الادّعاء أعمّ من الواقع والحقيقة، فلا تحملنّكم الصفات الذميمة على الاعتداء بالهبوط عن رفيع المقام وأسمى المنزلة أشرف الملكات التي هيأها الله تعالى لكم.

وإن المراد من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أن كل ما يشغل القلب عن ما سواه ويمنع عن الوصول إلى الحقّ والحقيقة، فدفعه إعانة على البرّ، ولا يمكن دفع ذلك إلاّ بواسطة الشرع المبين. وأنّ تمكين حبّ الدنيا في النفس، وتكدير الروح بعد صفائها، وتسويد القلوب بعد جلائها هي من الإعانة على الإثم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في جميع الحالات، وفي كلّ الأمور وعند كلّ مقام، ومنزلة فـ (﴿أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فاتّقوه حتى تنجوا من عقابه الشديد وعذابه المديد، فمن عقابه عدم الوصول إلى تلك المنازل، ومن عذابه عدم نيل رضاه، وعدم الظفر بالحقّ والحقيقة. والله العاصم من الزلل والخطأ[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٨.
(٢) م.ن، ج ١٠، ٢٨٧.

طريق الكمال الإنساني

الإنسان المتخلق بأخلاق الله تعالى يكون مظهراً من صفات لطف الحقّ، ولذا يكون قبوله قبول الحقّ، وردّه رد الحقّ، ولعنه لعن الحقّ، ويكون دعاؤه دعاء الحق وكذا صلاته، فإذا صلّوا على أحد كان صلاتهم صلاة الحقّ، قال تعالى مخاطباً لنبيّه ﷺ: «إن صلواتك سكن لهم»(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾(٣).

وهذا الكمال لا يتحقّق في الإنسان المؤمن إلاّ بالمعرفة الكاملة والإفاقة عن الغفلة، وفي الآيات المباركة المتقدّمة تلميح إلى ما يصل به المؤمن بالرقي في تلك المراتب، حتى يصل إلى مقام القرب لديه جلّت عظمته، فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إيماناً حقيقياً، فيكون الخطاب مع الذين قالوا: «بلى» عندما تجلى بقوله جلّ شأنه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ في يوم الميثاق، فعاينوا ثم: ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾(٤)، وهم

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

الأولياء، أي: أهل الصف الألأل ـ كما هو المصطلح عند العرفاء ـ.

وأهل الصف الثاني آمنوا إذ شاهدوا، فمرتبتهم وإن كانت راقية ولكنها دون مرتبة الصف الأوّل، كما هو واضح وهم الخواص.

وأهل الصف الثالث آمنوا بعدما سمعوا الخطاب سماع فهم ورواية، وهم المرتبة النازلة عن المرتبتين، وهم السملمون وعوام المؤمنين.

وأهل الصف الرابع آمنوا تقليداً لا تحقيقاً، لأنّهم ما عاينوا، ولا شاهدوا، ولا سمعوا، فكانوا بعيدين عن الخطاب الحقّ فلم يسمعوه، وإنما انتظروا ولم يؤمنوا حتى سمعوا جواب أهل الصفوف، وكان سماعهم سماع قهر ونكاية، وهم المنافقون المذنبون.

وأهل الصف الخامس وهم اعترفوا ثم أنكروا، لقربهم إلى الشيطان وبعدهم عن الرحمن، وهم الكافرون.

وأهل الصفوف آمنوا في ذلك العالم ـ بالعيان أو المشاهدة، أو السماع، أو التقليد ـ كذلك آمنوا في هذا العالم حسب ذلك الإيمان، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

ولعلّ المراد من قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ من نوم الغفلة، وخرجتم من ظلمات الجهالة، وانتبهتم من رقدة الفرقة ومن عتاب الأحبّة، ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ التي بها تصفي النفوس من لوث الأشباح، وهي المعراج للرجوع إلى مقام القرب، وإنّها أرقّ وأصفى من المناجاة مع الربّ:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا
سرّ أرقّ من النسيم إذا سرى

وفي الحديث عن نبينا الأعظمﷺ: «إنّ العبد إذا قام إلى الصلاة

رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه، وقامت الملائكة يصلّون بصلاته»، فإذا تمّت التصفية، واستخفّت الروح ورفع الحجاب، فحينئذٍ ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾، وقبل ذلك كله ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾، التي توجهتم بها إلى الأغيار ودنوتم بها إلى الشيطان، بماء التوبة والاستغفار، ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾، فاغسلوا أيديكم عن الدنيا كلّها حتى عن الصديق الموافق والرفيق المرافق، وفي الأثر: «إنّ المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين خوفاً منه». وتوجّهوا إلى بارئكم، وخالقكم، ورازقكم، ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ ببذل نفوسكم وفنائها حتى تشرق عليها شوارق الأنوار، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ ثم اغسلوا أرجلكم عن تراب الأنانية وطين الشهوة إلى أن يحصل لكم شرف حضور القلب بكعب مقام الخلّة، ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾ بالالتفات والتوجّه إلى الحجب المادية بالسير في الملذّات النفسانية، ﴿فَٱطَّهَّرُواْ﴾ النفوس عن المعاصي، والقلوب عن رؤية الأغيار، بذلّ العبودية لله تعالى ومخالفة الهوى، ففي الأثر: «إن سلمان الفارسي سافر في زيارة بعض الأصحاب من العراق إلى الشام راجلاً وعليه كساء غليظ غير مضموم، فقيل له: أشهرت نفسك؟ فقال: الخير خير الآخرة، وإنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد، فإذا أعتقت لبست حلّة لا تبلى حواشيها»، فلا بدّ بطهارة الأرواح عن الاسترواح من غيره، وإن كنتم مرضى بمرض حب الدنيا وطلب الجاه، والنيل إلى المقام في متابعة الهوى والسير في زوايا الأوهام بالاستيناس مع الأغيار، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ في قضاء حاجة مادية وشهوة شيطانية، ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ بتحصيل لذّة من اللذات بالبيع من الأشباح أو شراء ما يوجب الاستيناس بغيره جلّ وعلا، ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ للطهارة عن الأدناس بالبعد عن الحقائق، ولم يهدكم أحد إلى التوبة والاستغفار من

ضعف نفوسكم، ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ بالتمعّك في تراب أقدام الأنبياء، فإنّه طهور للذنوب العظام وسبيل للدخول في نعم الرحمن، فإنّ الجنة تجرّ أهلها، قال ﷺ: «عجب ربّك من قوم يساقون إلى الجنّة بالسلاسل»، فلا تيأسوا من رحمته وفيوضاته، ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فإنّ إخلاصهم لله تبارك وتعالى يوجب خلاصكم ونجواهم معه جلّ شأنه سبب لنجاتكم، وفي الأثر: «من صلّى خلف مغفور، غفر الله له»، فطهّروا نفوسكم بالاقتداء بهم، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ من غبار نعالهم وشمّروا لخدمتهم، ففي الحديث قال ﷺ لبلال: «ما صنعت يا بلال؟! سمعت دقّة نعليك قبل دخولي الجنة، فقال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهّر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلاّ صلّيت بذلك الطهور»، فسيروا على نهجهم وتمسّكوا بهم، ﴿وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ أي: اعتصموا بقوّة لهم، لأنهم حبل الله الأعظم، بهم ينوّر الله تعالى قلوب العباد، وبهم يخرجون الناس من الظلمات وترفع الحجب المهلكات، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾، لأنه تعالى يحبّ خلقه فلا يريد لهم الذلّة بالضيق في الحجاب، ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: ينقيكم من الشرك بالرقي إلى المقام الرفيع، بالنيل إلى الإخلاص والفوز بالجزاء، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، والوصول إلى ساحة القرب بالوصال: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بكسر أنوار الهواية والاستقرار في الجنّة العالية، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بعد هدايتكم للنعم الإلٰهية والأنوار الربانية والهبات السماوية، فاذكروا تلك النعم واشكروه حتى يزيدكم من فضله، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، فلا تنسوا آلائه تعالى عليكم، وما منّ عليكم بختم النبوّة في أشرف الكائنات وفخر الموجودات، وبالولاية لسيّد الأوصياء الذي اصطفاه لحبّه واجتباه لحضرته، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي

وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ في ظهر آدم وعالم الميثاق، أو الميثاق الذي أخذه نبيّنا الأعظمﷺ حين بايعه المسلمون، فعن أبي ذر رضوان الله تعالى عليه قال: «بايعني رسول اللهﷺ خمساً وأوثقني سبعاً وأشهد الله عليّ سبعاً أن لا أخاف في الله لومة لائم»، فهو (رضوان الله عليه) رفض الدنيا وهاجر إلى ربّه بعدما مدّ يد البيعة مع رسول اللهﷺ ودافع عن الحقّ والولاية بوحده، حتى عاش وحده زاهداً ومات وحده شهيداً، وهاجر إلى ربّه مظلوماً، فسلام الله تعالى عليه حين أسلم وحين قام وقعد وحين رجع إلى ربه مطمئناً وفاز بما وعد الله تعالى له على لسان النبي الأمين ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، لأنه أخرجكم من ظلمة العدم إلى نور الوجود، فسمعتم قول ربّكم حيث قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وأطعتم حيث قلتم «بلى» حسب اختلاف تأهّلكم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في نقض ميثاقه ونسيان نعم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، لأنه يعلم الأسرار والخفايا وما يكن في الصدور، فأوفوا بعهوده ولا تنقضوها، واتّقوه في جذب الأخلاق المرضية، وابتغاء الوسيلة إليه بفناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية وتخلّص العبد من ظلمة الأوصاف الناشئة من الزلاّت النفسانية، بالجهاد في سبيل الله تعالى لاضمحلال الأنانية.

اللهم اجعلنا ممّن سبقت له العناية، وأفضتَ عليه توفيق العبادة، وتفضّلتَ عليه بالرقيّ إلى المقامات العالية، إنك سميع مجيب[١].

(١) م.ن، ج ١١، ص ٥٣ـ ٥٧.

الذكر وأقسامه عند العارفين

من أجلّ مقامات العارفين مقام الذكر، بل هو من أعظم مظاهر حبّ الحبيب لمحبوبه، فإن «مَن أحب شيئاً، أكثر من ذكره»، ومن علامات الحبيب الاستهتار بذكر حبيبه، وقد قالوا: إن المحب إذا صمت هلك، والعارف إذا نطق هلك، لأن الأول مجبول على ذكر الحبيب، والثاني مأمور بستر الأسرار، ونسب إلى سيد الساجدين عليه السلام:

يا ربّ جوهر علمٍ لو أبوحُ بهِ لَقيلَ لِي أنتَ ممّن تعبد الوَثنا

والذكر ـ عندهم ـ على أقسام ثلاثة:

الأول: ذكر اللسان المستمد من القلب.

الثاني: ذكر القلب مع عدم حركة اللسان، ويسمى مناجاة الروح والاستجماع للمذكور بالكلية، وهذا ذكر الخواص.

الثالث: ذكر السر، ومعناه غيبة الذاكر في المذكور ـ في الجملة ـ فكأن المذكور يكون هو الذاكر، وهذا ذكر أخصّ الخواص. ومثّلوا لكلّ ذلك بأمثلة مذكورة في محالها. كما بيّنوا لكلّ واحد منها ثمرات ونتائج[1].

---

(١) نفحات عرفانية ـ سرور ـ ص ٢٦٩.

ولو أضفنا إلى ما ذكروه من الأقسام، ذكر عامة الناس اذي يقوم بالجارحة اللسانية فقط من دون استمداد من القلب، تصير الأقسام أربعة. ولعلهم لم يذكروا هذا القسم لتنزّههم عن مثل هذا الذكر.

ثم إنّ ذكر الذاكر إنما يتقوّم بحبّه للمذكور، ولولاه لم يذكره، والمذكور قد يحبّ الذاكر قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[1]، بل حبّه لجميع خلقه مما أثبتته الأدلة العقلية ـ كما برهن في الفلسفة الإلهية ـ والنقلية، فيقع التجاذب في البين لكلّ من الحبيبين، وبعد تحقّق مراتب الحضور بينهما كيف يتحقق التخالف؟! لأن ذكر الحاضر من تمام الجهات قبيح، قال الشاعر:

أما ترى الحق قد لاحت شواهده
واصل الكلّ من معناه معناكا

والبحث نفيس جداً، لو وجدت لهذا العلم الشريف حملةً[2].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٢) ن.م، ج ٨، ص ١٨٠ـ ١٨١.

سيرة حياة العارف الميرزا السيد علي القاضي (قدس سره)

الميرزا السيد علي القاضي

حياته:

ولد السيّد علي آغا القاضي في الثالث عشر من شهر ذي الحجة من سنة ١٢٨٢هـ ق، في مدينة تبريز ونشأ تحت رعاية أبيه المرحوم السيّد حسين القاضي ـ المتوفى ١٣٤١هـ ق ـ فربّاه أحسن تربية وغذّاه من دُرّ الفضل ومعين النبوغ. هو من أسر العلمية النابهة مشهورة معروفة ينتهي نسبها إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. هذه الأسرة غنيّة عن التّعريف والإطالة في نعتها وبيان مالها من المكانة في النفوس تحمل نفساً شريفة وأخلاقاً فاضلة وسجايا حميدة توارثها الأبناء عن الآباء والخلف عن السلف. كتب الشيخ آغا بزرگ الطهراني ـ صاحب الذريعة ـ (قدّس سرّه): (الحاج السيّد الميرزا علي بن الميرزا حسين بن الميرزا أحمد بن الميرزا رحيم الطباطبائي التبريزي القاضي، عالم، مجتهد، تقي، ورع، أخلاقي، فاضل... أخذ الأولياء عن بعض الأفاضل وتتلمّذ على والده وعلى الميرزا موسى التبريزي ـ صاحب حاشية الرسائل ـ والسيّد محمد على القره جه داغي ـ صاحب حاشية شرح اللمعة ـ.

هاجر إلى النجف الأشرف، سنة ١٣١٣هـ.ق فحضر على المولى محمد الفاضل الشربياني والشيخ محمد حسن المامقاني والميرزا حسين

الخليلي... وكان يعدّ من أفاضل تلامذة الأخير... فقد برع في الفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها. وكان من رجال الأخلاق، فقد تهذَّب على الخليلي وغيره وعرف بذلك في أوساط أهل العلم ودرس في ذلك وكان له حلقة وتلامذة ومريدون. وكانت معرفتي به قديمة... إذ اتفقت هجرتنا إلى النجف الأشرف في عام واحد وبدأت صلتي به يومذاك وقد دامت المودّة والصحبة بيننا عشرات السّنين **فرأيته مستقيماً في سيرته، كريماً في خُلقه، شريفاً في ذاته**. وكان أهل العلم والاستقامة يجلونه ويكرمونه... حتى انتقل إلى رحمة الله ليلة الأربعاء السادس من ربيع الأول سنة ١٣٦٦هـ.ق ودفن في **وادي السلام** قرب مقام المهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ وأرّخ وفاته العلامة المرحوم الشيخ محمد السماوي في أبيات فقدتها، إلاّ أنّ مادة التاريخ منها قوله: «**قضى على العلم بالأعمال**». له تفسير القرآن من أوّله إلى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1] من سورة الأنعام. وعلمت أنّ له آثاراً وكتاباتٍ غيرها لم أقف عليها. ولوالده، المتوفّى ١٣١٤هـ.ق، تفسير أيضاً والميرزا مهدي القاضي عمّ جدّ المترجم من الأعاظم المشاهير... جدّه الأمي الميرزا محسن... وبيتهم بيت فضل وتقى قديم»[2].

يقول السيد محمد حسن نجل السيّد القاضي: الذي وجدناه بخطّه (قدّس سرّه) أنّه ولد سنة ١٢٨٢هـ ق وهاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٠٨هـ ق.

قوله: «**أخذ الأوليات من بعض الأفاضل...**» في اصطلاحهم الأوليات يعني العلوم العربيّة، النحو والصرف والبلاغة. وكان يقول (قدّس سرّه): أنه تتلمّذ على الأديب الشاعر الميرزا محمد تقي التبريزي، المعروف بـ «حُجّة الإسلام» والمتخلّص بـ «نَيِّر» وكان يروي عنه شعراً

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٢) «نقباء البشر في القرن الرابع عشر»، ١/١٥٤٥.

كثيراً فارسياً وعربياً وممّا كان يروي وحفظ عنه «أُرجوزته الألفيّة» التي يسمّيها بـ «قسوة الفصل» ومنها يعرف مبلغ معرفة هذا الشيخ الفاضل بآداب اللغة العربية وتُوفّي ١٣٢٤هـ ق.

قوله: «**وتتلمّذ على والده...**» أمّا تلمُّذه على والده السيّد حسين القاضي (١٣١٤هـ ق) والذي كانت له رغبة تامّة بعلم التفسير وله فيه يد طولى وكان (قدّس سرّه) يذكر أنّه قرأ تفسير **الكشّاف** للزمخشري، عليه. ومع أنّ السيّد ميرزا حسين ـ جدّنا ـ كان قليل المعاشرة والاختلاط بالناس إلاّ أن مجلسه الأسبوعي لتدريس التفسير في تبريز والذي كان يبدأ من الصباح حتى أعالي النهار. كان يحضره جمع كثير من الفضلاء ـ على ما ذكر.

قوله: «**تَهذَّبَ على الخليلي وغيره...**»... [كان الخليلي] من أعاظم العلماء العباد في عصره وكان (قدّس سرّه) يذكره كثيراً ويطري ويثني عليه ثناء جميلاً ولم أره يعجب بأحد مثل أستاذه هذا وما ذكر اسمه عنده إلاّ وسيطر عليه البهت والسّكوت وأغرق في التأملات. ويقصد بـ «غيره» السيّد أحمد الكربلائي والسيّد مرتضى الكشميري... وقوله: «**كان له حلقة وتلامذة ومريدون...**» ذكر العلامة آية الله السيّد محمد حسين الطهراني فيما كتب عن أُستاذه العلاّمة الطباطبائي: ومن جملة تلامذته (آية الله الحاج ميرزا على القاضي) والمختَصّين به: العلاّمة الطباطبائي والشيخ محمد تقي الآملي والسيّد حسن الأصفهاني المسقطي والشيخ على قسّام والسيّد هاشم الحدّاد والشيخ عبّاس القوجاني المعروف بـ «هاتف» واشيخ على محمد البر وجردي والميرزا الشريفي والشيخ محمد تقي اللاري والشيخ على أكبر المرندي والسيّد هاشم الهندي الرضوي... وعدد غيرهم...»[1].

(١) صفحات من تاريخ الأعلام في النّجف الأشرف، ١/ ١٨ـ ٢١.

أساتذته في السلوك العرفاني

أهميّة الأستاذ الكامل لِلسّالكين

يقول العلاّمة حسن زاده الآملي في شأن السيّد الميرزا علي آغا القاضي: كان آية الله السيّد القاضي من عجائب الدّهر... من كلمات المرحوم الحاج السيّد علي القاضي المُثير والمُغْري هو قوله: «**إذا قضى الإنسان نصف عمره في البحث عن أستاذ كامل فلم يقض شيئاً كثيراً**»(١).

ومن هنا ندرك أهمية الأستاذ الكامل للسالكين في طريق العرفان، فقد يلتقي السالك في حياته ببعض العرفاء أو العلماء الذين يتأثّر بأخلاقهم ويستفيد من مواعظهم وإرشاداتهم في تهذيب سلوكه ولكن للأستاذ منزلة أخرى أهمّ من ذلك وليس الأستاذ ممّن يختاره السالك لنفسه؛ بل هو ممّن يختاره الله تعالى له. كما لا بدّ لمن يريد السلوك في طريق العرفان من أستاذ يرشده ويأخذه بيده للوصول إلى الكمال، فإنّ السير في طريق السلوك الروحي مليء بالمطبّات والمتاهات التي يضلّ فيها السائر وحده أو من اختار أستاذاً لنفسه لم يصل إلى درجة الكمال وفي ذلك يقول السيّد علي القاضي: «**إنَّ أهمّ ما يحتاجه السالك في طريق**

(١) ذِكرى العلامة الطباطبائي رَحِمَهُ الله (يا دنامه علامه طباطبائي)، ص ٩٢.

هو الأستاذ الخبير، المتحرّر من الأهواء، والإنسان الكامل المتبحّر في المعارف الإلهية والذي طوى إضافة إلى سيره إلى الله ثلاثة أسفار أخرى وكانت سياحته في عالم الخلق بالحقّ»[1].

أما أستاذ السيّد علي آغا القاضي؛ قال العارف الكبير وشيخ السالكين الشيخ محمد تقي البهجة الرّشتي: «وصل السيّد علي القاضي إلى النجف الأشرف ـ على مُشرفها آلاف التُّحف ـ بعد مرور عدة أشهر من وفاة أستاذ العرفاء الشيخ حسين قلي الهمداني، فتلقّى التربية الروحية والسلوكية على يد السيّد أحمد الحائري واحد العين والشيخ محمد البهاري ـ قدَّس الله أسرارهم أجمعين ـ»[2].

وكان السيّد القاضي يعتبر أستاذه السيّد أحمد الكربلائي المعروف بـ «واحد العين»، إنساناً كاملاً، يقول: كنت ليلة في مسجد السّهلة ـ زادَه الله شرفاً ـ فدخل المسجد شخص في منتصف الليل ووقف في مقام إبراهيم عليه السلام وسجد بعد صلاة الصبح سجدة استمرّت إلى طلوع الشمس، فذهبت أستطلع أمره فإذا هو الإنسان الكامل السيّد أحمد البكّاء ـ قدَّس الله سرَّه القدّوسي ـ وقد تحوّل تراب سجوده طيناً من كثرة بكائه وعندما ذهب صباحاً إلى غرفته في المسجد كان يضحك بصوت عال بحيث أنّ صدى ضحكاته كانت تصل إلى خارج المسجد **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**[3].

لم أرَ مثله في النجف:

ذكر العلم العلاّم والفيلسوف الهمام السيّد جلال الدين الآشتياني،

---

(١) «السير والسلوك» لبحر العلوم، ص ١٧٤.

(٢) «تاريخ الحكماء والعرفاء» للصَّدوقي سُها، ص ١٢٠.

(٣) «تاريخ الحكماء والعرفاء» ص ١٣٥.

نقلاً عن العلاّمة الطباطبائي، نقلاً عن أستاذه الشيخ محمد حسين الغروي الكمباني، الفقيه والأصولي المعروف، أنّه كان يقول: «لَم أرَ في النجف الأشرف أفقه وأعلم وأعدل من السيّد أحمد الكربلائي الحائري ومع ذلك كان يهرب من النّاس ويحيل أمر الفتيا إلى غيره من الأعلام الموجودين في النجف الأشرف ـ تغمّدهم الله تعالى برحمته ورضوانه ـ»[1].

قال السيّد محمد حسن القاضي: «وقد صاحب [والدي(قدّس سرّه)] في النجف الأشرف باديء الأمر السيّد الأجلّ، جمال السالكين، السيّد مرتضى الكشميري الرضوي، زهاء عشر سنوات واكتسب منه ـ على حدّ تعبيره ـ فنوناً من المعارف الإسلامية، والخُلقية، والعبادية، والرياضات النفسية والتهذيبية، ومراتب الرضا والتسليم، وأوقد في سرّه الجذوات الوجدانيّة العليا، التي ظلّ طوال عمره الشريف يذكرها ويترحّم على أستاذه ويطلب من الباري تعالى له المغفرة والرضوان. وهو وإن كان ينكر أستاذيّته بالمعنى الأخص، إلاّ أنه كان يعتبره ممّن وضعه على الطريق، وأخذ بيده في قطع الأشواط الأولى من سيره السلوكي والأخلاقي بالمعنى الأعمّ.

وبعد وفاة السيّد جمال السالكين الرضوي، لازَمَ أو قام بخدمة ـ كما يعبرون ـ السيّد أحمد الكربلائي، الذي قالوا عنه إنّه كان أوحدي عصره في مراتب العلم والعمل والسلوك وكان هو (قدّس سرّه) يذكر عظيم ما شاهد من أستاذَيه ـ الرضوي، والكربلائي الطهراني ـ من مراتب التنسّك والتعبّد والتهجّد وخوارق العادات والمزايا النفسية العالية وعلوّ الهمّة والمجد والسؤدد بالإضافة إلى ما عرفا به من العلم والمعرفة والفقاهة ورواية الحديث يندر مثيلهما بين طلبة العلوم وسائر الفضلاء والمرموقين

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ٢٨٢.

من العلماء والزّعماء الدينيّين. ويذكر أنه (قدّس سرّه) مع ما كان يُكنُّ لهؤلاء من الإكبار والإعظام والتّجلة والاحترام، كان ينكر أن يكون قد تتلمذ عليهما، أو يكونا هما اللّذان وضعاه على الطريق، مع أنّه استعان بهما واستفاد منهما روحيّاً ونفسياً وخلقياً كثيراً.

بل كان يذكر أن الذي وضعه على الطريق هو السيّد حسين القاضي والدهُ المعظّم، الذي كان قد تتلمذ على آية الله العظمى السيّد ميرزا حسن الشيرازي ـ قدّس سره الشريف ـ في الفقه وقد تتلمذ في العرفان على «إمام قلى» [النَخجواني] الذي كان بدوره تلميذ السيّد قريش... وقد آثرنا نقل حديث هؤلاء الثلاثة عن لسان آية الله العلاّمة السند والحبر المعتمد، السيّد محمد حسين الطهراني»[1].

يقول (الحاج السيّد هاشم الموسوي الحدّاد): لقد كان المرحوم السيّد القاضي عالماً لا مثيل له في الفقاهة ولا مثيل له في فهم الرواية والحديث ولا مثيل له في التفسير والعلوم القرآنية وفي الأدب العربيّ واللغة والفصاحة وحتى في التجويد والقراءات القرآنية وكان يحضر أحياناً مجالس الفاتحة فلا يجرؤ إلاّ القليل من قُرّاء القرآن على القراءة في حضوره، لأنّه كان يبيّن الإشكالات في تجويدهم وأسلوب قراءتهم. وكان المرحوم القاضي يتشرّف بالمجيء إلى كربلا ويتفضّل ـ مجلّلاً ـ بالنزول في المنزل المتواضع للحقير. وبالرغم من كونه غارقاً إلى حدّ كبير في بحر المعارف الزاخر، إلا أنه ـ مع ذلك ـ كان يقرأ لي أحياناً من الأشعار الفصيحة والبليغة، من جملتها هذه الأشعار الواردة في استعمال الكلمات المشتركة لفظاً المتعدّدة معنى:

---

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام»، ١/٢٨٩.

يا خَلِيَّ البَالِ قَدْ بَلْبَلْتَ بِالْبِلْبالِ بالْ
بالنَّوى زلْزلتَني وَالعَقلُ في الزّلزالِ زالْ
يا رشيقَ القَدِّ قَدْ قَوَّسْتَ قَدّي فَاسْتَقِم
في الهَوَى فَأَفْرُغْ فَقَلْبي شاغِلُ الأشغالِ غال
يا أسيلَ الخَدِّ الدَّمعُ خَدّي في النَّوَى
عَبرَتي وَدْقٌ وعَيني مِنْكم يا ذَا الخَالِ خَالْ
كَمْ تُسَقّي زُمْرَةَ العُشّاقِ غَسَّاقَ الجَوَى
كَمْ تَسُوقُ الحَتْفَ مِن ساقٍ عَنِ الخَلخالِ خَالْ

إلى آخر الأبيات ويتّضح من ذلك أنّ المرحوم القاضي كان يحفظ جميع هذه القصيدة الرائعة...»[1].

(١) «الروح المجرّدة»، ص ٣٨٣ـ ٣٨٥.

جامعيّة العلامة القاضي في العلوم المختلفة

نقل العلاّمة السيّد محمد حسين الطهراني عن العلاّمة سيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله: «لم يكن للمرحوم القاضي من نظير في اللغة العربية ويقال: إنّه حفظ أربعين ألف كلمة. وكان ينشد الشّعر العربي بطريقة لم يكن العرب يتصوّرون أنه أعجميّ. وروي أنّه كان مع المرحوم آية الله الحاج الشيخ عبد الله المامقانيّ رحمه الله عليه في إحدى جلسات المباحثة، فقال له الشيخ: إنّ لي تسلّط على اللغة العربية وأشعارها بحيث أستطيع أن أميّز من ينشد الشعر العربيّ إذا كان عجمياً حتى ولو كان شعره في أعلى مستوى من الفصاحة والبلاغة.

فبدأ المرحوم القاضي يقرأ قصيدة لأحد الشّعراء العرب، ثم أضاف بداهة عدّة أبيات من تأليفه وقال له: أيّ الأبيات التي ليست للعرب؟ فلم يستطع تحديدها.

وكان للمرحوم القاضي باع طويل في تفسير القرآن الكريم ومعانيه وكان أُستاذنا المرحوم العلاّمة الطباطبائيّ يقول: إنّ هذا الأُسلوب الذي يفسّر الآية قد تعلّمناه من المرحوم القاضي ونحن ننهج نهجه في التفسير. أما بالنسبة لفهم معاني الروايات المنقولة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام فقد كان يمتلك ذهناً وقّاداً ومعرفة واسعة وقد تعلّمنا منه طريقة فهم الأحاديث

التي يقال لها: «فقه الحديث». كان المرحوم القاضي في تهذيب النفس والأخلاق والسير والسلوك في المعارف الإلٰهيّة والواردات القلبية والمكاشفات الغيبيّة السبحانية والمشاهدات العينيّة، فريد عصره ووحيد دهره وسلمان زمانه وترجمان القرآن»[1].

تلاوة القرآن بشرائط خاصة

ذكر آية الله الشيخ محمد تقي الآملي رحمه الله: «كنتُ أحضر مباحثة الفقه عند السيّد القاضي واتّفق أن سألته يوماً ـ وكان الجوّ بارداً ـ نقرأ ونسمع عن الآخرين أنّهم حين قراءة القرآن الكريم تتفتح أمامهم الآفاق وتتجلّى لهم الغيوب والأسرار ونحن نقرأ ولا أثر ولا أيّ شيء؟! فنظر في وجهي قليلاً، ثم قال: نعم، إنّهم يتلون القرآن الكريم وبشرائط خاصة: يقفون على أرجلهم بٱتّجاه القبلة، حاسري الرأس، رافعين كلام الله بكلتا يديهم ومتوجّهين بكل وجودهم إلى ما يتلون وأمام من! أمّا أنت تقرأ القرآن وقد دخلتَ تحت الكرسي إلى ذقنك ووضعتَ القرآن على الأرض تنظر فيه. . . كذا؟!

قال الشيخ: نعم، كنتُ هكذا أقرأ القرآن وأُكثر من القراءة، فكأنّه (قدّس سرّه) كان معي يراقبني وقت القراءة ومنذ ذلك اليوم انصرفت بكلّ وجودي نحوه والتزمت مجلسه»[2].

عاش السيّد الميرزا علي آغا القاضي في أقصى مراتب الفقر في النجف بحيث كان عاجزاً حتى عن دفع إيجار دار السكن وقد رُمي يوماً أثاث منزله في الشارع فاضطر أن ينتقل بعائلته إلى إحدى غرف مسجد

---

(١) «الشمس الساطعة» ص ٢٤.

(٢) «صفحات من تاريخ الأعلام» ص ١/ ٢٢٥.

الكوفة المعدّة لمبيت الزوّار والغرباء. ومع ذلك لم يثنه الفقر عن التوجّه الكامل لله عزّ وجلّ. يقول العلاّمة الطباطبائي رحمه الله: عندما انتقل السيّد القاضي إلى مسجد الكوفة، ذهبت لزيارته، وجدته وجميع أفراد عائلته مصابين بالحمى، وعندما كبّر المؤذن للصلاة قام ـ كعادته ـ لأداء الصلاة في أول وقتها ثم تلا بتوجّه كامل قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[١].

ثم استغرق بالذكر والدعاء بهدوء عجيب وكأن شيئاً لم يكن[٢]!

قصّة الفقر وعدم العُملة:

ذكر أحد تلامذة السيّد علي القاضي: كنتُ أحضر مجلس السيّد القاضي وكنت في ضائقة مالية شديدة، شأن أكثر الطلبة في النجف الأشرف، كنت أتعشى أكثر الليالي بالخبز والشّاي فقط وفي إحدى الليالي كانت لديّ قطعة نقدية صغيرة تكفي لشراء قرص من الخبز، كان من نيّتي أن أشتري بها الخبز عندما أعود من المجلس وفي أثناء حديثه ـ وكان مجلسه في غرفة من غرف المدرسة الهندية ـ دخل علينا مسكين يستعطي وفجأة مدّ السيّد القاضي يده نحوي وقال: هل لديك شيء نعطي هذا المسكين؟ فمددت يدي في جيبي وأخرجت القطعة النقدية الوحيدة ودفعتها له، أخذهما ودفعها للمسكين ثم استرسل في حديثه.

فأجاب: إنّ الإذن العام الذي صدر لمواليهم يكفينا جميعاً ولا حاجة إلى كسب إجازة خاصة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٢) نقلاً عن حديث إذاعي لآية الله السيّد إبراهيم خسرو شاهي، في ٢٥ رمضان ١٢١٨.

وعلى أيّ حال، وبعد الإلحاح الشّديد، علّمني الورد الخاص عنده لهذا الغرض ويتلخّص في قراءة «آية النّور» بعدد أصحاب بدر كل ليلة قبل النوم بشروط: الطهارة، والاجتناب من النساء، وأمور أخرى ليالي معدودة ومحدودة. فذهبت إلى مسجد السّهلة ولزمت الجامع وقمت بوردي ليالي وفي إحدى هذه الليالي من حين بدأت وردي أحسست كأنّ أحداً يضع يده على كتفي فتوجّهت نحوه ـ وأنا حينذاك في المقام المنسوب للإمام المهدي عليه السلام ـ فقال: استعد للتشرّف!

يقول الشيخ: وما إن طرقت سمعي هذه الكلمة إلاّ واستولى الرّعب والخوف عليّ وأخذ بمجامع قلبي وكدت من فرط الاضطراب أن أخرج من إهابي فأخذت أتوسّل منه أن يعفيني وهكذا كان القبول.

فذهبت من فوري إلى النجف الأشرف ولقيت «الآقا» فجابهني ـ قبل أيّ حديث ـ بقوله إذا لم تكن مستعداً فلماذا كلّ ذلك الإلحاح؟!

«وصايا العلامة القاضي»

قال العلاّمة السيّد محمد حسين الطهراني: كنتُ جالساً أحد الأيّام في الحرم المطهّر للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام خلف جهة الرأس الشريف بعد إتمامي الصلاة وأداء ركعتي صلاة الزيارة، حيث كان جالساً إلى جانبي سماحة حجّة الإسلام العلاّمة اللاهيجاني الأنصاري دامت بركاته. فتطرّق الحديث في ذلك المكان المقدّس إلى ذكر الفقيه الإسلامي والعارف الجليل المرحوم الحاج الميرزا علي آقا القاضي، وباعتبار أن العلاّمة اللاهيجاني كان يتردّد في النجف الأشرف على محضر سماحته، فقد نقل عنه عدّة أقوال تستحقّ العناية والتأمّل، مِن بينها أنّ ذلك المرحوم كان يقول: لا تصلِّ دائماً في مسجد واحد، واذهب إلى المساجد الأُخرى أيضاً. وحيثما وجدتَ فيضاً معنوياً فصلِّ هناك. أمّا إذا لم يحصل لديك توجّه في مكان ما، فغيّر ذلك المكان وانتقل إلى مسجد آخر. والخلاصة فإنّ التوقّف في مكان واحد أمرٌ لا داعي له. وينبغي على المرء أن يبحث باستمرار عن حالة معنوية أفضل للتوجّه، وعليه الانتقال في طلبها من مكان إلى آخر، وصولاً إلى اختيار الموضع الذي يحصل فيه على توجّه والتفات أفضل. (وكان يقول): إن لم تحصل على مرادك في مسجد الكوفة فاُذهب إلى مسجد السَّهلة، وإن لم تحصل على

مرادك في مسجد السّهلة فاذهب إلى مسجد الكوفة وهكذا.

وكان من ضمن أقواله إنّ على الإنسان أن لا ييأس أبداً، وأن لا يكفّ عن السير والسلوك إن تأخّر وصوله إلى النتيجة. فقد يحفر المرء الأرض بظفره ثم ينبع تحت أصابعه فجأة ماء زلال فوّار كمثل عنق البعير.

ومِن بينها قوله: **مَن كان هَمُّه الله كفاهُ الله في جميع هُمومِه.**

ومن بينها أني سألته يوماً (والكلام للعلاّمة اللاهيجاني) عن الذكر الذي أردّده في مواقع الاضطرار والابتلاء وعند تعسّر الأمور، سواء فيما يتعلّق بالأُمور الدنيوية أو الأُمور الأُخرويّة، فأجاب: صلِّ على محمد وآله خمس مرات ثم اْقرأ آية الكرسي مرة، ثم أكثِر في قرارة نفسك من قول **اللهُمَّ اجعلني في درعك الحصينة التي تجعل فيها من تشاء حتى يتيسّر الأمر**[1].

«تعال، تعال إلينا ولا تخف»

يقول السيّد حسن المصطفوي التبريزي: جئت إلى النجف الأشرف للالتقاء مع السيّد القاضي والاستفادة منه ولكنّي عندما وصلت إليها خشيت من زيارته لمّا رأيت الأجواء العامة في الحوزة العلمية ضد السيّد القاضي ولمّا سمعت بعض طلبة العلوم الدينيّة في النجف الأشرف يسلقونه بألسنةٍ حداد. وفي يوم كنت جالساً إلى جانب الباب المقابل للسّوق الكبير للمرقد الطّاهر لأمير المؤمنين عليه السلام، فكنت أرى كلّ من يدخل ويخرج من باب القبلة والسلطاني، وكنت مستغرقاً في أفكاري وأسائل نفسي لماذا جئت إلى النجف وأنّي ما أتيت إلاّ للالتقاء بالسيّد القاضي والآن أنا خائف من زيارته وفي هذه الأثناء رأيت سيّداً جليلاً خرج من الحرم الطّاهر ثم أحاط

---

(١) معرفة المعاد، ٧/ ١٧٨.

ببدنه شيئاً فشيئاً نور حتى سطع النور من جهاته الستّ، فعشقت هذا السيّد وتوجّهت إليه بمجامع قلبي، ثم رأيته ذهب من باب الحرم السّلطاني وجلس عند قبر الملاّ فتح علي سلطان آبادي وفي هذه اللحظة رأيت ذلك السيّد النوراني أسرَّ إلى أحد الذين معه شيئاً، فقام ذلك الشخص واتّجه نحوي وعندما وصل لي قال: يقول لك السيّد: «يا مَن اسمه حسن وسريرته حسنة وشكله حَسن وشغله حسن، لماذا تخاف؟ تعال، تعال إلينا ولا تخف! وبعد هذا ذهبتُ لزيارة السيّد علي القاضي»[1].

«يوم الغدير من وجهة نظر العلاّمة القاضي»

قال الإمام الرضا عليه السلام: إذا كان يوم القيامة زفّت أربعة أيام إلى الله كما تزفّ العروس إلى خِدرها، قيل: ما هذه الأيام؟ قال: يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة ويوم الغدير، وإنّ يوم الغدير بين الأضحى والفطر والجمعة كالقمر بين الكواكب وهو اليوم الذي نجا فيه إبراهيم الخليل من النّار فصامه شكراً لله وهو اليوم الذي أكمل الله به الدّين في إقامة النبي صلى الله عليه وآله علياً أمير المؤمنين علماً وأبان فضيلته ووضاءته فصام ذلك اليوم وإنّه ليوم الكمال ويوم مرغمة الشيطان ويوم تقبل أعمال الشيعة ومحبي آل محمد وهو اليوم الذي يعمد الله فيه إلى ما عمله المخالفُون فيجعله هباءً منثوراً وهو اليوم الذي يأمر جبرائيل عليه السلام أن ينصب كرسيّ كرامة الله بإزاء بيت المعمور ويصعده جبرائيل عليه السلام وتجتمع إليه الملائكة من جميع السموات ويثنون علي ويستغفرون لشيعة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ومحبّيهم من ولد آدم عليه السلام وهو اليوم الذي يأمر الله فيه الكرام الكاتبين أن يرفعُوا القلم عن محبّي أهل البيت وشيعتهم ثلاثة أيام من يوم

---

(١) «الدّعا والتوسّل» للسيد علي أصغر دستغيب، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

الغدير ولا يكتبون عليهم شيئاً من خطاياهم كرامة لمحمد وعليّ والأئمة وهو اليوم الذي جعله الله لمحمّد وآله وذوي رحمته وهو اليوم الذي يزيد الله في مال من عبد فيه ووسع على عياله ونفسه وإخوانه ويعتقه الله من النار وهو اليوم الذي يجعل الله فيه سعي الشيعة مشكوراً وذنبهم مغفوراً وعملهم مقبولاً وهو يوم تنفيس الكرب ويوم تحطيط الوزر ويوم الحباء والعطية ويوم نشر العلم ويوم البشارة والعيد الأكبر ويوم يستجاب فيه الدّعاء ويوم الموقف العظيم ويوم لبس الثياب ونزع السّواد ويوم الشرط المشروط ويوم نفي الغموم ويوم الصّفح عن مذنبي شيعة أمير المؤمنين وهو يوم السبقة ويوم إكثار الصلاة على محمد وآل محمد ويوم الرضا ويوم عيد أهل بيت محمد ويوم قبول الأعمال ويوم طلب الزيادة ويوم استراحة المؤمنين ويوم المتاجرة ويوم التودّد ويوم الوُصول إلى رحمة الله ويوم التزكية ويوم ترك الكبائر والذنوب ويوم العبادة ويوم تفطير الصائمين فمن فطر فيه صائماً مؤمناً كان كمن أطعم فئاماً وفئاماً إلى أن عد عشراً ثم قال أو تدري ما الفئام قال لا قال مائة ألف وهو يوم التهنئة يهنّي بعضكم بعضاً فإذا لقي المؤمن أخاه يقول الحمد لله الّذي جَعَلَنا مِن المُتَمَسِّكينَ بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام وهو يوم التبسّم في وجوه النّاس من أهل الإيمان فمن تبسّم في وجه أخيه يوم الغدير نظر الله إليه يوم القيامة بالرّحمة وقضى له ألف حاجة وبنى له قصراً في الجنّة من درّة بيضاء ونضّر وجهه وهو يوم الزينة فمن تزيّن ليوم الغدير غفر الله له كلّ خطيئة عملها صغيرة أو كبيرة وبعث الله إليه ملائكة يكتبون له الحسنات ويرفعون له الدرجات إلى قابل مثل ذلك اليوم فإن مات مات شهيداً وإن عاش عاش سعيداً ومن أطعم مؤمناً كان كمن أطعم جميع الأنبياء والصدّيقين ومن زار فيه مؤمناً أدخل الله قبره سبعين نوراً ووسّع في قبره ويزور قبره كل يوم

سبعون ألف ملك ويبشرونه بالجنّة وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السموات السبع فسبق إليها أهل السماء السابعة فزيّن بها العرش ثم سبق إليها أهل السماء الرّابعة فزيّنها بالبيت المعمور ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا فزيّنها بالكواكب ثم عرضها على الأرضين فسبقت مكة فزيّنها بالكعبة ثم سبقت إليها المدينة فزيّنها بالمصطفى محمد ﷺ ثم سبقت إليها الكوفة فزيّنها بأمير المؤمنين عليه السلام وعرضها على الجبال فأوّل جبل أقرّ بذلك ثلاثة أجبُل العتيق وجبل الفيروزج وجبل الياقوت فصارت هذه الجبال جبالهنّ وأفضل الجواهر ثم سبقت إليها جبال أُخر فصارت معادن الذهب والفضة وما لم يقرّ بذلك ولم يقبل صارت لا تنبت شيئاً وعرضت في ذلك اليوم على المياه فما قبل منها صار عذباً وما أنكر صار ملحاً أجاجاً وعرضها في ذلك اليوم على النّبات فما قبلها صار حلواً طيّباً وما لم يقبل صار مرّاً ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير فمن قبلها صار فصيحاً مصوّتاً وما أنكرها صار أخرس مثل الألكن ومَثَلُ المؤمنين في قبولهم ولاء أمير المؤمنين في يوم غدير خم كمثل الملائكة في سجودهم لآدم ومَثَل من أبى ولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير مَثَلُ إبليس وفي هذا اليوم أُنزلت هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وما بعث الله نبياً إلاّ وكان يوم بعثه مثل يوم الغدير عنده وعرف حرمته إذ نصب لأمّته وصيّاً وخليفةً من بعده في ذلك اليوم(١).

«العلاّمة السيّد علي آغا القاضي يستعدّ ليوم الغدير»

يقول السيّد محمد حسن قاضي: «. . . بمناسبة نقل قصيدته الغديرية إلى أنّه (قدّس سرّه) كان يستعدّ لهذا اليوم، يخرج وعليه أحسن ملابسه

---

(١) «إقبال الأعمال» ص ٧٧٧ ـ ٧٧٩.

ويهيىء للوليمة والحلوى والفواكه ويدعو إلى مجلسه ذويه وصحبه وأهل بيته ومودّته ويطلب من أحدهم أن يقرأ بصوت عالٍ خطبة الرسول الأعظمﷺ في هذا اليوم وهي من جلائل خُطَبه، أو ما تيسّر منها ويظهر عليه النشاط والفرح والابتهاج والانبساط ويكثر من إيراد النكت والنَّوادر الحلوة والتفكّه وإدخال السرور على قلوب المجتمعين وربما قرأ شيئاً من نوادر ما يحفظ من منظوم ومنثور. وكان قد هيمنت عليه الجذبات الوجدانية مرة، فارتجل وعلى البديهة هذه القصيدة الفارسيّة، نقلاً عن أحد أصحابه الذي بادر إلى القلم وأخذ يسجل ما يسمع...

شاد باش اي دل كه شاد آمد غدير

هم مخور اندوه كه آيد دير دير...»[1]

«يجب العمل أن يكون خالصاً لوجه الله»

يقول الشيخ الحاج جاسم الأعسم: في السنين الأولى من مجيء السيّد آغا ـ حسب تعبيره ـ إلى النجف الأشرف وكثرة تردّده على جامع الكوفة والسّهلة معتكفاً أو للتفرّغ للعبادة، كان في وسط الجامع حفرة كبيرة ترمي فيها القمامات وفضلات الموائد، فأشرنا على السيّد آغا أن يعمل على رفعها وتنظيف ساحة الجامع منها. فقام هو بمراجعة بعض الموسرين وتقرّر أن يقام في هذه الحفرة بناء خاص يتناسب وقدسيّة الجامع وأوكل أمر البناء والإشراف على العمل إليّ. وبعد شهور تمَّ العمل وطلبتُ من السيّد آغا أن يتفضّل ويشاهد العمل المنجز وهو بدوره جاء ورأى السرداب وهذه البنية هي التي تسميها العامة بـ «سفينة نوح» أو «بيت الطشت» ولكلّ واحدة من هذه التسميات مناسبة، فاستحسنه كثيراً

---

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ٧١ و٧٢.

وأثنى على القائمين بالعمل وتفقّد البنائين والمعمار الذي أشرف على العمل. وعندما همَّ بالخروج جلبت انتباهه لوحة على باب السرداب تقع على يمين الخارج كتب عليها ما يفيد «**أنّ هذا العمل أُنجز بمساعي فُلان**» نظراً للمساعي الكثيرة الّتي كان قد بذلها السيّد آقا في تهيئة الأموال والنقود التي كنّا بحاجة إليها. قلت: وما إن وقعت عينه على هذه اللوحة إلاّ وتغيّرت ألوانه وتجهَّم وجهه وبدت عليه دلائل الانزعاج والاستياء، فأخذت بالاعتذار وتوجيه العمل هذا بشتّى المعاذير، لكن السيّد الآغا لا يزداد إلاّ سخطاً واستنكاراً وتأبياً، فاضطررت أن آخذ من يد أحد العمّال فأساً وأقوم بهدم قطع الكاشي وعملت بيدي جصّاً وساويت المكان على رديف الحائط المجاور له.

وعندما تمّ العمل نَظَرَ وإذا به قد تهلّل وجهه وانبسطت أساريره وأخذ بالاستحسان وعاد إلى طبيعته الخاصة وكلامه المتعارف بإرسال النكت اللطيفة.

يقول الحاج جاسم الأعسم: وبعد أيّام من إنجاز العمل نهائياً أدركت أنّ الدعوات الخالصة التي يرسلها المشاهدون للقائمين بهذا العمل هي أفضل بكثير ممّا لو كان اسم شخص معين مكتوباً أمامهم، فكان هذا درساً بليغاً من السيّد آغا بأنّ العمل يجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى.

ويبدو لي أنّ هذا كان في أيام شبابه وفي الدور الذي يواجه الإنسان فيه كثيراً من أمثال هذه الأعمال، كما وتقع أو تنال الرّضا من لدن مجموعة الشّباب الذي يريد أن يبني لنفسه صرعاً متمايزاً لمستقبل أيّامه»[1].

---

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ص ١٨٢ـ ١٨٣.

«قضاء حوائجه»

نقل السيّد علي أصغر دستغيب الشيرازي عن العارف آية الله نجابت الشيرازي قوله: ذهبت يوماً لعيادة السيّد القاضي بعد نقاهته من وعكة صحية وبعد هنيهة قال: أرى نفسي اليوم تشتهي عدة أشياء: قدراً من الرّز مطبوخاً بالزّعفران مع دجاجة وعباءة من الطراز الفاخر ومبلغاً من المال. قال السيّد ذلك ونحن نعلم بأنّه لا يملك شيئاً من المال. ولم تمض نصف ساعة حتى طرق شخص بابه وهو يحمل قدر رز مطبوخ بالزّعفران مع دجاجة وأخيراً وخلال نصف ساعة تحقّقت جميع رغباته الواحدة تلو الأخرى(١).

«العلاّمة السيّد القاضي سماء»

ويقول آية الله الحسيني الهمداني: «أقيم مجلس الفاتحة بعد وفاة السيّد القاضي ثلاثة أيام متوالية في النجف وحضره كبار العلماء وعلى رأسهم السيّد الخوئي والسيّد مهدي الشيرازي والشيخ حسين القمي. ويقول السيّد أبو القاسم الخوئي: زارني بعد انتهاء المجلس لضيف من العلماء فسألني الشيخ حسين القمي: يقولون إنّ لك علاقة مع السيّد القاضي. فأجبته: إنّ كثيراً من العلماء لهم علائق معه. فقال: كيف كان المرحوم القاضي في نظركم؟ من أي جهة تقصدون؟ فقال: من جهة منزلته المعنوية. فقلت له: تقصدون ما هو مقامه العرفاني والشّهودي؟ فقال: نعم. فقلت له: إذا كان ما رأيناه من المرحوم آية الله القاضي له حقيقة عند الله فهو سماء وأنت أرض وإذا لم يكن له حقيقة فالعكس. فقال الشيخ حسين القمي ـ وهو في غاية الدهشة والاستغراب ـ: عجيبٌ!»(٢).

---

(١) «الدّعاء والتوسّل» ص ١٩٠ـ ١٩١.

(٢) «مجلة الحوزة»، العدد ٣٠، ص ٢٨.

«مَشاهد عجيبةٌ»

يقول آية الله السيّد محمد الحسيني الهمداني: كنت قد سمعت من والدي الشيء الكثير عن السيّد القاضي قبل أن أتعرّف عليه وكنت في سنة ١٣٤٧هـ أو ١٣٤٨هـ ق، في مدرسة القوام في النجف عندما جاء السيّد القاضي وطلب من المتصدّي لسكنى الطلاّب في المدرسة أن يهيىء له غرفة للسكن، فاستجاب لطلبه وأعطاه غرفة صغيرة في الطابق العلوي وعلمنا بعد ذلك أنه كان يريد هذه الغرفة مكاناً للخلوة من أجل التهجّد والعبادة، إذ أنّ بيته الصغير لا يسع عائلته الكبيرة. وعندما كان جميع الطلاّب ينامون زهاء الساعة الثانية عشر ليلاً كان السيّد القاضي يبدأ إحياء الليل للتهجّد والعبادة، ومن هنا بدأ حبّي له، فكان دعاؤه ومناجاته في تلك الغرفة الصغيرة جميلاً وجذاباً وكان عندما ينهض أثناء الليل ويمرّ من الممرّ الوسط للوضوء كان يخلع نعليه ويسير بهدوء لئلاّ يطّلع عليه أحد وكنت أسترق السمع إلى لذيذ مناجاته ودعائه إلى الصباح. وكان دعاؤه ومناجاته في تلك الحجرة الصغيرة لذيذاً وجذاباً جداً. وبعد مضي عدة أشهر طلبت منه درساً أخلاقياً في كتاب «جامع السعادات» للنّراقي رحمه الله، فقبل ذلك وبدأ بالدرس فعلاً في أوقات فراغي وكان درساً عرفانياً حقيقة، يتيقّن فيه السامع بما يقوله الأستاذ ويجد لكلامه طريقاً إلى نفسه.

ثم مرَّت بي على أثر ذلك حالات عجيبة بحيث صار السيّد القاضي كلّ ذكري ووردي وأهملت بقية دروسي وذهلتُ عنها وأضحى درسه موضع اهتمامي الوحيد وكنت عندما أجلس بين يديه ويبدأ الحديث كنت أنسى كل دروسي وأذوب فيه ولا أفكر طوال النهار بغير كلامه وعندما يستيقظ السيّد أثناء الليل للتهجّد والعبادة كنت أبقى مستيقظاً إلى الصباح أنصت إلى لذيذ دعائه ومناجاته. وشيئاً فشيئاً طرأت تغيّرات على صحّتي

بسبب ترك النوم في الليل ولم أعد أعتني بدروسي، فتنبّه بعض أصدقائي لحالي ومنهم السيّد يوسف الحكيم الذي كانت تربطني به علاقة وثيقة وذات يوم ذهبت إلى آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني ـ المعروف بـ «الكمباني» ـ وكنت أكنّ له احتراماً كبيراً وقلت له: إنّ السيّد القاضي قد سكن غرفة في مدرستنا. فانتبه إلى قولي وفهم المسألة وقال لي: إنّه لمن المبكر جداً أن تذهب إلى درس السيّد القاضي وإنّك لست رجل هذا الميدان بعد وهو رجل عظيم ويحتاج إلى زميل وقرين عظيم مثله ومن الأفضل أن تترك درسه ويكفي حضورك المجالس الأخلاقيّة التي تُعقد في كل أسبوع في بيت السيّد عبد الغفّار. فتركتُ درس السيّد القاضي وإنّي لأحسّ إلى الآن بحلاوة ولذّة تلك المدة القصيرة التي قضيتها في درس السيّد القاضي»[1].

«العَبْقَري في المعنوية»

يقول آية الله السيّد محمد الحسيني الهمداني: كان السيّد القاضي بحراً موّاجاً في العلم والأخلاق والعرفان وكان أكثر أوقاته صامتاً ولا يتكلّم إلاّ قليلاً جداً ولكن من عادته أن يبدأ الآخرين بالسلام وكان يكره أن يلفت انتباه الناس إلى وجوده ولذا كان يبتعد عن أماكن ازدحام النّاس والتجمّعات العامّة وربما تمضي فترة طويلة لا يراه أحدٌ. وكانت تمرّ الأيام ولا يراه أحد وكان يتهجّد في الليل ويقضي نهاره بالمطالعة أو التفكير. وكانت غالب زياراته لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام في الساعة الثانية بعد الظهر، حيث كان يلتجىء الناس في تلك الساعات في النجف إلى السراديب من شدّة الحر وكان يتعمّد في اختيار هذا الوقت لئلاّ يطّلع عليه

(١) «مجلة حوزة: العدد ٣٠، ص ٢٢.

أحد ولهذا السبب لم يكن يراه أحد، لا في الحرم ولا في مكان آخر إلاّ نادراً. كان السيّد القاضي في رأيي العبقريّ في المعرفة وحالات المعنويّة»[1].

«بدء تعرّف السيّد الخوئي على السيّد القاضي»

يقول آية الله الشيخ جواد الكربلائي: سمعت قبل عدّة سنين من آية الله العظمى الحاج أبو القاسم الخوئي وقبلها من آية الله العظمى بهجت ـ مُدّ ظلّه ـ: كان بدء تعرّف السيّد الخوئي على السيّد القاضي عن طريق الشيخ البهجت حينما كان يحضر بحث السيّد الخوئي في أصول الفقه مبحث «**استعمال اللفظ في أكثر من معنى**» يستلزم اجتماع لحاظين آلي واستقلالي في إطلاق واحد اللفظ وهو مُحال. فقال الشيخ بهجت ـ وكان في سني الأولى ـ للسيّد الخوئي: أنّه من الممكن أن تصل نفس الإنسان إلى درجة من القوّة تستطيع أن تجمع كلا اللَّحاظَين. وكان قد تكلّم بهذا الكلام ليثير انتباه أستاذه إلى وجوب تحصيل المعارف الإلهية ولم يدع السيّد الخوئي الموضوع يمرّ هكذا، بل استوضح تلميذه عن حقيقة المطلب وسأله عمّن يراجع في هذا الموضوع، فعرّف بالسيّد القاضي ورتّب اللقاء الأول بينهما في صحن أبي الفضل العباس عليه السلام في كربلاء وحيث استمرّ ساعة ونصف.

وبعدها قال لي السيّد الخوئي (والحديث للكربلائي): لقد استسلمتُ لهم وقبلتُ كلامهم وقد أملى عليَّ السيّد القاضي برامج وشروطاً خاصّة للذّكر ـ بملابس خاصة وذكر خاص يجب أن يُكرّر بدفعات معيّنة ـ فهيئت جميع الشرائط وصممت على البدء في الساعة الثانية بعد الظهر في مكان

---

(١) مجلة حوزة: العدد ٣٠.

مناسب وخالٍ في حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعندما جلست نحو القبلة وأردت الشروع نسيت الذكر الذي أعطانيه وكلّما حاولت أن أتذكّر ذلك لم أستطع، فيئست وقلت في نفسي: يا أبا القاسم! إنّ أهل البيت لا يريدونك لهذا العمل وقد كان الذكر هو: «**لا إلٰه إلاّ هُو وعلى الله فليتوكَّل المُتوكّلون**»[1] و[2].

«نورٌ في الظّلمة»

قال الأستاذ الصدوق سُها: سمعتُ من شيخنا الأستاذ عمدة الحكماء الراشدين الشيخ محمد حسين الخراساني ـ أفاض الله علينا من بركاته الشريفة ـ والذي كان ملازماً للسيّد القاضي سنوات طويلة، يقول: كان للسيّد القاضي مجلساً أخلاقياً في الليالي وكان لا يشغل فيه ضياء، فكان يحضره بعض علماء النجف الأشرف من أهل الباطن يستترون بظلمة الليل وكان أغلب حديثه في هذا المجلس عن معرفة النفس وتهذيب الأخلاق وكان يتحدث أيضاً في العرفان، ولكن كان أكثره في معرفة ذات الإنسان ومعرفة النفس وكان إذا دخل شخص غريب إلى المجلس غيّر حديثه وتكلّم حول زيارة الحسين عليه السلام وكان يقول: إنّ الاستعدادات مختلفة ولا يمكن قول كلّ كلام لأي شخص[3].

«مواعظ المرحوم السيّد القاضي للمرحوم محمد تقي الآملي»

يقول العلاّمة آية الله السيّد محمد حسين الطهراني رحمه الله: «ولقد نقل الكثير من تلامذة المرحوم آية الحقّ، آية الله العظمى الحاج الميرزا عليّ

---

(١) مقتبسة من الآية ١٣ من سورة التغابن (٤٢).

(٢) «ورقٌ من دفتر الشمس» ص ٤٥ـ ٤٤.

(٣) «تاريخ الحكماء والعرفاء» ص ١٢١.

القاضي ـ رضوان الله عليه ـ أنّه كان كثيراً ما يذهب إلى «وادي السلام» في النجف لزيارة أهل القبور وكانت زيارته تستغرق ساعتين أو ثلاثاً أو أربع ساعات وكان يجلس في زاويةٍ ما ساكتاً، حتى يملّ تلامذته فيعودون ويقولون في أنفسهم: إنّ الأُستاذ عوالمه الّتي تجعله يجلس ساكناً هكذا لا يملّ ولا يكلّ! وكان هناك عالِم جليل ومتّقٍ في طهران، هو المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ محمد تقي الآملي رحمة الله عليه وكان امرءً حسناً حقّاً وهو من تلامذة الدورة الأُولى للمرحوم القاضي في الأخلاق والعرفان.

وقد نُقل عنه أنه قال: كنت أشاهد لمدة أن المرحوم القاضي كان يجلس في وادي السلام ساعتين أو ثلاثاً وكنتُ أقول في نفسي: على الإنسان أن يزور ويدخل السرور بقراءة الفاتحة على أرواح الموتى ثم ينصرف، فهناك أعمال أكثر أهمية وضرورة ينبغي فعلها.

كان هذا الإشكال يعتمل في قلبي، إلاّ أنّني كنت لم أظهره لأحد، حتّى لأقرب، أخلص رفقائي من تلامذة الأستاذ.

ومرّت مدة كنتُ أذهب خلالها إلى الأستاذ للإفادة من محضره، ثم صممتُ على العودة من النجف الأشرف إلى إيران، إلاّ أنّني كنتُ متردّداً في مدى صلاح هذا السفر وكانت هذه النية تعتمل في ذهني أيضاً ولم يكن لأحد علمٌ بها. حتى جاءت ليلة وكنت أريد النّوم. وكان في الغرفة التي كنت فيها رفّ للكتب إلى الأسفل من قدميّ، يضمّ كتباً علمية ودينيّةً. وبالطبع فقد كانت أقدامي ستتّجه عند النوم تجاه تلك الكتب، فقلتُ في نفسي: هل أنهض وأغيّر محلّ نومي أم أنّ ذلك ليس ضرورياً، فالكتب ليست مقابل قدمي تماماً وهي أعلى من مستوى قدميّ، فلا يتحقّق هتك، لاحترام الكتب.

وهكذا بقيتُ في تردّدي وحديثي مع نفسي، ثم إنني اعتبرت أن لا هتك هناك فنمتُ على تلك الحال.

وحلّ الصباح فذهبتُ إلى محضر الأُستاذ المرحوم القاضي وسلّمتُ فردّ: عليكم السلام، ليس في صلاحكم أن تذهبوا إلى إيران كما أنّ مدّ الأرجل تجاه الكتب هتك للاحترام! فقلتُ مأخوذاً دون شعور: من أين عرفتم أيها السيّد ؟! من عرفتم؟!نقال: عرفته من وادي السّلام!»[1].

«تعالوا يا موحّدي التوحيد الأفعالي»

يقول العلاّمة سيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله: «وقد حصل للمرحوم القاضي حادثة أُخرى حضرتها وشاهدتها بأمّ عيني وبيانها كالآتي: كان لأحد أصدقاء المرحوم القاضي حجرة في مدرسة الهنديّ البخارائيّ المعروفة في النجف الأشرف وكان قد سافر وأوكل حجرته إلى المرحوم القاضي ليستفيد منها في الجلوس والنوم وسائر احتياجاته.

وكان المرحوم القاضي يأتي إلى تلك الغرفة نهاراً قرب الغروب، كما كان رفقاؤه يأتون كذلك فيقيمون صلاة الجماعة. وكان مجموع التلامذة يتراوح بين سبعة إلى عشرة أشخاص. ثم يجلس المرحوم القاضي إلى ما بعد ساعتين من الليل وكانت المذكرات تقام، فيطرح التلامذة أسئلتهم ويستفيدون منه.

وحصل أن كُنّا في أحد الأيّام جالسين في الحجرة وكان المرحوم القاضي جالساً أيضاً، فشرع بالكلام عن التوحيد الأفعالي بحرارة وكان منهمكاً بالحديث عن التوحيد الأفعاليّ وبيانه بصورة موجّهة لإثباته، حين بدا أنّ السقف قد انهار. وكان في أحد طرفي الغرفة مدخنة للمدفأة، فبدأ

---

(١) «معرفة المعاد» ٢/ ١٧٤.

من هناك صوت كمثل القرقعة، ثم حصل انهيار مع جلبة وصخب وتصاعد الغبار فملأ فضاء الحجرة. فنهض التلامذة والسادة الحاضرون بأجمعهم وأنا معهم واتّجهت إلى باب الحجرة فرأيت التلامذة مزدحمين بأجمعهم وكلّ منهم يدفع الآخر إلى الوراء من أجل أن يخرج من الغرفة.

ثمّ اتّضح في تلك الحال أنّ الأمر ليس كذلك وأنّ السقف لم يتهدّم فعدنا وجلسنا بأجمعنا كلاًّ في مكانه. أمّا المرحوم السيّد (القاضي) فظلّ جالساً في موضعه دون أن يتحرّك قيد أُنملة ولم تصدر منه أدنى حركة مع أنّ ذلك التصدُّع قد بدأ من فوق رأسه.

وعندما جلسنا قال: تعالوا يا موحّدي التوحيد الأفعالي! نعم، كان جميع التلامذة مرتبكين لا يحيرون جواباً. وهكذا جلسنا مدّة، حتى أنهى بياناته التي تفضّل بها حول التوحيد الأفعالي.

أجل، لقد امتحنّا في ذلك اليوم بالدّرس الذي كنّا نتعلّمه.

وفيما بعد علمنا أنّ هذه المدرسة كانت متّصلة بمدرسة أخرى بحيث إن حجرات هذه المدرسة تقابل حجرات المدرسة الأخرى ولا يفصلهما عن بعض إلاّ حائط واحد. وكان سقف الحجرة المقابلة لحجرتنا قد تصدّع وانهدم ولأنّ السقفين كانا متّصلين عن طريق مدخنة المدفأة، لهذا سمعنا هذا الصوت وامتلأت الحجرة بذلك الغبار الكثيف. أجل، هكذا مررنا في الامتحان»[1].

«فناء في التوحيد»

يقول العلاّمة السيّد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله: «وكان النجفيون ينقلون عنه حادثة، لا ينحصر ذلك في واحد أو اثنين منهم، بل يتعدّى

---

(١) الشمس الساطعة، ص ٢٩٤ـ ٢٩٧.

الأمر. وقد سألته عنها بنفسي فصدّقها. فقد كان المرحوم القاضي مريضاً وكان جالساً في إيوان المنزل الذي كان يسكنه وكان ي شكو آلاماً في رجليه بحيث فقدت رجِلاه القابليّة على الحركة والانثناء. وكان هناك في تلك الأثناء حرب دائرة في النجف الأشرف بين طائفتي «**الزگرت والشمرت**؛ وكان أولئكم قد تحصّنوا فوق سطوح المنازل يترامون من فوقها. فكانت الحرب دائرة بين هذا الطرف من المدينة وطرفها الآخر. ثم رجحت كفّة الزگرت، فأجلوا طائفة الشمرت وردّوهم على أعقابهم، فكانوا في تقدّمهم يحتلّون المنازل والسطوح الواحد بعد الآخر.

وكانت جماعة من طائفة الشمرت قد تحصّنت فوق سطح داره واستخدمته في رمي الزگرت، فلمّا تغلّبت طائفة الزگرت جاء رجالها إلى هذا السطح فقتلوا رجلين من الشمرتيّين؛ وكان المرحوم القاضي جالساً في الأيوان يتفرّج. ولمّا احتلّ الزگرتيّون السطح وتراجع الشمرتيّون عنه، نزل الزگرتيّون إلى ساحة البيت واحتلّوا البيت وقتلوا اثنين آخرين من الشمرتيّين في الأيوان واثنين آخرين في ساحة البيت، فصار مجموع قتلاهم ستة أشخاص.

وكان المرحوم القاضي يقول: حين قتلوا ذينك الشخصين فوق السطح، فقد كان الدم يتدفّق من الميزاب إلى الأسفل، كالمطر وكنت جالساً في مكاني دون أن أقوم بحركة. ثم إن الكثير من الزگرتيين تدفّقوا في غرف منزله فجمعوا كلّ ما يصلح للاستفادة منه ونهبوه.

واللطيف في هذا المقام أنّ المرحوم القاضي كان يقول: لم أتحرّك وبقيت جالساً على حالتي السابقة وأنا أتأمّل.

ويقول: كان الدم يتدفّق من الميزاب وكان هناك قتيلان في الأيوان وقتيلان آخران ملقيان في ساحة البيت وأنا أتفرّج.

وهذه الحالات يُقال لها فناء في التوحيد، حيث إنّ السالك لا يرى حينذاك شيئاً غير الله تعالى، فهو يشاهد جميع الحركات والأفعال، يشاهدها تجلٍّ للحقّ»[1].

«أين القاضي؟»

سأل العلاّمة سيد محمد حسين الطهراني عن العلاّمة الطباطبائي رحمه الله: هل كان المرحوم القاضي رضوان الله عليه يذكر هذه المقولات التوحيدية في مجالسه لأحد من تلامذته وإخوانه الخواصّ؟

لقد كان المرحوم القاضي رجلاً حقاً كالطود الشامخ وكان حيويّاً، له سعة واسعة وذكاء خارقاً ولكنّ بعض تلامذته الذين كانوا يترددون عليه بعد اثنتي عشرة سنة من المراودة والدراسة لا يعلمون شيئاً عن التّوحيد حتى بقوا في عوالم الكثرات ولا أدري هل كان يداريهم ويسارهم إلى أن رحل آية الحقّ هذا عن الدّنيا؟!

ولكنّ بعض التلامذة على عكس ذلك، كانوا يتزوّدون بسرعة من المعارف الإلهيّة والمعرفة بالأسماء والصفات وتوحيد ذات الحقّ.

قال العلامة الطباطبائي: أجل، كان المرحوم القاضي يذكر تلك الأمور لبعض طلاّبه الذين يمكن الاعتماد عليهم إلى حدّ ما وبالفعل فإنّه كان رجلاً عجيباً، يتصرّف مع كلّ واحد من تلامذته حسب استعدادته وحالاته.

فالأشخاص متفاوتون، فبعضهم أسرع رُشداً والبعض الآخر بطيء النّمو.

---

(١) الشمس الساطعة، ص ٢٩٥.

وفي الأحوال العادية كان المرحوم القاضي يتواجد معظم أيام الشهر عشرة أو عشرين يوماً ويزوره الرّفقاء ويتباحثون معه، ثم يختفي فجأة لعدة أيام لا يعلم أين هو ولا يتمكّن من الوصول إليه، لا في البيت ولا في المدرسة أو المسجد أو الكوفة أو السَّهلة أو أيّ مكان آخر وكانت أُسرته لا تعلم أين هو وإلى أين ذهب. وكان الرفقاء يبحثون عنه في أيّ مكان يمكن مشاهدته فيه ولكن دون جدوى، ثم يعود مجدداً للظهور وكان يقيم الجلسات الخاصة في منزله وفي المدرسة وهكذا كانت له حالات عجيبة وغريبة»[1].

«مكاشفة للمرحوم السيّد أبو القاسم الخوئي»

قال السيّد نعمة الله الحسيني: سمعتُ آية الله السيّد حسين القاضي ينقل عن آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي قوله: عندما كنتُ في النجف مشغولاً بتحصيل العلوم الدينية كنتُ ملتزماً بالآداب والسنن والأوراد والأذكار، وكنت أحضر أحياناً المجالس الأخلاقية المباركة للمرحوم آية الله السيّد علي القاضي (قدّس سرّه)، وأنتفع من أنفاسه القدسيّة، إلى أن قلت له يوماً: علّمني شيئاً أعمل به، بذلك، بل لتردّدي في مدى قيمة الأعمال التي أفعلها حتى أسهم أبي فيها، فلم أكن لأرى في نفسي القابليّة واللياقة في الخدمة.

وكان يقول: وصلت رسالة أخي بيدي، فانفعلت كثيراً وغمرني الخجل، فقلت: يا إلٰهي! إن كان تفسيري مقبولاً لديك ومستحقاً للثّواب فإنّي أهدي ثوابه إلى روح أبي وأمّي.

ولم أكن قد أرسلت إلى تبريز بعد جواب رسالة أخي لأعمله بهذا

---

(١) الشمس الساطعة، ص ٢٩٢.

الأمر، حين وصلت بعد أيام رسالة من أخي يقول فيها: لقد أحضرنا روح المرحوم السيّد القاضي فيقول: قال أبيكم رضيتُ من السيّد محمد حسين وكان أبيكم مسروراً لشراكته في ثواب التفسير. كان يقول العلاّمة الطباطبائي: لم يعلم أحدٌ من إهداء ثواب التفسير لوالديّ[1]!

«كان القاضي غارقاً في بحر التوكّل»

قال العلاّمة السيّد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله: كان المرحوم القاضي آية رائدة في العمل ويروي أهل النجف عنه خصوصاً أهل العلم منهم قصصاً عديدةً، فقد كان يعيش في منتهى الفقر والفاقة مع عائلة كبيرة جداً. لكنّه كان غارقاً في بحر التوكّل والتسليم والتفويض والتوحيد إلى الدرجة الّتي لم تخرجه هذه العائلة عن ميسره بقدر شهرة واحدة.

نقل آية الله الأحمدي الميانجي عن العلاّمة الطباطبائي رحمه الله: كنتُ يوماً في حاجة شديدة إلى المال فذهبتُ إلى السيّد القاضي لأقترض منه مبلغاً من المال أتقوّت به إلى أن يصلني من تبريز مال أفي به ديني. واتّفق وصولي إلى مع وصولي ولده من الكوفة ـ ونحن في النجف ـ فقال له: إنَّ أمّي قد ولدت ونحن بحاجة إلى مقدار من المال، فمدّ السيّد القاضي يده في جيبه ثم قال: ليس في جيبي ـ كما ترى ـ شيئاً من المال. فقال ولده: أعطنا عدّة من السجائر على الأقلّ بدفعها للقابلة. فأجابه: إنّي لا أملك ذلك أيضاً. وهكذا طوى السيّد القاضي حياته بهدوء وطمأنينة تأمين بنحو كان محلاً لتعجبنا.

يقول العلاّمة السيّد محمد حسين الطهراني: «... المرحوم القاضي رضوان الله عليه، فرغم أنّه يعيش مع عائلة كبيرة في النجف الأشرف، إلاّ

---

(١) «نور ملكوت القرآن»، ٢/ ٣٨٢.

أنّ الصعوبات والضائقة الشديدة الّتي كان يعانيها أصبحت قصصها مضرباً للأمثال عندنا. فلم يكن في بيته سوى حصير واحد مصنوع من سعف النخيل. وما أكثر الليالي التي قضاها في الظلام الدامس، لأنّه لم يكن يتملّك وقوداً للإضاءة أو لعدم وجود مصباح أو محروقات»[١].

«وصية القاضي للطباطبائي كانت تهذيب النّفس»

ينقل آية الله الشيخ إبراهيم الأميني عن أستاذه العلاّمة السيّد محمد حسين الطباطبائي عن لقائه الأوّل مع السيّد العلاّمة القاضي: عندما قدمتُ النجف الأشرف لدراسة العلم الدينيّة لم أكن أعرف شيئاً عن وضع النجف، ولا أدري أين أذهب وماذا أعمل، وكنتُ أفكّر أثناء طريقي من تبريز إلى النجف ماذا أدرسُ وعلى أيّ أستاذ أتتلمذ وأيّ طريق أختار ليكون مرضيّاً عند الله سبحانه وحينما دخلت النجف ولاحت لي قبّة المرقد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السلام وقفتُ في مقابلها وخاطبتُه قائلاً: يا علي، إنّي جئت إلى هنا لإكمال دراسة العلوم الدينية، ولكنّي لا أعلم أيّ طريق أسلكُ وأيّ برنامج أختار، وأطلب منك أن تهديني لما فيه صلاحي. ثم استأجرتُ منزلاً وسكنتُ فيه، وكنت في الأيام الأولى وقبل اشتراكي في حلقات الدّرس جالساً أفكّر في مستقبلي، فطرق الباب، وعندما فتحت الباب وَجَدتُ أمامي عالماً كبيراً، فسلّم عليّ ودخل الدار وجلس في الغرفة، فرحّبت به، وكان ذو وَجه جذّاب ونوراني، وتحدّث معي بصفاء وإخلاص، وأنس بي وقرأ لي في ضمن حديثه أشعاراً، وقال لي كلاماً مضمونه أنّ مَن جاء إلى النجف للدراسة فمن المستحسن أن يهتمّ أيضاً بتهذيب نفسه وتكميلها وعدم الغفلة عنها إضافة إلى طلب

(١) الشمس الساطعة، ص ٩٧.

العلم، قال هذا ثم ذهب. ومنذ ذلك الحين عشقتُ أخلاق هذا الرّجل وسلوكه الإسلامي، وقد ترك الحديث القصير لهذا العالم الربّاني أثراً في قلبي اتّضح به أمامي برنامجي المستقبلي، ووظبت الحضور عند هذا العالم التّقي ما دمتُ في النجف وشاركت في الأخلاقيّة وانتفعت من الجلوس عنده. وهذا العامل الكبير هو السيّد علي القاضي[1].

«مُتْ بِإذْنِ الله!»

يقول العلاّمة محمد حسين الطهراني رحمه الله: نقل بعض رفقائنا وأصدقائنا النجفيين عن أحد كبار رجال العلم والمدرّسين في النجف الأشرف أنّه قال: كنتُ في شكّ في أمر المرحوم أستاذ العلماء العاملين، وقدوة أهل الحقّ واليقين والسيّد الأعظم والسند الأفخم وطود أسرار ربّ العالمين الحاج الميرزا علي آقا القاضي الطباطبائي ـ رضوان الله عليه ـ وبشأن أحواله الّتي تطرّق سمعي والمطالب الّتي تنقل عنه أحياناً.

وكنت أتساءل: أصحيح أنّه يمتلك هذه الأمور أم لا؟ أو صحيح أنّ هؤلاء التلامذة الذين يقوم بتربيتهم يمتلكون كذا وكذا من الحالات والملكات والكمالات أم أنّ ذلك أمر وَهْميّ؟

ظلّ هذا الأمر حديث نفسي لمدّة من الزمن. ولم يكن لأحد علم بذلك، حتى ذهبتُ يوماً إلى مسجد الكوفة لأداء الصلاة والعبادة، ولأداء بعض الأعمال التي وردت لذلك المسجد وكان المرحوم القاضي ـ رضوان الله عليه ـ كثيراً ما يذهب إلى مسجد الكوفة، وكان له حجرة خاصة لعبادة هناك، وكان له تعلّق خاصّ بهذا المسجد وبمسجد السهلة، فكان يقضي فيهما الكثير من الليالي ساهراً في العبادة إلى الصباح.

---

(1) ذكرىٰ العلاّمة الطباطبائي، ص ١٢٠، الشفق، قم.

يقول: التقيتُ بالمرحوم القاضير ـ رحمة الله عليه ـ يحكي قصصاً وحكايات عن الأسرار والآيات الإلٰهيّة، ويبتيّن مطالب عن مقام جلالة التوحيد وعظمته وعن السير في هذا الطريق، وفي أنّه الهدف الوحيد من خلق الإنسان، ويقيم الأدلّة على هذا الأمر.

ولقد حدثتني نفسي آنذاك فقلت: إنّنا فعلاً في شكّ وشبهة لا نعلم ما الأمر، وإذا ما انقضى العمر على هذا المنوال، فلنا الويل إن تبيّن أنّ هناك حقيقةً ما لم ندرسها، الويل لنا عندئذٍ. ولكنّنا ـ من جهة أُخرى ـ لا نعلم أصوابٌ ذلك الأمر لنتّبعه أم أنّه ليس صواباً.

وفي هذه الأثناء خرجت حيّة من الجدران وانسابت أمامنا تسير بمحاذاة جدار المسجد؛ وكانت الأفاعي كثيرة في تلك المناطق بحيث يشاهدها أغلب الأهالي، بيد أنّه لم يُسمع أنّها لدغت أحداً حتى الآن.

وحالما وصلت الحية أمامنا وكنتُ في فزع منها، أشار المرحوم القاضي ـ رضوان الله عليه ـ إليها وقال: **مُت بِإِذْنِ اللهِ!** فتيبّست الحيّة في مكانها ميتة. ثم عاد المرحوم القاضي ـ رضوان الله عليه ـ إلى الحديث الذي كان يدور بيننا بدون أن يلقي اهتماماً للأمر، ثم نهضنا وذهبنا داخل المسجد فصلّى المرحوم القاضي ركعتين في وسط المسجد ثم ذهب إلى غرفته، وكنتُ أقوم ببعض أعمال المسجد على أن أعود إلى النجف الأشرف بعد إكمالها. وأثناء تلك الأعمال خطر في خاطري سؤال: أكان هذا العمل الذي اجترحه هذا الرّجل واقعياً أم تمويهاً وخداعاً للعين كالسِّحر الذي يفعله السَّحَرة؟ من الحريّ أن أذهب فأرى هل أنّ الحيّة ميتة حقاً أم أنّها عادت إلى الحياة وهربت.

كان هذا الخاطر يهاجمني بشدّة حتى أنهيت الأعمال الّتي قرّرت

القيام بها وخرجت على الفور من المسجد نحو المكان الذي جلستُ فيه مع المرحوم القاضي ـ رضوان الله عليه ـ فشاهدتُ الحيَّة متيبّسة ملقاةً على الأرض، ثم ركلتُها بقدمي فرأيتُ أن لا حراك فيها أبداً.

عدتُ إلى المسجد وأنا في غاية التأثّر والخجل لأصلّي عدة ركعات أُخرى فلم أقدر على ذلك، فقد تملّكني هذا التفكير: إن كانت هذه المسائل أموراً حقيقية فَلِمَ لم نلتفت إليها أبداً؟

كان المرحوم القاضي ـ رحمة الله عليه ـ مدّة في حجرته مشغولاً بالعبادة، ثم خرج منها وغادر المسجد متّجهاً إلى النجف، فخرجتُ أنا الآخر والتقينا من جديد عند باب المسجد، فتبسّم ذلك المرحوم في وجهي وقال: حسناً، امتحنت الأمر أيضاً أيها العزيز! امتحنتَه أيضا؟

بلى، لقد تحقّق هذا العمل بواسطة اسم المُميت من أسماء الله تعالى فتمّ قبض الروح بواسطته[1].

«إنّ كلّ ما لدينا فهو من المرحوم القاضي»

يقول آية الله الشيخ جعفر السبحاني: «كان المرحوم الحاج الميرزا علي القاضي... في تهذيب النفس والأخلاق والسير والسلوك ـ في حوزة العلميّة النجف ـ فريد عصره ووحيد دهره وبيُمن تربيته استطاع جمع كثير أن يدخلوا في دائرة التكامل وأن يصبحوا من سُكّان دار الخُلد ومَحارم حريم القرب ومن جملة تلامذته أستاذنا المرحوم الفقيه العلاّمة الطباطبائي كان يقول: إنّ كلّ ما لدينا فهو من المرحوم القاضي، سواء ما أخذناه في حياته أو المنهج الذي خلّفه لنا وسرنا على هداه»[2].

---

(١) معرفة المعاد، ١/ ١٧٥ـ ١٧٨.

(٢) ذكرى العلامة الطباطبائي، ص ٤٢، الشفق، قم.

«برنامج المرحوم القاضي في شهر رمضان»

لقد كان المرحوم القاضي من المجتهدين العظام ولكنّه كان ملتزماً بالتّدريس في بيته وقد درّس دورات عديدة في الفقه وكان يقيم صلاة الجماعة بطلاّبه في بيته، فكانت صلاته في غاية السكينة وتستغرق وقتاً طويلاً. وبعد صلاة المغرب التي كان يقيمها عند أوّل استتار الشمس تحت الأُفق، كان يواظب على التعقيبات حتى وقت العشاء حيث يقوم للصلاة ليستغرق فيها طويلاً.

كان الطّلاب في شهر رمضان المبارك يأتون لإدراك صلاة المغرب جماعة معه ولأنّ البعض منهم لم يكن يصلّي قبل ذهاب الحمرة المشرقيّة من جهة الرأس، كان يطلبون منه أن يتمهّل قليلاً وكان يقبل، ولكنّ السماور كان مجهّزاً، فبمجرّد استتار القرص كان المرحوم يبادر إلى الإفطار.

في الأيام العشرين الأُول من شهر رمضان، كانت الليالي تتحوّل إلى مجالس التعليم والأُنس وكان الطلاّب يحضرون مجلسه بعد مرور أربع ساعات من الليل ليطول جلوسهم إلى ساعتين إضافيتين. أمّا في العشر الأواخر من الشهر، فقد كان المرحوم يوقف التدريس ويغيب عن الأنظار حتى آخر الشهر المبارك؛ ومهما كان الطلاّب يبحثون عنه في النجف وفي مسجد الكوفة وفي مسجد السهلة أو في كربلاء لم يكونوا ليعثروا له على أيّ أثر. وكان هذا نهج المرحوم طوال سنواته حتّى رحيله[1].

«عليك بصلاة الليل»

كان العلاّمة الأُستاذ [الطباطبائي] يقول: عندما تشرّفت بالذّهاب إلى

---

(١) الشمس الساطعة، ص ٢٥.

النجف الأشرف للدراسة، كنت من حين لآخر أزور المرحوم القاضي للقرابة والرَّحِميّة الموجودة بيننا حتى جاء ذلك اليوم الذي كنت فيه واقفاً على باب المدرسة والتقيت به عابراً، فلمّا وصل إليّ وضع يده على كتفي وقال: «**يا بُنيّ! إذا كنتَ تريد الدنيا فعليك بصلاة الليل وإذا كنتَ تريد الآخرة فعليك بصلاة الليل!**».

ولقد أثّر فيّ هذا الكلام إلى الدّرجة التي جعلتني لا أترك محضره طوال خمس سنوات حتّى رجوعي إلى إيران؛ ولم أفرّط بلحظة واحدة استطعت فيها أن أستفيدُ من فيضه. وقد تأصّرت علاقاتنا منذ رجوعي إلى الوطن حتّى رحيله وكان يلقي عليّ تعاليمه وإرشاداته كأُستاذ مع تلميذه، وكنّا نراسل بعضنا البعض[1].

«نصيحة آية الله المجدّد الشيرازي للسيّد حسين القاضي»

قال آية الله الشيخ حسن حسن زاده الآملي ـ نقلاً عن العلاّمة الطباطبائي رحمه الله ـ: استفاد المرحوم القاضي من الأساتيذ الكثيرة ـ ذكر عدّة منهم ـ حتى يقول: والده هو المرحوم الحاج الميرزا حسين القاضي وله تفسير في سورة الفاتحة وسورة الأنعام وأنا رأيت الكتابين لكنّ لا أدري الآن في تملّك من؟ ويقول العلاّمة الطباطبائي أيضاً: كان الحاجّ الميرزا حسين القاضي من تلامذة المرحوم المجدّد آية الله الميرزا محمد حسن الشيرازي، وأنّ المرحوم السيّد الميرزا حسين القاضي كان عندما همَّ بالرجوع من سامراء إلى تبريز ـ مسقط رأسه في آذربيجان ـ حضر عند المرحوم الميرزا الشيرازيّ فأوصاه وقدّم له نصيحة قائلاً: **اجعل نفسك في كلّ يوم ساعة واحدة!**

---

(١) الشمس الساطعة، ص ٢٢.

وبعد أيام سأل آية الله الشيرازي من أفراد أخرى عن أحوال السيّد حسين القاضي، فقالوا: إنّ تلك الساعة الّتي نصحته بها قد سيطرت على جميع أوقاته وهو لا يترك مناجاة ربّه في الليل والنّهار، وكان دائماً في المراقبة والحضور والعزلة!

يقول آية الله الشيخ مرتضى الحائري رحمه الله: حدّثني المرحوم السيّد محمد حسن الشيرازي حفيد الميرزا الشيرازي الكبير قال: كان السيّد حسين القاضي من تلامذة السيّد الميرزا في النجف الأشرف قبل هجرته إلى سامراء وكان أهالي تبريز يطلبونه بإلحاح للإرشاد في بلدهم وعندما قرر الاستجابة لهم جاء إلى أُستاذه السيّد الشيرازي قائلاً: لقد مضى زمن التعليم وأريد الآن قانوناً لتكميل النفس وتهذيبها فقال السيّد الشيرازي الكبير (قدّس سرّه): خصّص وقتاً كل ليلة للتفكير فيما جرى في يومك الماضي فكر في النّعم الإلٰهيّة الّتي وهبك الله إيّاها فاْشكره عليها وفي البلايا الّتي دفعها عنك بلطفه ورحمته وفي الذّنوب التي ارتكبتها فتب منها واستغفر الله سبحانه حتى تستطيع بالاستمرار إن شاء الله تحقيق الارتباط به سبحانه وتكون ناظراً في أعمالك إلى قدرته وقيّوميته وإحاطته وليس عندي أفضل من هذا العمل.

يقول [محدَّثي] إنّ السيّد القاضي واظب على العمل بنصيحة السيّد لعدّة سنوات ثم أرسل إيه رسالة يقول فيها: إنّ بركة نصيحتكم لا زالت في فكري.

[يقول المؤلف] حدّثني السيّد حسين القاضي حفيد السيّد القاضي المذكور (وكان من خيار السادة وزهادهم ومن أصدقائنا الأعزّاء): أنّ السيّد الجدّ كان يخمن حاجات النّاس ويستكشف ما في ضمائرهم ويتمتّع

بروحانيّة عالية ولم نكن نعرف المنبع الذي كان يستقي منه مع أنه ظاهراً لم يكن ذا مسؤوليّة في الروحانيّة[1].

يقول العلاّمة الطهراني رحمه الله: لقد كان أُستاذنا [العلاّمة الطباطبائي] يحمل في قلبه عشقاً شديداً لأُستاذه وحقّاً كان يرى نفسه صغيراً أمامه ويلمس في سيماء المرحوم القاضي عالماً من العظمة والبهاء وأسرار التوحيد والملكات والمقامات. في أحد الأيّام قدّمتُ له عطراً، فحمله بيده وقال بعد تأمّل: لقد رحل أُستاذنا المرحوم القاضي منذ سنتين ومنذ ذلك الحين لم أطيّب حتى الآن. وإلى الفترة الأخيرة أيضاً كنت كلّما قدّمتُ له عطراً كان يفلقه ويضعه في جيبه. ولمأره قد تعطّر رغم انقضاء أكثر من ٣٦ سنة على وفاة أُستاذه.

والمدهش تساوي عمر العلاّمة مع أُستاذه القاضي، فقد عاش كلّ منهما ٨١ سنة[2].

إطلاق «الأستاذ» لائق له

كان المرحوم القاضي من أبناء أعمام العلاّمة [الطباطبائي] حيث عمل في النجف الأشرف على تربية التلامذة الإلهيّين والصالحين والعاشقين للجمال الإلهيّ والمشتاقين للقاء وزيارة حضرة الأحديّة، حتى صار في هذا الفنّ العالم الوحيد وكان العلاّمة يطلق لقب «الأُستاذ» عليه فقط وعندما كان يقول «الأُستاذ» بدون قيد فهو يقصد المرحوم القاضي وكأنّ جميع الأساتذة الآخرين يختفون أمام وجود ذلك المقام والعظمة العلميجة.

---

(١) سرّ دلبران، ص ١٠٧؛ «والذي آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري وقصص أخرى». ص ٤٥.
(٢) الشمس الساطعة، ص ٢٣.

أمّا في المجالس العلاّمة، فإذا جاء الحديث عن أساتذته، فلم يكن يذكر اسم «القاضي» من شدّة الاحترام ولم يكن يذكره إلى جانب البقية من الأساتذة كما نلاحظ في المقالة الوجيزة التي كتبها عن حياته ونشرت في مقدّمة مجموعة المقالات والرسائل الّتي طبعت تحت عنوان «دراسات إسلامية» فلم يذكر اسم المرحوم القاضي إلى جانب الأساتذة[1].

«امتناع عن مشاركة في الشّهرة إجلالاً لمقام الأُستاذ»

يقول العلاّمة الطهرانيرحمه الله: كان سماحة العلاّمة الطباطبائي يُعرف باسم القاضي بدء قدومه إلى قم، لأنّه من سلسلة السادة «القاضي» المشهورين في آذربيجان ولكن باعتباره من السادة الطباطبائيّين فقد رجّح بنفسه أن يُعرف بالطباطبائيّ. وقد انكشف للحقير أخيراً أنّه ربما شاء أن ينحصر لقب القاضي بأستاذه الأكرم الأوحد المرحوم الحاجّ السيّد عليّ آقاي القاضي وأنّه امتنع عن مشاركته في الشهرة تكريماً وإجلالاً لمقام الأُستاذ[2].

«كان القاضي يوصي تلاميذه بقراءة هذا الدّعاء»

يقول العلاّمة الطهرانيرحمه الله: «من جملة الأدعية الّتي تذكر في القنوت في الصلوات الواجبة والنوافل وأوّلها: «**الّلهُمَّ ارْزُقْني حُبَّكَ وَحُبَّ ما تُحِبُّهُ وحُبَّ من يُحِبُّكَ والعَمَلَ الذي يُبَلِّغُني إلى حُبِّكَ وَٱجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الأشياءِ إلَيَّ**». جاء كامل هذا الدّعاء في بحر المعارف ص ٣٠٩، حيث نُسِبَ جزء منه إلى الرَّسول ونُسِبَ الجزء الآخر إلى أمير المؤمنينعليه السلام.

وورد قسم من الدّعاء كذلك في المجموعة المطبوعة الصغيرة للحاجّ

---

(١) الشمس الساطعة، ص ٢١.

(٢) الشمس الساطعة، ص ١٣.

ملاّ محمد جعفر كبودرآهنكي. وكان آية عظماء الحقّ المرحوم الحاجّ ميرزا السيّد علي آقا القاضي ـ تغمّده الله برضوانه ـ يوصي تلاميذه بقراءة هذا الدّعاء في قنوت صلواتهم...»[1].

«آثار كلمات المرحوم القاضي»

كان يقول (السيّد هاشم الحدّاد) مثلاً: لم أنظر طوال مدة السلوك في خدمة المرحوم السيّد (القاضي) أيّة امرأة أجنبيّة، فلم يكن بصري ليسقط على امرأة أجنبيّة. وقد قالت لي أمّي يوماً: إنّ زوجتك أجمل من أختها بكثير. فقلت: إنّني لم أر أختها حتى الآن.

فقالت: كيف لم ترها وهي تتردّد على غرفتنا منذ أكثر من سنتين، ونحن نتناول طعامنا غالباً على مائدة واحدة؟! (من الشائع عند العرب الذين لا تمتلك نساؤهم حجاباً صحيحاً، أنّهم غالباً ما يعيشون في المنزل محشورين مع بعضهم البعض في منتهى العصمة وتمام العفّة) فقلتُ: والله لم تسقط عيني عليها ولو مرة واحدة!

ولم يكن عدم النظر هذا ناجماً من تحفّظه وغضّه من بصره، بل كانت حالة هكذا طبعاً.

وقد نقل المرحوم آية الله الحاج الشيخ عبّاس القوجانيّ عن نفسه نظير هذا الأمر، فقد كان المرحوم القاضي قد أعطاه أوراداً وأذكاراً لمدّة أربعين يوماً أو أكثر، كان من جملة آثارها (حسب كلام المرحوم الشيخ): كنتُ أسيرُ في الشارع أو السوق فإذا وقع بصري على امرأة أجنبيّة، فإنّ أجفان عيني كانت تنطبق بلا اختيار منّي. وكان مشهوداً أنّ ذلك الأمر يقع بلا تعمّد واختيار منّي[2].

---

(١) «معرفة الله»، ١/ ٢٢٤.

(٢) «الروح المجرّد» ص ٥٨٤.

يقول السيد محمد حسن نجل السيّد القاضي: «فقد سمعت من آية الله الشيخ حسن زاده الآملي أحد مدرّسي قم لعلوم الفلسفة والإلهيّات العليا، فقد نقل هذا العالم الجليل من المرحوم السيّد مهدي القاضي - وكانت بينهما صحبة ومودّة خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته في قم، وكلاهما يغطي رأسه بعباءته ويدخل رأسه في جيبه متأمّلاً في العلوم الغريبة - قال الشيخ: - نقلاً عن السيّد مهدي القاضي - ما توقّفتُ في مسألة أو مشكلة غامضة (حسابيّة) إلاّ وذهبت إلى الوالد، فرأيت أنّه قد سبقني عليها وكشف النقاب عنها وأعانني عليها وكنت أرى أنّ متاعبي في سبيل الكشف عنها قد ذهبت سدى.

سمعت هذه الكلمة من آية الله الشيخ حسن زاده الآملي أثناء ما كان يتحدّث بمناسبة الذكرى السنوية للعلاّمة الطباطبائيّ وأُستاذه في الأخلاق والعرفان الحاج ميرزا علي آقا القاضي قدّس الله سرّهما[1].

«أربعون عاماً في حضرة الحقّ تعالى»

يقول العلاّمة الطهراني رحمه الله: قال لي أحد أصدقائي من علماء الدّين في النجف الأشرف والذي تتلمّذ طويلاً على السيّد القاضي - أعلى الله مقامه -: قبل أن أتعرّف على السيّد القاضي كنت كلّما رأيته ازددت حُبّاً له ولأنّي كنت شاكّاً في سلوك طريق الوصول إلى لقاء الله تعالى فقد كنت مقصّراً في الذّهاب إليه، إلى أن أرسل لي صديق من شيراز دينارين (أوصلهما إلى المرحوم القاضي وكان المرحوم القاضي يقيم صلاة الجماعة في منزله بحضور بعض مريديه، فذهبت إلى منزله غروباً لحضور الجماعة وأداء الأمانة إليه، فصلّى المغرب بمجرّد استتار قرص الشمس طبقاً لنظره الفقهي وفتواه في ذلك وكانت صلاة عجيبة وذات روحيّة

---

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ٢٢٢.

عالية، ثم صلّوا النّوافل وقرأوا التعقيبات، ثم جلسوا طويلاً حتى دخل وقت العشاء فأدّوا الصلاة بروحيّة وطمأنينة لا مثيل لها، فأثّر ذلك بيك كثيراً وبعد انتهاء الصلاة ذهبت إليه وجلست عنده وأعطيته الأمانة ثم قلتُ له: أودُّ أن أسألك سؤالاً فهل تسمع لي بذلك؟ فقال السيّد القاضي: سل يا ولدي. فقلت: إنّي أريد أن أعرف هل إنّ إدراك التوحيد ولقاء الله وسيركم في هذا الطريق هل له حقيقة أم هو مجرّد خيال؟ فاحمرّ وجه السيّد القاضي ووضع يده على محاسن وجهه وقال: أنا يا ولدي ومنذ أربعون عاماً في حضرة الحقّ تعالى، فهل هذا خيالٌ ووَهمٌ؟! فاستحييت على ما كان منّي وودعته وانصرفت[1].

«علاقة المرحوم المطهّري بالسيّد القاضي»

يقول العلاّمة الطهراني: «. . . وهكذا فقد ذهب الحقير يوماً إلى منزل المرحوم المطهّري فرأيت أنّه وضع في غرفته ثلاث صور: صورة المرحوم أبيه: الشيخ محمد حسين المطهريّ وصورة المرحوم الحاج الشيخ الميرزا علي آقا الشيرازيّ وصورة المرحوم آية الله الحاجّ الميرزا السيّد علي آقا القاضيّ التبريزي الطباطبائيّ قدّس الله أسرارهم وأعلى درجاتهم ومقاماتهم جميعاً. وكنت كذلك قد أعطيت للمرحوم المطهريّ عند سفره للتشرّف بزيارة العتبات المقدّسة عنوان منزل الحاج السيّد هاشم [من تلامذة السيّد القاضي]، فذهب إليه في كربلاء مرّتين ودام لقاؤه الأوّل ساعد تقريباً، ثم ذهب إليه يوماً آخر صباحاً فتناول معه طعام الفطور وكان المرحوم المطهري مسروراً يبدو به الوجد عند عودته من هذه اللقاءات. . . »[2].

---

(١) «التوحيد العلميّ والعينيّ»، ص ٢٢٩.

(٢) «الروح المجرّد»، ص ١٧٢.

«كان منهج القاضي نفى الخواطر»

منهج الأُستاذ القاضي مطابق لمنهج الأُستاذ الكبير الملاّ حسين قلى [الهمداني]، أي طريق معرفة النفس، فكانوا لنفي الخواطر يأمرون في المرحلة الأُولى بالتوجّه إلى النفس وأن يُعَيِّنَ السالك كلّ ليلة مقدار نصف ساعة أو أكثر لنفي الخواطر وفيها يتوجّه إلى نفسه، شيئاً فشيئاً وعلى أثر التوجّه القوي تزول عنه الخواطر وتحصل له معرفة النفس، ليصل إلى الوطن المقصود إن شاء الله.

وأكثر الذين وُفِّقوا لنفي الخواطر واستطاعوا أن يُطَهِّروا أنفسهم ويصفّوها حتى ظهر فيها سلطان المعرفة، إنّما كان ذلك منهم في إحدى حالتين: الأولى، حين تلاوة القرآن المجيد والالتفات إلى القارىء الحقيقيّ للقرآن لينكشف لهم أنّ قارىء القرآن هو الله جلّ جلاله. الثانية، عن طريق التوسّل بمقام أبي عبد الله عليه السلام لأنّ له عليه السلام عنايات عظيمة في رفع الحجب والموانع عن طريق سالكي طريق الله(١).

«مقام السيّد القاضي (ره) هو مقام الخراباتيّ»

يقول العلاّمة الطهراني رحمه الله: «. . . الأدب عبارة عن الالتفات إلى النفس كيلا تتعدّى حدودها وتخالف مقتضى العبوديّة، فكلّ ممكن له حدّ وحريم في القبال الواجب ولازم حفظ الأدب رعاية مقتضيات عالم الكثرة ولكنّ الحبّ هو انجذاب النفس إلى الحضرة الإلهيّة ولازمه الالتفات إلى الوحدة. إنّ النسبة بين الحبّ والأدب مثل النسبة بين الواجب والمحرّم من الأحكام، لأنّ السالك أثناء أداء الواجب يتوجّه إلى المحبوب وفي الاجتناب عن الحرام يتوجّه إلى حريمه الخاصّ كيلا

---

(١) رسالة لُبّ اللُّباب، ص ١٢٤.

يخرج عن حدوده الإمكانيّة ومقتضى عبوديّته، فالأدب يرجع - في حقيقته - إلى جانب اتّخاذ الطريق المعتدل بين الخوف والرجاء ولازم عدم رعاية الأدب، كثرة الانبساط بمقدار يوجب تجاوز الحدود المرسومة للسالك. كان المرحوم الحاجّ الميرزا على القاضي رضوان الله عليه يغلب لديه جانب الحبّ والانبساط على جانب الخوف وكذلك كان المرحوم الحاجّ الشيخ محمد البهاريّ رحمة الله عليه وفي المقابل الحاج الميرزا جواد الملكيّ التبريزي رضوان الله عليه، حيث كان مقام الخوف غالباً على الرّجاء والانبساط وهذا الأمر مشهود من خلال جوانب وزوايا أحاديثه. والّذي يكون رجاؤه أكثر يقال له «**الخراباتيّ**» وأمّا من يطغى خوفه فيسمّى «**المناجاتيّ**».

ولكنّ الكمال في رعاية الاعتدال وهو عبارة عن حيازة كمال الرّجاء في عين كمال الخوف وهذا ما ينحصر وجوده في شخص الأئمّة الأطهار عليهم السلام»[1].

«ابتداء ظهور التجليّات النفسية»

يقول العلاّمة الطهراني رحمه الله: «... عندما يواظب السالك على المراقبة، يُظهر الله سبحانه تعالى عليه من باب العطف والرأفة أنواراً بعنوان الطلائع، في بداية الأمر تظهر هذه الأنوار مثل البرق لتختفي فجأة، ثم تقوى شيئاً فشيئاً حتى تصبح مثل النجمة الصغيرة المتلألئة، ثم تقوى لتصبح مثل القمر وبعدها تظهر كالشمس الساطعة وأحياناً مثل ضوء مصباح أو قنديل مشتعل. وهذه الأنوار تُسمّى في اصطلاح العارفين بـ «**النوم العرفانيّ**»، وهي من قبيل الموجودات البرزخيّة. وحينما يترقّى

---

(١) رسالة لُبّ اللُّباب، ص ١١٢.

السالك في مراتب المراقبة لتكتمل عنده مراحلها تُصبح هذه الأنوار أقوى، فيرى السالك كلّ السماء والأرض شرقاً وغرباً دفعة واحدة مضيئة مشرقة، هذا النور هو نور النفس الّذي يسطع حين العبور من عالم البرزخ. لكن في المراحل الأُولى للعبور عند ابتداء ظهور التجليّات النفسيّة يشاهد السالك نفسه بصورة مادية وبعبارة أُخرى قد يلاحظ نفسه وكأنّها واقفة أمامه وهذه المرحلة هي مرحلة ابتداء التجرّد.

يقول المرحوم الأُستاذ العلاّمة القاضي رضوان الله عليه: خرجت من غرفتي يوماً متخطّياً ممرّ البيت، فرأيت نفسي واقفة بسكون إلى جانبي، فنظرت إليها بدقّة متناهية فرأيت في وجهي خالاً لم ألحظه من قبل، وعندما دخلت إلى الغرفة ونظرت في المرآة، رأيت فعلاً أنّه كان يوجد في وجهي خال. ولم أكن حتى ذلك الوقت ملتفتاً إليه»[1].

«اِرْجَع اِرْجَع!»

يقول آية الله نجابت الشيرازي: حينما كنت طالباً في النجف كنت أتلقى التربية الخُلقية والروحيّة على السيّد القاضي وقد سألته قُبيل وفاته عن الشّخص الذي أرجع إليه بعده، فقال القاضي: الشخص الوحيد الذي أعرفه هو رجل في همدان باسم الشيخ محمد جواد الأنصاري وهو الشخص الوحيد الذي أخذ التوحيد مباشرة من الله جلّ جلاله. ثم قال: عندما جاء إلى النجف فعزم يوماً على زيارتي وكنت جالساً في غرفتي فرأيته قاصداً دارنا ومعه شخص آخر، فكرهت لقاء الشخص الذي جاء معه، فقلتُ له: اِرْجَع اِرْجَع! فرجع مع صاحبه ولم أره بعدها.

---

(١) رسالة لُبّ اللُّباب، ص ٢٤.

وبعد مرور أيام على وفاة السيّد القاضي، سافرت إلى همدان للقاء الشيخ الأنصاري وعندما وصلتُ إليه كان يرفض قبولي وألححت كثيراً حتى قبلني وقال: لم يكن أحد يعرفني حتّى الآن ولكنّ شاء الله سبحانه أن لا أبقى مخفيّاً أكثر من هذا. يقول آية الله نجابت: فسألته عن سبب عدم لقاءه مع السيّد القاضي عند زيارته النجف، فقال: عندما جئت إلى النجف وبقيت فيها أياماً عزمت على زيارة السيّد القاضي وكان يرافقني شخص آخر ولكن عندما كنتُ أسير في الطريق إليه سمعتُ صوتاً في قلبي يقول لي «اِرجَع اِرجعَ» فرجعتُ ولم أوفّق لزيارته مرة أخرى.

فقلت له: هذه الحادثة قد سمعتها من السيّد القاضي أيضاً وأنبأته بأنّ سبب عدم لقاءه مع السيّد القاضي في ذلك اليوم هو الشخص الآخر الذي كان بصحبته[1].

«إحراق جذور الطمع»

يقول العلاّمة السيّد محمد حسين الطهراني رحمه الله: «نقل عن بايزيد البسطاميّ أنّه قال: «تركتُ الدنيا في اليوم الأوّل وفي اليوم الثاني تركتُ العُقبى وفي اليوم الثالث تخطّيت ما سوى الله وفي اليوم الرابع سُئِلتُ: ما تُريد؟ فقلت: أريد أن لا أُريدُ».

ويشير إلى نفس المطلب ما يصرّح به البعض في تعيين المنازل الأربعة: الأوجل ترك الدنيا، الثاني ترك العُقبى، الثالث ترك المَولى والرابع ترك الترك، فَتَدَبَّرْ والمراد من نبذ الطمع عند السالكين هو هذه المرحلة العظيمة والعقبة المشكلة وعبورها في غاية الصعوبة وليس تحصيلها بالهيّن، لأنّ السالك في هذه المرحلة بعد التأمّل والتدقيق يجد

---

(١) در كوى بى نشانها، ص ٣٨.

أنّه لم يكن خالياً من النيّة في تمام مراحل السير، بل كان له غاية ومقصود في سويداء قلبه وإن كانت تلك الغاية هي العبور من مراحل الضعف والنقص والوصول إلى الكمال والكمالات. ولو سعى السالك ـ عن طريق تجريد الذهن والضغط على نفسه مرّات عديدة ـ ليعبّر هذه العقبة ويعرّي ويجرّد نفسه من هذه المعاني والمقاصد، سوف لن يحصل على أيّة نتيجة، لأنّ نفس هذا التجريد مستلزم لعدم التجريد وذلك لأن نفس ذلك التجريد لم يكن من السالك إلاّ لداعٍ وغاية وهذا النظر إلى الغاية دليلة وعلامة على عدم التجريد.

ذات يوم طرحتُ هذا السرّ على أُستاذي المرحوم الحاجّ الميرزا على القاضي رضوان الله عليه والتمست منه حلّ هذه المعضلة، فقال: «يمكن حلّها بواسطة اعتماد طريقة الإحراق وذلك بأن يدرك السالك ـ حقيقة ـ أنّ الله تعالى خلقه مفطوراً على هذه الصفة وكلّما أراد أن ينبذ الطمع لن يحصل على نتيجة، لأنّ فطرته جبلت عليه. فسعيه لنبذ الطمع عن نفسه مستلزم لطمع آخر، لأنّه لا يسعى لذلك إلاّ طمعاً في الحصول على مرتبة أعلى من الّتي هو فيها وهكذا إلى أن يشعر بالعجز التامّ عن التخلّي عن هذه الصفة، فلا يجد حينئذٍ مفرّاً سوى اللجوء إلى الله تعالى وتوكيل الأمر إليه وهذا الشعور بالعجز كفيل بأن يحرق بنار جذور الطمع في نفسه، فيعود السالك بعدها نزيهاً طاهراً».

وليعلم أنّ الوصول إلى إدراك هذا المعنى لا يكون بمجرّد إعمال النظر والتفكير، بل إنّ إدراكه الواقعيّ يحتاج إلى الذوق وحصول الحال. ولو أنّ أحداً أدرك هذا المعنى بالذّوق لفهم أنّ إدراك تمام لذّات الدنيا وما فيها لا يساوي هذه الحقيقة. ثم إنّ سبب تسمية هذه الطريقة بالإحراق هو أنّها تحرق أكوام الوجودات والنيّات والغصص والمشكلات دفعة واحدة

وتجتثّها من الجذور ولا يبقى لها من أثر في وجود السالك. . . »[١].

«نشاط لِصلاة الليل»

يقول العلاّمة السيّد محمد حسين الطهرانيّ: «. . . كان السيّد [هاشم الحدادا] يتناول أوّل الغروب بعد صلاة المغرب طعاماً بسيطاً، بعنوان طعام العشاء كان يُجلب له من منزله المجاور، الذي تعيش فيه عائلته والواقع في بداية الزّقاق، ثمّ يرقد بعد أداء الصلاة العشاء وينهض بعد ساعة، فيهبط من السطح ويتوضّأ، ثم يصعد فيصلّي ركعات يقرأ فيها من السّور الطوال في القرآن بصوت جميل ولحن رائع، ثم يجلس تجاه القبلة فيبقى متأمّلاً، ثمّ يرقد، ثم يستيقظ مرة أُخرى فيصلّي ركعات بتلك الكيفيّة وكانت الليالي قصاراً فلم يكن ليتبقّى وقت طويل لحلول آذان الصبح. وكان كثيراً ما يقول في تلك الحال أو في المرّة الأُولى حين يستيقظ! أيّها السيّد محمد الحسين! هات شاياً أو ماء مغليّاً! فكان الحقير يهبط إلى الأسفل فيعدّ الشّاي على سراج نفطيّ ويجلبه على الفور.

وكان السيّد يقول: لقد كان السيّد المرحوم نفسه هكذا (يقصد المرحوم القاضي) فقد كان يأمرنا ويقول: تناولوا شيئاً بسيطاً حين تنهضون لصلاة الليل، كالشّاي أو اللبن الرائب الممزوج بالماء أو عنقوداً من العنب أو شيئاً بسيطاً آخر يخرج بدنكم من حال الفتور والكسل، ليكن لكم نشاط للعبادة»[٢].

«إخبار السيّد القاضي عن غصب منزل السيّد الحدّاد»

كان منزل السيّد هاشم الحدّاد ملكاً لعياله، وهبها إيّاه أبوها المدعوّ

---

(١) رسالة لُبّ اللّباب، ص ١١٨ـ ١٢٠.

(٢) «الروح المجرّد» ص ٧٨.

بـ «حسين أبو عَمْشَه» وكان يحترم السادة ويحبّهم كثيراً وخاصة صهره السيّد هاشم هذا وباعتبار كبر عائلة السيّد هاشم فقد قال: إنّ هذا البيت خاصّ بهؤلاء الأطفال السادة. وأوصى بذلك خطّياً إلاّ أنّ زوج أخت زوجته المدعوّ بالحاجّ صمد الدلاّل أنكر هذه الوصيّة بعد وفاته وقام بمراجعة الدوائر الرسمية، على الرغم من عدم حاجته وتمكّنه المادي! ومن ثم فقد أرسلت الحكومة من قام ببناء جدار وسط البيت؛ فصار هذا البيت الصغير الحاوي على ثلاث غرف صغيرة ناقصاً غير قابل للسُّكنى، إذ لم يكن لهذا النصف باب إلى الخارج ولا مرافق صحّية، فكان أهله وأطفاله يُجبرون على صعود السّلم إلى السطح ثم النزول إلى الجانب الآخر عبر سلّم آخر، ممّا أدّى إلى إصابة أهل السيّد هاشم بالأمراض. فأُجبروا أخيراً على إخلاء المنزل لنصب باب له ولبناء مرافق صحيّة ولإصلاح الحائط المحاذي للشّارع والذي كان متداعياً من أساسه.

وكان المرحوم القاضي قد أخبره عن غصب نصف هذا المنزل وعن بنائه وتسليمه إيّاه وهكذا حدث بالفعل وللمسألة شرح يطول الأمر بذكره. أمّا ذلك المنزل المستأجر المقابل فقد تسبّب ـ لفقدانه الإنارة والأمور الصحيّة بشكل صحيح وكامل ـ في وفاة أحد أحفاد السيّد هاشم، واسمه محمد بن السيّد حسن في تلك الأيّام التي حلّ فيها الحقير عندهم إثر إصابته بمرض الحصبة. وكان هذا الطفل شبيهاً بالمرحوم القاضي للحدّ الذي كان السيّد الحدّاد يسمّيه بالقاضي الثاني وكان يحبّه كثيراً. وقد تأثّر السيّد الحدّاد لموت هذا الطفل كثيراً؛ وحين نقل الحقير الجنازة معه إلى محلّ غسل الأموات في منطقة المُخَيَّم الحسينيّ، لم يتمكَّن من السيطرة على دموعه التي انهمرت بغزارة. فقلت له عصر ذلك اليوم: أَوَلم يكن لكم رغبة في بقاء هذا الطفل حيّاً ليردّ الله عنه الموت ويكتب له الحياة؟!

قال: بلى، ولكنّ الأمر من ذلك الجانب يغلب أحياناً، فيسلب الرغبة والإرادة من هذا الجانب[1].

«أعلمُ بذلك!»

قال سماحة السيّد محمد حسن القاضي ـ أدام الله أيام بركاته ـ ابن المرحوم القاضي ـ أعلى الله درجته ـ: لقد أُبرق بنبأ رحلة المرحوم المَسْقطي إلى سماحة السيّد أبي الحسن الأصفهاني، فأرسل البرقية التي تتضمّن نبأ الوفاة بيدِ أحدهم إلى المرحوم القاضي وكان قد اتّخذ غرفة في مدرسة الهنديّ. وكنت في صحن المدرسة مع العلاّمة السيّد محمد حسين الطباطبائي والشيخ محمد تقي الآملي وغيرهما من تلامذة المرحوم القاضي، فلم يجرؤ أحد منهم أن ينقل خبر رحيل المسقطيّ إلى الغرفة العليا ويوصله إلى المرحوم القاضي، فقد كانوا يعلمون أنّ هذا النبأ غير محتمل بالنسبة للمرحوم القاضي لفرط علاقته بالمسقطيّ، لذا فقد اختاروا السيّد الحدّاد لهذه المهمّة، فلمّا نقل إليه النبأ التفت إليه المرحوم القاضي قائلاً: أعلمُ بذلك![2].

«مَن هُوَ المَسْقَطيّ؟»

«. . . أنّ المرحوم السيّد حسن الأصفهاني المَسقَطي ـ وكان من أعاظم تلامذة المرحوم القاضي وله علاقات ممتدّة وحسنة جدّاً مع السيّد الحداد ـ قد رحل عن الدنيا سنة ١٣٥٠هـ ـ ق، فإنّ المرحوم السيّد هاشم قد اكتسب من فيض المرحوم القاضي أكثر منه بستّ عشرة سنة. فكم ـ ياقرى ـ استفاد المرحوم المسقطي من محضر المرحوم القاضي؟ لو كانت

---

(١) «الروح المجرّد» ص ١٠٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١١٢.

الإجابة اثنتا عشرة سنة لا تمنح أنّ رفيقَي الطريق هذين قد تشرّفا في الحضور في محضر المرحوم القاضي في زمن واحد، أمّا إذا كان ذلك أقلّ من اثنتي عشرة سنة، فسيكون السيّد الحدّاد قد سبقه في الاستفادة من محضره.

وكان السيّد هاشم يذكر السيّد حسن المسقطيّ كثيراً في كلامه ويقول: كان له حماس شديد وتوحيد رفيعٌ، وكان أستاذاً في البحث وتدريس الحكمة، وكان متفوّقاً ومميّزاً في المجادلة، فلم يكن أحد ليجرؤ أن يجادله أو ينازعه أو يبحث معه أمراً؛ لأنّه لا يخرج من ذلك إلاّ بنصيب الإدانة.

وكان يجلس في الصحن المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام فيدرّس الطلاّب درس الحكمة والعرفان، وكان يثير الحماس والهيجان بحيث كان يبعث في طلاّبه روح التوحيد والخلوص والطهارة بدروسه المتينة المحكمة، ويسوقهم إلى الإعراض عن الدّنيا والاتّجاه صوب العقبى وعالم التوحيد الحقّ.

ولقد نقل اتّباع المرحوم آية الله السيّد أبي الحسن الإصفهاني (قدّس سرّه) له: بأنّ السيّد حسن لو استمرّ في دروسه لقلب الحوزة العلميّة إلى حوزة توحيديّة، ولأوصل جميع الطلاّب إلى عالم الربوبيّة الحقّ وإلى حقيقة عبوديّتهم.

لذا فقد مُنِع تدريس علم الحكمة الإلهية والعرفان في النجف كما أُمِر السيّد حسن بالذهاب إلى «مَسقَط» للتبليغ وترويج الدين.

ولم يكن للسيد حسن أدنى رغبة في الخروج من النجف الأشرف، وكان فراق المرحوم القاضي بالنسبة له من أصعب الأُمور والمشكلات؛

لذا فقد ذهب إلى أستاذه السيّد القاضي وقال له: أتسمحون أن أستمرّ في الدرس وأتجاهل منع السيّد وأستمر في الجهاد في طريق التوحيد؟!

فردّ المرحوم آية الله القاضي عليه: اذهب من النجف إلى مسقط حسب أمر السيّد! إنّ الله معك، وسيهديك ويأخذ بيدك حيثما كنت فيوصلك إلى المطلوب الغائيّ ونهاية درب السلوك وأعلى ذروة التوحيد والمعرفة.

وهكذا فقد سافر السيّد حسن إلى مسقط، وكان أصفهانيّ الأصل ومعروفاً بالإصفهانيّ، ثم عُرف بعد ذلك بالمَسقطي. وكان لا يرد ـ في طريقة إلى مَسقَط ـ فندقاً أو دار ضيافة، بل كان يأوي إلى المساجد. وحين وصل مسقط كان له حظّ في التبليغ والترويج، فقد جعل أهل مسقط بأجمعهم من المؤمنين الموحّدين ودعاهم إلى الصدق والإخلاص وإهمال الزخارف الماديّة والتعيّنات الصورية والاعتباريّة؛ فعرفه الجميع على أنّه مرشد الكلّ وهادي السبل، وأذعن أمام عظمته العالم والجاهل والعوامّ والخواصّ. وكان آخر عمره يعيش دوماً مرتدياً لباسَي الإحرام.

وكان أن دعوه للذهاب إلى الهند، فأجاب دعوتهم وشدّ الرحال، إلى تلك الديار في سبيله إلى المقصود. ولم يكن كذلك ليحلّ في طريقه بالفنادق بل كان يذهب إلى المساجد فيبيت فيها، حتّى وجدوه ـ وهو في طريقه متنقّلاً من مدينة إلى أُخرى ـ في مسجد من المساجد مرتدياً نفس ثوبي الإحرام وقد فارق الحياة حال سجوده[1].

«لا تمزج بإصبعك!»

يقول العلاّمة الطهرانيّ (قدّس سرّه): «... وصادف مرة أن وضعتُ قدراً من الثلج في قدح فيه لبن رائب ممزوج بالماء وأردتُ تقديمه إلى

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٢ـ ١١٣.

السيّد هاشم الحدّاد فقمتُ بمزجه وخلطه بسبّابتي لتبريده قبل تقديمه فلم يشربه وقال: استعمل الملعقة للمزج فأحرى باليد أن تكون ملوّثة! ثم قال: لقد اتّفق لي نفس هذا الأمر مع المرحوم السيّد (القاضي) فقد تشرّف يوماً بالمجيء إلى كربلاء وتفضّل بالمجيء إلى دكّاني، فأعددتُ له قدحاً من اللبن الرائب الممزوج بالماء ووضعت فيه الثلج ثم مزجته بإصبعي لأُقدّمه له، فاستنكف عن شربه وقال: لا تمزج بإصبعك!»[1].

«لقد وصلتَ!»

قال السيّد هاشم الحدّاد: كنت مشغولاً في كربلاء بالدروس العلمية وغيرها من دروس الطلبة، فقرأتُ للسيوطيّ وحين تشرّفت بالذهاب إلى النجف للدراسة والتحصيل لأنهل من محضر السيّد المرحوم القاضي ولأقوم بخدمة المدرسة (المدرسة الهنديّة: محلّ إقامة المرحوم القاضي): وما إذ دخلتُ هناك حتّى رأيت أمامي سيّداً جالساً فأحسست بانجذاب نحوه بلا إرادة، فذهبتُ وسلّمتُ عليه وقبّلتُ يده، فقال المرحوم القاضي: لقد وصلتَ!

ثم اتّخذت غرفة هناك لنفسي ومنذ ذلك الوقت ومن هناك فتح باب المراودة مع السيّد وصادف أن كانت غرفة السيّد الحدّاد هي غرفة المرحوم السيّد بحر العلوم. وكان المرحوم القاضي يتردّد عليها كثيراً وكان يقول له أحياناً: أخلِ الغرفة الليلة! أُريد أن أبيت هنا لوحدي!

وكان السيّد يقول: وبعد دعوتي إلى كربلاء كنت أتشرّف أحياناً بالذهاب إلى النجف في أوقات الزيارة وغيرها ـ غير الأوقات التي كان السيّد القاضي يتشرّف فيها بالمجيء إلى كربلاء ـ فذهبتُ يوماً من كربلاء

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢٠.

إلى النجف الأشرف وأخذتُ للسيد خمسين فلساً (أي درهماً واحداً والدينار العراقيّ عشرون درهماً) وكان منزل السيّد في محلّة الجُدَيدة (الشارع الثاني) وكان الجوّ حارّاً، فعلمتُ أنّ السيّد (القاضي) نائم، وقلتُ في نفسي: إن طرقتُ الباب استيقظ السيّد. فجلستُ على الأرض جنب باب البيت، وكنت تعباً لدرجة أنّ النعاس سرعان ما غلبني. ثم استيقظت بعد ساعة فرأيت السيّد وقد خرج إليّ ولاطفني كثيراً ودعاني إلى الدّخول، ثم قدّمت له الخمسين فلساً وعدتُ[1].

«ابن العربي والمولوى من وجهة نظر المرحوم السيّد القاضي»

لقد كان سماحة الحاج السيّد هاشم الحدّاد ـ قدس الله روحه ـ يقول: كان للمرحوم السيّد القاضي اهتمام كبير بمحيى الدين بن عربي وكتابه **الفتوحات المكية**، وكان يقول: إنّ محيى الدين من الكاملين وهناك في فتوحاته شواهد وأدلّة جمّة على كونه من الشيعة وهناك مطالب كثيرة فيه تُناقض الأُصول المسلّمة لأهل السُنّة.

لقد كتب محيي الدين كتاب «الفتوحات» في مكّة المكرّمة، ثم بسط جميع أوراقه على سقف الكعبة وتركها سنة لتمحى المطالب الباطلة منها ـ إن وجدت ـ بهطول الأمطار، فيتشخّص الحقّ منها عن الباطل. وبعد سنة من هطول الأمطار المتعاقبة جمع تلك الأوراق المنشورة فشاهد أنّ كلمة واحدة منها لم تُمحَ ولم تُغسل.

كما كان يعدّ الملاّ الرومي أيضاً عارفاً رفيع المرتبة ويستشهد بأشعاره ويعتبره من الشيعة المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام.

وكان المرحوم القاضي يقول بأنّ: من المحال أن يصل امرؤ إلى

---

(١) «الروح المجرد» ص ١١٧.

مرحلة الكمال فلا تصبح حقيقة الولاية مشهودة لديه. وكان يقول: إنّ الوصول إلى التوحيد ينحصر بالولاية؛ الولاية والتوحيد هما حقيقة واحدة.

وعليه فإنّ العظماء المعروفين والمشهورين من عرفاء أهل السُنّة، إمّا أنّهم كانوا يعملون بالتقيّة ويخفون تشيّعهم أو أنّهم لم يصلوا إلى الكمال.

وكان سماحة الحاج السيّد هاشم يقول: كان للمرحوم القاضي كذلك دورة من «**الفتوحات المكيّة**» باللغة التركية يطالعها وينظر فيها أحياناً.

وكان سماحة آية الله الشيخ عبّاس القوجاني يقول: كنت أذهب يوميّاً قبل الظهر إلى محضر المرحوم القاضي لساعتين وهو الوقت الذي يتشرّف فيه جميع تلامذته والمشغوفون به بالحضور عنده. وكنت في هذه السنوات الأخيرة أقرأ له كتاب «الفتوحات» فكان يستمع لي، فإذا ورد علينا شخص غريب فقد كنتُ أقطع قراءتي فيتكلّم المرحوم القاضي عن مواضيع أُخرى.

«حافظ الشيرازي وابن الفارض من وجهة نظر المرحوم القاضي»

ولقد كان المرحوم القاضي رحمة الله عليه يعتبر **حافظ الشيرازيّ** عارفاً كاملاً ويفسّر أشعاره المختلفة على أنّها شرح منازل السلوك ومراحله، لكنّه كان يعتقد أنّ **ابن الفارض** تلميذ محيي الدين كان أكمل منه. وكان يذكر لهذا الأمر شواهد من **ديوان حافظ**» ومن أشعار ابن الفارض في «**نظم السلوك**» (التائية الكبرى) وكان يقول في جملتها: يقول الحافظ في تمثيل وبيان أصالة عشق ومحبّة الله والوَلَه والتَّيَمان به:

عشق تو در وجودم ومهر تو در دلم

با شير اندرون شد وبا جان به در شودا

[يقول: ورد عشقك في وجودي وحبّك في قلبي مع اللبن الذي رضعتُه، ولن يخرج إلاّ مع روحي].

ويبيّن ابن الفارض هذه المحبّة والعشق بهذا التعبير:

وَعِنْدي مِنْها نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتي
مَعِي أبداً تَبْقَى وإنْ بَلِيَ العَظْمُ[1]

أي إنَّ عشقي وسكري من شرابه كان قبل خلقي وإيجادي وسيبقى هكذا إلى الأبد ولو بليت عظامي ونخرت.

فلقد جعل حافظ بدء العشق مقترناً من بدء الخلقة المادية والطبيعية وقرن نهايته بالموت الطبيعيّ، لكن ابن الفارض يعتبر بدايته قبل الخلقة بآلاف السنين وهو باق ومستمرّ إلى النهاية بعد الخلقة.

وحقّاً فقد ضمّن ابن الفارض في هذه النكتة الواردة في هذا البيت معنى التجرّد عن الزمان والمكان للنفس الآدميّة وعدّلها الأبديّة والأزليّة في سير مدارج النزول والصعود، بينما لم يبلغ شعر حافظ هذه الذروة.

يقول ابن الفارض في البيت اللاحق:

عَلَيكَ بِها صِرفاً وإن شئت مَزجَها
فَعَدْلُكَ عَن ظَلمِ الحَبيبِ هُوَ الظُّلْمُ

والظَّلْم بالظاء المفتوحة هو الريق وماء الفم، فيكون معنى البيت: عليك بذات المحبوبة ونفسها (وعدم التنازل عنها إلى غيرها) وإن شئتَ أحياناً التنازل عن ذاتها ونفسها فأردت مزج تلك الذات الصرفة والنفس المجرّدة النورانيّة بشيء آخر، فلا تتعدّ ريقها ورحيقها وأمزجه بذات

(١) «ديوان حافظ» تصحيح الدكتور رشيد عيوضي والدكتور أكبر بهروز، ص ٢٣٥، طبعة انتشارات أمير كبير، سنة ١٣٤٣.

المحبوبة، ولا تلتفت إلى شيء آخر غير رحيق فمها، لأنّ ظلم، بل هو الظلم الأوحد.

كان يقول المرحوم القاضي: المراد من «ظَلْمِ الحبيب» آل محمد ﷺ، لأنّ في هذا البيت دعوة إلى التوحيد المحض والاستغراق في الذّات الأحدية، وعدم التنازل عنها بأيّ شيء آخر يمكن فرضه وتصوّره.

أمّا آل محمد ﷺ في هذا التعبير العرفانيّ الراقي والكناية السلوكية البديعة، فهم بمنزلة ظَلم الحبيب، أي ريق الحبيب الذي هو أعذب وألذّ من أيّ شيء آخر، وأكثر بعثاً على الطمأنينة والراحة، وبغضّ النظر عن نفس الحبيب، فليس هناك شيء آخر بحلاوته.

ومن ثمّ ففي مقام الكثرة والتنزّل عن تلك الوحدة الحقيقيّة، فاْعدلْ فقط إلى آل محمد ﷺ وامزجهم معها، فليس في أيّة من نشآت عالم الوجود من الملك والملكوت بمثابتهم موجود يبعث على الطمأنينة ولا كمثلهم شيء في سعة الولاية وشمول الآيتيّة والأقربيّة من الذات الأحدية.

إنّ ارتضاع شفاه الحبيب وارتشاف رحيق فمه هو ـ بلحاظ القرب والفناء والاندكاك في وجود ذات الحبيب ونفسه ـ من أشدّ الأشياء وأكثرها إظهاراً للاتّحاد بنفس الحبيب وأكثرها حكاية عن نفس الحبيب عند مزجها بشيء آخر. ولقد جعل آل محمد ﷺ في هذا التشبيه والاستعارة البديعة العرفانية، متّحدين ومتوحّدين مع الذات الأحدية والفناء والاندكاك في ذات **مَا لاَ اسمَ لَهُ ولاَ رَسمَ لَهُ** بالشكل الذي لا يتصوّر أقرب منه.

وعليه، فإنّ ظَلم الحبيب اللازم في مقام البقاء بعد الفناء، والضروريّ للسالك لن يكون شيئاً غير عترة خاتم الأنبياء وغير آل محمد عليهم السلام.

والشاهد على هذا المدّعى ما يقوله هذا العارف الجليل في يائيّته:

ذَهَبَ العُمرُ ضَياعاً وانقَضَى
بـاطِلاً إذْ لَم أَفُزْ مِنْكُمْ بِشَيْء
غَيرَ ما أُوليتُ مِن عِقْدي ولاَ
عِتْرَةِ المَبعُوثِ حَقّاً مِنْ قُصَي(1)

أي إنّ حاصل قضاء عمر في السير والسلوك إلى الله هو الوصول إلى ولاية العترة الطاهرة وعقد الولاء لهم الذي وُهِبَ لي وأوليتهُ ففرزت بذلك ونلت مناي. ويستفاد من ذلك **أولاً**: أنّ السير والسلوك الصحيح المنزّه عن الغشّ والخالص من شوائب النفس الأمّارة، يوصل السالك آخر المطاف إلى العترة الطيّبة، ويمتّعه من أنوارهم الجمالية والجلالية في مرحلة كشف الحجب. وإنّ ابن الفارض الذي كان من العامة ومتّبعاً لمذهب السُنّة بشكل مسلّم، حتى أنّ كنيته واسمه هما أبو حفص عمر، قد ارتوى آخر الأمر والعمر من شراب مَعين الولاية، وأنّه سعد واستفاض من رحيق فم محبوب الأزل.

---

(1) «ديوان ابن الفارض» القصيدة اليائيّة الّتي مطلعها: «سَائِقُ الأظعانِ يَطْوي البَيدَ طي» ص ٢٥. وقد كتب العالم العزيز والمحقق الجليل صديقنا القديم الحاج السيّد جلال الدين الآشتياني دامت بركاته في مقدّمة كتاب «**مشارق الدّراريّ**» لسعيد فرغاني، ص ١١: يعتقد ابن الفارض في هذا الأثر حسب نهج التحقيق والاختيار بأنّ جهة ولاية خاتم الأنبياء لا تنقطع النبوّة، لذا فهو يقول:

بِعِترتِهِ اسْتَغْنَتْ عَنِ الرُّسُلِ الْوَرَى   وَأَولادِهِ الطّاهِرينَ الأئمّةِ

وقد ورد في بعض النسخ المطبوعة والخطيّة للتائيّة عبارة «وأصحابِهِ الطّاهرينَ»؛ وباعتبار أنّ بعض النسّاخ من أهل السُنّة فقد أبدلوا «أولادِهِ» إلى «أصحابِهِ».

وثانياً: وكما قال المرحوم القاضي قدّس الله نفسه، فإنّ الوصول إلى مقام التوحيد والسير الصحيح إلى الله وعرفان ذات أحديّته عزّ اسمه مُحال بدون ولاية أئمّة الشيعة والخلفاء الحقيقيّين: علي بن أبي طالب وأولاده من البتول العذراء صلوات الله عليهم. وهذا الأمر مشهور لابن الفارض، وقد ثبت وتحقّق لكثير من العرفاء الأجلاّء، كمحيي الدين بن عربي، والملاّ محمد الروميّ، وفريد الدين العطّار النيسابوري وأمثالهم.

وحاصل الأمر إنه بواسطة الارتباط الدقيق لمعاني «الفتوحات» مع أشعار ابن الفارض وبالأخذ بنظر الاعتبار كون محيي الدّين بن عربي أُستاذ ابن الفارض المصري وتناغم وانسجام أقوالهما في السير والسلوك بل تشابهها واتّحادها، وباعتبار أنج **نتيجة السلوك ابن الفارض كانت الوصول إلى ولاء أهل بيت العصمة**، فإنّ هذه النتيجة والثمرة يمكن مشاهدتها في سلوك وسير محيي الدين أيضاً:

كان **المرحوم القاضي** يقول: قال محيي الدين يوماً لابن الفارض: من الأفضل أن تكتبوا شرحاً لديوانكم!

فردّ ابن الفارض: أيها الأُستاذ! إنّ فتوحاتكم المكّية هي شرح لديواني!

ينقل فخر العلماء والمفسّرين ورأس أهل الرواية والمحدّثين وعَلَم الحكماء والعارفين المرحوم المحقّق الفيض الكاشانيّ في كتابه «كلمات مكنونة» مطلباً عن محيي الدين ي سطع ويتوهّج كالشمس إلى يوم القيامة ويشعّ متلألئاً إلى الأبد كخطوط منقوشة بالأنوار الملكوتيّة على طلعة الأُفق الزرقاء؛ يقول: **قال صاحِبُ الفُتوحاتِ بعدَ ذكر نبيّنا صلّى الله عليه**

وآله، وأنَّه أوَّل ظاهر في الوجود؛ قالَ: وأقْرَبُ الناس إليه عليٌّ بن أبي طالبٍ، إمامُ العَالَم وسِرُّ الأنبياء أجمَعين[1].

يقول المرحوم الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد (قدّس سرّه): «. . . أنا فكدت أن أطير من الفرح بعدما عرفت أنّ ضالّتي المنشودة قد اهتديت إليها وسأعيش في أكنافها وتحت دفء أجنحة لطفها ومودّتها، فبقيت مُدّة مع السيّد القاضي ودرست بعض الدروس الحوزويّة في الفقه الاستدلالي بالإضافة إلى التّوجيهات التي كنت أُتحف بها من أستاذي، فكنّا بعدها معاً ويأتي هو وقت العصر إلى غرفتي[2]، أعدُّ له الشاي فيشرب شاياً عندي، وهكذا إلى أن تغيّر وضع المدرسة بعد سنتين.

وبعد ذلك أشار عليّ أستاذي بالرجوع إلى كربلاء والمداومة على صنعتي، وهي الحدادة، فأطعتُ أوامره بالرجوع باللحظة التي أشار عليّ بذلك، رغم أنّ ذلك كان يشقُّ عليَّ كثيراً لشدّة تعلّقي بأُستاذي حتى أني كنت لا أقدم على شيءٍ لا يرغبه، فرجعت إلى كربلاء واستأجرت دكاناً بالقرب من خزّان الماء وقمت أعمل بالحدادة، وكنت أعدّ اللحظات لحظة بعد لحظة إلى أن تأتي ليلة الجمعة لمشاهدة أستاذي، حيث إنه كان يأتي في أكثر ليالي الجمعة للزيارة، وكنت أصطحبه وأذهب معه لأداء فريضتَي المغرب والعشاء على سطح كشوانيّة رقم واحد في صحن أبي الفضل العباس عليه السلام، وكنت أأْتمُّ به وبعد الفريضتين يدير وجهه إليّ يسألني عن أموري العامة والخاصة، فكان يسألني عن عائلتي وأطفالي

---

(١) «كلمات مكنونة»، ص ١٨١، الطبعة الحجريّة؛ و«اليواقيت والجواهر» للشعرانيّ، ٢/ ٢٠، المبحث ٣٢، باختلاف يسير في اللفظ. («الروح المجرّد»، ص ٣٢١).

(٢) وهي المشهورة بغرفة السيّد مهدي بحر العلوم الذي يتشرّف بها بلقاء صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وكسبي، وكذلك عن حالي في السير والسلوك، وأنا كنت أشرح له عندي وأعرّفه بكلّ ما يسأله منّي صغيرة أو كبيرة، فإذا كانت لديّ مكاشفة أو رُؤيا كنت أقصُّها له أو بعض الخواطر كنت أستفسر منه أو سؤال تبادر إلى ذهني فأسأله، وحتى عن أُموري المعاشيّة والزوجة والأولاد، فكنت أُطلعه على ما عندي.

وقد كان عندي شريك اسمه محمد خضر وكان سُنّياً إلا أنه يدّعي التشيُّع وكان يحترم السيّد القاضي وكان يقول لي في كل أسبوع: أرجوك اسئل من السيّد عليّ هل يجوز سبّ أعداء أهل البيت أو لا؟ فأقول له: أهذا الأمر يحتاج إلى السؤال؟ إنّ هؤلاء معرفون فهم كذا وكذا وعندما يأتي اليوم الثاني لمجيء المرحوم السيّد القاضي يعيد عليّ نفس السؤال، فأردّ عليه نفس الرَّد... ولمّا أضحى النهار قلت له: محمد! إنّني صممتُ على الذهاب والسُّكنى والعمل بالنجف الأشرف وأُريد فسخ الشراكة، ولمّا كانت شاطرتي مشهودة ونتاج عملي ما يعادل سبعة حدادين، وكلّ واحد يرغب أن يشاركني؛ لذا فإنّه أبى ذلك وأخذ يتشبّث لإقناعي بالعدول عن تصميمي هذا، فقال: كلّ ما تريد أنا في خدمتك ما هو الذي أزعجك؟ كل ذلك لإقناعي، فأبيتُ ذلك وأطلعته على أنّ تصميمي قطعيّ، فلمّا تيقّن من أنّه لا جدوى من ممانعته، قال: إنّي لا أملك مالاً أعطيكه، فتركت له الدُّكان وما فيه سوى ما أخذت من الشيء اليسير منه وانصرفت إلى النجف الأشرف؛ لأنّي علمت أن شراكتي معه تضرّ بسلوكي، وليس من رأي أُستاذي البقاء في شراكتي معه، وبعد أيام رجعتُ إلى كربلاء واستأجرت دكّاناً في منطقة أخرى لمزاولة صنعتي وهي الحدادة ـ ولكن لوحدي ـ وكنت أجدّ وأجتهد في عملي خلف الكورة ـ فرن الحدادة ـ لكي أجمع في الأُسبوع درهماً وأذهب به إلى النجف لأعطيه لأُستاذي لعلمي بحاجته

وكثيراً ما يصادف أن أُعطيه له عند باب منزله وأرجع، لكي لا أتأخّر عن عملي وفي أحد المرات ذهبت إلى النجف وكنت آنذاك تعباً جداً ولم يكن السيّد في المنزل، فنمت عند باب داره، فإذا بالسيّد يضع يده على كتفي قائلاً بهدوء: ولدي! ولدي! فاستيقظت وسلّمتُ عليه، وبعد ما أعطيته الدرهم رجعتُ إلى كربلاء دون الدخول إلى داره»[١].

«أعلم هذا الطفل سيموت قطعاً!»

يقول الشيخ محمد شريعت نجل المرجع الديني آية الله شيخ الشريعة الأصفهاني: لم يكن يبقى لي ولد حي وكلّما رُزقت ولداً توفي بعد عدة أشهر. وكان شائعاً في أوساط العرب في النجف عادة هبة المولود الجديد إلى سيّد من ذرية رسول الله ﷺ ثم يأخذونه منه، وكانوا يعتقدون أنّ هذا الإعطاء والأخذ سبب لبقاء المولود على قيد الحياة. فألحّت عليَّ زوجتي بإتيان هذا العمل ليبقى هذا المولود حياً، فاحتضنت ولدي وقصدتُ حرم أمير المؤمنين عليه السلام لأرى سيداً أهب له هذا المولود، فرأَيت من باب الصدفة السيّد علي القاضي خارجاً من الحرم، فتقدّمت إليه وسلمت عليه وعرضت عليه الموضوع، فأخذ السيّد الطفلَ بكل أدب واحترام وقال: إنّي قبلت منك هذا الطفل، ولكن أعلم أنه سيموت قطعاً ولم يبق من عمره إلاّ أياماً معدودة وهو ما حدث بالفعل حيث توفي الطفل بعد عدة أيام[٢].

«الشيخيّة من وجهة نظر السيّد القاضي»

يقول محيي الدين بن عربي والعرفاء بالله: إنّ معرفة الله ممكنة

---

(١) «عارفٌ في الرحاب القدسيّة»، ص ٤٨.

(٢) «الكرامات المعنوية» لسيد الموسوي، ص ١١.

للإنسان وإنّ مقام الإنسان ودرجته وشخصيّته هي التي تستطيع طيّ هذا الدرب ونيل لقاء المحبوب. كما أنّ لقاءه تعالى هو الفن في ذاته، لأنّ عدم الفناء والمحو فيه يعني عدم حصول معرفته؛ أمّا في حال تحقّق الفناء فليس هناك ـ غير الله ـ من شيء باقٍ ليعرف الله ومن ثم فإن الله سبحانه هو الذي يعرف نفسه.

ويقول الشيخيّة: إنّ معرفة الحقّ تعالى أمر مُحال، فالممكن هو معرفة أسمائه وصفاته، وذاك أمر لا يشمل عامة الناس، بل يختصّ بالكاملين منهم فحسب، لذا فإنّ اسم الرازق والخالق والمحيي والمميت والسميع والبصير والعليم والقادر والحيّ، وما ينشأ منها يمثل حقيقة الأئمّة المعصومين عليهم السلام والذين هم في مقام غير مقام الذات. كما أنّ غاية سير كلّ فرد من أفراد البشر هو الفناء في ذلك الاسم الذي يفضّله ويسمو عليه. ومن هنا، فإنّ مقام ودرجات الناس تختلف بحسب اختلاف استعدادهم في الفناء في الأسماء الكلية أو الجزئية، فهم في النهاية فانون بأجمعهم في الأسماء والصفات، كما أنّ حقيقة الأسماء والصفات الإلهية في المراتب العالية تتجسّد في تلك الولاية الكلية المتحققة في المعصومين، والإنسان الكامل هو الذي يستطيع أن يجد الطريق إليها ويكتسب معرفتها.

وتوجد في هذه النظرية إشكالات مهمة هي:

أولاً: إنها توصد سبيل المعرفة بالخالق، حيث إنّ الله تعالى خلق السماء والأرض والأفلاك تمهيداً لمعرفة البشر.

وثانياً: إنّ هذه النظرية تجسّد حقيقة معنى التفويض، أي إنّها تمثّل أجلى صوره.

فالمفوّضة يعتقدون بأنّ الله سبحانه خلق العالم فأوكل تدبيره إلى الأئمّة، أمّا هؤلاء الشيخية فيقولون: ليس تدبير العالم وحده في يدهم فحسب، بل إنّ خالق العالم وابتداعه والرزق والإحياء والإماتة والسلامة والمرض هي بأجمعها في أيديهم.

وهذا الوجه هو أقبح ما يمكن تصوّره في التفويض، حيث إنه يمثّل عزلاً لله سبحانه من جميع الأمور والجهات وتلخيته في زاوية من العالم بدون أثر ولا مسمّى، وإبطالاً لفعله وهيمنته. وتعالى الله عمّا يقول الظالمون علُوّاً كبيراً.

وثالثاً: إنّه من أجلى أقسام الشرك وأظهرها، فقد اعتبر أنّ هناك مؤثّراً غير الله في جميع الموجودات.

ورابعاً: إنّه من أظهر أقسام الارتفاع والغلوّ، لأنّه لا يكتفي باعتبار المعصومين المصدر الوحيد للأُمور، بل إنه لم يشرك الله معهم في ذلك، فقد أوكل هؤلاء أمر العالم بشكل مطلق إلى الأئمة واكتفوا بذكر الله على ألسنتهم، فهم في الحقيقة يعدّون الله سبحانه أجوفَ بلا معنى ولا مغزى.

خامساً: إنّ عبادتهم انصبّت على هذه الذوات المقدّسة فقط، فهم يسألون منهم حاجاتهم ويتوسلون إليهم ويأملون بهم وحدهم، غافلين بل متناسين ورافقضين الله الواحد القهّار الذي خلقهم والآخرين، والذي له الولاية عليهم كلّ آن.

وسادساً: أيّ دليل قائم على أنّ معرفة الله مختصّة بالأئمّة المعصومين لا تتعدّاهم؟

فهؤلاء بشر وسائر الناس بشر أيضاً، وما أمكن لهؤلاء عقلاً هو ممكن لغيرهم أيضاً؛ كما ينبغي شرعاً ـ باعتبارهم أئمّة ـ تمكّن المأموم

من إدراكهم في العمل والوصول، وإلاّ لما كان للإمامة من معنى.

وكان سماحة وصيّ المرحوم القاضي: المرحوم آية الله الحاج الشيخ عباس القوجاني ـ أعلى الله درجاته ـ يقول: قلتُ يوماً لسماحة السيّد (الأُستاذ القاضي): ما هو الإشكال في عقيدة الشيخيّة؟! فهم من أهل العبادة وأهل الولاية أيضاً، ناهيك عن أمر إظهارهم المحبة والإخلاص للأئمّة عليهم السلام كما نفعل، كما أنّ فقههم فقه الشيعة؛ يضاف إلى ذلك عدّهم كتب الأخبار معتبرة وعملهم برواياتنا وإجمالاً فإنّنا مهما بحثنا عن إشكال في نهجهم الأخلاقيّ والعمليّ لم نجد ما يقدح فيهم.

أجاب المرحوم القاضي: اجلب «شرح الزيارة» للشيخ أحمد الأحسائي غداً! فأحضرتُ له «شرح الزيارة» للشيخ الأحسائي في اليوم التالي، فقال: اقرأ! فقرأتُ فيها ما يقرب من ساعة كاملة. ثم قال: يكفي هذا! أتَبَيَّنَ لك الآن ما هو الإشكال فيهم؟ إنّ الإشكال يكمن في عقيدتهم.

إنّ هذا الشيخ يحاول في كتابه هذا إثبات أن ذات الله سبحانه ليس لها اسم ولا رسم، فهي فوق صفاته وأسمائه وأنّ ما يتحقّق في العالم إنّما يتحقق بالأسماء والصفات، وأنها هي المبدئة لخلق العالم وخلق آدم والمؤثّرة في تدبير شؤون هذا العالم في بقاء الحياة ودوامها.

فذلك الله ليس له اتحاد مع الصفات والأسماء، بل إنّها تعمل بصورة مستقلّة، لذا فإن عبادة الإنسان ستكون موجّهة لأسماء الله وصفاته، لا إلى ذاته التي لا يوصف ولا يتّسع لها الوهم والخيال.

ومن ثم فإن الشيخ الأحسائيّ يعتبر الله سبحانه مفهوماً فارغاً بلا تأثير وخارجاً عن الأسماء والصفات، وهذا عين الشرك.

أمّا العارف فيقول بأنّ ذات الله أسمى من الوصف، وأعلى من الخيال والوهم، وإنّ لها السيطرة والهيمنة على الأسماء والصفات؛ وإنّ جميع الأسماء والصفات موجودة في ذاته القدسية دون أن يكون لها حدود وجودية ولا تعيّنات وتقيّدات كما أنّ جميع الصفات والأسماء ترجع إلى الذات وأن المقصد والمبدأ والمنتهى هي ذاته، كلّ ما في الأمر أن ذلك يتمّ عن طريق الأسماء والصفات. ولذا فإننا نشير إلى تليك الذات بقولنا: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[1]، ولو لم يكن ذلك معلوماً لدينا ـ انتهى كلام سماحة السيّد القاضي.

ومن هنا، فإن الشيخية والحشويّة الذين يرأسهم الشيخ أحمد الأحسائي يقفون في قطب مخالف للعرفاء، لذا نراهم يكنّون للعرفاء كلّ هذا العداء ويقسون في معاملتهم، باعتبارهم يسيرون في نهجين مختلفين.

ويلزم هنا ذكر نكتة مهمة، وهي أنّ على سالكي طريق الله أن يطووا طريقهم تحت تربية وإشراف أُستاذ كامل يمتلك مقام التوحيد والعرفان الإلهيّ؛ وممّن وصل بعد الفناء في الله إلى مرحلة البقاء بالله، وممّن انتهت أسفاره الأربعة وإلاّ ابتلوا بهذا المرض الذي ابتُلي به الشيخ أحمد الأحسائيّ.

وفائدة الأُستاذ هي أن يجتاز بهم المراحل والمنازل الخطرة في هذا الوادي، وهي عبارة عن الأبالسة وطغيان النفس الأمّارة وأخيراً الاستقلال الوجوديّ والذاتي لنفس السالك، والنظر إلى الأسماء والصفات على أنّها مستقلة[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٩. إنّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَنيفاً وما أَنَا مِنَ المُشركينَ.

(٢) «الروح المجرد» ص ٢٠٧ـ ٢١٢.

قال السيّد الحدّاد: «قال المرحوم السيّد القاضي: ما كان يُولَد لأبي وأمي ذكور، ثم توسّلا بحضرة حبيب بن مظاهر الأسدي، ونذرا قطعة قماش تُوضَع على قبره إن رُزقا ذكراً». قال السيّد الحدّاد: فَمَنَّ الله عليهما بمولود ذكر هو السيّد علي القاضي. وقال: كُلٌّ يفتخر بأبيه وأمّه إلاّ أَبَويه فإنّهما يفتخران بولدهما ويستمدّان منه، فكان والده يقول له: بُنيّ إن الناس يفتخرون بأنسابهم، ولكني أفتخر بك وأعتزّ بذلك وشرفي منك وكان والده مساء يأتيان ويطلبان من ولدهم اللطف والمحنّة لينالوا من بعض الإفاضات القدسية والأنوار البهية التي لديه.

ويذكر عنه السيّد الحدّاد قصة طريفة: أنه جاء في إحدى الأيام لسوق المشراق يريد شراء شيئاً من الشاي لأنّه كان عازماً على أخذه معه إلى مسجد الكوفة فجاء إلى العطّار وهو المرحوم الشيخ محمد الشيرازي فوزن له التنباك عوض الشّاي. فقال السيّد (القاضي) ـ رضوان الله تعالى عليه ـ: قلتُ في نفسي، إني قلت له: زِنْ لي شاياً فوزن لي التَّنباك! حتماً إنّ في ذلك خير ومنفعة؛ فأخذ منه التنباك وقال للعطّار: زِنْ لي شاياً، فوزن له ولمّا قدم إلى مسجد الكوفة وجد أحد الدراوشة في إحدى زوايا المسجد قد حظَّر غليونه وأشعل الفحم وهو يخاطب الجليل قائلاً: سيدي! كم مرَّة أقول لك: إني أُريد تنباك؟ ولما رآه بتلك الحالة أخرج التنباك من كُمّه وناوله ففرح الدرويش كثيراً»[1].

«دعاء الاحتجاب على نقل المرحوم السيّد القاضي»

يقول العلاّمة الطهراني: كان يقرأ (السيّد هاشم الحدّاد) هذا الدعاء عند الرقود، كما كان يكثر قراءته في قنوت صلاته:

---

(١) «عارفٌ في رحاب القدسيّة»، ص ٩٢.

اللَّهُمَّ يا مَنِ احْتَجَبَ بِشُعاعِ نُورِهِ عَنْ نَواظِرِ خَلْقِهِ، يا مَنْ تَسَرْبَلَ بِالجَلالِ وَالعَظَمةِ واشْتَهَرَ بِالتَّجَبُّرِ في قُدْسِهِ، يا مَنْ تَعالى بِالجَلالِ والكِبْرياءِ وَالعَظَمَةِ في تَفَرُّدِ مَجْدِهِ، يا مَنِ انقادَتْ لَهُ الأُمُورُ بِأَزِمَّتِها طَوعاً لأَمْرِه، يا مَنْ قامَتِ السَّماوات وَالأَرَضُونَ مُجيباتٍ لِدَعوَتِهِ، يا مَنْ زَيَّنَ السَّماءَ بِالنُّجُومِ الطّالِعَةِ وجَعَلَها هادِيَةً لِخَلقِهِ، يا مَنْ أنارَ الْقَمَر المنيرَ في سَوادِ اللَّيلِ الْمُظْلِمِ بِلُطفِهِ، يا مَنْ أَنارَ الشَّمْسَ المُنيرَةَ وجَعَلها مَعاشاً لِخَلْقِهِ وجَعَلَها مُفَرِّقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ، يا مَنِ اسْتَوجَبَ الشُّكْرِ بِنَشْرِ سَحائِبِ نِعَمِهِ!

أَسْأَلُكَ بِمَعاقِدِ العِزِّ مِنْ عَرْشِكَ ومُنْتَهَى الرَّحْمَةِ مِنْ كتابِكَ، وبِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ وَاسْتأثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، وبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَنْزَلْتَهُ في كِتابِكَ أوْ أَبْثَثْتَه في قُلُوبِ الصّافينَ الْحافّينَ حَوْلَ عَرْشِكَ، فَتَراجَعَتِ الْقُلُوبُ إِلى الصُّدُور عَنِ الْبَيانِ بِإخْلاصِ الْوَحْدانيَّةِ، وَتَحقيقِ الْفَرْدانيَّة، مُقِرَّةً لَكَ بِالعُبُودِيَّةِ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ.

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْكليمِ عَلَى الْجَبَلِ الْعَظيمِ، فَلَمّا بَدَا شُعاعُ نُورِ الحُجُبِ مِنْ بَهاءِ الْعَظَمَةِ خَرَّتِ الْجِبالُ مُتَدَكْدِكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوفاً مِنْ سَطْوَتِكَ راهِبَةً مِنْكَ. فَلاَ إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ، فَلاَ إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ.

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي فَتَقْتَ بِهِ رَتْقَ عَظيم جُفُونِ عُيُونِ النّاظرينَ، الَّذي بِهِ تَدبيرُ حِكْمَتِكَ، وَشَواهِدُ حُجَجِ أنبيائِكَ، يَعْرِفُونَكَ لِفِطَنِ الْقُلُوبِ وَأَنْتَ في غَوامِضِ مَسَرّاتِ سَريراتِ الْغُيُوبِ.

أَسْأَلُكَ بِعِزَّةِ ذلكَ الإسْمِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَصْرِفَ عَنّي جَميعَ الآفاتِ وَالعاهاتِ وَالأَغْراضِ وَالأَمْراضِ وَالخَطايَا وَالذُّنُوبِ

وَالشَّكِّ والشِّركِ وَالكُفْرِ وَالشِّقاقِ وَالنِّفاقِ وَالغَضَبِ وَالجَهْلِ وَالمَقْتِ وَالضَّلالةِ وَالعُسْرِ وَالضَّيقِ وَالفَسادِ وَحُلُولِ النِّقْمَةِ وَشَماتَةِ الأعْداءِ وَغَلَبَةِ الرِّجالِ؛ إنَّكَ سَميعُ الدُّعاءِ، لَطيفٌ لِما تَشاءُ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهِرينَ[١].**

ولقد سجّل الحقير في شريط صوتيّ هذا الدعاء بعين هذه الألفاظ على اللسان المبارك للمرحوم الحاج السيّد هاشم؛ وباعتبار أنّه قد سُمع أيضاً من التلامذة الآخرين للمرحوم القاضي، **فيتّضح أن أصله كان من المرحوم القاضي**[٢].

«دعاءٌ لدفع العدوّ»

قال المرحوم السيّد (القاضي): إنّ قراءة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[٣]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾[٤]، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[٥] مفيدٌ لدفع الأعداء.

وكان يقول: من الحسن أن ينقش على عقيق: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿حمٓ ۝١ عسق﴾، ثُم يُصاغ منه خاتم فيُتختّم به.

---

(١) هذا الدّعاء موجود باختلاف يسير في اللفظ في «مُهَج الدَّعوات» للمرحوم السيد ابن طاووس، ص ١٠٨، الطبعة الحجريّة، رواه عن محمد ابن حنفيّة عن رسول الله ﷺ ونقل له آثاراً أو خواصّاً عجيبةً. ورواهُ كذلك في «بحار الأنوار»، ج ١٩، ص ١٨٣، طبعة الكمباني، عن محمد ابن الحنفيّة عن الرسول الأكرم ﷺ وأورده كذلك الشيخ بهاء الدين العامليّ في «الكشكول» ص ٣٠٣ و٣٠٤، الطبعة الحجريّة.

(٢) «الروح المجرّدة»، ص ٢٩٣ـ ٢٩٥.

(٣) سورة مريم، الآية: ١.

(٤) سورة الشورى، الآيتان: ١ـ ٢.

(٥) سورة طه، الآية: ١١١.

وكان يقول: لو نقش على عقيق: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ونقش على وجهه الآخر: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾، ثم صيغ منه خاتم فتختّم به لكان حسناً.

ويقول: قال المرحوم السيّد (القاضي): من عقد أصابعه واحداً بعد الآخر أمام عدوّه، بحيث يقرأ عند عقد كلّ إصبع حرفاً من حروف ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ بحيث يتمّ عقد أصابعه، ثم يفتحها أمام عدوّه فإنّ شر عدوّه سيُدفع عنه[1].

«لا تُفش السرَّ فتُبتلى!»

إنّ أعلى ثمرات الأُستاذ هي أن لا يدع تلميذه متهوّراً مطلق العنان، كما أنّ من المحال أن تبدر من التلميذ مثل هذه الكلمات مع تحقّق المعاني العرفانية السامية فيه. ولم يكن الحسين بن منصور الحلاّج يمتلك أُستاذاً، وكان ذلك باعثاً على تعرّضه للأخطار. وكان بابا طاهر العريان يقول بنظير هذا المعنى:

به هر ألفى ألِف قَدّى بر آيو ألِف قَدّم كه در ألف آمدُسْتُمْ

[يقول: «يظهر في كلّ ألف عام عارف فريد، وأنا في هذا الألف ذلك العارف»!].

كما يقول سعدي الشيرازي ليس عن طريق التوحيد والعرفان بل من جهة ادّعاء الرفعة في الأدب والبلاغة:

هر كس به زمانِ خويشتن بود من سعدى آخر الزمانم

[يقول: «لقد كان لكلٍّ زمانه وعصره، لكنني سعديّ آخر الزمان!»].

---

(١) «الروح المجرّد» ص ٣٩٤.

وكان سماحة الحاج السيّد الهاشم يرفض طريقة الحلاّج ويقول: إنّ هناك مطالب فيما نقل عنه تدلّ على نقصانه ولم يرد من صدر الإسلام إلى الآن شخص له جامعية وشمول المرحوم السيّد (القاضي) ولم يعهد عنه أبداً أو عن أحد من تلاميذه مثل هذه الأُمور.

ولقد قال المرحوم السيّد (القاضي) لي يوماً: أيها السيّد هاشم! لا تُفش السرَّ فَتُبتلى! سيأتي يوم يقصدونك فيه من الأطراف والأكناف فيقبّلون عتبة بابك!

وكان يقول: لقد قمتُ خلال عمري كلّه بإفشاء سرّ مالمرّة واحدة فقط، وكان ذلك في الحقيقة نابعاً من الحياء، ولا أزل حتى الآن أعاني من ذلك بعد مرور عشرات السنين.

إنّ أساس مطالب منصور الحلاّج هي نفس مطالب سائر العرفاء، ليس لديه شيء آخر دونهم، لكنّه كان مفشياً للأسرار الإلهيّة، فأوقع جمعاً من الناس في الفتنة والفساد، فرُقي برأسه إلى المِشنقة[١].

«كانت للقاضي يد طولى في علم الحروف»

لقد ذكر كثير من العلماء الحقيقيين الصادقين مطالب مدهشة تثير العجب في باب أسرار الحروف، وقاموا وباستخراجات بديعة منها، وبالإخبار عن الغيب والاطّلاع على الضمائر. وكان المرحوم القاضي المقدم والبارز في هذا الفنّ في زمانه كما كان ابنه الأكبر المرحوم السيّد مهدي القاضي رحمة الله عليه (الذي حطّ رحاله أخيراً في بلدة قم الطيبة وانتقل هناك إلى الرحمة الأبديّة) في هذا العلم أُستاذاً لا نظير له، كما كان أستاذاً عزّ مثيله في خط النسخ أيضاً، حيث إنّ الكتابات على الحجر

---

(١) «الروح المجرد»، ص ٢٢٣.

في أطراف محلّ إيداع الأحذية في حرم أمير المؤمنين عليه السلام وفي مدرسة آية الله البروجردي وغيرهما كانت بخطّه. وقد ذهب الحقير مرات عديدة للقائه بعد إبعاده من العراق وتوطّنه في قم، حيث ربطت بيننا علاقات المودّة والصفاء وكانت لديه حكايات شيّقة عن اكتشافات الحروف وأسرار الأعداد، حتى أنّه قال: إنّ لديّ ابتكارات في هذا الفنّ، وأبي المرحوم القاضي أعلم منّي، فقد كنت أعجز عن بعض الاستخراجات العسيرة ثم أُوفّق إلى حلّها بالتوسّل بأمير المؤمنين عليه السلام وبالأوراد والأدعية، فأتشرّف بالمثول في محضر أبي راغباً في إعلامه بهذه الاكتشافات وطريقة حلّها، فيتّضح أن أبي قد بحث هذه المشكلة قبلي وتوصّل إلى حلّها!

«القاضي وما أدراك القاضي!»

قال السيّد هاشم الحدّاد: «إنّ السيّد القاضي كان يُسأل: لماذا لا تؤلّف مؤلّفاً ينتفع به أهل الطريق إلى الله؟ فكان يجيب: لم يترك السّابقون شيئاً لم يذكروه».

وقال: «إنّ المرحوم كان يحثّ كثيراً على أداء الفرائض بوقتها وخصوصاً صلاة المغرب وكان يقول لي: سيد هاشم! صلاة المغرب داريها مثل ما أتداري ماي عينك»[1].

وقال: «كان المرحوم (القاضي) قويّاً في مبدئه فلديه قوّة مبدأ لا يحيد عنه ومن الأمثلة على ذلك: أنّه جاءني إلى داري في كربلاء ولمّا أردنا الخروج لحقت ابنتي بنا وكانت صغيرة جداً قد لا تتجاوز الخمس سنوات، فاستأذنت منه لإرجاعها إلى البيت، فقلت لها كلمة غير مناسبة

---

(١) أي: حافظ على صلاة المغرب مثل ما تحفظ عينك من أين يصيبها الأذى.

فلمّا سمعها منّي ثارت أعصابه وتألّم كثيراً قائلاً: كيف يحقّ لك أن تتفوّه بهذا الكلام وهي قطعة من جسم رسول الله ﷺ.

فقلت له: مولاي إنّها ابنتي! قال: وإن كانت فلم يكن لك الحقّ أن ترميها بمثل هذه الكلمة أليست مسلمة فضلاً عن كونها علويّة، فليس لك الحقُّ بطعن أحد من المسلمين.

وقال السيّد هاشم الحدّاد: «كان للسيد المرحوم (القاضي) رفقة مع السيّد أحمد الكربلائيّ الذي هو من تلاميذ المرحوم ملاّ حسين قلي الهمداني وهذا المرحوم كان من تلاميذ المرحوم الشوشتري وكان المرحوم السيّد القاضي يقول: كلّ ما وصل لي فقد وصل لي من أبي»...

وقال: «كانت للمرحوم السيّد القاضي رابطةٌ قويّة بالإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ففي أحد الأيام قال لي: كلُّ مرضِعٍ من الصحن المطهّر قد بثٌّ فيه».

سُئل السيّد الحدّاد: كيف كان السيّد المرحوم يعلّم تلاميذه؟ قال: «يعلم كُلاًّ حسب وضعه ويشير إلى الرياضات الروحية كلاًّ حسب استعداده»[1].

«كان القاضي من معجزات الدّهر!»

يقول الأُستاذ حسن زاده الآملي: «لقد كان آية الله العظمى العارف العظيم الشأن والفقيه الكبير وصاحب المكاشفات والكرامات، المرحوم الحاج السيد الميرزا عليّ القاضي التبريزي، هو أحد الأساتذة الكبار للعلاّمة الطباطبائي في النجف الأشرف، وقد ذكر العلاّمة الشيخ آقا بزرگ

---

(١) «عارفٌ في الرحاب القدسية»، ص ٩٤ـ ١٠٠.

طهراني رحمه الله شرح حاله وأسماء بعض أساتذته في «طبقات أعلام الشيعة»[1]، فقال: «هو السيّد الميرزا علي آغا ابن الميرزا حسين ابن الميرزا أحمد ابن الميرزا رحيم الطباطبائي التبريزي القاضي، عالم مجتهد، تقيّ ورع، أخلاقي فاضل... وقد دامت المودّة والصحبة بيننا عشرات السنين، فرأيته مستقيماً في سيرته، كريماً في خلقه، شريفاً في ذاته... الخ، له تفسير القرآن من أوّله إلى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2].. الخ، ولوالده تفسير أيضاً، وبيتهم بيت فضل وتقى قديم» (انتهى ملخّصاً).

كان القاضي المذكور من معجزات الدّهر ومن نجله الجليل ـ مصداق ـ الولد على سرّ أبيه ـ السيّد مهدي القاضي الطباطبائي رحمه الله والمرحوم آية الله الشيخ محمد تقي الآملي ـ رضوان الله عليه ـ وسماحة العلاّمة الطباطبائي ـ مدّ ظلّه العالي ـ وأخوه الماجد حضرة آية الله السيّد محمد حسن إلهي القاضي الطباطبائي (قدّس سرّه) ولكلّ منهم حق عظيم عليَّ وقد دوّنت بعض الوقائع المحيّرة العجيبة عن هذا العالم وأوكلُ نقلها إلى وقت آخر.

ومن الكلمات المؤثّرة واللطيفة للمرحوم الحاج السيّد علي القاضي: «**يستحقّ أن يصرف الإنسان نصف عمره في البحث عن كامل**».

وما قاله المرحوم الشيخ آقا بزرگ في حقّ المغفور له القاضي: «**فرأيته مستقيماً في سيرته**». هي كلمة قيّمة جداً، لأنّ الاستقامة من أهمّ الأعمال في السلوك إلى الله وأنّها سبب نزول البركات والفيض الإلٰهي:

---

(١) «أعلام الشيعة» ١/١٥٤٥، القسم الرابع، أعلام القرن ١٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[١] و[٢].

«السبب في اختيار آية الله الشيخ عباس قوجاني وصيّاً للمرحوم القاضي؟»

كان السيّد (هاشم الحدّاد) يقول: ينبغي أن يكون الأُستاذ ممتلكاً لمقام التوحيد. كما أن الإنسان لا يمكنه اتّخاذ أكثر من أستاذ واحد في زمن واحد، أمّا عند موت الأستاذ فيمكنه الرجوع إلى غيره، على أن يكون الأستاذ الجديد ـ بدوره ـ ممتلكاً لمقام التوحيد. على أنّ شأن الذين أستاذين فيأخذون التعليمات من هذا وذاك، أو أن يرتبطوا بهما سوياً، كشأن مريض يراجع طبيبين معاً وفي عرض أحدهما الآخر وهو عمل لن يعقب إلاّ الهلاك كما أنّه أمر مذموم شرعاً وعقلاً وشهوداً. . .

وقد سئل السيّد (الحدّاد) مرات عديدة: ما السبب في عدم اختياركم وصيّاً للمرحوم القاضي ـ أعلى الله مقامه ـ في الأُمور العرفانية والسلوكية والتوحيدية واختياره سماحة آية الله الحاجّ الشيخ عباس القوجانيّ هاتف ليكون وصيّه في ذلك؟

فكان يجيب: الوصاية قسمان: ظاهرية وباطنية.

فالوصيّ الظاهر هو الذي يجعله الأُستاذ وصيّه أمام الملأ العام، فيكتب بذلك ويُمضيه ويعلنه. وحسب ذوق المرحوم القاضي الذي كان عالماً جامعاً ومجتهداً وحائزاً للرياستين في العلوم الظاهرية والباطنية، فإنّ على الوصي حتماً أن يجوز العلوم الظاهرية من الفقه والأُصول

---

(١) سورة فصّلت، الآيات: ٣٠ـ ٣٢.

(٢) «في سماء المعرفة» ص ٢١ـ ٢٢.

والتفسير والحديث والحكمة والعرفان النظريّ؛ منعاً لانكسار سد الشريعة ولئلاّ يكون هناك خطّان ومنهجان.

وهذا هو المبدأ الذي كان المرحوم القاضي يعتمد عليه كثيراً فكان يحسب للشريعة الغرّاء حسابها بدقة كبيرة وكان بنفسه رجلاً متشرّعاً بتمام المعنى ومعتقداً بأنّ الشريعة هي السبيل لأدرك الحقائق العرفانية والتوحيدية. وكان جادّاً في هذا الأمر، بحيث لم يكن ليفوته أبسط سنة وعمل مستحبّ، حتى قال بعض المعاندين:

إنّ هذه الدرجة من الزهد والإتيان بالأعمال المستحبّة التي يقوم بها القاضي لا تنبع من الإخلاص، بل إنّه يحاول إظهار نفسه بهذا الشكل وبهذه الشمائل والأوصاف فهو رجل صوفيّ محض لا يعير لمثل هذه الأُمور اهتماماً!

وعلى هذا الأساس فقد كان للمرحوم القاضي التفات إلى العلوم الظاهريّة، أما الأمر الآخر فهو أنّ العالم الدارس لا يمكن لأحد خداعه.

ولو صار أساس تعيين الوصيّ من غير العلماء أمراً رائجاً ومعهوداً فما أحرى أن يدّعي المعرفة كثيرٌ من الشياطين فيجرّون الخلق إلى اتّباعهم ويسقطون البسطاء السذّج في حبائلهم بحيث يستحيل إقناعهم بعد ذلك بخطئهم بأيّ دليل أو منطق. ومن ثم فقد اختار المرحوم القاضي من بين تلامذته الحاجّ الشيخ عباس، الذي كان رجلاً عالماً مجرّداً عن هوى النفس وقد عانى الآلام والمشاقّ والمحن فحفظ جلال ومقام ومكانة المرحوم الأستاذ القاضي عن أكمل وجهٍ وأتمّه.

أمّا وصيّ الباطن فهو الذي أكمل باطنه بكمالات الأستاذ، فصار يمتلك معرفة شهوديّة وقدرة قياديّة، باطنية وسرية، على الرغم من أن الأستاذ لم يقدّمه للآخرين ولم يُذع أمره، لأنّه يمتلك في الباطن السيطرة

على النفوس ـ شاءت أم أبت ـ فهو يهدي اللاتمذة إلى أمر الله ويراقب طريقهم وسلوكهم ويتولّى رعايتهم.

فوصّى الظاهر يعمل في الظاهر بمقتضى وصايته، أمّا وصيّ الباطن فيعمل في الباطن فإنّ عملاً سوياً كالتوأم، ظهرت منافع لا تعدّ ولا تحصى، وتفتّحت ورود بديعة رائعة من براعم بستان التوحيد.

إنّ وصيّ الظاهر يقبل الأفراد الطالبين للسلوك ووصيّ الباطن ينتقي منهم وينتخب؛ لذا فلو انكشف نفاق الأفراد الذين خضعوا لتربية وصيّ الظاهر مدة، فإن وصيّ الباطن لن يقبلهم منذ البداية ومن ثم فإنهم سيفقدون رغبتهم وحماسهم بعد حين فيرجعون، أو أنهم يلحوون إلى العناد لا سمح الله.

أما التلامذة الحقيقيون فسيقوم بأمر هدايتهم وإرشادهم عن طريق الباطن، فيتعرّفون ـ باعتبارهم أهل رغبة صادقة ونيّة حسنة ـ على وصيّ الباطن وينهلون من تعاليمه. وعليه، وبهذا البيان فإنّ أُستاذ الظاهر وأستاذ الباطن موجودان معاً، يؤيِّد أحدهما الآخر ويدعمه، وهما يتحمّلان جزءً كبيراً من مسؤولية تقدم التلاميذ وإيصالهم إلى المقصد الأصلي. وينبغي حتماً في هذه الحال أن لا يقع خلاف بين أستاذَي الظاهر والباطن، لأنّ الاختلاف دليل على عدم صحة الطريق ـ انتهى كلامه مجملاً[(١)].

يقول آية الله حسن زادة الآملي: «. . . لعل هذه الخاطرة التي أذكرها الآن قد قرأتموها في كتاباتي الأخرى، أو سمعتموها في أقوالي السابقة؛ وهي أنّي عندما ذهبت بمفردي إلى محضر حضرة آية الله الشيخ محمد تقي الآملي ـ رضوان الله تعالى عليه ـ وقد كان أحد أساتذتي أيضاً وكان ذلك

(١) «الروح المجرد» ص ٢٧٠ـ ٢٧٢.

اليوم عطلة، فتناولنا أطراف الحديث وقال عندما كنّا في النجف الأشرف كنّا نتتلمذ أنا والعلاّمة الطباطبائي ومجموعة أخرى عند حضرة آية الله الحاج السيّد علي القاضي ـ رضوان الله عليه ـ وكان للعلامة الطباطبائي في ذلك الوقت في النجف مكاشفات عجيبة ومحيّرة وقد أخبرني بها نفس الشيخ الآملي في زمان حياة العلاّمة الطباطبائي وقال لي حجّة الإسلام حضرة السيّد مهدي القاضي ـ رضوان الله عليه ـ وهو ابن حضرة آية الله القاضي: «كان أبي يقول لي مراراً: إنّ الإنسان لا بدّ أن يتدرّج في صعوده البرزخي حتى يعلم أسرار الحروف وأسرار الكلمات ويطّلع على حقائق الأشياء فلا بدّ أن يتدرّج في صعوده البرزخي ويخرج من هذه الحالة الطبيعية والعادية للناس العاديين»[1].

«البحثُ عن عارف كامل لأجل الكمال النفساني»

قال آية الله الحاجّ الشيخ محمد تقي الآملي رحمه الله: «. . . حتّى سنوات ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين (١٣٤٨هـ ق)، وتسع وأربعين (١٣٤٩هـ ق)، وخمسين (١٣٥٠ هـ ق)، شعرتُ بتعب وملل شديد، لا أني كنت مستغنياً عن الدرس والبحث، بل سأمتُ من الممارسة الكثيرة للدرس والتدريس ومجالس البحث والتقرير التي كنا نعقدها قرب الحرم في الصحن المطهّر، إضافة إلى أنّي لم أجد في نفسي الكمال النفسي، بل لم أكن أعلم سوى بعض الملفقات القابلة لآلاف الاعتراضات، فكنت دائماً أقضي وقتي متعباً وأُفكّر بالتعرّف على إنسان كامل أجد ضالّتي عنده، وكلّما جلست مع أحدٍ أحاول التجسّس بأدب وخضوع لعلّي أستطيع الوصول إلى هدفي الحقيقي.

---

(١) «في سماء المعرفة»، ص ٢٧.

وفي هذه الأثناء التقيت بسالك رثّ الهيئة، كنت أقضي الليالي معه في الحرم المطهّر لحضرة مولى الموالي ـ أرواحنا فداء عتبته ـ وبرغم أنّه لم يكن كاملاً إلاّ أنّي استفدت من الحديث معه.

حتى وفّقت لإدراك إنسان كاملاً، والتقيت بشمس بين الظل، فاستفدت من أنفاسه القدسية وكانت لي مشاهدات عندما كنت وحيداً في الليل في مسجد الكوفة والسهلة، فأغلقت تدريجياً باب المراودة مع الناس، وتوقّفت عن حضور مجالس البحث، وتركت الدروس التي كنت أدرِّسُها.

وبقيت عدة سنوات على هذه الحال، حتى هزّني الشوق للعودة إلى طهران وبعد استخارة المعبود تحرّكت من النجف الأشرف في شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وخمسين (١٣٥٣هـ ـ ق) ووصلتُ إلى طهران في أواخر الشهر المذكور وبقيت دائماً أتجرّع الغصص والأحزان وأتحرّق وأنصهر من وقائع الدّهر، لا حال مستقرّ عندي ولا باب فرار، ولا رغبة في عمل ولا دنيا ولا آخرة ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(١) اللهم اجعل عواقب أُمورنا خيراً(٢).

توضيح بعض النقاط من العلامة حسن زاده الآملي: سألت حضرته: من كان هذا السالك رثّ الهيئة؟ فلم يذكر اسمه، بل أجاب بهذا المقدار فقط: «إنّه كان إنساناً جيداً لكنّه لم يلبّي حاجاتنا». سألت حضرته: من كان هذا الإنسان الكامل، وأي عالم جليل بحيث خضعتم وتواضعتم وسلّمتم له، وما كلّ هذا الإجل الذين تذكرونه به؟ فقال: «هو حضرة الحاج السيّد علي القاضي الطباطبائي التبريزي (قدّس سرّه)»(٣).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

(٢) «في سماء المعرفة» ص ١٨٧.

(٣) «في سماء المعرفة» ص ١٩٤.

«أنا أعلم ما هي الكلمة!»

التلميذ (العلامة الطهراني): هل تتذكرون شيئاً عن المرحوم القاضي رحمة الله عليه حول قائم آل محمد الإمام الحجّة ابن الحسن العسكريّ ـ أرواحنا فداه ـ وكيفية ظهوره؟

العلاّمة (الطباطبائي التبريزي): في الرواية أنّ القائم عندما يظهر يبدأ دعوته من مكّة ما بين الركن والمقام، يسند ظهره إلى الكعبة ويعلن دعوته، فيجتمع له ثلاثمائة وستّون نفراً من خواصّه.

كان أستاذنا القاضي رحمة الله عليه يقول: وفي هذه الحالة يقول لهم شيئاً فينتشرون في أرجاء العالم ولأنّ الجميع يستطيعون طيّ الأرض، فإنّهم يبحثون في كل نقطة من العالم ويعرفون بعدها أنّه لا أحد له مقام الولاية الإلٰهية المطلقة ولا مأمور بالظهور والقيام ولا المعرفة بكلّ الأسرار الإلٰهية إلاّ صاحب الأمر عليه السلام.

وعندها يرجعون إلى مكّة ويسلّمون له ويبايعونه كان المرحوم القاضي ـ رضوان الله عليه ـ يقول: أنا أعلم ما هي الكلمة التي سيقولها لهم الإمام فينتشرون في الأرض.

وقد قرأت في الروايات الشريفة أنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: وعندي علم تلك الكلمة.

يقول المرحوم القاضي: من المسلّم أن بعض أفراد زماننا قد أدركوا محضر الإمام المهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ وتشرّفوا بخدمته.

أحدهم كان مشغولاً بالذكر والدعاء في مسجد السهلة في مقام صاحب الزمان، فرأى فجأة إمام الزمان في نور قويّ جداً وهو يقترب منه، فأخذته الأُبّهة والعظمة إلى درجة أشرف على الموت وتقطّعت

أنفاسه، فأقسم على الإمام بالأسماء الجلاليّة لله أن لا يقترب منه أكثر. وبعد أُسبوعين، كان هذا الشمس مشغولاً بالذكر في مسجد الكوفة فظهر عليه الإمام وأعطاه مراده وتشرّف بلقائه.

يقول المرحوم القاضي: إنّ هذا الشخص هو الشيخ محمد تقي الآملي.

قال العلاّمة محمد حسين الطهراني رحمه الله: كان المرحوم الشيخ محمد تقي الآملي من علماء طهران البارزين وهو من الطبقة الأولى من حيث الفقاهة والأخلاق والمعارف. وكان يدرّس الفقه والفلسفة من «**منظومة السبزواريّ**» و«**الأسفار الأربعة**» وصاحب حاشية «**مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى**» وحاشية وشرح «المنظومة» للسبزواريّ. وكانت تربطه صداقة وزمالة علميّة بوالدي. أدركت محضره المبارك مرّات عديدة فشاهدته عظيم الأدب، سليم النفس، بعيداً عن الأهواء ولم يتصدّى للفتوى حتى آخر عمره ولم تُطبع له «رسالة عملية» وقد استفاد أيام شبابه في النجف الأشرف من دروس الأستاذ القاضي رحمة الله عليه في الأمور العرفانية وكان صاحب كمالات[١].

«هل تشرّفتم برؤية وليّ العصر (عج)؟»

كان السيّد (القاضي) يجري على لسانه كثيراً قول «**يا صاحِبَ الزّمان**» بشكل خاصّ، وذلك في قيامه وقعوده، وبشكل عام عند تغيير حاله إلى حالة أخرى، سأله أحدهم يوماً: هل تشرّفتم برؤية وليّ العصر أرواحنا فداه؟

فقال: عَمِيَت عينٌ تُفتح صباحاً من نومها فلا يكون أول نظرها إليه!

---

(١) «الشمس الساطعة»، ص ٣٠٧.

أقول: ما أشبه هذه الجملة بكلام المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد جواد الأنصاريّ الهمداني قدّس الله تربته حين سُئل: متى يلاقي الإنسان صاحب العصر والزمان؟

قال: حين لا يختلف تأثير حضوره وغيبته لدى الإنسان[1].

«محنة العرفان»

يقول آية الله السيّد عبد الكريم الكشميريّ رحمه الله: «كان السيّد القاضي مشهوراً بالعرفان في النجف، ولذا كان تلاميذه يحذرون من التردّد على بيت أستاذهم خوفاً من ألسنة المعاندين، فكانوا لا يدخلون داره إلى أن يفرغ الزقاق من المارّة. يقول السيّد عبد الكريم الكشميريّ أيضاً: كنت يوماً واقفاً مع السيّد القاضي في صحن مرقد أمير المؤمنين عليه السلام فرآني أحد فضلاء الحوزة وأخذ يهزّ رأسه أسفاً على وقوفي مع السيّد القاضي. وكان آية الله علي محمد البروجردي يقرر درس السيّد القاضي فمنعه أحد علماء النجف المعروفين من حضور درس السيّد القاضي وقال له: لا تذهب إلى هذه المجالس فتتخلّف عن الحصول على درجة الاجتهاد في علوم الحوزة في الفقه والأصول. فكان يأتي سراً ويحضر درس أستاذه.

«وظائف الطلاّب»

يقول السيّد محمد حسن نجل السيّد علي القاضي: «فكان (السيّد القاضي) يؤكّد عليهم (رجال العلم والطلبة) بالمواظبة على حضور مجالس البحث والتحقيق، ويمنع حتى من الاعتكاف في جامع الكوفة الكبير إذا كان هذا الاعتكاف يعارض التحضير للدروس، و«المباحثة» والحضور في مجالس الدرس ومعاهده، ويتفقّد أصدقاءه ويسألهم عن

---

(١) «الروح المجرد»، ص ٢٩٧.

المسائل الجديدة المطروحة عند أساتيذهم ومرشديهم. وأمّا غير الطلبة؛ فكان يوصيهم بمزاولة أعمالهم التجارية والكسب، وحسن الالتزام بالوظائف الشرعية والفقهية في الكسب والتجارة ولا يتقدم إليهم بعمل ينافي الكسب أو أوقاته، ويؤكّد على تعهّد عملهم وحسن إداراته وتنظيمه حسب القواعد والأصول المرعية، دون أن يظهر عليهم الشذوذ في سلوكهم الاجتماعي والسوقي، أو يؤخرهم عن الاستفادة من أوجه الحلال المشروع، فالكاسب حبيب الله، والساعي في الكسب لغرض التوسعة على عياله كالمجاهد في سبيل الله... إلى آخر ما كان يوصي ويقول: كونوا بين إخوانكم كأحدهم، وعليكم بالرفق والمداراة في معاشرتهم واحذروا من التزّمت»[1].

«ما حقيقة طيّ الأرض؟»

التلميذ (العلاّمة الطهراني): ما حقيقة طيّ الأرض؟ وكيف تنطبق هذه المسألة مع موازين الفلسفة؟

العلاّمة (الطباطبائيّ التبريزيّ) حقيقته هي طيّ الأرض تحت أقدام الماشي. وكان أخي المرحوم السيّد محمد حسن الإلهيّ القاضي قد استفسر من روح المرحوم الحاج الميرزا علي آقاي القاضي ـ رضوان الله عليه ـ عن طيّ الأرض، وذلك بواسطة لتميذ له كان يحضر الأرواح (ليس بواسطة المرآة، ولا بالمنضدة المثلّثة، بل كان يمسح بيده على عينيه فيُحضر الروح فوراً) فأجاب المرحوم القاضي رحمة الله عليه بأنّ طيّ الأرض الآيات الستّ من أول سورة طه: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام في النجف الأشرف» ص ٢٢٩.

﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[1].

التلميذ: ما هو المراد من هذه الآيات؟ هل كان المرحوم القاضي يقصد من وراء هذا الكلام الحديث بطريق الإشارة والرمز، وهو يريد أن يقول إنّ طيّ الأرض يحصل من خلال الاتّصاف بالصفات الإلهيّة؟

العلاّمة: كلا، لقد كان أخي رجلاً ذكياً وحاذقاً؛ فكان يذكر الأمر بحيث كأنّه فهم بنفسه من هذه الآيات تعليمات طيّ الأرض.

وهذه الآيات عجيبة حقاً، وخاصة آية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾، لأنّها تجمع جميع الأسماء في الوجود المقدّس للحق تعالى، وليس لدينا آية جامعة مثلها في القرآن الكريم.

لقد كان المرحوم القاضي يتشرّف بالذهاب إلى كربلاء أيام الزيارة ولم يره أحد يركب السيارة أبداً، ولم يطّلع أحد على هذا السر إلاّ أحد التجّار في سوق الساعة (السوق الكبير) حيث تشرف بالذهاب إلى مدينة مشهد المقدّسة، فشاهد المرحوم القاضي في مشهد وطلب منه إصلاح جواز سفره، فقام المرحوم القاضي بذلك. ثم عاد ذلك الرجل إلى النجف فباح بأمر رؤيته للسيد القاضي فغضب المرحوم القاضي بشدّة وقال: إنّ الجميع يعلمون أنّني كنت في النجف ولم أُسافر.

قال العلاّمة الطهراني في هامش «الروح المجرّد»: نقل لي صديقي المعظّم حجة الإسلام الحاجّ السيّد محمد رضا الخلخالي ـ دامت بركاته ـ الذي هو من علماء النجف اليوم هذه القصة (والسيّد الخلخاليّ ابن المرحوم حجة الإسلام السيّد الخلخاليّ وهو ابن أخت السيّد محمد الخلخالي المقيم في النجف الأشرف والمعروف بالزهد والعبادة

---

(١) سورة طه، الآيات: ١ ـ ٨.

والمشهور في زمانه) ونضيف ممّا رواه التالي: عندما رجع ذلك التاجر من مشهد إلى النجف، قال لأصدقائه إنّ جواز سفره كان غير صالح ولم يتمكّن من ترتيبه في دائرة الشرطة، فذهب إلى القاضي ورجاه أن يحلّ له المشكلة وأعطاه الجواز، فقال له القاضي: اِرجع غداً إلى مركز الشرطة وخذه من هناك! يقول: فذهبت في اليوم التالي وبالفعل حلّت المشكلة ورجعت إلى النجف فقال له أصدقاؤه: إنّ السيّد القاضي كان في النجف ولم يسافر، فأسرع الرجل إلى القاضي وأخبره ما جرى معه بالتفصيل، ولكن السيّد القاضي أنكر ذلك وقال له: إنّ الجميع يعلمون أنّني لم أُسافر. أخبر التاجر بعض الفضلاء كالشيخ محمد تقي الآمليّ والشيخ علي محمد البروجرديّ والسيّد علي الخلخاليّ وغيرهم هذه القصّة. فجاؤوا إلى السيّد وأخبروه بدورهم، ولكنه أنكر مجدداً وهناك أصرّوا عليه أن يعيّن لهم درساً في الأخلاق.

وفي ذلك الوقت كان المرحوم القاضي مجهولاً جداً، ولم يكن أحداً يعلم عن حاله شيئاً، وفي النهاية وافق على تعيين درس الأخلاق؛ وفي المرحلة الأولى انضمّ إليهم السيّد حسن المسقطيّ وغيره.

وفيما بعد انضمّ حضرة العلاّمة الطباطبائي والسيّد أحمد الكشميريّ والميرزا إبراهيم السيستانيّ وأخو العلاّمة السيد الإلهيّ وغيرهم.

وفي المرحلة الثالثة انضمّ الشيخ عباس القوجاني والشيخ محمد تقي الفومنيّ الرشتيّ وغيرهم من فضلاء النجف الأشرف.

وسماحة آةَ الله الشيخ عباس القوجاني هو وصيّ المرحوم القاضي في المعارف والأخلاق وهو مقيم في النجف الأشرف حالياً، حيث يستفيد من محضره جماعة من الطلاب والأهالي وغيرهم. وهاك شاهدان

آخران على امتلاك المرحوم القاضي لطيّ الأرض، الأول: أنّ سماحة العلاّمة الطباطبائي وسماحة الشيخ القوجانيّ نقلا كلاهما أن المرحوم القاضي اعتاد أن يستقبل رفقاءه في منزله خلال شهر رمضان المبارك بعد حلول الليل بأربع ساعات، فيستمرّ مجلسه في الأخلاق والوعظ ساعتين، وكان الأمر على هذا المنوال في العشرة الأُولى والثانية من الشهر؛ لكنّه كان يعطّل المجلس في العشرة الأواخر فلا يراه أحد إلى آخر شهر رمضان.

ولم يكن مكانه معلوماً لأحد؛ وكان له أربع زوجات، إلا أنّه لم يكن يتواجد في بيت إحداهنّ، كما لم يكن يواجد في مسجد الكوفة أو مسجد السهلة اللذين كان يُكثر المبيت فيهما. وقد نقل سماحة العلاّمة الطباطبائيّ أمر اختفاء المرحوم القاضي في أوقات أخرى علاوة على شهر رمضان.

الثاني: ما رواه الشيخ القوجانيّ، حيث يقول: كان (المرحوم القاضي) قد جاء إلى كربلاء في سفر للزيارة، ثم حان وقت العودة، فقدمنا سوياً إلى موقف السيارات وكان ازدحام الناس بركوب السيارات الذاهبة إلى النجف شديداً، بحيث كانوا يتسلّقون على رؤوس ومناكب بعضهم البعض لركوب السيارة. فلمّا شاهد المرحوم القاضي الأمر، توجّه إلى جانب الموقف (الكراج) بمنتهى البرود. وجلس على الأرض مُسنداً ظهره إلى الجدار وانهمك بتدخين سيجارة. أمّا نحن فصبرنا مدة جنب السيارات التي تأتي فتحمل المسافرين حتى حشرنا أنفسنا في إحداها بمنتهى المشقّة وجئنا إلى النجف، ولم يكن لدينا علم بالمرحوم القاضي. وبالطبع فإنّ جميع هذه الأُمور احتمالات لامتلاك المرحوم القاضيّ طيّ الأرض، إلا أنّ ذلك لم يُنقل عنه ولا عن غيره صراحةً[١].

(١) «الشمس الساطعة» ص ٣٢٠.

«أنا لا أستخير بالقرآن»

كان يكلّفه بعض الإخوان الاستخارة بالقرآن، فحينئذٍ كان يقول (المرحوم القاضي): أقرأُ عليك الآية الشريفة وخُذ الرأي منه أنت لنفسك... كان يقول: أنا لا أستخير بالقرآن...

يقول السيّد محمد حسن نجل العلاّمة السيّد علي القاضي: «... كان هو (قدّس سرّه) يمتنع من الاستخارة بالقرآن الكريم لاختلاف وجوه معنى الآيات الكريمة وصعوبة تطبيقها على المورد والمقصود وكيفيّة استنباط الأمر أو النهي منها وهكذا يكون الإجمال والغموض فيه كثيراً والأمر بالعكس من ذلك في المسبحة والرقاع والبنادق، فهو أصرح وأبين، والأخبار الواردة فيها أصرح وأكثر وأقوى وأظهر. هذا إذا لم نرد الوقوف على نصوصها... كان هو (قدّس سرّه) يعلّمها ـ أعني الاستخارة ـ لأولاده وأحفاده والصفوة من أصدقائه وبطانته والمجتمعين حوله للاسترشاد والاستمداد من تعاليمه وتوجيهاته، لغاية ولغرض السموّ الخلقي والنفسي؛ فكان يوصي بالالتزام بها في جميع المهام؛ بل وعند البدء بكل عمل حتى الأُمور غير المهمّة، للتبرّك على الأقل، كعملية خاصة متيسّرة لمعرفة الصحيح من غير الصحيح من الأعمال.

كما ويوصي ويؤكّد للتأمل فيها، أكثر من كونها عملية دعائية تسبيحيّة خاصة نلوذ إليها كلّما واجهتنا مشكلة ما؛ فإن المأثور من جملة ما قرأنا وحفظنا عنه، من نظم ونثر، ومراسلات مع أصحابه الذين كان يسارهم في أُموره؛ أنّها ليست ممّا تعنى بها العامة في كثير أو قليل؛ وإنّما هي لفتات خاصة يهتم بها أولئك النفر القليل، الذين خصصهم الله تعالى بألطافه، وأسبغ عليهم من نعمه الروحية والمعنوية، ما يفوق قلباً وقالباً ما في أيدي النّاس.

أجل، إنّه كان يرى الاستخارة من جملة هذه الأُمور الخاصة وفي أدق وأرقّ وأسمى معانيها أن لا يفكر الإنسان وحده ولا يصمم على عمل دون اللجوء إليها، لأنّها بمثابة الاستشارة والاستعانة بالله عزّ اسمه في أسمى معانيها، وأظهر آثارها.

فإنّ الإنسان عندما يستخير الله تعالى فكأنّه يتّجه إلى الأعماق، وإلى السبب الحقيقي ويغضّ الطرف عن الأسباب وظواهر الحياة، ليكشف الحقيقة، من باب «**اللهمّ أرني الأشياء كما هي**» أو ليكشف له ذلك على قدر قابليّته واهتمامه وتحقّقه وتوجّهه والتفاته وصدق يقينه... ويكون هذا التوجّه والالتفات عملية نفسية خاصة تحمل نفسه على التدرب عليها وبمرور الزمن ـ ولو بقليل من التجربة ـ يدرك تأثير هذه العملية البسيطة في نفسه، ويعرف مدى أثر، وكيفيّة إيجاد الرابط بينه وبين الله تعالى وبمرور الأيام يتحول هذا الرابط إلى علاقة، ثم تقوى هذه العلاقة وتتّسع إلى ما لا نهاية كلّما واجه أمراً ذي بال يحتاج فيه إلى الاستعانة والاستمداد من يد غيبيّة، وعالم بسرائر الأشياء، وواقف على خفايا الأمور؛ ثم يستمر في طريقه حتى يصل إلى حدّ ما قاله المعصوم: «**المؤمن ينظر بنور الله**» وإلى حدّ قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[1].

ولذلك كان يوصي بعدم التوكيل فيها، مع أن العامة ـ ولعلّ بسبب شعورهم الخفي بهذا المعنى ـ يوكلون أمر الاستخارة إلى من عرفوا من الأخيار والصالحين.

خلاصة القول: إنّ للاستخارة في نظره معنى أسمى ممّا تعرفه العامة، بل كان يريدها حالة نفسية تستولي على جميع جوانب حياة الرجل

(١) سورة الحديد، الآية: ١٢.

المؤمن، في غدوه ورواحه، نفيه وإثباته، وسواده وبياضه؛ يحسّ ويشعر بحلاوتها في نفسه وروحه؛ كلّما أمر عن طريقها بأمر أو نهي ويرى فيها الصدق والصواب[1].

«سر بساط حضرة النبي سليمان عليه السلام»

يقول العلاّمة الطباطبائيّ: «لقد سأل أخي حضرة القاضي ـ رضوان الله عليه ـ بواسطة تلميذه عن بساط حضرة النبيّ سليمان الذي كان يجلس عليه، ويسافر به إلى مغرب العالم ومشرقه، هل كان من وسائل ظاهرية مصنوعة، أم أنّه من الإبداعات الإلهيّة التي لا علاقة لها بالأسباب الظاهريّة؟ فأجاب المرحوم القاضي رحمة الله عليه، ليس لدي الآن أيّ فكرة، ولكنّ أحد الموجودين الذين كانوا في زمن النبي سليمان وقد تصدّى لهذا العمل موجود الآن، فلأذهب وأسأله. فذهب القاضي، وما إن خطا عدّة خطوات حتى ظهر مشهد جبل، فما إن وصل إلى سفحه حتى ظهر شيء يشبه الإنسان. فسأله السيّد القاضي وتحدّث معه قليلاً، ولكن ذلك التلميذ لم يفهم شيئاً وعندما رجع السيّد قال: إنه يقول إنّه من الإبداعات الإلهية ولا دخل له بالأسباب الظاهرية»[2].

«ضيافة الأُستاذ من تلميذه»

يقول حجّة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ المروي ـ من تلاميذ السيّد الكشميري ـ: قال الأستاذ آية الله السيّد عبد الكريم الكشميري رحمه الله: ذهبت ـ كعادتي ـ لزيارة السيّد القاضي فقدّم لي تمراً، فلم أتناول منه شيئاً، واستفسر السيّد القاضي عن علّة ذلك، فقلت: لا

---

(١) «معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف:»، ١/ ٢٢٠ـ ٢٣٢.
(٢) «الشمس الساطعة»، ص ٣٢٣.

أرغب في أكل التمر، فقال: هل ترغب في نوع آخر من التمر؟ فقلت: نعم، إني أرغب في التمر الديري كثيراً. وبعد مدة جاء إلى دارنا بلباسه العربي وقد ملىء جيب الدشداشة بالتمر الديري وأعطانيه[1].

«اختبارهُ من تلميذه»

أمر (المرحوم السيّد القاضي) أحد الحضّار في مجلسه ـ وكان من الشخصيّات العلمية المرموقة في الحوزة العلمية يحضر مجلسه للحصول على بعض التعليمات والاستنارة ببعض الإشارات واتّفق أن دخل المجلس صعلوك قذر الملابس للتكدّي، وكان هذا مريضاً بحيث إذا جلس لا يستطيع النهوض من مجلسه؛ نعم، أمره أن يقوم ويساعد هذا المسكين المريض في النهوض من مكانه؛ وكأنّ هذا العالم كبر عليه هذا التكليف والأمر، أو لأنّه ناداه باسمه دون أن يكنيه أو يعطيه اللقب المناسب له بين أقرانه، فتباطأه بامتثال أوامر الشيخ؛ فنهض الشيخ هو بسرعة من مكانه واحتضن ذلك الصعلوك وأوقفه على رجليه وألبسه حذاءه بيده وقاده إلى باب الدّار وهو يحدثه ويلاطفه، فخجل العالم وفارق المجلس مدة، ثم أخذ يتوسّل إلى أصدقائه ليسمحوا له بالعودة إلى مجلسهم، فسمع له بذلك فكان المرشد كلّما دخل هذا العالم مجلسه وأراد الخروج سبقه إلى حذائه وصفّه أمام رجليه، مشيراً إلى أنّ هذا العمل لا يخلّ بمقام الرجل ولا يضعه من مرتبته؛ وأنّ حرمة العلماء محفوظة عنده وكانت النتيجة أنّ هذا العالم إذا دخل مجلس المرشد تأبّط حذاءه لئلا يفاجأ بقيام المرشد أمامه.

قلت: هذا العمل وأمثاله ربما كان يصدر منه، بل وقد تكرّر في

---

(١) نقلاً عن حديث إذاعي لحجة الإسلام المروي في ١٢٧/١/ ٧٨هـ ش.

موارد كثيرة، ليلفت النظر إلى أنّ الوصول إلى المدارج العالية لا بدّ وأن يسبقه شيء من الرياضة النفسية، والتواضع، والتهذيب الخلقي، ونكران الذات والإيثار؛ ولا يفتح الطريق لأحد بمجرّد الحضور في جلسات أهل الحال كما كانوا يعبرون[1].

«صحبة السيّد القاضي مع الفحّام»

يقول السيّد محمد حسن القاضي: «كان أكثر المقدسين ومن عرفوا بالزّهد والتقشّف يلبسون قباء أزرق، أو مصبوغ بلون أزرق فاتح وكان هو (قدّس سرّه) يمتاز عنهم، يفضل الملابس البيض، خصوصاً في الصيف (وفي النجف تسعة أشهر من السنة صيف)، ومن أدركنا منهم ـ أعلى الله مقامهم ـ أمثال الشيخ مشكور الحولاي ونجله الشيخ حسين مشكور، والشيخ علي القمي والسيّد عبد الغفار الموسوي الذي كان يصلّي مكان الشيخ علي القمي في الجامع الهندي عند غيابه، والسيّد جمال الكلبايكاني الذي انتهت إليه الزعامة برهة قصيرة والشيخ زين العابدين والشيخ دعيبل وعدد غيرهم لا يحضرني أسماؤهم الساعة، كلهم كانوا يفضلون هذا اللون ويسمّونه ـ ولا أدري لماذا ـ «فدك» وهو لباس أو قباء الأخبار في النجف الأشرف (قماش أبيض مصبوغ بلون أزرق فاتح).

ولكنّه ـ كما قلتُ ـ كان (السيّد القاضي) يفضل اللون الأبيض، وكان له صديق فحّام في مدينة الكوفة؛ كان لزاماً عليه أن يزور هذا الصديق في الشهر مرة على الأقل، فكان يذهب إلى حانوته، ويجلس على الأرض ولا يبالي وقد يطول المقام ساعات والفحّام لا يتوقف عن العمل كلّما جاءه عميل لشراء الفحم يقوم ويعطيه ما يريد من الفحم ويرتفع غبار

---

(١) «معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف:»، ١/٢٧٨.

الفحم وهو جالس دون أن يعير أي اهتمام إلى ما يتناثر على ملابسه ووجهه من رذاذ الفحم؛ نعم، كان يشير بعصاه لنا ـ ونحن صِغار ـ بعدم الدخول في الحانوت، خوفاً من إزعاج أُمّهاتنا.

وبعد أن ينتهوا من الحديث والنجوى، يغادر الحانوت وقد علاه البشر وتهللت أسارير وجهه وهو يتمّم بشفتيه بشيء لا نفهمه ويذهب إلى داره في الكوفة وزوجته (أمّ حسين) تستقبله بالصراخ ومما ترى عليه من أثر الفحم، وهو يهدؤها ويعدها بمساعدتها في غسل الملابس.

وقد ذكر لي هذا السيّد مهدي القاضي، وكان يكبرني أكثر من عشر سنوات، مما يظهر أن صحبته مع هذا الفحّام كانت منذ مدة طويلة. ومن الغرايب أنّه ما كان يمتنع من المرور بالسوق والزّقاق على مثل تلك الحالة...

نعم، الرياضة النفسية أو ترويض النفس على منح بعض الشؤون الاجتماعية وعدم المبالاة بالقواعد والأصول المرعيّة بين الناس، لغرض كبت جماع النفس وغلوائها وأنانيتها من لوازم الدخول في السلك، لكن لا إلى الحدّ الذي يخلّ بشخصية الرجل ومقامه الاجتماعي، أو يرمي بنوع من الخروج عن المألوف عند سائر الناس.

وتعيين هذا الحدّ من أصعب الأمور لدى العرفاء والأخلاقيين من الشيوخ والفقهاء ـ أعلى الله تعالى مقامهم ـ لأنّهم يقيمون ألف دليل ودليل على أنّ الشؤون الاجتماعية يجب مراعاتها والتعهّد والالتزام بها، فللمؤمن من حرمته ومقامه الاجتماعي، ولا يجوز الإخلال به وتعريضه لقالة السوء وقد عرف بهذا في وسطه الذي كان يعيش فيه إلاّ أنّ المريد الذي كان يلازم مجلسه كان يعلم أنّه لا محالة قد يقع ولو مرة واحدة أمام الاختبار...»[1].

---

(١) «المصدر السابق».

«الأسلوب التفسيري لدى الطباطبائيّ هو من السيّد القاضي»

المنهج التفسيري عند العلاّمة الطباطبائيّ (قدّس سرّه) (صاحب الميزان في تفسير القرآن) لقد كان طبقاً للأُسلوب التفسيريّ لأستاذه في العرفان والعلوم الباطنية الإلهيّة: المرحوم آية الله الحاج ميرزا على القاضي، وهو تفسير الآيات بالآيات؛ أي استنباط مفهوم ومغزى آية القرآن من القرآن نفسه. وقد كانت هذه طريقة المرحوم آية الله القاضي فقد كتب تفسيراً من بداية القرآن إلى سورة الأنعام، وكان يُعَلِّم تلامذته الكتاب الإلهيّ على هذا النحو. وكان أستاذنا المرحوم سماحة السيّد العلاّمة يقول كراراً: «إن هذا الأسلوب التفسير الذي لدينا هو من المرحوم القاضي»[1].

«مسلك العرفانّي للسيد القاضي»

مسلكه العرفانيّ: كان مسلك أُستاذه الأوحد المرحوم آية الحقّ وسيّد العارفين الحاج الميرزا علي القاضي، وهو مسلك أُستاذه السيّد أحمد الكربلائيّ الطهراني، الذي كان يتبع مسلك أُستاذه المرحوم آية الحقّ الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني الدَّرجَزيني ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وهو مسلك معرفة النفس، الذي يتلازم مع معرفة الربّ وتدلّ على هذا الأصل الروايات الكثيرة وهو يحصل بعد عبور عالم المثال والصورة، وبعد عبور عالم النفس حيث **عِنْدَ الفناء عَنِ النَّفس بمراتِبها يَحصُلُ البَقاءُ بِالرَّبِّ**؛ أمّا تجلي سلطان المعرفة فإنه سيحصل عندما لا يبقى من الآثار النفسانية في السالك أيّ وجود. ومن الشروط المهمة لتحصيل هذا الأمر، المراقبة، حيث يجب على السالك أن يحفظ آدابها

(١) «الشمس الساطعة»، ص ٥٨.

وشرائطها في كلّ مرحلة من المراحل، أو منزل من المنازل حسب المرحلة أو المنزلة، بكلّ ما للكلمة من معنى. فبدون المراقبة تكون الأعمال والعبادات كالدواء الذي يتناوله المريض مع عدم الاحتراز من تناول الأطعمة المضرّة التي لن تفيده شيئاً.

أما كليات المراقبة التي تختلف بجزئياتها حسب اختلاف المنازل، فيمكن اختصارها في خمسة أشياء:

صَمْت وجُوع وسَهَر وعُزلت وذِكرى به دوام

ناتما مان جهان راكند اين پنج تمام

[يقول: صَمْتٌ وجُوعٌ وسَهَرٌ وعُزلةٌ ودوام الذكر، فهذه الخمسة ستجعل غير الكاملين في العالم كاملين][1].

---

(١) «المصدر السابق»، ص ٧٩.

الرسائل العرفانية والأشعار العالية
من العلاّمة السيّد على القاضي (قدّس سرّه)

نتطرق في هذا الفصل إلى مجموعة من الرسائل التي كان السيّد القاضي قد أرسلها إلى أصحابه في فترات مختلفة وهي تتضمّن الكثير من الوصايا العرفانية ونذكر نماذج من أشعاره العالية لبعض المناسبات والوقائع.

«أنشد هذا الشعر ولم تبلغ سنيه العشرين»

وادي السلام أم بقيع الغرقد ... أول أولى عدة إلى الغد
فيه وصي المصطفى والمهتدي ... في كلّ أمر ذي (ذوا) السبيل الأرشد
لا هجعت عيني بغير أرضه ... وليتني في غيرها لم أرقد
تطايرت قلوبنا نحو الحمى ... تطاير الفراش حول الموقد
يهيم قلبي نحوه منذ الصبا ... كما تهيم النيب نحو المرود
أعد ساعاتي صباحاً ومسا ... يا ربّ قعرِّب للرحيل موعدي(١)

إنّه حين أراد الدخول إلى العراق لأوّل مرة منع ومعه جمع من ذويه، فلم يفقد الحيلة في الحصول على الإذن. أنشد قصيدة وأرسل إلى الأمير

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» للسيد محمد حسن القاضي، ١/٤٩.

الأعظم ذي السيف والقلم: حسن علي خان الكروسي، يطلب منه الإذن لدخول بلاد الروم، وهو إذ ذاك صاحب ثغرهم ببلدة كرمانشاهان، وكان دخوله إلى العراق لأوّل مرة سنة ١٣٠٨هـ ق.

تسابقت الأفكار في مدح ماجد
فقصر ذو السبق الذي هو بارع
ونبطىء في رقي المفاخر والعلى
كلّ إليه مستعاد وراجع
وكيف يفي المدح الذكا بسنائه
وأنت لنا فيه مديل ورافع
سبقت إلى مجد فأحسنت شربه
لك الكلّ فيه ذو اقتداء وتابع
طمعت إلى الجلي ولا شك نائل
بشملة مجد دونه المجد طامع
وقيل خصال حير اللب دونها
إذا اخضلّ ليل أنت كالشمس طالع
ورأفة آباء وهيبة سائس
لرقّ وأخلاق الملوك تقارع
لك القلم الملقاة من سيف أعزل
وسيفك قوس الله في الأرض قاطع
وقل ثنائي فيك يا كهف أهله
بذلك من أبواب فضلك قارع
فإن شئت فاَطلب لي وصولاً إلى الحمى
بجنب الغري فالدموع هوامع

فإن منع الروم الدخول لأرضها
فقد غلبت قدماً فكيف تدافع
ولا حاجة لي غير هذا وإن لي
حفاظ عليّ عن مدح غيرك مانع

يقول السيد محمد حسن القاضي: «هذا وممّا يذكر بهذه المناسبة تمسّكه وتعشّقه بوطنه الجديد النجف الأشرف، أنه منذ أن دخل المدينة المقدسة لم يخرج منها إلاّ لزيارة سائر العتبات المقدّسة كربلاء والكاظمين وسامراء، وذهب مرة واحدة إلى زيارة مشهد الرضا عليه السلام، حوالي سنة ١٣٣٠هـ ق وبعد تشرّفه بالزيارة عاد إلى طهران ومكث في مدينة ري المعروف بـ «شاه عبد العظيم» برهة يظهر أنها كانت قصيرة وقد عثرت على رسالة كان قد بعث بها إلى أحد إخوانه في النجف، جاء في صدر هذه الرسالة أبيات من الشعر، ومنه يظهر أنّ تصدير الرسائل بالشعر العربي كان دأبه منذ الشباب والكهولة وسنرى لذلك شواهد كثيرة فيما سيأتي إن شاء الله تعالى وبما أنّ الكتابة عنده كانت سهلة جداً، لا يعني بالقلم والمحبرة والمزبر كثيراً، أو لا يعني به أبداً، فهو يكتب بعدد الثقات عادة أو أي نوع من الخشب يمكن أن يستفاد منه للكتابة، يظهر ذلك جيداً من النموذج الخطي الموجود لدينا منه (قدّس سرّه)...

قلتُ لهذا السبب لم أتمكّن من قراءة أكثر هذا الشعر، وقد بخل عليَّ صاحب الرسالة بنسختها، غير أني وبصورة مستعجلة نقلت منها هذه الأبيات، أثبتها هنا لأُدلل على مبلغ تعلّقه بمدينة النجف الأشرف وتعشّقه لها:

مستنقع يشقى لظى الأكباد
أبرد بعيش وفقوا برشاد

وإذا أخـذت الـكـأس ثـمـة طـمـهـا
وعـلـى الـحـمـى فـأذكـر وجـبـيـب فـؤادي
واذكـر بـهـا وقـفـاتـنـا ومـنـازلاً
ومـرابـعـاً فـيـهـا بـجـنـب الـوادي
واسـتـنـظـرونـا بـالـمـآب فـإنـنـا
نـرجـو مـعـاودة مـع الـعـواد
فـالـقـرب بَـعـد الـبُـعـد أحـلـى مـطـعـمـاً
والـعـود أحـمـد عـنـد أهـل الـبـادي
ظـشـتـان مـا يـومـي أبـاكـر لـلـ. .
سـئـمـاً ويـومـك صـاحـب الأنـجـاد[1]

رسالة من السيّد القاضي (ره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على الرسول المبين ووزيره الوصي الأمين وأبنائهما الخلفاء الراشدين والذريّة الطاهرين والخلف الصالح والماء المعين، صلّى الله وسلّم عليهم أجمعين.

تـنـبّـه فـقـد وافـتـكـم الأشـهـر الـحـرم
تـيـقّـظ لـكـي تـزداد فـي الـزاد واغـتـنـم
فـقـم فـي لـيـالـيـهـا وصـم مـن نـهـارهـا
لـشـكـر إلٰـه تـمّ فـي لـطـفـه وعـمّ
ولا تـهـجـعـن فـي الـلـيـل إلاّ أقـلـه
تـهـجـدوكـم صـب مـن الـلـيـل لـم يـنـم

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ٧٧ـ ٨٠.

ورتل كتاب الحق وأقرأه ماكثاً
بأحسن صوت نوره يشرق الظلم
فلم تحظ بل لم يحظ قط بمثله
وأخطأ من غير الذي قلته زعم
وسلّم على أصل القرآن وفصله
بقية آل الله كن عبده السلم
فمن دان للرحمن في غير حبّهم
فقد حبّهم فقد ضلّ في إنكاره أعظم النّعم
فحبّهم حبّ الإلٰه أستعذ به
هم العروة الوثقى فبالعروة اعتصم
ولا تك بالللاهي عن القول واعتبر
معانيه كي ترقى إلى أرفع القمم
عليك بذكر الله في كل حالة
ولاتن فيه لا تقل كيف ذاوكم
فهذا حمى الرحمن فادخل مراعياً
لحرماته فيها وعظمه والتزم
فمن يعتصم بالله يهد صراطه
فإن قلت ربّي الله يا صاح فاستقم

قال عزّ من قائل: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[2] وقال جلّ جلاله العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٣) سورة فصّلت، الآية: ٣٠.

انتهبوا إخواني الأعزّة ـ وفقكم الله تعالى لطاعته ـ فقد دخلنا في حمى الأشهر الحُرم، فما أعظم نعم الباري علينا وأتمّ، فالواجب علينا ـ قبل كلّ شيء ـ التوبة بشروطها اللازمة وصلواتها المعلومة، ثم الاحتماء من الكبائر والصغائر بقدر القوّة.

فليلة الجمعة ـ أو يوم الأحد ـ تصلون صلاة التوبة، ليلة الجمعة أو نهارها، ثم تعيدونها يوم الأحد في اليوم الثاني من الشهر.

ثم تلتزمون المراقبة الصغرى والكبرى[١] والمحاسبة والمعاقبة بما هو أحرى، فإنّ فيها تذكرة لمن أراد أن يتذكّر أو يخشى، ثم أقبلوا بقلوبكم، وداووا أمراض ذنوبكم، وهونوا بالاستغفار خطوب عيوبكم.

وإيّاكم وهتك الحرمات، فإنّ من هتك ـ وإن لم يهتك الكريم عليه ـ فهو مهتوك. وأنّى يرجى النجاة لقلب ارتبكت فيه الشلوك، حتى يسلك سبيل المتقين ويشرب من الماء المعين مع المحسنين، والله المستعان على نفسي وأنفسكم وهو خير معين.

١ـ عليكم بالفرائض في أحسن ـ أفضل ـ أوقاتها، وهي مع نوافلها الإحدى والخمسين، فإن لم تتمكنوا فبأربع وأربعين، وإن منعتكم شواغل الدنيا فلا أقلّ من صلاة الأوّابين[٢].

٢ـ أمّا صلاة الليل، فلا محيص عنها عند المؤمنين والعجب ممّن يروم مرتبة وهو لا يقوم الليال وما سمعنا أحداً نال مرتبة منه إلاّ بقيامها.

---

(١) قال السيّد محمد حسن القاضي: «...المراقبة الصغرى هي محاسبة الإنسان نفسه على ما يصدر منه من ذنوب وأخطاء حتى ترك المستحبّات وارتكاب المكروهات وقيل: حتى المباحات.... أمّا المراقبة الكبرى فهي دوام الذكر والتوجّه وعدم الغفلة قدر الإمكان...».

(٢) صلاة الأوّابين: هي صلاة أهل الإنابة والتوبة ثمان ركعات أثناء الزّوال.

٣ـ وعليكم بقراءة القرآن الكريم في الليل بالصوت الحسن الحزين، فهو شراب المؤمنين.

٤ـ وعليكم بالتزام الأوراد المعتادة الّتي هي بيد كلّ واحد منكم والسجدة المعهودة[1] من خمسمائة إلى ألف.

٥ـ وزيارة المشهد الأعظم ـ لمن كان مجاوراً ـ كل يوم، وإتيان المساجد المعظمة ما أمكن وكذا سائر المساجد، فإنّ المؤمن في المسجد كالسمكة في الماء.

٦ـ ولا تتركوا بعد الصلوات المفروضات تسبيحة الصديقة عليها السلام، فإنّها من الذكر الكبير ولا أقلّ في كلّ مجلس دورة.

٧ـ ومن اللازم المهم الدعاء لفرج الحجّة عليه السلام في قنوت الوتر، بل في كل يوم وفي جميع الدعوات.

٨ـ وقراءة الجامعة في كل يوم جمعة، أعني الجامعة المشروحة المعروفة.

٩ـ ولا تكون التلاوة أقلّ من جزء.

١٠ـ وأكثروا من زيارة الإخوان الأبرار، فإنّهم الإخوان في الطريق والرفيق في المضيق.

١١ـ وزيارة القبور في النهار غباً، ولا تزوروا ليلاً.

ما لنا وللدنيا قد غرّتنا وشغلتنا واستهوتنا وليست لنا، فطوبى لرجال أبدانهم في الناسوت وقلوبهم في اللاهوت، أولئك الأقلّون عدداً والأكثرون عُدَداً.

---

(١) السجدة المعهودة: هي التسبيحة اليونسيّة والوارة في الآية الشريفة «وذا النون... كنت من الظالمين» وهذا الجزء الأخير من الآية هي السجدة المعروفة لديهم.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله.

سلخ ج ٢٠/ ١٣٥٧هـ ق[1].

رسالة أُخرى من السيّد القاضي قدّس سرّه

هذه رسالة كان قد بعث بها إلى السيّد محمد حسن الإلٰهي الطباطبائيّ (وهو الأخ الأصغر للعلاّمة الطباطبائيّ) هذه الرسالة وإن كانت فارسيّة ننقلها بنصّها ولغتها الأصليّة ثم نأتي بترجمته وتعريبه.

عزيز قلبي! وصلتني رسالتكم المؤرخة في السابع من شوّال، فتحت أبواب الجنان الثمانية وقد حملت في طياتها بشرى وصولكم إلى أحوال شريفة ولقد أحسنتم بي الظن كثيراً وإنّي لخائف من جسارة ترك جواب رسالتكم ولا بدّ مهما كلّف الأمر أن أجيبكم على نحو الاختصار ولو بكلمتين: أولاً أنّكم تعلمون ـ وإلاّ فاعلموا ـ أنّ هذا الموضوع يلقى بنحو الإشارة في الحضور لاحتمال وصوله إلى غير أهله وقد أجبتُ على جميع أسئلتكم ضمن الأبيات العربية المرفقة بهذه الرسالة وفي الجملة أرى لزاماً عليَّ أن أجيبكم].

ذكر بعضهم قال: كنت أتعبد في مكان خالٍ، إذ دخل عليَّ أحد، فذعرت، يعني: على غير ميعاد. فقال لي: لا تخف! فإنّ من أنس بالله لا يخاف. فقلتُ: يا سيّدي! بم يصير الأبدال أبدالاً؟ فقال: بالستّ الذي ذكره، ومنها التوكّل.

نعم الذي حدث واتفق أنّكم أسرعتم إلى الالتزام بتلك الكلمة الجليلة ومن الأفضل أن ترجعوا إلى الأذكار المركّبة. (ستقال على قصاصة من الورق مرفقة بهذه الرسالة). وبعد الحصول على شيء من

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ١٨٥ـ ١٨٨.

الاستعداد والتهيّؤ، فإنّ الترقّي يكون بنحو آخر أشرحه لكم. لا ترجع إلى هذه الكلمة الجليلة إلى أن يحصل الاستعداد الكامل. ولا يمكن اجتياز المراحل التي وضعها العارفون أو التخلّف عنها ولا تجعل للحديث (حديث النفس) إلى نفسك طريقاً واجعل الرفق شعاراً لك ولا بأس بإعطاء الآخرين الأوراد والأذكار بعد تشخيص المحلّ القابل بذلك وما لم يحصل الطلب الصادق من الطالب فلا تعط له ورداً. ويحرم إذاعة الأسرار. ولا حاجة إلى إجازة أُخرى. وأنا لا أستخير بالقرآن. وجميع الطرق منحصرة بالتوسّل بالأئمّة الأطهار والتوجّه الكامل نحو المبدأ. . . وإن كان قد جاء مائة فإنّ تسعين منها عندنا. لا علاقة لنا بالصوفية وطرقهم. وطريقتنا هي طريقة العلماء والفقهاء، مع الصدق والصفا. نعم، المصاحب لازم أيضاً، إذا لم يجد. . . ويعلم البرنامج الكلّي بالمراجعات الكثيرة وكيف يجوز إعطاء البرنامج دفعة واحدة، والآن أطوي الرسالة لأنج شخصاً غير محرم [أي بعيد عن مسلكنا] قد جاء لزيارتي، انظر إلى حالي كيف هو؟! وأطوي الورقة بنحو لا يراها، اطلب العفو منك كثيراً. وليس لدي ما أقوله أكثر مما قلتُ، وقد كتبت لك شيئاً آخر على قصاصة من الورق].

ثم ختم (السيّد القاضي (قدّس سرّه)) الرسالة بهذين البيتين من الشعر العربي:

فديتك لو عرضت عليك شوقي
يملّ السمع من طول الكلام
فإنّي بعد بُعد كما كشمسٍ
لقد كسفت وصارت في ظلام

ومع هذه الرسالة أبيات من الشعر العربي يقول فيها:

وقـد كـان قـلـبـي قـبـل ذا عـنـك لاهـيـاً
ولـكـنّـه شـوقـتـه فـتـشـوّقـا
فـلا تـوكـلـن لا تـعـجـلـن وتـوكـلـن
ورفـقـاً لـعـلّ الـلـه يـجـعـل مـرفـقـا
فـلا تـربـح الأزواد قـط بـجـمـعـهـا
وقـد ربـح الأعـواض مـن كـان أنـفـقـا
ولا تـعـجـلـن فـالأمـر قـسـم مـقـدّر
سيـأتـيـك مـا تـرضـى وتـأخـذ فـي الـرقـى
تـوكّـل عـلـى الـربّ الـكـريـم ألا تـرى
كـفـايـتـه مـن قـد تـوكّـلَ واتّـقـى
إلـيـك كـتـاب الـحـقّ فـٱقـرأه مـاكـثـاً
لـتـرقـى بـه حـتـى تـلـذذ بـالـلـقـا(١)

رسالة جوابيّة أخرى إلى السيّد محمد حسن الإلهي الطباطبائيّ:

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الملك العلاّم والصلاة والسلام على سيد الرسل وآله الكرام الفخام.

وبعد، جُعلت فداك، در رقيمه فخيمه قلمى شده بودكه: اگر مطالب علمي وعرفاني باشد به جنابعالى عريضه نگار شود، والاّ منتظر جواب نيستيد. اين فرمايش از صفاى ذات ملكوتي الصفات آن جناب است. ولى واضح است كه مطالب عاليه در طى مراتب جاريه به نحو اشاره به اهلش معلوم است [ترجمتها: جُعلت فداك، في رسالتكم المفخمة

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ٢١٣ـ ٢١٤.

ذكرتم: أنّه لو كانت لدي مسائل علمية أو عرفانية أجيب على رسالتكم وإلاّ فإنكم غير منتظرين الجواب. وهذا الكلام صادر من صفاء ذاتكم الملكوتي الصفات، غير أنّه من الواضح أنّ المسائل العلمية والعرفانية العالية تأتي خلال وضمن التحدّث عن الآخرين والمسائل والأمور الجارية والأحاديث المتداولة. مثل فارسي منظوم:]

وه چه خوش باشد كه سرّ دلبران
گفته آيد در حديث ديگران

[ترجمتها: وما أجمل أن يأتي سر الحبيب في أثناء حديث الآخرين].

(قال السيّد محمد حسن نجل السيّد القاضي: ثم يستطرد ـ كعادته ـ في كتابة أبيات من الشعر العربي، بنظمها بديهة، عثرنا على أربع أبيات منها):

فانظر إلى الذكر الحكيم وسرّه
ذكرو عن فهم الجهول مكتَّم
قصص أخبار وذكر جهنّم
أو جنّة ونعيمها لا يُعدم
حكم وأحكام وذكرى مؤمن
أو كافر ومنافق لا يسلم
ما فيه من شيء سوى توحيده
من لم يكن من أهله لا يعلم

(ثم يقول المرحوم السيّد القاضي): خود را به شعر مقيّد نمودن زشت است. [ترجمتها: ومن القبيح أن تقيّد نفسك بالشعر].

عزيز دلم! الطرق إلى الله ـ جلَّ اسمُهُ ـ بعدد أنفس الخلائق، أو أنفاسها. عرض مى شود: كسانى راكه به جهت ضعف وعدم استعداد قوّه خياليه كه مسكنش دِماغ است، كشف حُجب به (آله) خياليّه تعذّر يا تعسّر دارد. مناسب ـ يا متعيّن است ـ كه پس از فراغ از مزاولات أعمال بدنيّه، من الصلاة والصوم والحج والخمس وأشباهها، به عوالم قلبيّه اختياريّه، مثل ترك اراده به قدر طاقت ودوام حضور وترك همّ وغم وسرور واشباه آنها بپردازد وكم كم در خود فرا گرفته تا ملكه شود، إن شاء الله تعالى. ولازم است ـ مع ذلك ـ حال كه رفيق وهمسفر نيست، كتاب يا كتابها مثل آن كتاب كه در نجف نداشتيد داشته باشيد، كه جواهر مكلّله به يواقيت كتاب اعظم است.

اي ضيـاء الـحـقّ حـسـام الـديـن زاد

او سـتـادان جـهـان را اوسـتـاد

والسلام عليكم ورحمة الله.

[**ترجمتها**: عزيز قلبي! الطرق إلى الله ـ جلَّ اسمُهُ ـ بعدد أنفس الخلائق أو أنفاسها. وأعرض بخدمتكم أنّ الذين يتعذّر ـ أو يتعسّر ـ عليهم كشف الحجب بواسطة القوة المخيّلة، بسبب ضعف دماغهم، يناسب لمثل هؤلاء أو يتعيّن عليهم، بعد الفراغ من الأعمال والوظائف البدنيّة، من الصلاة والصوم والحج والخمس وأشباهها أن يتوجهوا إلى العوالم القلبيّة، من طريق أعمالها الاختياريّة، مثل: ترك الإرادة بقدر الطاقة ودوام الحضور وترك الهمّ والغمّ والسرور، وأمثال ذلك من الأميال النفسيّة، يزاول هذه الأعمال ويستمر عليها وبالتدريج يعتاد عليها وتصير ملكات، أو شبه ملكات، إن شاء الله تعالى. ويلزم مع ذلك كلّه في مثل هذه الحالة التي يفقد فيها الإنسان الصديق الرفيق في الطريق، أن

تكون لديه أمثال تلكم الكتب التي لم تكن معكم في النجف الأشرف.

(ثم يذكر بيت شعر لجلال الدين الرومي، يثنى فيه الرومي على تلميذه وصاحبه الخاص حسام الدين. يقول فيه):

يا ضياء الحق حسام الدين حرأبي، وهو هو أستاذ أساتذة العالم.

والسلام عليكم ورحمة الله](١).

رسالة أُخرى

وهذه رسالة أُخرى تفضل بها علينا أحد الأعلام وإن لم يرنا المتن الكامل، إلاّ أن في الموجود لدينا منها لمحات عبقرية عرفانية فذة وترينا جانباً آخر من جوانب شخصيّة المترجم له ـ قدّس سرّه ـ .

[بسم الله الرحمن الرحيم]

إلى حضرة الولي الحميم والأخ الكريم، الشيخ إبراهيم، رزقه الله الرشاد والتسليم. أمّا بعد حمد الله الملك العلاّم والصلاة والسلام على سيّد رسهل وآله الكرام، سادة الأنام.

بـلـغ الـكـتـاب وبـشـر الأصـحـاب
عـمـري وإن شـفـاءنـا لـكـتـاب
فـكـتـابـنـا فـي طـيـه لـمـراتـع
ومـرابـع لأُولـى الـنُّـهـى أخـضـاب
عـمـيـت عـيـون لا تـراهـا إنّـهـم
صُـم وبُـكـم مـا لـهـم ألـبـاب
وهُـم، هُـمُ الـسـفـهـاء ومـا عـلـمـوا بـه
فـي جـهـل جـهـلاً أو تـدق رقـاب

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ٢٢١ـ ٢٢٤.

والطالبون من الكتاب ربوعه
في خصب عيش ماله إجداب

حلوا المذاق ولا تمرّ بمرّة
إلاّ حلّت وأولئك الأنجاب

ولننظر الأسماء وأسمى بها
بين العلوم لدي منه حساب

نرقى بها فوق السماوات العلى
برقي علم ما له أسباب

فاسمي مع اسمك واحد فاعرف به
إن كان فيك من الظهور شراب

ولباسمي العالي السمي لعبرة
فيها اعتبر هب إنّني مغتاب

فاصفح هديت عن العذول تكرّماً
ما عندنا للعاذلين جواب

إلاّ السلام ولم نؤخر نظرة
لغد فما للعاشقين حساب

أفهمت أم أزد الكلام صراحة
لم يجد نصح لا يفيد سباب

علم أسماء حُسنى بعد از علوم توحيد از اشرف علوم است ونيز وارد است كه «الأسماء تنزل من السماء». فكرى بايد نمودكه موافق شد با اسم الله . . . والسلام عليكم ورحمة الله.

برنامج العمل هو القرآن الكريم

يقول المرحوم السيّد القاضي في إحدى رسائله: وكلمة أُخرى كنتم قد طلبتم في وقت حركتكم وفي رسالتكم الشريفة برنامجاً للعمل وليس لديّ لأمثالكم برامج عمل وإذا وجد لكم برنامج عمل فأنا لا أعلم. ومرادي ممّا كنت قد عرضته لكم سابقاً هو تحصيل العلم واليقين إجمالاً وقد أثمر والحمد لله تعالى والآن برنامج العمل هو القرآن الكريم، فيه دواء كل داء وشفاء كلّ علة ودواء كلّ غلّة علماً وعملاً، والآن فأجعل قرّة عيون المخلصين أمام عينيك دائماً واجعل سيرك مع هذا الهادي للطريق المقيم والصراط المستقيم ومن السنن الشريفة لذلك هو قراءته بصوت حسن وآداب أخرى وخصوصاً في بطون الليالي].

رسالة إلى أحد أصحابه في السلوك(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله جلّ شأنه والصلاة والسلام على رسوله وآله.

بعد حمد الله جلّ شأنه والصلاة والسلام على رسوله وآله. حضرة السيّد، الغفلة هي منشأ جميع هذا الفساد النفسي والذي من جملته الوسواس وعدم الطمأنينة. وإنّ أقلّ مراتب الغفلة هو الغفلة عن الأوامر الإلهيّة وهناك مراتب أخرى لا تصلون إليها إن شاء الله تعالى. وسبب جميع الغفلات، هو الغفلة عن الموت وتخيّل البقاء في الدنيا. فإذا أردت الأمان من كل خوف ووساوس ففكّر دائماً في الموت والاستعداد للقاء الله تعالى. وهذا معدن نفيس ومفتاح سعادة الدنيا والآخرة؛ فإذن عليك

(1) هذه مرسلة إلى أحد الصديقين الحميمين: فضيلة الشيخ موسى الدبستاني أو الحاج محمد تقي اللاري.

بالتفكير بالأمور التي تمنعك وتشغلك عن ذلك إن كنت عاقلاً].

ومن أجل هذا المعنى أكتب لك عدّة أشياء أخرى لعلّك تستعين بها.
أوّلاً: بعد] تصحيح التقليد أو الاجتهاد عليك برعاية الكاملة للفرائض الخمسة وسائر الفرائض في أحسن أوقاتها.

وأسعى ليزداد خضوعك وخشوعك يوماً بعد يوم. وواظب على الإتيان بتسبيحه الصدّيقة الطاهرة ـ صلوات الله عليها ـ بعد كل صلاة وعليك بالمواظبة على قراءة آية الكرسي بعد كلّ صلاة أيضاً. وعليك بالإتيان بسجدة الشكر وقراءة سورة «يس» بعد صلاة الصبح وقراءة سورة الواقعة في الليل. وعليك بالمواظبة على إتيان النوافل الليليّة. وعليك بقراءة المسبّحات(١) في كلّ ليلة قبل النوم. وعليك بقراءة المعوّذات في الشفع والوتر والاستغفار سبعين مرة فيها، وكذلك الاستغفار سبعين مرة بعد صلاة العصر. وعليك بقراءة هذا الذكر بعد صلاتي الصبح والمغرب أو في الصباح والعشاء عشر مرّات:

«لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك وهو على كلّ شيء قدير، أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك ربّي أن يحضرون، إنّ الله هو السميع العليم».

وعليك بالاستمرار على هذه الأعمال لعلّك تجد حالة روحية فتكون طالباً للاستقامة إن شاء الله تعالى].

---

(١) قال العلاّمة الطباطبائي رحمه الله: «... المُسَبِّحات التي تبدأ بـ «يُسَبِّحُ أو سَبَّحَ» فهي خمس: الحديد، الحشر، الصفّ، الجمعة والتغابن. أمّا سورة الأعلى التي تبدأ بفعل سَبِّحْ بصيغة الأمر، فهي لا تعدّ من المُسَبِّحات وإن كانت قد وردت في بعض الروايات ولكنّ الروايات المعتبرة قد حدّدت عدد السور المسبّحات بخمس. (الشمس الساطعة، ص ١٢٧).

حصول التجرّد للسيد هاشم الحدّاد بمتابعة أمر الأستاذ المرحوم القاضي بالصبر والتحمّل

قال سماحة السيّد الحدّاد: لقد حصل لي التجرّد للمرة الأُولى في كربلاء، وتفصيل ذلك: أنّه كان يعيش مضطراً لعُسر المعيشة مع أبوي زوجته، فكان أُولئك يعيشون في جانب من البيت وهؤلاء في جانب، في غرفة أعطاها إيّاه والد زوجته مجاناً، ودام ذلك اثنتي عشرة سنة. وكان والد زوجته ـ حسين، أبو عمشة ـ يحبّه كثيراً أمّا والدتها فكانت على العكس من ذلك، ولم تكن لتفتقد مشاعر العطف والمحبّة نحوه فقط، بل كانت لا تتورّع عن إبداء أنواع الأذى في القول والفعل. وكانت امرأة قوية البُنية بذيئة اللسان ومن عشيرة **الجنابات العربية**، امرأة شجاعة وجريئة بشكل لم يكن لأيّ رجلٍ الحقّ في العبور ليلاً قرب منزلها خوفاً منها، فكان لها القدم الراسخ في حفظ عائلتها وبناتها إلى حدّ كبير، وإذا ما صادف أحياناً أن يعبر شخص فقد كانت تذهب إليه بمفردها وتحاسبه على ذلك. وكان السيّد يقول: لم يكن يفصل بين غرفتهم وغرفتنا في هذا الجانب سوى أكياس الرزّ الذي له رائحة العنبر وظروف السمن المعدنيّة المكدّسة على بعضها، لكنّهم لم يكونوا ليعطونا منها شيئاً، بل كانت أمّ زوجتي ـ واسمها نجيبة ـ تتهمّد أن ترانا في شدّة وعسر، لكأنّها كانت تسعد بذلك وتسرّ وكنت وزوجتي نفتقد الفراش والغلاء، وكنّا نسحب نصف الحصير من أسفلنا أحياناً فنلقيه علينا من شدّة البرد.

وبالرّغم من أنّي كنت أذهب للعمل جورة منتظمة، لكنّ أكثر المراجعين كانوا من الفقراء الذين يعرفونني، والذين كانوا يأخذون مني نسيئة، وكان بعضهم لا يدفع الثمن. كما كان معاوني يأخذ ما يحتاج من

مصارف، فلم يَبْقَ لي شيء غالباً إلاّ مائة أو خمسون فلساً كانت بالكادّ تغطّي نفقات شراء الخبز والنفحا وفتيلة المباح وأمثالها، وكانت الأشهر تتصرّم فأعجز خلالها عن شراء قليل من اللحم لأحمله لعائلتي. وكان سبب نفور هذه المرأة منّي مسألة الفقر التي كانت في نظرها أمراً قبيحاً ومع هذا الوضع الذي كانت تلمسه والذي كان يوجب عليها أن تمدّ يد المساعدة لنا، إذ كانت متمكّنة وثرية، لكنّها كانت على العكس تسعى إلى أن يتلف لدينا شيء ليزداد ضيقنا ومحنتنا.

ومن جهة أخرى فلم تكن شدّة الحالات الروحية والاستفادة من محضر سماحة المرحوم القاضي لتسمع لي بجمع المال وتكديسه، أو ردّ الفقير والمحتاج أو رفض إقراض الآخرين وكانت حالتي بهذه الكيفيّة التي لم يكن يسعني أن أمتلك غيرها.

وكانت زوجتي تتحمّل وتصبر، لكنّ صبرها وتحمّلها كانا محدودَينِ. وهكذا فقد ذكرتُ للمرحوم القاضي بأنّ أذى حماتي لي بالقول والفعل قد بلغ حدّه الأقصى، ولقد عِيل صبري في الحقيقة فلم أعُد أمتلك الصبر والحلم والتحمّل على أذاها، وطلبتُ منه الإذن في طلاق زوجتي.

فقال المرحوم القاضي: بغضّ النظر عن هذه الأُمور، فهل تحبّ زوجتك؟ أجبتُ: نعم! قال: أفتحبّك زوجتك؟ قلتُ: نعم!

قال: لا إذن لك في الطلاق أبداً! فأذهب واصبر، فإنّ تربيتك على يد زوجتك، وبهذا الشكل الذي بيّنته، **فإن الله سبحانه قد قرّر أن يكون تأديبك على يد زوجتك؛ فعليك بالتحمّل والمداراة والحلم!**

ولم أكن لأتخطّى تعليمات المرحوم القاضي أو أتجاوزها أبداً، وكنت أتحمّل ما تضيقه أمّ زوجتي هذه فوق مصائبنا. حتى كانت ليلة من

ليالي الصيف، عدت فيها إلى المنزل من الخارج بعد أن مرّ جزء من الليل، تعباً مرهقاً وجائعاً وعطشاناً أُريد الذهاب إلى الغرفة، فرأتي أُمّ زوجتي جالسة قرب الحوض في ساحة المنزل وقد كشفت عن ساقيها من شدّة الحر وشرعت بصبّ الماء عليهما من الحنفيّة الموضوعة فوق الحوض، وحين علمت أنّني قد دخلتُ المنزل، شرعت في كيل كلمات التجريح والسباب والشتائم التي تخاطبني بها، ولم أدخل إلى الغرفة، بل اتّجهت نحو السّلم فصعدت إلى السطح لأستلقي هناك، فرأيت أنّها رفعت عقيرتها وزادت نبرات صراخها بحيث صار الجيران يسمعونه فضلاً عنّي، وهكذا فقد كالت لي سيل الشتائم والسباب، واستمرّت تُعدّد وتعدّد حتى عِيل صبري، فهبطتُ الدرج بدون أن أنتهرها أو أردّ عليها بكلمة واحدة، وخرجتُ من باب البيت فهمتُ على وجهي بلا هدف ورُحتُ أسير في الشوارع بلا قصد أو انتباه، بل هكذا أسير في الشوارع دون أن أعرف إلى أين أذهب؛ كنت أسير فقط.

وفجأة رأيت في تلك الحال أنّني صرت اثنين: أحدهما السيّد هاشم الذي اعتدت عليه أُمّ زوجته وسبّته وشتمته، والآخر هو أنا مجرّد ومحيط ومتسام لم ينلني سبابها وشتائمها، فلم تكن أساساً تسبّ سيد هاشم هذا، ولم تكن لتسبّني أو تشتمني، بل كان سيد هاشم ذاك هو الجدير بكلّ أنواع القبيح من القول. أمّا سيد هاشم هذا الذي هو أنا، فلا يستحقّ أن يسبّ، بل إنّها مهما سبّت وشتمت فإنّ ذلك لن يصل إليّ.

فانكشفت لي في تلك الحال أنّ تلك الحالة الرائعة التي حصلت لي والتي تبعث على السرور والبهجة إنّما حصلت إثر تحمّل تلك الشتائم والألفاظ القبيحة التي كالتها لي أم زوجتي، وأنّ إطاعة أمر الأستاذ المرحوم القاضي قد فتحت لي هذا الباب، فلو لم أُطعمه ولم أتحمّل أذى

حماتي، لبقيت إلى الأبد ذلك السيّد هاشم المحزون المغموم الضعيف المشتّت الفكر والمحدود.

ولله الحمد فأنا الآن سيد هاشم هذا، حيث أتربّع في مكان رفيع ومقام كريم وعزيز، لا ينالني غبار جميع الهموم والأحزان والغموم الدنيويّة بذرّة منه، ولا يتمكّن من أن ينالني بشيء من ذلك وهكذا فقد عدتُ فوراً من هناك إلى البيت، فانكببت على يَدَي أمّ زوجتي ورِجليها أقبّلهما وأقول: لا تتخيّلي أنّني انزعجت من كلامك ذلك، فقولي فِيَّ بعد الآن ما شئتِ فإنه مفيد لي![(١)].

مصائب العارفين

يقول المرحوم آية الله السيّد عبد الكريم الكشميري: كان السيّد القاضي مشهوراً بالعرفان في النجف ولذا كان تلاميذه يحذرون من التردّد على بيت أستاذهم خوفاً من ألسنة المعاندين، فكانوا لا يدخلون داره إلى أن يفرغ الزقاق من المارّة. كنتُ يوماً واقفاً مع السيّد القاضي في صحن مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، فرآني أحد فضلاء الحوزة وأخذ يهزّ رأسه أسفاً على وقوفي مع السيّد القاضي.

كان آية الله الميرزا علي محمّد البروجردي يقرّر درس السيّد القاضي فمنعه أحد علماء النجف المعروفين من حضور درس السيّد القاضي وقال له: لا تذهب إلى هذه المجالس فتتخلّف عن الحصول على درجة الاجتهاد في علوم الحوزة في الفقه والأصول. فكان يأتي سرّاً ويحضر درس أُستاذه.

---

(١) «الروح المجرد» ص ١٨٧ـ ١٩١.

يقول السيّد محمد حسن نجل السيّد علي آقا القاضي: «. . . إنّ العلماء في النجف الأشرف كانوا يبتعدون ما أمكن عن الخوض في البحوث والمسائل العرفانيّة وينكرون الكتب المنسوبة إلى هذه الفرقة، فإنّ كتاب «مولوى» من الكتب الممنوعة ونادراً ما كان يوجد ضمن كتب الطلبة وكان البعض يغالي بأن كان يأمر بإخراجه من ضمن الكتب الفقهيّة؛ لأنّه دنس (كذا) ويجب إبعاده عن الكتب التي تحوي كلام المعصومين عليهم السلام.

ويذكر أن العلاّمة الطباطبائي ـ وهو من أخصّ تلاميذه ـ كأن لا يقرؤه ولا تحويه مكتبته ولكنّه هو ـ قدّس سرّه ـ كان يشغل الفراغ بقراءته وفي الأيام الأخيرة حين ضعفت عينيه كانت تصعب عليه القراءة حتّى مع المنظار، كان يستمع لتلميذه الأخير آية الله الحاج الشيخ عباس القوجانيّ وهو يقرأ أو يعقب هو(قدّس سرّه) قراءته ببعض الملاحظات والتوضيحات ومع الشيخ قلم وهو سريع الكتابة ولا تفوته النكتة[1].

وكان له قدّس سرّه من المعاندين والمخالفين كثرة في النجف الأشرف؛ فإذا كان من رأيه مجاملة ومسايرة المجتمع الذي يعيش فيه فإنّه من الحزم أن لا يصرّح بشيء من أمثال هذه الآراء التي بظاهرها تنافي ما عليه جماعة العلماء والفقهاء. ولقد ناقشه غير واحد من أخصائه ـ وأنا بالذات ـ فكان الجواب الأخير: أتريد أن أُذكر في التاريخ بأنّ القاضي خالف فقهاء زمانه؟! ولا أُريد أن أذكر هكذا أبداً[2].

---

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ٣٣١.

(٢) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ٣٣٠.

لم أطلعكم أنتم عليها!

يقول المرحوم آية الله السيّد عبد الكريم الكشميري: جاء عدة أشخاص للاستفادة من محضر السيّد القاضي ولازموه مدّة من الزمن ثم تركوا درسه، فقال العلاّمة الطباطبائي للسيد القاضي: سيّدنا! كأنّ هؤلاء أرادوا منك شيئاً فلم تعطهم إيّاه فتركوك؟ فقال السيّد القاضي: إنّ لدي أشياء أخرى لم أطلعكم أنتم عليها أيضاً، فكيف أخبر هؤلاء المبتدئين؟!

أكثرهم احتراقاً!

يقول السيّد عبد الكريم الكشميريّ رحمه الله: وقد ربّى السيّد القاضي كثيراً من التلاميذ في دورات متعدّدة، وقد قال عنهم في عملية تقييم لهم: كان السيّد أحمد الكشميريّ أكثرهم احتراقاً! وقد ذهب السيّد أحمد بعد ذلك إلى كشمير ورأيته يوماً وقد احمرّت عيناه وورمتا وعندما سألت عن علّة ذلك علمتُ أنّه بقي الليلة الماضية مستيقظاً في غرفته إلى الصباح يردّد الذكر التوحيدي «يا الله يا هو» إثنا عشر ألف مرّة!

سجدات طويلة

يقول المرحوم آية الله السيّد عبد الكريم الكشميري: عندما كنت في النجف الأشرف كنتُ أتشرّف بزيارة السيّد القاضي في منزلة بين الفينة والأخرى، فأجده ساجداً أحياناً فأدخل الغرفة وأنتظر طويلاً لعلّه يرفع رأسه من السجود، ولكن بلا جدوى، فأخرج وهو لا زال في سجوده!

لا تعدّ هذه النقود!

يقول آية الله السيّد عباس الحسينيّ الكاشانيّ: عندما كنت مقيماً في النجف كان لي صديق غاية الفقر، فذهب يوماً إلى السيّد القاضي وقال له: إن الله تعالى قد أولاني الجميل في جميع أموري إلاّ أنّي في فقر وفاقة

شديدة وأعاني بسبب ذلك من مشاكل جمّة وأرجو منك أن تعينني على حلّ هذه المشكلة. فمدّ السيّد القاضي يده في جيبه وأخرج صمّاً من النقود وناوله إيّاها قائلاً له: ضع هذه النقود في جيبك وانتفع منها من غير أن تعدّها. يقول صديقنا: بقيت مدّة من الزمان كلّما احتجت شيئاً مددت يدي في جيبي وأخرجت المبلغ الذي أحتاجه من غير أن أعرف مقدار النقود التي في جيبي، إلى أن وسوست لي نفسي وأقول: ما عسى أن تكون هذه النقود الّتي لا تنفد، ومددتُ يدي إلى جيبي وأخرجتها وعددتها فإذا هي لا تتجاوز عدّة فلوس، فأرجعتها إلى جيبي، ولكن بعد مدّة يسيرة ذهبت بركة هذه النقود ووقعت مرّة أخرى في الفقر والفاقة. فذهبت ثانية إلى السيّد القاضي وقبل أن أتفوّه بكلمة قال لي: ها؟ ماذا عملت؟ عددت النقود؟ وأعطاني صمّاً من النقود وقال لي: ضعها في جيبك ولا تعدّها كما فعلت في المرة الأولى.

يقول السيّد الكاشانيّ: وبقي صاحبي ينتفع من هذه النقود ما دام على قيد الحياة من غير أن ينقص منها شيء.

دعاء مؤثّر

يقول آية الله السيّد عباس الكاشانيّ: كنتُ يوماً جالساً عند السيّد القاضي فجاءه رجل مسرعاً وكان يبدو عليه الحزن والاضطراب وقال للسيّد: إنّ زوجتي في حال الاحتضار، وإذا ماتت فلا أحد لي سواها، فأرجو منك الدّعاء لترجع إليها عافيتها وتنجو من الموت، فقال له السيّد القاضي: لماذا تأتي إلى هنا وأنت جُنب، اذهب واغتسل ثم عُدَّ إليَّ. فنهض الرجل العربي مسرعاً وقد لَفَّهُ العجب وأخذته الدهشة وذهب إلى منزله واغتسل ثم عاد مرة أخرى، وجلس في مقابل السيّد بأدب وخضوع ـ

فوضع السيّد سبابته على صدغ الرجل وشرع في القراءة والدعاء حتى أخذت دموعه تسيل على خدّيه وبعد إتمام الدّعاء، أمره السيّد بالنهوض، فذهب الرجل إلى منزله وبعد عدة أيام رأيت هذا الرجل في صحن مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وسألته عن نتيجة الدّعاء، فقال: عندما رجعت إلى منزلي رأيت زوجتي سالمة وفي صحّة جيدة وهي تزاول أعمالها المنزليّة كالمعتاد.

المجالس حسب طبقات السالكين

يقول آية الله السيّد عبد الكريم الأردبيليّ: فقد نقل عن الشيخ محمد رضا آل ياسين أحد أعاظم علماء النجف قوله: كان للسيّد القاضي مجالس متعددة بتعدّد طبقات السالكين على أساس الحال والمقام، ويمكن تمييزها بالعناوين التالية: مجلس عام، مجلس خاص، مجلس خاص الخاص ومجلس أهل الخاص. يقول: فذهبتُ يوماً إلى إحدى مجالسه الخاص للمستوى العادي من التلاميذ وعندما خرجت من منزله وضعت عباءتي على رأسي وغطّيت بها وجهي ومشيت وأنا لا أملك دموعي، فأخذت أبكى بلا إرادة منّي وكلّما نظرت إلى مكان أو شخص تشاءمت منه، فسلبت منّي طاقة البقاء في الدّنيا والحياة مع الناس بسبب الانقطاع المؤقّت عن العوالم الدنيويّة. وكم أنا نادم لعدم استطاعتي الحضور بعدها في هذه المجالس النورانيّة.

روح السيّد القاضي لطيف

يقول المرحوم آية السيّد عبد الكريم الكشميري: لقد كان السيّد القاضي كلّه مكاشفة وقد صار في آخر عمره لطيفاً ورقيقاً جداً؛ فكان بمجرّد أن يرى الماء يتذكّر مصيبة عطش الإمام الحسين عليه السلام ويشرع في البكاء.

وقد جاءت هذه الكلمة كختام لكتاب «**الإرشاد**» للشيخ المفيد، الذي قام بتحقيقه وإخراجه في ثوب جديد حسبما كان يتيسّر له في ذلك اليوم من نماذج الطبع والإخراج والتحقيق: يقول المفتاق إلى ربّه الغني علي بن الحسين الحسيني الحسني: أمّا بعد حمد الله الذي خلق العباد وسلك بهم سبيل الرّشاد وأمكنهم من خير الزّاد إلى يوم المعاد، الذي جعل من رحمته إسعاف الراغبين وأتمّ النعمة في هداية المسترشدين، ورضي لنا ما هو عنده دين، والصلاة والسلام على الصفوة السليل، وأفضل من أرشد إلى خير سبيل، المبعوث بلغة إسماعيل، المصطفى من سلاسلة الخليل، المبشّر به في التوراة والإنجيل، وعلى أوصيائه المرضيين، الأئمّة المهتدين.

فهذا هو الوعد الذي سبق ذكره وطاب عرفه وفاح عطره، طال ما طمع إليه الأحداق وصور إليه الأعناق حتى وفّق الله وسهل تصحيحه على قصر باعي وقلّة متاعي، إذ كيف يسعني وأمثالي مخاطرته وأمثاله؟! وأنّه البحر الذي لا يساحل والنبط الذي لا يساجل، في بحار الأنوار مورده ومشرعه ومن عيون الأخبار مجراه ومنبعه، كم فيه من غريب لفظ أرخى عليه مرّ الدهور السدول ودقيق معنى في الفرق بين الأبواب والفصول، قد غير مرّ الدهور السدول نصابها وشيّب ريب المنون شبابها، فتذرّى ـ بعونه تعالى ـ بعد الاحتطاط، مصححة الأغلاط، مصوناً من التفريط والإفراط، فإنّه وإن نزل عن سائر الكتب المطبوعة في جودة خطه وصفاء طبعه، لكنّه أعلا من أكثرها في الصحة والاعتماد عليه، على أنّ النسخ المنطبعة (المطبوعة) من هذا الكتاب قاصرة عنه في جميع الأبواب، وصدق الدعوى يظهر لمن وافقها ووقف وتأمّل دونها وأنصف.

ولقد استنسخ هذه النسخة ممّا يقرب من عشر نسخ عتيقات. منها:

نسخة تروى عن السيّد الأجل عميد الرؤساء أبي الفتح يحيى بن محمد بن نصر بن علي بن حسام العلوي، المتوفّى في المائة السادسة من الهجرة ـ روح الله روحه ـ وهي عرية من التاريخ.

ومنها: نسخة كتبت في سنة ست وأربعين وتسعمائة بيد السيّد أحمد بن كمال الحسني ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومنها: نسخة كتبت في سنة خمس وثلاثين ومائة بعد الألف من الهجرة وهي نسخة بارعة صحيحة، قرأت على بعض العلماء ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

وساير النسخ أيضاً يقرب من هذا في السداد وحسن الاعتماد، قد قوبل بعضها ببعض وأضيفت إليها باقي القرائن القريبة من النحو والصرف واللغة وما عساه يشكل من أسماء الرجال وشعب الأنساب، كل ذلك من الكتب المعتبرة، قد بينا قائله ونسبة قوله، إلاّ ما اشتهر بين العلماء ممّا لا يحتاج فيه إلى إيراد من قال، حتى تمّ هذه النسخة على أعلى مكانة وأتمّ صيانة والله وليّ التوفيق.

ومع ذلك لا يبعد أقصى بعد أن يكون فارط الأغلاط منّا أكثر ممّا صحّ في هذا الاجتهاد، إذ المرء في غشاء من عيبه ولو علم معابه لما قرَّ عليه ولا ينبغي للبيبِ أن ينكر ما جهله.

فالمرجو ممّن عثر فيه على غلط أو علم فيه بغلت، أن يصححه بعد دقة النظر والرجوع إلى مظان الصحّة ولا يذكر المصحّح بما يحط الذاكر عن كبره، فإنّ العلماء حلماء ولقد أعذر من أقرّ بالتقصير.

وقد استنار هذه اللمعة من يوم الجمعة، الثامن عشر من ذي الحجّة وفي مثله تمّت النعمة ونصب الولي والحجّة، أواخر سنة ست وثلاثمائة

بعد الألف من الهجرة وهي موافقة لإحدى وأربعين سنة مضت للأنام، بالسلامة والإسلام، مخفوضاً لهم جناح الذلّ بالإحسان، محفوفاً عليهم بدوائر الأمن والإيمان، أعني الدولة البهية والسلطنة العلية، المفتخرة بالسلطان الأعظم والخاقان الأكرم، مالك رقاب الأمم، صاحب المعالي واللهمم، حامي حوزة الدين، ولي نعم المسلمين، أبو الفتح والظفر ناصر الدين شاه قاجار لا زالت همّته بالدين معنية وحرمة أهل الحقّ بهيبته محمية وأيام إقباله دائمة مرضية وذلك بالسنين الشمسية حتى تمرّ على كماله وظهر في بدر جماله في يوم السبت السابع عشر من شهر ربيع الأوّل الولادة ومولد السعادة أوائل ثمان وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبويّة الختمية المحمدية.

لما كان العلم بالنسب العليّة وشعب الأنساب العلوية، من أهم المقاصد العلمية وبه يعرف بعض الأحكام الشرعيّة، علقنا عليه هذه اللمعة البهيّة في نسب هذه الفرقة الحسنيّة، عليه وعليهم الثناء والتحيّة، أقلّ الخليقة السيّد علي بن المولى الحاج الميرزا حسين بن الميرزا أحمد. . . إلى آخر سلسلة النسب.

يقول السيد محمد حسن نجل السيّد علي القاضي: وجدت مكتوباً بخطه الشريف ضمن مجموعته العلمية التي كان يجمع فيها نماذج من نثره وشعره: قال علي بن الحسين الحسيني ـ عفى الله عن جرائمهما ـ: بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله المختار وآله الأطياب.

فقد كنت والسن في حداثة والغصن طري، مولعاً بالشعر، حافظاً لطرف منه، معجباً بطرائف ودقائق بما جاءت به أفكار الشعراء في بعض مقالاتهم، من حكمة شريفة ومعانٍ لطيفة ومقاصد رقيقة أنيقة، على بعدهم من الكتاب وفصل الخطاب وتعسف بعضهم عن طريق الصواب

وما ذلك إلاّ لتجرّدهم حالة الإنشاد عن العلائق، وإمعان النظر في استخراج المعنى من الحقائق.

على أنّ الكلام المنظوم فوق المنثور إذا كان حكمة، والحكمة للأديب، أنّها فوق كلّ شيء ولو كان نثراً. والكلام الشعري غير المنظوم وقد يكون نثرٌ والمنظوم غير المنهي عنه وقد يكون حكمة. فلا تلازم بينهما لا لفظاً ولا حقيقة. فتحقّق أن لا قدح في الشعر إذا كان حكمة ولا فضل للنثر إذا لم يكن حكمة.

فما أحسن كلاماً منظوماً يجمع طرفاً من الحكمة والعلم والهدى والعظة وسائر المآرب المباحة إذا لم تكن محظورة على لسان الشارع. فإنّ النفوس الإنسانيّة والأرواح العلوية لتعلّقها بالأفلاك بداءة وحقيقة ونشأتهم على جميع العوالم هيئة كرويّة وحقيقة نشئهم فلكيّة. فتتأثر بالمنظوم ما لا تتأثر من الغير، لأنّ حقائق الأغنية من الغير مأخوذة من الهيئة الكرويّة الفلكيّة ولكون هذا الأثر ربما استعمله الجهّال في غير الوجه المطلوب شرعاً، جاء النهي عن طائفة من الشعر ردعاً.

ولمّا لاحظت هذه المعاني وحداني الجدّ إلى الوصول، أذن لي الفهم في معلومه وأذنت الذوق في شعره ومنظومه.

وإنّما اشتغل به أيام الفراغ والفترة وأحيان اشتغال القلب بغير الحظرة. على أنّ أوقاتي تضيع كما يضيع الجمد في الضحى، والدخان في السماء، فما أعذرني لو صرفت منها آونة محصورة في المقالة المذكورة، عسى أن يترحّم عليّ بعض من يطّلع عليه بعدي، حين الفقر والخلّة، من أهل الوفاء والخلّة. والله نعم الوكيل.

علي بن الحسين الطباطبائي ٢٥/ ١١/ ١٣٢٥هـ[١]

---

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام» ١/ ٢٣ و٢٢.

يقول السيّد محمد حسن نجل السيّد علي آقا القاضي: «. . . أنّه (السيّد القاضي قدّس سرّه) كان كثيراً ما يطلب منّا ـ ونحن صغار نتدرج على الكتابة ـ أن نكتب له وبخط واضح وجلي «**حديث عنوان البصري**» ويستبقي أصحّ النُّسَخ عنده وكأنّه يدفعه لبعض من يراجعه للحصول على برنامج للعمل بمقتضاه على الأخص أولئك الذين لا يتمكنون من الحضور في مجلسه بصورة دائميّة بأيّ سبب كان. . .»[١].

يقول العلاّمة السيّد محمد حسين الطهراني: «لقد كان المرحوم الأُستاذ الكبير، عارف القرن الذي لا نظير له، بل هو حسب تعبير أُستاذنا سماحة الحاج السيّد هاشم: «لم يأت منذ صدر الإسلام حتى الآن في مثل شمول وجامعية المرحوم القاضي»، كان قد أصدر تعليماته لتلامذته ومريديه في السير والسلوك إلى الله، أن يكتبوا رواية عنوان البصريّ ويعملوا بها من أجل تخطّي النفس الأمّارة والرغبات المادية والطبعية والشهويّة والغضبيّة التي نشأ غالباً من الحقد والحرص والشهوة والغضب والإفراط في الملذّات.

أي إنّ العمل وفق مضمون هذه الرواية كان أمراً أساسياً ومهماً وكان يقول مضافاً إلى ذلك: ينبغي أن تحتفظوا بها في جيوبكم وتطالعونها مرة أو مرتين كلّ أسبوع. فهذه الرواية تحظى بالأهميّة الكبيرة وتحوي مطالب شاملة وجامعة في بيان كيفيّة المعاشرة والخلوة وكيفية ومقدار تناول الغذاء وكيفية تحصيل العلم وكيفيّة الحلم ومقدار الصبر والاستقامة وتحمّل الشدائد أمام أقوال الطاعنين؛ وأخيراً مقام العبوديّة والتسليم

---

(١) «صفحات من تاريخ الأعلام»، ١/ ١٩٧.

والرضا والوصول إلى أعلى ذروة العرفان وقِمّة التوحيد.

لذا، فلم يكن المرحوم القاضي ليقبل تلميذاً لا يلتزم بمضمون هذه الرواية. وهذه الرواية منقولة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد ذكرها المجلسيّ في كتاب «**بحار الأنوار**».

ولمّا كانت تمثّل برنامجاً عملياً شاملاً نُقِلَ عن ذلك الإمام الهمام، لذا نوردها بألفاظها وعباراتها بلا تصرّف ليستفيد منها مُحبّو وعشّاق السلوك إلى الله تعالى:

أقول: وجدت بخطّ شيخنا البهائيّ قدّس الله روحه ما هذا لفظه:

قال الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي: نقلتُ من خطّ الشيخ أحمد الفراهاني رحمه الله، عن عُنوان[1] البصريّ ـ وكان شيخاً كبيراً قد أتى عليه[2] أربع وتسعون سنة ـ قال: كنتُ أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلمّا قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفتُ إليه، وأحببتُ أن آخُذ عنه كما أخذتُ عن مالك.

فقال لي يوماً: إنّي رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنّهار، فلا تشغلني عن وردي؛ وخُذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تختلف إليه. فاغتممتُ من ذلك، وخرجتُ من عنده وقلتُ في نفسي: لو تفرّس فِيَّ خيراً لما زَجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه.

---

(١) يقول في «أقرب الموارد»: عَنوَن الكتابَ عَنوَنةً: كتب عُنوانَهُ؛ ويُقال: عَنوَنَهُ وعَنَّهُ وعَنَنَهُ وعَنَّاهُ. والاسمُ: العُنوانُ؛ عُنوانُ الكتاب وعِنوانُهُ وعُنْيانُهُ وعِنْيانُهُ: سِمَتُهُ ودِيباجَتُهُ؛ سُمّي به لأنّه يَعِنُّ له من ناحيته. وأصلُهُ عُنَّانُ كَرُمَّانِ. وكُلّ ما استدللتَ بشيءٍ يُظهرُك على غيره فعنوان له؛ يُقالُ: «الظّاهِرُ عُنوانُ الباطن».

(٢) يقول في «أقرب الموارد»: أَتا ـ ض ـ أَتياً وإِتياناً وإِتيانَةً؛ ومأتاةً وأُتِيّاً (ويُكسَرُ) على الشّيء؛ أنفدهُ وبلغ آخرَهُ ومَرَّ بِهِ؛ و ـ عليه الدّهرُ: أَهلَكَهُ.

فدخلتُ مسجد الرسولﷺ وسلّمت عليه ثم رجعت من الغد إلى الرَّوضة[١] وصلّيت فيها ركعتين وقلت: أسألك يا الله يا الله! أن تعطف عليَّ قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم!

ورجعتُ إلى داري مغتمّاً ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أُشرب قلبي من حُبّ جعفر. فما خرجت من داري إلاّ إلى الصلاة المكتوبة حتى عيل صبري.

فلما ضاق صدري تنعّلتُ وتردّيتُ وقصدتُ جعفراً وكان بعدما صلّيتُ العصر. فلمّا حضرتُ باب داره استأذنتُ عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشّريف!

فقال: هو قائم في مصلاّه. فجلست بحذاء بابه، فما لبثت إلاّ يسيراً. إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله. فدخلتُ وسلّمت عليه فردّ السلام وقال: اجلس غفر الله لك!

فجلستُ، فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه وقال: أبو من؟!

قلت: أبو عبد الله!

قال: ثبّت الله كُنيتك ووفّقك يا أبا عبد الله! ما مسألتك؟!

فقلتُ في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً. ثم رفع رأسه ثم قال: ما مسألتُك؟!

---

(١) المقصود بالروضة: الموضع الواقع بين القبر المطهّر للرسول الأكرمﷺ ومنبره. روى الكليني في «فروع الكافي»، ج ٢، ص ٥٥٣ و٥٥٢، كتاب الحجّ، باب المنبر والروضة ومقام النبيّ، طبعة دار الكتب الإسلامية، طهران، سنة ١٣٩١: أنّ رسول اللهﷺ قال: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة. وقد أورد هذه الرواية المحقّق الفيض الكاشاني في «المحجّة البيضاء»، ج ٢، ص ١٨٧، طبعة مكتبة الصدوق، من كتاب «أسرار الحجّ» بلفظ: ما بين قبري ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة.

فقلتُ: سألتُ الله أن يعطف قلبك عليَّ ويرزقني من علمك وأرجو أنّ الله تعالى أجابني في الشّريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبد الله! ليس العلم بالتعلّم، إنّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه؛ فإنّ العلم فاطلب أوّلاً في نفسك حقيقة العبودية وأطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك!

قلتُ: يا شريفُ! فقال: قُل يا أبا عبد الله!

قلتُ: يا أبا عبد الله! ما حقيقة العبوديّة؟

قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله مِلكاً، لأنَّ العبيد لا يكون لهم ملكٌ؛ يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه.

فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله الله تعالى مِلكاً، هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن يُنفق فيه. وإذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبّره. هان عليه مصائب الدنيا. وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرّغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس.

فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدُّنيا، وإبليس والخلق ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند النّاس عزّاً وغلوّاً، ولا يدع أيامه باطلاً.

فهذا أوّل درجة التُّقى؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

قلتُ: يا أبا عبد الله! أوصني!

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنّها وصيّتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفّقك لاستعماله.

ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم. فاحفظها: وإيّاك والتهاون بها!

قال عنوان: ففرّغت قلبي له.

فقال: أمّا اللواتي في الرياضة:

فإيّاك أن تأكل ما لا تشتهيه، فإنّه يورث الحماقة والبله. ولا تأكُل إلاّ عند الجوع وإذا أكلت فكُل حلالاً وسم الله، واذكر حديث الرسول ﷺ: ما ملاء آدميّ وعاء شرّاً من بطنه. فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه[1].

وأمّا اللواتي في الحلم:

فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشراً، فقل: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة. ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك.

ومَن وعدك بالخَنعى فعِدهُ بالنصيحة والرّعاء.

وأما اللواتي في العلم:

فأسأل العلماء ما جهِلتَ: وإياك أن تسألهم تعنُّتاً[2] وتجربةً. وإيّاك أن تعمل برأيك شيئاً وخُذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً واهرب

---

(١) كان من ضمن كلام السيّد الحدّاد قوله: أنت تأكل ما يلزمك من الغذاء، أمّا ما زاد عليه فإنّ الغذاء يأكلك.

(٢) يقول في «أقرب الموارد»: تَعَنَّتَهُ: أدخل عليه الأذى وطلب زلَّتَهُ ومَشَقَّتَهُ. يقال: جاءَهُ مُتَعَنِّتاً، أي طالِباً زَلَّتَهُ. و ـ في السؤال: سأله على جهة التلبيس عليه وربّما عُدّي بـ «عَلَى».

من الفتيا هربك من الأسد؛ ولا تجعل رقبتك للناس جِسراً!

قُم عنّي يا أبا عبد الله! فقد نصحت لك ولا تُفسد عليّ وردي؛ فإنّي امرءٌ ضَنين بنفسي. «**والسلام على من اتّبع الهدى**»[١].

وبالتأمّل والتدقيق في المطالب الواردة في هذا الحديث المبارك في مراده والعظيم في مفاده، تتّضح لنا درجة السمو والرفعة التي ارتقت إليها تعاليم آية الحقّ والعرفان، وسند التحقيق والإيقان، وعماد البصيرة والبرهان: الحاجّ السيّد علي القاضي (قدّس سرّه) تربته الزكية. فلقد كان يعطي هذه التعاليم التي تنصبّ بشكل كامل في طريق الإعراض عن مشاعر العداء والانتقام وكسر صولة النفس الأمّارة، والعثور على نافذة للإطلال على عالم المعنى والتجرّد والملكوت. ومن ثم لعرفان ذات الحقّ تعالى واندكاك الوجود المعار المجازيّ في الوجود المطلق والوجود المحض والصرف السرمديّ الأزليّ الأبدي الذي لا يُتناهى لذاته القدسية.

فرواية عنوان البصريّ ينبغي أن تُؤلَّف الكتب في شرحها وتفصيلها. وبالرغم من أنّ ذلك قد حصل فعلاً، إلاّ أن تلك الكتب لم تأت باسم شرح رواية عنوان البصريّ. أو ليس كتاب «إحياء الإحياء» القيّم الجليل للفيض الكاشانيّ الذي دعاه بـ «**المحجّة البيضاء**» وكتاب «**جامع السعادات**» للحاج الملاّ مهدي النراقي جدّنا الجليل، وكتاب «**عدّة الداعي**» وغيرها من الكتب بالحمل الشايع الصناعيّ غير شرح وتفصيل هذه المطالب القيّمة؟!

---

(١) «بحار الأنوار»، ج ١، ص ٢٢٢ إلى ٢٢٤، كتاب العلم، الباب ٧: باب آداب طلب العلم وأحكامه، الحديث ١٧، الطبعة الحروفية، المطبعة الحيدريّة.

ولقد استشهد الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية بهذه الآية المباركة: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ يعني: أيها السيّد هاشم! إن كنتَ تطلب عالم النور والتجرّد والمنزل الباقي والخالد للقاء الله والورود في حرم أمنه وأمانه، وإن كنت تفتّش عن رضا المحبوب، وإن جعلت همّك الأكبر في عرفان الذات القدسية، وإن كنت قد عشقته فعلاً، فأنت تسعى لوصال المعشوق ونيل المُنى؛ فليس أمامك من سبيل إلاّ التسامي والتعالي والتنزّه عن الفساد في الأرض.

وإن كنت جاداً في السعي لنيل ذلك المقام المنيع، فعليك الإغماض عن أذى أمّ زوجتك وتجاهله وإلاّ فلو رددت عليها وجازيتها على فعلها أو طلّقت زوجتك ـ مع أنّ ذلك حقّك الشرعي ـ فإنّك لن تصل إلى هذا المقام. فهذا هو الشرع الأعلى، والجهاد الأكبر، وهذه هي الهجرة الكبرى؛ وينبغي تطبيق هذه التعاليم بصورة صحيحة للوصول إلى ذلك الهدف.

ولقد كانت تعاليم الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذه الرواية أيضاً مُتّخذة من آيات القرآن الكريم المعجزة في قوله:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[1].

أو قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[2] و[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٣) «الروح المجرّد»، ص ١٩١ ـ ١٩٧.

سيرة العارف الشيخ
رجب علي الخيَّاط الطهراني

الشيخ رجب علي الخيَّاط الطهراني

حياته:

ولد العبد الصالح رجب علي نكوگويان المعروف بـ «جناب شيخ» (سماحة الشيخ)، أو الشيخ رجب علي الخياط، عام ١٣٠٠هـ.ق (١٢٦٢ للهجرة الشمسية) في مدينة طهران، وكان والده «مشهدي باقر»[١] عاملاً بسيطاً. وحينما بلغ رجب علي الثانية عشرة من عمره توفي والده وتركه وحيداً بلا شقيق ولا شقيقة.

وقد كان للشيخ من الأولاد خمسة أبناء وأربع بنات توفيت إحداهن في سنّ مبكّرة.

داره:

كانت للشيخ دار بسيطة مبنيّة باللِّبْن ورثها من أبيه، تقع في مدينة طهران، شارع مولوي، زقاق سياه ها (زقاق الشهيد منتظري حالياً)، وعاش فيها إلى آخر حياته.

---

(١) اسم والده «باقر» وكلمة «مشهدي» كانت تضاف في ما مضى إلى أسماءا لأشخاص الذين يزورون ضريح الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، في مدينة مشهد المقدسة من مدن إقليم خراسان.

يقول ابنه: عندما كانت تمطر السماء كان المطر ينزل من شقوق السقف إلى داخل الغرفة، وجاءنا ذات يوم أحد ضبّاط الجيش برفقة بعض الشخصيات، ورأى أننا وضعنا بعض الأواني تحت قطرات المطر المتساقطة من السقف، فذهب واشترى قطعتي أرض ووصف مكانهما لوالدي وقال: لقد اشتريت قطعتَي أرض؛ واحدة لكم وواحدة لي. فقال له أبي: «إن ما لدينا يكفينا».

كان الشيخ يقصد التقرّب إلى الله حتى في ارتداء الثياب، وقد ارتدى العباءة ذات مرة من أجل نيل إعجاب الآخرين، فعوتب على أثرذلك في عالم المعنى. وقد روى بنفسه ذلك الموقف قائلاً:

إنّ النفس أعجوبة، فقد رأيت في إحدى الليالي أنني محجوب عن الحضور في عالم المعنى؛ فتقصّيت أسباب ذلك وفهمت بعد الإلحاح في الطلب أنّني في عصر اليوم الفائت حينما جاء أحد أعيان طهران لزيارتي قال لي إنّه يحب أن يصلّي المغرب والعشاء جماعة معي، فارتديت أثناء الصلاة عباءتي لغرض نيل إعجابه»!

عمله

«عمل الأبرار من الرجال الخياطة، وعمل الأبرار من النساء الغزل»[1].

كان الشيخ يحترف الخياطة كعمل يرتزق منه للكدّ على عياله، ولهذا عُرف باسم الشيخ رجب علي الخياط. ولا بأس بالإشارة إلى أنّ داره التي سبق الحديث عنها، كانت بمثابة محل لعمله أيضاً.

يقول أحد أبناء الشيخ في هذا الصدد: في بداية الأمر كانت لأبي

---

(١) ربيع الأبرار، ص ٥٣٥.

غرفة في خان لاستراحة القوافل يمارس فيها عمله كخيّاط. وجاء مالك الغرفة ذات يوم وقال لوالدي: لا أقبل على بقائك في هذه الغرفة. فما كان منه إلاّ أن أخلى له الغرفة في اليوم التالي بلا نقاش ولا مطالبة تعويض وسلّمه إياها، ونقل منضدة الخياطة إلى الدار ووضعها في غرفة قريبة من الباب متّخذاً إياها كمحلٍّ لعمله.

المواظبة على العمل:

ينقل أحد أصدقاء الشيخ قائلاً: لا أنسى أنّني رأيت الشيخ في السوق في يوم من أيام الصيف وكان لونه يميل إلى الصفرة من شدّة الضعف. وبعد أن اشترى بعض لوازم الخياطة همَّ بالذهاب إلى المنزل، فقلت له: يا حبّذا لو تأخذ قسطاً من الراحة، إذ يبدو أنّ حالتك الصحية ليست على ما يُرام. فقال لي:

«وكيف أدبّر شؤون عائلتي»؟!

وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

«إن الله تعالى يُحبُّ أن يرى عبدَه تعباً في طلب الحلال»[1].

وقال في موضع آخر:

«ملعون ملعون مَن ضيّع مَن يعول»[2].

عبادته:

كان الشيخ يستيقظ في الأسحار، وبعد بزوغ الشمس يأخذ قسطاً من الراحة لمدة ساعة أو نصف ساعة. وكان في بعض الأحيان يأخذ قسطاً من الراحة بعد الظهر.

---

(١) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٢٠٥٨، الباب ٤٩٦ب، الحديث ٧٢٠٩.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٢٠٦٠، الباب ١٤٩٩، الحديث ٧٢٢٣.

ومع أن الشيخ كان صاحب كشف وشهود، غير أنّه كان يقول:

«لا توقنوا بالمكاشفات، ولا تعتمدوا عليها إطلاقاً، وإنّما يجب أن تتّخذوا من أقوال الأئمة وأفعالهم قدوة لكم على الدوام».

كان في المجالس العامّة يؤكّد أهمية التعبّد والعمل بالأحكام الإلهية مستدلاً بالآية الكريمة: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]. ويقول: «إنّ الله غني عن العباد، واذكروا الله واعملوا بأحكامه وتمسّكوا بسُنّة رسوله».

ويقول أيضاً:

«العمل بالأحكام الإلهية يؤدي إلى سموّ البشرية ورقيّها».

وكان يكرّر هذا القول مرّات عديدة:

«الدين الحق هو هذا الدين الذي يُقال فوق المنابر، ولكن ينقصه شيئان: الإخلاص، وحب الله. وهذان الشيئان لا بدّ من إضافتهما إلى الخطب والكلمات».

ويقول:

«المقدّسون كلّ أعمالهم حسنة، ولكن يجب عليهم تبديل حبّ النفس بحبّ الله».

ويقول: «لو ترك المؤمنون أنانيتهم جانباً لبلغوا أسمى الغايات».

ويقول أيضاً:

«من أسلم أمره لله حقّ التسليم، وتخلّى عن رأيه ومزاجه، تكفّل الباري تعالى بأمر تربيته».

---

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

أهمية العمل :

نقل أحد أصدقاء الشيخ أنّه قال:

«كنت أقضي الليالي في مسجد «الجمعة» بطهران أصحّح قراءة المؤمنين لسورتي الحمد والإخلاص، وفي إحدى الليالي تشاجر طفلان، وجاء المغلوب منهما وجلس إلى جانبي كي يحتمي بي من خصمه، فانتهزت الفرصة وسألته هل تُجيد قراءة سورتي الحمد والإخلاص، واستغرق هذا العمل كل وقتي في تلك الليلة.

وفي الليلة التالية جاءني درويش وقال لي: إنّني أتقن علم الكيميا، والسيميا، والهيميا، والليميا[1]، وأنا على استعداد أن أهبها لك، ولكن بشرط أن تهبني ثواب عملك في الليلة الماضية!

فقلت له: لا، لو كانت هذه العلوم ذات فائدة لما وهبتها لي»!

مخالفته للرياضات غير الشرعية:

كان سماحة الشيخ يعتقد أنّ المرء إذا عمل بأحكام الإسلام حقّاً، يمكنه الوصول إلى جميع الكمالات والمقامات المعنوية. وكان يعارض إلى أبعد الحدود كل رياضة لا تتماشىٰ مع السُّنّة ومع طريقة المذهب. وقد نقل أحد محبّبيه: دأبت مدة من الزمن على ممارسة الرياضة الروحية، وأفردت لنفسي غرفة للذكر والتهجّد والنوم أيضاً، معتزلاً زوجتي العلوية. وبعد أربعة أو خمسة أشهر جاءني أحد الأصدقاء ودعاني لرؤية سماحة الشيخ، وذهبنا إلى داره، وبعد أن طرقنا الباب خرج لنا الشيخ، وبمجرد أن رآني قال:

«أتريد أن أتكلم»؟!

---

(١) من العلوم المسمّاة بالعلوم الغريبة أو العلوم الخفيّة.

فأطرقت رأسي إلى الأرض، وإذا بالشيخ يقول:

«ما هذا التصرف الذي تتبعه مع زوجتك وتهجرها بهذه الصورة؟ دع عنك الرياضة والأذكار، اذهب واشترِ علبة حلوى وخذها إلى عائلتك، وأدِّ صلاتك في وقتها مع التعقيبات المتعارفة».

ثم أشارَ الشيخ إلى الأحاديث الّتي تؤكد أنّ من يعمل أربعين يوماً بإخلاص تتفجّر ينابيع الحكمة من قلبه(١)، قائلاً:

«استناداً إلى هذه الأحاديث، إذا عمل المرء بواجباته الدينية أربعين يوماً، يحصل له قطعاً نور خاص».

وبناءً على توصية الشيخ، ترك ذلك الرجل الرياضة الروحية وعاد إلى حياته الطبيعية.

أخلاقه:

المسألة المهمة التي كانت موضع اهتمام الشيخ في حسن الأخلاق وكان كثيراً ما يوصي الآخرين بها هي أنّ المرء يجب أن يتّصف بحسن الأخلاق، وبحسن السلوك مع الناس، وقال في هذا الصدد:

«إن التواضع وحسن الأخلاق يجب أن يكون لله، وليس رياءً، ولا لغرض كسب الناس».

كان الشيخ قليل الكلام، وكان يُستدل من حركاته وسكناته على أنّه في حالة ذكر وتفكّر وتوجّه إلى الله. كان أوّل وآخر كلامه في الله ولله. وكانت نظراته تعرّف المرء بالله، وكل من ينظر إليه يتذكّر ربّه. وحينما كانوا يسألونه في بعض الأحيان: أين كنت؟ كان يقول: «عند مليكٍ مقتدر»!

---

(١) انظر ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٤٣٦، ح ١٠٤٠،؛ وكتاب «العلم والحكمة في الكتاب والسُنّة»، الفصل الرابع من الباب الثالث / ٤/ ٢ـ الإخلاص.

كان كثير البكاء في مجالس الدعاء، ويبكي كلما قُرِئت قصائد من أشعار «حافظ» أو «طاقديس». وكان قادراً في أثناء البكاء على التبسّم أو الضحك أو التحدّث بما يبعد الضجر عن الآخرين. وكان شديد الحب لأمير المؤمنين عليه السلام، إذ كان يحوم حول نوره كما تحوم الفراشة حول ضوء الشمعة. وكان حينما يجلس يكرر بين فترة وأخرى ذكر «يا عليّ أدركني».

تواضعه:

يقول الدكتور فرزام في هذا المجال: كان الشيخ شديد التواضع في سلوكه مع الآخرين. وكان إذا طُرقت باب الدار يبادر هو إلى فتحها ويأذن للقادمين بالدخول. وحينما كنا نزورهُ، كان يستقبلنا في غرفة عمله التي كان فيها بساط الخياطة.

زرته في إحدى المرّات في فصل الشتاء، فجاء برمّانتين وقدّم لي واحدة، وقال بلا تكلّف ولا تكبّر: «كُل يا عزيزي حميد». لم تكن هناك أية نزعة استكبارية في نفسه، ويبدو وكأنه لا يفرّق بين ذاته وغيره، إذا قدّم لأحد نصيحة فإنّما كان يقدّمها له من باب الإرشاد والهداية وأداء الواجب. كان على الدوام يجلس عند الباب ويرحّب بالقادمين..

احترامه الخاص لذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله:

كان سماحته شديد الاحترام للسادات من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام.

وقد شوهد مرات عديدة وهو يقبّل أيديهم وأرجلهم، ويوصي الآخرين أيضاً باحترامهم.

كان هناك سيّد جليل يأتي للقاء الشيخ بين الفينة والأخرى، وكان متعوّداً على تدخين النارجيلة. ومع أنّ سماحة الشيخ لم يكن من

المدخّنين، ولكن حينما كانوا يعدّون النارجيلة لذلك السيّد، كان الشيخ يقرّب قصبتها إلى فمه متظاهراً وكأنّه يدخّن النارجيلة لكي يدفع الحرج عن ذلك السيّد، ثم يقدّمها له.

ينقل أحد أصدقاء الشيخ: كنت ذات يوم جالساً عند الشيخ في فصل الشتاء فقال لي:

«هيا بنا نذهب إلى إحدى حارات طهران القديمة».

ذهبنا سوية إلى أن وصلنا إلى أحد الأزقّة القديمة، وكان في ذلك الزقاق دكّان قديم لبيع الفحم يتّخذه رجل مخسِنٌّ من السادات الأجلاّء ـ وكان أعزب ـ كمحل للعمل والسكن.

علمنا أن حريقاً شبَّ الليلة الماضية في هذا الدكان واحترقت بسببه ثياب ذلك الرجل وأدواته وأصبحت حياته صعبة. لكنّ الشيخ ذهب إليه بكل تواضع وعطف وحيّاه، ثم جمع ثيابه الوسخة وأخذها لغسلها وترميمها. فقال الرجل للشيخ: يا سيّدي، لقد ذهبت كل أموالي ولم أعد قادراً على العمل بدون رأس مال.

فقال لي الشيخ:

«أعطه مبلغاً من المال ليساعده على العمل».

انتظار الفرج:

من جملة الخصائص البارزة في شخصية سماحة الشيخ حبّه وولاؤه الخاص لإمام زماننا ـ أرواحنا فداه ـ وانتظار فرجه وظهوره. وكان يقول في هذا المعنى:

«يدّعي معظم الناس أنّهم يحبون إمام الزمان (صلوات الله عليه) أكثر من حبّهم لأنفسهم، والحقيقة هي أنّهم ليسوا كذلك؛ لأنّنا لو كُنّا نُحبّه

أكثر من حبّنا لأنفسنا لعملنا له لا لأنفسنا. علينا أن ندعو الله جميعاً أن يزيل موانع ظهوره ويوحّد قلوبنا مع قلبه المبارك».

مطلبه المهم:

ينقل أحد أصدقاء الشيخ: لم أشعر طوال صحبتي للشيخ بأنه كان لديه مطلب مهم سوى تعجيل فرج صاحب الزمان عليه السلام، وكان كثيراً ما يحثّ الأصدقاء بأن لا يطلبوا من الله شيئاً سوى التعجيل بأمر إمام الزمان. وكانت حالة الانتظار لديه على درجة من القوّة بحيث إنّه إذا سمع شخصاً يتحدّث عن فرج ولي العصر عليه السلام نراه يتغيّر حاله ويجهش بالبكاء.

النملة تسعى للوصول إلى الحبيب:

المسألة المهملة التي كان الشيخ يؤكدها هي استعداد وأهلية الشخص المنتَظِر، وإن كان عمره غير كافٍ لإدراك زمن ظهور الإمام المنتظر. وكان ينقل في هذا المجال قصّة عن النبي داود عليه السلام وهي:

«إن داود عليه السلام مرّ ذات يوم بالصحراء، فرأى نملة تحمل التراب من مكان وتنقله إلى مكان آخر، فدعا داود ربّه أن يطلعه على سرّ عمل النملة، فتكلّمت النملة وقالت له: لي حبيب شرطَ عليَّ إذا أردتِ لقائي فعليكِ معي أن تنقلي جميع تراب هذا التل إلى ذلك الموضع.

فقال لها: هل تستطيعين بجسمك الصغير هذا نقل تراب هذا التل الكبير إلى ذاك الموضع؟! وهل يكفي عمركِ لإنجاز هذا العمل؟! قالت له: أنا أعلم كلَّ ذلك، ولكن ما أحلى أن أموت وأنا في عملي هذا، ليكون موتي في سبيل المحبوب.

وهنا تنبّه النبي داود عليه السلام إلى أنّ في هذه القصة درساً له».

كان سماحة الشيخ يؤكد ويقول:

«كن في انتظار ولي العصر عليه السلام بكل وجودك، واقرن حالة الانتظار بمشيئة الله».

بلِّغوا سلامي لإمام الزمان عليه السلام:

ينقل أحد تلاميذه: كان الشيخ مواظباً على ذكر الإمام صاحب الزمان عليه السلام، ولم يكن يقل: «اللّهُمَّ صلّ على محمد وآل محمد» إلاّ ويقرنها بكلمة «وعجّل فرجهم»، ولم تكن مجالسه تخلو من ذكر صاحب الزمان عليه السلام والدعاء بتعجيل فرجه. وبعد أن شعر في أواخر عمره الشريف بأنه سيفارق الدنيا قبل ظهور إمامه عليه السلام، كان يقول لأصدقائه:

«إذا وفقتم لإدراك ظهوره عليه السلام فبلّغوه سلامي».

شاب في عالم البرزخ:

قال سماحة الشيخ أثناء دفن شاب من المنتظرين لظهور إمام الزمان عليه السلام:

«رأيت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قد نشر ذراعيه على ذلك الشاب. فسألت: ما آخر كلام تلفّظ به هذا الشاب؟ فقالوا: كان آخر كلامه بيت شعر معناه: لقد أوشكت قلوب المنتظرين على اليأس، فيا خير الصالحين أغثهم».

رجعة جماعة من المنتظرين:

كان سماحة الشيخ يعتقد أنّ المنتظرين الحقيقيين لإمام الزمان عليه السلام إذا ماتوا قبل ظهوره سيعودون إلى الحياة عند ظهوره ويكونون من أنصاره. ومن جملة من كان يذكر أسماءهم في عداد من يرجع إلى الدنيا بعد ظهور إمام الزمان عليه السلام: علي بن جعفر عليه السلام، المدفون في مقبرة «در

بهشت»[1] في قم، والميرزا القمّي المدفون في مقبرة «شيخان»[2] في قم.

إسكافي في مدينة ري:

يروي أحد تلاميذ الشيخ: كنت ذات يوم عند الشيخ وكان الحديث يدور حول ظهور إمام الزمان عليه السلام وخصائص الانتظار، فقال سماحته:

«كان في مدينة ري إسكافي اسمه على ما أتذكر هو «إمام علي» وكان يتكلم اللغة التركية، ولم يكن لديه زوجة ولا أطفال، وكان يسكن على الظاهر في محل عمله. ونُقلت عنه حالات عجيبة؛ إذ لم يكن في نفسه مطمح أو رغبة سوى ظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام، وأوصىٰ أن يدفن بعد موته عند جبل «بي بي شهر بانو» قرب مدينة ري. ومتى ما توجهت إلى قبره رأيت إمام الزمان عليه السلام هناك»[3].

الشعر:

كان الشيخ يميل إلى الأشعار العرفانية والأخلاقية إلى أبعد الحدود، وكانت مواعظه في معظم الأوقات تتخللها أشعار تربوية، وكان يعير اهتماماً فائقاً لأشعار «حافظ» وثنائيات «طاقديس»، وكان يبكي عند سماع شيء من تلك الأشعار.

كانت له علاقة كبيرة بكتاب ثنائيات طاقديس، وكان يقول: «لو كان في المدينة كتاب «طاقديس» للملاّ أحمد النراقي لاشتريته بكل ما أملك».

ذكر الدكتور «أبو الحسن الشيخ» الذي كان على معرفة وثيقة بالشيخ منذ سنوات طويلة: كان الشيخ على معرفة عميقة بحافظ ويجيد تفسير أشعاره.

---

(١) أي: باب الجنة.

(٢) أي: المشائخ.

(٣) انظر عنوان «القلب الذي لديه كلّ شيء حاضر».

وقال الدكتور حميد فرزام حول رأي الشيخ في الشعر والشعراء وخاصة حافظ:

تعرّفت بالشيخ بواسطة الدكتور گويا منذ عام ١٣٧٣هـ.ق (١٣٣٣هـ.ش) وما كنّا نجلس معه مجلساً إلاّ وأسمع منه أشعاراً جميلة وذات مغزى عميق. وكان الشيخ مغرماً بحافظ أيّما غرام، وقد سألته ذات مرة عن سبب غرامه بحافظ، فقال:

«إنّ لحافظ باعاً طويلاً في الجانب المعنوي، وأجد في شعره بيان الحقائق المعنوية وبُعد الذوق العرفاني».

كان الشيخ يميل إلى حافظ أكثر من ميله لبقية الشعراء ويكثر من ذكر أشعاره. وإذا كان يريد تنبيه أو تحذير أحدٍ فإنّه كان يستشهد بشعر حافظ[١].

كان الشيخ يشبّه الدنيا بالعجوز، وكان في بعض المواقف يلتفت في مجلسه إلى أحد محبّيه ويقول له:

«أراك قد ابتليت بهذه العجوز مرة أخرى»!

ثم يقرأ بعد ذلك بيت شعر لحافظ يقول فيه ما معناه:

ليس هناك من أحد إلاّ يقع في حب ضفيرتيها.

ما من أحد إلاّ ويجد في طريقه مصائد فتنتها.

«غالباً ما يقع الناس كفرائس في مصيدة هذه العجوز وقلّما تجد أحداً يفلت من مصائدها».

وكان يفصح عن هذه الأقوال بأسلوب الضحك والمزاح.

---

(١) انظر عنوان «سريعاً ما ستنهزم من الساحة».

وفي مجال النهي عن العجب، كان يقرأ البيت التالي:

العجب والاستبداد بالرأي في منهج الدراويش كفر
وإنّما الحكم حكمك والأمر ما تراه

قراءته للأشعار بصوت جميل:

يقول الدكتور فرزام في هذا المجال: كان سماحة الشيخ يُلقي الأشعار بلحن وصوت جميل. فكان أحياناً يقرأ من أشعار المرحوم الفيض الكاشاني مثل قوله:

أستغفرُ الله من كل شيء سواه
وأستغفر الله من كل وجود مستعار
وإذا مرّت عليَّ لحظة من دون ذكره
أستغفر بما لا يحصى من تلك اللحظة

وكان من خلال قراءته لهذه الأشعار يُحدث تغييراً عميقاً كبيراً في قلوب أصحباه. كنا في عصر أحد الأيّام برفقة الشيخ في دار أحد محبّيه، وكانت في الدار صالة واسعة، فجلس هو قرب الباب وأنشد قصيدة معروفة لحافظ تبدأ بالبيت التالي:

من ذا الّذي يفي لنا تكرّماً
ويحسن لحظة واحدة إلى مسيء مثلي

قرأ عدّة أبيات من هذا الغزل بصوت عذب فبكى وأبكى الحاضرين. فقلت للدكتور گويا: ما أجمل صوت الشيخ وما أقوى تأثيره!

فقال لي: من المؤسف أنك تعرّفت به متأخّراً، فلقد كان منذ زمن ذا صوت جميل، وكان إذا قرأ الأبيات العرفانيّة كأنّ الجدران والأبواب تهتزُّ طرباً له!

رأيه في مولوي[1]

كان سماحة الشيخ يعتبر الشاعر حافظ الشيرازي من أولياء الله، ويتحدّث عن مكانته الرفيعة في البرزخ. أمّا بالنسبة لمولوي فقد كان له فيه رأي آخر، حيث كان يقول عنه:

«إنّه يعاني في البرزخ».

وينقل عنه أحد تلاميذه أنّه قال:

«أردت أن أقرأ كتاب «المثنوي»، فرأيت في عالم المعنى شخصاً أمامي وآخر ورائي ويقول أحدهما للآخر: لا تدعه ينام. ففكرت في نفسي وقلت: لماذا لا يقولان: لا تدعه ينام عند قراءتي للقرآن؟ لهذا وضعت الكتاب جانباً».

آية الله البروجردي والمولوي

حصلت لسماحة آية الله السيّد حسين الطباطبائي البروجردي رحمه الله مكاشفة شبيهة بهذه.

فعند زيارة آية الله لطف الله الصافي الگلپايگاني ـ أحد مراجع التقليد المعاصرين ـ لمركز البحوث في مؤسسة دار الحديث الثقافية في قم في الثالث عشر من شهر شوال سنة ١٤١٩هـ.ق (بهمن عام ١٣٧٧هـ.ش)، سأله كاتب هذه السطور عن حقيقة هذا الموضوع، فقال: سمعت آية الله البروجردي يقول:

«عندما كنت في بروجرد كانت تعرض لي إلهامات غيبيّة؛ وفي إحدى

(١) مولوي؛ هو جلال الدين محمد البلخي، عارف وشاعر وحكيم. ولد عام ٦٠٤هـ.ق في بلخ، وتوفي عام ٦٧٢هـ.ق في قونية ودفن فيها. لقّب بالرومي لطول إقامته ووفاته في بلاد الروم. من أشهر آثاره «مثنوي معنوي».

المرات كنت أقرأ كتاب «المثنوي» لمولوي، فسمعت فجأة صوتاً يقول: إنّ هذا الشخص قد ضلَّ السبيل[1] وما إن سمعت هذا الكلام حتى أغلقت الكتاب ووضعته جانباً ولم أقرأه بعد ذلك. وفي حينها كان إلى جانبي كتاب «عدّة الداعي» فتناولته وبدأت أقرأ فيه».

سأل مؤلفُ الكتاب آية الله الصافي: يروي البعض أنّه قال: «بعد سماع ذلك الصوت خرجت إلى الشارع لأتأكد هل كان الموضوع إلهاماً غيبياً، أو صوت شخص جاء من الشارع، ونظرت فلم أجد أحداً في الشارع».

فأجاب آية الله الصافي بالقول: لم يكن لديه شكٌّ في أنّ ما سمعه كان إلهاماً غيبياً!

الملاّ أحمد النراقي[2] ومولوي:

تعرّض المولوي لنقد آخر من الفقيه والشاعر المعروف المرحوم الملاّ أحمد النراقي، حيث أورد في كتابه مثنوي «طاقديس» قصيدة يسائل فيها مولوي ويعاتبه، فمن شاء فليراجع:

هذا هو معنى العقل أيّها الصديق المعنوي
قل هذا لحضرة المولوي
لو افترضنا أنّه ميّز بين الحسن والقبيح
فهل يعرف طريق الجنّة من طريق النار
ماذا يفعل؟ فنفسهُ البائسةُ عاصية
ستلقى نفسها ولو في النار

---

(١) نقل هذه المكاشفة للمؤلف أيضاً سماحة آية الله موسى الشبيري الزنجاني ـ دامت بركاته ـ نقلاً عن بعض الأشخاص، نقلاً عن آية الله البروجردي.

(٢) أحمد بن الملاّ مهدي، المعروف بالنراقي، من أكابر علماء وفقهاء الإماميّة في القرن الثالث عشر للهجرة. له مؤلفات كثيرة، توفي عام ١٢٤٥هـ.ق (١٢٠٨هـ.ش).

فهو قد يعرف ما ينبغي وما لا ينبغي، بالضبط

لــكــن قــدمــه أعــرج وضــعــيــف

لقد درس الفقه والحكمة لكن جهلهُ

لم ينقص، وصا عالماً لكنه لم يصبح إنساناً

ما هو العلم؟ معرفة الخير من الشر

وما هو العقل؟ أن يملك المرء زمام نفسه

فــإذا لــم تــمــلــك زمــام نــفــســك

فــمــا فــائــدة مــعــرفــة الــخــيــر والــشــر

ومتى كانت معرفة السكنجبين[1] وحدها

كافية لدفع الصفراء أيها الحبيب اللطيف

وإذا كــنــت تــعــرف حــلاوة الــســكــر

حــســنــاً مــتــى يــصــيــر فــمــك حــلــواً

رأينا ضرورة تأجيل الحكم على الشاعر مولوي إلى فرصة أخرى. والمؤلف لا يريد في هذا الموضع الإدلاء بوجهة نظره فيه نفياً أو إثباتاً؛ وإنّما كانت الغاية من نقل مكاشفة آية الله البروجردي وأشعار المرحوم النراقي هي تأكيد أن الشيخ لم ينفرد في رأيه هذا في ما يخصّ مولوي، وإنّما تشاركه في هذا الاعتقاد شخصيات علمية بارزة.

معلّموه:

مع أنّ سماحة الشيخ لم يكتسب شيئاً من العلوم المتداولة في الحوزة والجامعة، إلاّ أنه أدرك بعض أكابر العلم والمعرفة والمعنويات ممّن يمكن اعتبارهم بمثابة الأساتذة بالنسبة له من أمثال المرحوم (آية الله

(١) شراب حلو المذاق مزيج من الخ والعسل والسكر.

محمد علي الشاه آبادي)، (والمرحوم آية الله الميرزا محمد تقي البافقي، والمرحوم آية الله الميرزا جمال الأصفهاني).

وحضر سماحة الشيخ دروس عالمين كبيرين آخرين هما السيّد علي المفسّر والسيّد علي الغروي؛ وهو مفسر وإمام جماعة مسجد في محلة سلسبيل في طهران.

تكوّن لدى الشيخ إلمام تام بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة من خلال هذه المعلومات، وأخذ يترجم ويفسّر القرآن والأحاديث والأدعية في المجالس التي كان يقيمها، ويبيّن لها معانيَ بديعة قلّما يلتفت إليها الآخرون.

ومعنى هذا فإنّ ما عند سماحة الشيخ من اطلاع في المعارف الإسلامية يُعزى إلى أخذه عن هؤلاء العلماء الأكابر وأمثالهم. بيد أنّ التحول المعنوي أو القفزة المعنوية التي حصلت عنده يجب البحث عن أسباب أخرى لها، فذلك التحوّل كان يشير إليه سماحته بقوله: «ما كان لي أستاذ».

ينقل أحد محبّي الشيخ أنّه كان يقول:

«ما كان لي أستاذ، إلاّ أنني كنت أحضر مجالس الوعظ التي كان يقيمها المرحوم الشيخ محمد تقي البافقي في ضريح السيّد عبد العظيم الحسني عليه السلام ليلاً، فقد كان رجلاً من أهل الباطن، وقد نظر ذات ليلة إلى المجلس وتوجّه إليّ بالقول:

«إنّك ستبلغ مرتبة رفيعة».

قصة شبيهة بقصة يوسف:

نادراً ما كان الشيخ يشرح هذه القصّة لأحد من الناس، ولكنّه كان يشير إليها بمناسبة أو أخرى ويقول:

«لم يكن لي أستاذ، ولكنّي قلت: اللّهُمّ إني أعرض عن هذا العمل وأتجنّبه طاعة لك، وأدعوك يا إلهي أن تصطنعني لنفسك».

وقد أشار آية الله السيّد محمد هادي الميلاني رضي الله عنه إلى هذه القصة قائلاً: لقد لقي هذا الشيخ عناية ربّانية بسبب ارتداعه في أيام شبابه عن فعل القبيح.

وشرح سماحة الشيخ تلك القصة في لقاء له مع السيّد الميلاني، حيث كان السيّد محمد علي الميلاني ـ نجل آية الله محمد هادي الميلاني ـ حاضراً في ذلك اللقاء، ونقل تلك القصّة عن لسان الشيخ على النحو التالي:

«في أيام شبابي أعجبَت بي فتاة جميلة من أقاربنا، وبسبب هيامها بي ومكرها إياي استطاعت أن تلتقيني في يوم من الأيّام بعيداً عن الأنظار، فقلت في نفسي: «يا رجب علي، إن الله قادر أن يختبرك في مواقف كثيرة، فلو تختبر ربّك مرة واحدة وتمتنع عن ارتكاب الحرام المهيّأ لك على ما فيه من لذّة».

ثم دعوت الله وقلت: «اللّهمّ إني أمتنع عن اقتراف هذا الإثم امتثالاً لأمرك، فربّني يا رب، كما تحب».

ثم إنّه قاوم تلك المعصية بكل شجاعة مثلما فعل النبي يوسف عليه السلام، وأبى تدنيس ثوبه بتلك المعصية، وفرَّ على وجه السرعة من ذلك الفخ الخطير الذي كان قد نصب له.

فكانت نتيجة اجتنابه المعصيّة سبباً لبصيرته وحصوله على رؤية بعض مواقف البرزخ؛ فصار يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه الآخرون، بحيث إنّه حينما كان يخرج من البيت كان يرى الأشخاص على صورهم الحقيقيّة وتنكشف له بعض الأسرار.

نقل عن الشيخ أنّه قال:

«خرجت ذات مرة من مفرق شارع «مولوي» عبر شارع «سيروس» إلى مفرق شارع «كلوبندك» ورجعت في الطريق نفسه، فلم أشاهد إلاّ صورة إنسان واحد»!

كيفية التربية الإلهية:

وهكذا استجاب الله دعاء شاب استُدرج إلى المصيدة حينما طلب من ربّه في ذلك الجو المغري قائلاً: «اللّهمّ اصطنعني لنفسك». وأحدث ذلك منعطفاً مصيرياً في حياته، وهو منعطف لا يستطيع إدراكه الناس العاديون الذين لا يرون إلاّ ظاهر الأمور. وطوى رجب علي بهذه القفزة مسيرة مئة عام بين ليلة وضحاها، وتحوّل إلى «الشيخ رجب علي الخياط»، أو كما قال الشاعر:

محبوبي لم يدخل المدرسة، ولم يكتب حرفاً واحداً، وإنّما بلحظة واحدة أصبح معلماً لمئة مدرس.

كان الخطوة الأولى من تلك التربية الإلٰهية هي أن هذا الشاب أصبح ذا سمعٍ وبصرٍ نافذين إلى باطن العالم، فهو يرى ما لا يراه الآخرون ويسمع ما لا يسمعه الآخرون. وقد خلقت هذه الموهبة الباطنية لدى الشيخ اعتقاداً منه بأنّ الإخلاص يؤدّي إلى انفتاح سمع وبصيرة القلب؛ ولهذا فهو كثيراً ما كان يؤكّد لتلاميذه:

«أن المرء إذا عمل لله يفتح الله قلبه سمعاً وبصيرة».

للقلب عين وأذن:

وهنا قد يقول قائل: وهل للقلب عين وأذن، وهل يستطيع الإنسان رؤية شيء أو سماع صوت بغير عينيه وأُذنيه الظاهرتين؟

والجواب: نعم يستطيع ذلك، وهناك أحاديث نقلتها المصادر الشيعية والسنّية تؤيد صحة هذا الرأي، وإليك بعض النماذج منها(١):

ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

«ما من عبد إلاّ وفي وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه، فأبصر بهما ما وعده بالغيب؛ فآمن بالغيب على الغيب»(٢).

وجاء في حديث آخر عنه ﷺ:

«لولا تمزّع قلوبكم وتزيّدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع»(٣).

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ للقلب أذنين: روح الإيمان يَسارّه بالخير، والشيطان يسارّه بالشر؛ فأيّهما ظهر على صاحبه غلبه»(٤).

---

(١) للاطلاع على مزيد من الأحاديث حول هذا الموضوع راجع ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٢٢٤ـ ٢٢٥، الباب ٣٣٩٠ و٣٣٩١.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٢٢٤، الباب ٣٣٩٠، الحديث ١٦٦٤٢.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٢٢٧، الباب ٣٣٩١، الحديث ١٦٦٥٦.

(٤) ميزان الحكمة، ج٨، ص ٢٢٥، الباب ٣٣٩١، الحديث ١٦٦٥٠.

الإمداد الغيبي

جاء في نهج البلاغة أنّ الإمام عليّاً عليه السلام قال:

«وما برح لله ـ عزّت آلاؤه ـ في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم؛ فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة...»(١).

وعباد الله الصالحون هم الذين جاء وصفهم في المناجاة الشعبانية على النحو التالي:

«إلهي واجعلني ممّن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك، فناجيته سرّاً وعمل لك جهراً»(٢).

بعد أن أفلت هذا الشاب الخيّاط من مصيدة النفس الأمّارة فتح الله قلبه ونوّره، وأصبح في عداد عباد الله الذين حظوا بإلهام الغيب، تارة في اليقظة وأخرى في المنام، وهذه هداية لا يحظى بها إلاّ الخاصّة من المجاهدين المخلصين(٣).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٢.

(٢) مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانيّة.

(٣) ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

وقد بيّن الحديث النبوي هذه الهداية بالقول:

«إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فقّههُ في الدين وألهمه رشده»[1].

جزاء التفكير بالمكروه:

أحد الانعكاسات القيّمة للهداية الإلٰهية بالنسبة للأشخاص الذين يخضعون لتلك العناية الإلٰهية هي تنبيههم إلى عيوب أنفسهم؛ فقد جاء في حديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

«إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبدٍ فقّهه في الدين، وزهّده في الدنيا، وبصّره بعيوب نفسه»[2].

وبعد أن خضع هذا الشاب الخيّاط للعناية الإلهية الخاصّة، نال نصيباً من هذا الإلهام.

نقل آية الله أحمد الفهري أنّ الشيخ حكى له ذات يوم:

«كنت ذاهباً في أحد الأيام إلى السوق لعملٍ ما، وبينما أنا أسير في الطريق إذ خطر بذهني تفكير مكروه فاستغفرت الله منه، وحينما كنت أسير إذ مرّت من جانبي إبل تحمل الحطب إلى المدينة، وفجأة رفسني أحد الجمال، ولولا أنّني ابتعدت عنه سريعاً لأوجعتني رفسته. فذهبت إلى المسجد وبقيت أفكّر في علّة هذا الأمر ودعوت الله أن يطلعني على حقيقة الأمر فقيل لي في عالم المعنى:

هذا نتيجة تفكيرك بالمكروه الذي خطر ببالك!

---

(١) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٦٠٢، الباب ١١٦٠، الحديث ٥٣٥٩.

(٢) نفس المصدر.

فقلت: ولكنّني لم أقترف ذنباً.

فقيل لي: ولذلك رفسة الجمل لم تصبك»[1].

العبرة من مصير بلعم بن باعوراء:

من جملة الأشخاص الذين أعجبوا بالشيخ، هو آية الله الميرزا محمود ـ إمام جمعة زنجان ـ وهو رجل غزير العلم وكان من تلاميذ الميرزا النائيني؛ فقد أعجب هذا الرجل ـ مع ما لديه من علم ـ بما يتّصف به الشيخ من صفاء ونورانيّة وورع على الرغم من عدم اكتسابه لشيء من العلوم المتداولة في الأوساط العلمية الدينية.

قال الشيخ يوماً:

«جاءني ذات مرة إمام جمعة زنجان وبرفقته جماعة من وجهاء طهران؛ فعرّف لي الأشخاص المرافقين...

ونتيجة لكثرة الأشخاص الوالدين عليَّ أخَذَت تراودني وساوس بأنني قد صرت شخصاً مرموقاً بحيث أصبحت تفد عليَّ كبار الشخصيات...

وفي الليل عرضت لي حالة غريبة شعرت على أثرها بالضيق والكرب، فدعوت الله متضرّعاً أن يكشف عنّي هذه الحالة، فعاد إليَّ الصفاء الباطني. وسرحت في تفكير عميق وقلت في نفسي لو أن هذه الحالة كانت قد استمرّت، فماذا سيكون مصيري؟

ولِمَ حصل لي ما حصل؟

وبينما أنا على هذا الحال من التفكير، وإذا بهم يعرضون عليَّ

---

(١) نقل هذه الحكاية اثنان من مريدي الشيخ مع بعض التفاوت. وجاء هذا النص وفقاً لما نقله آية الله الفهري، باستثناء عبارة «التفكير المكروه».

بلعم بن باعورا[١]. وقالوا: لو استمرّت بك تلك الحالة لآل مصيرك إلى ما آل إليه مصير هذا الشخص، ولكانت نتيجة جهودك وأتعابك أن تكون لك وجاهة في الدنيا، ويوم القيامة تُحشر مع الشخصيات الدنيوية وليس لك في الآخرة من نصيب.

وانتهت هذه القضية. وكنا في أيام الجمعة نقيم مجلساً، وامتدّ بنا المجلس في أحد الأيّام إلى قريب الظهر. فقال صاحب الدار وبقية الأصدقاء: تتناولون الغداء هنا؟ فقلنا: نعم، وتغدّينا معاً. وفي الأسبوع التالي امتدّ بنا المجلس إلى الظهر أيضاً ومدّوا الخوان وكانت المائدة أكثر تنوّعاً مما كانت عليه في الأسبوع الماضي. وتكرّرت هذه الحالة عدّة أسابيع. وفي إحدى المرّات امتلأت المائدة بأنواع مختلفة من الطعام وفي وسطها قالب زبد قد جلب الأنظار. فخطر ببالي... أنّ هذه المائدة أقيمت من أجلي، وإنني أنا أساس المجلس، وإنّما دُعي بقية الأصدقاء بسببي. وعلى هذا المبنى فإنني أولىٰ من غيري بأكل هذا الزبد.

وانطلاقاً من هذه الفكرة تناولت خبزاً، وبينما أنا أمدّ يدي لآخذ الزبد، وإذا بي أرى بلعم بن باعورا واقفاً في زاوية الغرفة ينظر إليّ ضاحكاً! فسحبت يدي».

---

(١) كان بلعم بن باعوراء عالماً مستجاب الدعاء، وكان له اثنا عشر ألف تلميذ؛ إلاّ أنّ هواه وحبّه للدنيا دفعه إلى مناصرة السلطان الجائر في عصره إلى درجة أنه أصبح مستعداً للدعاء على جيش النبي موسى عليه السلام! أشار القرآن الكريم إلى مصير هذا العالم المفتون بحب الدنيا مشبهاً إياه بالكلب، وذلك في قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٧٦. انظر: تفسير الميزان، ج ٨، ص ٣٣٩؛ تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٨؛ منية المريد، ص ١٥١.

كثرة الأكل تولّد الحجب (حجاب الطعام)

نقل أحد محبّي الشيخ: أحسّ الشيخ بضعف في بدنه وهو في مجلس كان يعقد في دار أحد أصدقائه قبل أن يبدأ بالحديث، فطلب رغيفاً، فجاءه صاحب الدار بنصف رغيف. فتناوله وبدأ بعد ذلك بالحديث في ذلك المجلس. وفي الليلة التالية قال:

«سلّمت الليلة الماضية على الأئمة لكنني لم أرهم، فتوسّلت إلى الله لمعرفة سبب عدم رؤيتي لهم، فقيل لي في عالم المعنى: لقد أكلت نصف ذلك الرغيف فزال ضعفك، فلماذا أكلت النصف الثاني؟!

لا بأس أن يأكل المرء من الطعام ما يسدّ رمقه، ولكنْ كلّ ما زاد عن ذلك يُحدث في القلب حجاباً وظلمة».

الكمال المعنوي

هناك حديث مشهور يُعرف عند أهل المعرفة بحديث «التقرّب بالنوافل»، وهو حديث نقله[1] محدّثو الشيعة والسُنّة ـ بشيء من التفاوت ـ عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

قال الله عزّ وجلّ: . . . **ما تقرّب إليَّ عبدٌ بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وإنّه ليتقرّب إليَّ بالنافلة حتى أحبّه؛ فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها؛ إن دعاني أجبتهُ، وإن سألني أعطيته»**[2].

والمقصود بالنافلة في أحاديث «التقرّب بالنوافل» هي جميع الأعمال التي يؤدّيها الإنسان دون الواجبات، وتكون سبباً في سموّ حركتهِ باتجاه الكمال المطلق والمقصود الأسمى للإنسانية.

إذا كانت العين تبصر في سبيل الله تصبح «عين الله»، وإذا كانت الأذن تسمع في سبيل الله تصبح «أذن الله»، وإذا كانت اليد تعمل في سبيل

---

(١) انظر: ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٤٨٥٦، الباب ٣٣٣٠.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، ح ٧؛ ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٤٨٥٦، الباب ٣٣٣٠. الحديث ١٦٦٢٧.

الله تصبح «يد الله»، إلى أن يصل الأمر إلى القلب، فيكون عرش الله حيث قيل:

«**قلب المؤمن عرش الرحمان**»(١).

وقال الإمام الحسين عليه السلام:

«**جعلت قلوب أوليائك مسكناً لمشيّتك**»(٢).

يستدلّ من خلال الدراسة الدقيقة والمنصفة لأحوال الشيخ أنّ التحوّل المعنوي الذي حصل في حياته بسبب إعراضه عن الشهوات في سبيل الله ـ فضلاً عمّا لقيه من التربية الإلٰهية والإلهام والإمداد الغيبي ـ هو الذي رفعه إلى هذه الدرجة من الكمال المعنوي. ولعلّ هذا هو السر الكامن وراء ولعه بترديد هذه الأبيات:

جمالك هو الذي أرشدني في مدرسة الأزل
وكرم لطفك أوقعني في محبّتك
ونفسي الأمّارة ميّالة لارتكاب الباطل
لكن فيضك أنقذني من مخالبها

حبّه لله عزّ وجلّ:

وقال أحد تلاميذ الشيخ في وصفه: كان المرحوم الشيخ ممّن سخّر وجوده لله، حيث لم يرَ في الوجود إلاّ الله، وكان يرى الله في كلّ شيء، وكل ما يقوله فهو عن الله، وكان الله هو أوّل كلامه وآخره؛ فقد كان عبداً محبّاً لربّه ولأهل البيت عليهم السلام، ومن الطبيعي أنّ التقديس يختلف عن الحب، والشيخ رجب علي كان محبّاً. وكانت أبرز صفة فيه هي حب

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٣٩.

(٢) مهج الدعوات، ص ٦٨؛ بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ٢١٤.

الله، والعمل لله. ومن يحبّون في الأُمور المعنوية تظهر آثار تلك المحبّة في أعينهم. ولم تكن عينا الشيخ عينين عاديتين، وإنّما كان يبدو وكأنّه لا يرى غير الله.

كان يعتبر كلّ لذّة بغير الله ذنباً. فكان في أيّام الصيف الشديدة الحر يبترّد بمروحة يدوية، وما إن شعر بالبرد قال:

«واستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك، ومن كلّ راحة بغير أُنسك، ومن كلّ سرور بغير قربك، ومن كلّ شغلٍ بغير طاعتك»[1].

ووصف واحد آخر من تلاميذه مدى حبّه لله على النحو التالي: كان الشيخ على درجة من الحب لله بحيث إنه لم يكن على استعداد للتحدّث عن غير الله إلاّ بما هو ضروري من الكلام. وكان في بعض الأحيان يضرب مثلاً قصّة مجنون ليلى، حيث لم يكن قيس بن الملوّح العامري يطيق سماع كلام آخر سوى ما يخصّ ليلى. ويقال: إنّ قيس سُئل ذات مرة:

هل الحقّ مع علي عليه السلام أم مع عمر؟ فقال: الحقّ مع ليلى. وكان الشيخ يقول:

«حتى لو كانت هذه القصّة لا علاقة لها بالحقيقة، فهي تقرّب الحقيقة إلى الأذهان».

رؤيته للملكوت:

إنّ رؤية ملكوت السماوات والأرض ببصيرة القلب تعتبر مقدّمة لمرتبة رفيعة من عين اليقين وهو ما يحصل عن مشاهدة العيان، كمن مشى ووقف على ساحل البحر وعاينه.

---

(١) مفاتيح الجنان، المناجاة الخامسة عشرة، مناجاة الذاكرين.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[١].

جاء في حديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

«لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت»[٢].

وكلّ الذين استنقذوا أنفسهم من مكائد النفس والشيطان تنكشف الحجب عن قلوبهم فيستطيعون مشاهدة ملكوت السماوات والأرض، في صفّ «أولو العلم» وإلى جانب الملائكة.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[٣].

ينقل أحد تلاميذ الشيخ قائلاً: سألت المرحوم الحاج المقدّس: هل صحيح أنّ رسول الله ﷺ قال:

«لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت»؟

فقال: نعم.

قلت: وهل ترى أنت ملكوت السماوات والأرض؟

فقال: لا، ولكنّ الشيخ رجب علي الخيّاط كان يرى ذلك.

استجابة دعاء الشيخ:

ذكر أحد أصدقاء الشيخ أنّ أحد تلاميذ الشيخ كانت زوجته عاقراً. وطرق جميع الأبواب ولكن دون جدوى، إلى أنّ طلب من الشيخ أن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٤٩٨٨، الباب ٣٣٩٠، الحديث ١٦٩٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

يرشده إلى سبيل للحل، وقال: أريد ولداً ليكون خلفاً لي بعد مماتي.

فقال له الشيخ:

«سأعطيك الجواب فيما بعد».

مضت مدّة من الزمن لم أعرف ماذا أجاب الشيخ تلميذه، إلى أن دعاني ذات مرة إلى وليمة. فسألته: وما سبب هذه الوليمة؟

فقال: لقد رزقني الله بنتاً. فتذكّرت الكلام الذي دار في مجلس الشيخ، وسألته: هل اُستُجيب دعاء الشيخ؟ قال: نمعم استجيب ولكن بشرظط. قلت: وكيف؟ قال: شرط عليَّ أن أذبح في يوم ميلاد الطفلة من كل عام عجلاً في قرية «مزار السيّد أبي الحسن» ـ وهي قرية تابعة لمدينة ري ـ وأوزّعه لأهالي تلك القرية. واليوم هو مرور السنة الأولى من ذلك الشرط.

وقد وفى بالشرط مدة سبع سنوات، وفي السنة الثامنة كان في الخارج وتعذّر عليه الوفاء بعهده. فتوفيت الطفلة في تلك السنة. فتألّم عليها كثيراً. وفي أحد الأيام أردت الذهاب إلى مجلس الشيخ، فقلت له: هل بإمكانك أن تذهب معي إلى دار الشيخ هذه الليلة؟

فقال: نعم.

ذهبت قبله وشرحت للشيخ أنّ فلاناً متألم لوفاة طفلته، فقال:

«وماذا فعل؟ أليس من صفات المسلم الوفاء بالعهد؟ إنّه لم يف بعهده»!

وبعد أن جاء صاحبنا مازحه الشيخ قليلاً ثم قال له:

«لا تتألم، فإن الله عوّضك عنها بعدّة قصور في الجنّة، ولكن إيّاك أن تهدمها!».

ثواب من غضّ نظره:

ونقل شخص آخر: كانت لديَّ سيارة أجرة وكنت متّجهاً فيها من ميدان «سپاه» ـ حالياً ـ نحو الجنوب، فرأيت سيّدة طويلة القامة وجميلة ترتدي «چادُر»[1]، أشارت لي بالتوقف، فوقفت وغضضت بصري واستغفرت ربي، فَرَكِبت وأوصلتها إلى مقصدها. وفي اليوم التالي جئت إلى الشيخ. فقال لي وكأنّه قد شاهد ذلك الموقف عن قرب:

«من كانت تلك السيدة الطويلة التي نظرت إليها ثمّ صرفت وجهك عنها؟ فبغضّ بصرك عنها ادّخر لك ربّك قصراً في الجنّة وحورية تشبه تلك السيدة».

النار في المال الحرام:

كان هناك مجلس فيه رجل منهمك بممارسة السحر والشعوذة، وكان أحد أبناء الشيخ موجوداً هناك، ونقل لنا قائلاً: تعمّدت عرقلة عمله؛ فلم يستطع القيام بأي عمل. ثم انتبه إلى أنّني أنا الذي عرقلت عمله، فطلب منّي بتضرّع أن لا أقطع رزقه. ثم قدّم لي سجّادة ثمينة كهدية. فأخذتها إلى البيت ولمّا رآها والدي قال:

«من أعطاك هذه السجّادة التي ينبعث منها نار ودخان؟ أعدها إلى صاحبها فوراً»!

فأعدتها إليه.

ما شأنك بلحيته؟

ينقل أحد تلاميذ الشيخ قائلاً: جئت في إحدى الليالي إلى مجلس

---

(١) عباءة تلبسها النساء في إيران.

الشيخ، ورأيت سماحته مشتغلاً بالمناجاة. وعندما أخذت أدير النظر في وجوه الأشخاص الحاضرين في المجلس، وقع بصري على رجل حليق اللحية، فشعرت بالاستياء وقلت في نفسي: لماذا هذا الشخص حالق لحيته؟

كان الشيخ متوجهاً نحو القبلة وظهره بٱتجاهي، فتوقف عن الدعاء فجأة والتفت إليَّ وقال: «ما شأنك بلحيته؟ انظر إلى عمله، فلعلّه يحمل صفة حسنة لا تتوفر فيك»!

قال هذا الكلام ثم استأنف الدعاء.

أسلوبه في تهذيب النفوس

نقل أحد تلاميذه حكاية قال فيها: كانت لسماحة الشيخ علاقة وطيدة بآية الله محمد علي الشاهآبادي[1]، وبينما كنا نسير في أحد الأيام أنا وسماحة الشيخ برفقة آية الله الشاه آبادي قرب «ميدان تجريش» جاءنا شخص وتوجّه لآية الله الشاه آبادي بالسؤال التالي: هل كلامك صحيح أم كلام هذا الشيخ؟ (وأشار إلى الشيخ رجب علي الخيّاط).

فقال له المرحوم الشاه آبادي: عن أي شيء تسأل؟ وماذا تريد؟

قال الشخص: كلام أيكما صحيح؟

فقال له المرحوم الشاه آبادي: أنا أقول الصحيح، أما هذا الشيخ فمهمته إعداد الإنسان الصالح لأجل بناء المجتمع.

ومع أنّ هذا الكلام ينمّ عن غاية تواضع هذا العالم الربّاني الكامل، فإنّه يدلّ من جانب آخر على مدى تأثير كلام الشيخ ومقدرته التربوية وبراعته في بناء الإنسان.

ستّون عاماً في الاشتباه!

وصف الدكتور حميد فرزام تأثير كلام الشيخ وجاذبيّته قائلاً: كان

---

(١) أستاذ الإمام الخميني (قدّس سرّه).

الأستاذ جلال الدين همائيّ من مشاهير أساتذة جامعة طهران في العلوم والمعارف وخاصّة في حقل الأدب الفارسي والعرفان والتصوّف الإسلامي، ومن أبرع مدرّسي هذه الموضوعات في عهدنا، وكان بمثابة أستاذ لي. حينما تعرّفت على الأستاذ همائيّ وأنا في سن السابعة عشرة، كان قد حقّق في ذلك الوقت كتاب «التفهيم لأوائل صناعة التنجيم» لأبي ريحان البيروني، و«مصباح الهداية» و«مفتاح الكفاية» لعزّ الدين محمود الكاشاني، وألّف كتباً من قبيل «غزالي نامه» في شرح سيرة وآثار محمد الغزالي بأسلوب علمي بارع، وكتب مقدمة مستفيضة على كتاب «مصباح الهداية» تعتبر بحدّ ذاتها دورة كاملة في العرفان النظري والعملي.

التقى هذا الأستاذ الكبير وهو في سن الستين سماحة الشيخ رجب علي الخيّاط.

وحينما ذهبتُ لزيارة الشيخ قال لي:

«لقد جاءني أستاذك جلال الدين همائيّ، وبعد أن تحدّثت معه تغيّر حاله وانقلب رأساً على عقب، وضرب بيده على جبهته ندماً وحسرة، وحدّث نفسه قائلاً: يا للعجب! لقد سلكت طريقاً خطأً على مدى ستين عاماً»!!

أجل كان كلام الشيخ على قدر من التأثير بحيث جعل الأستاذ همائيّ ـ مع ما يتّصف به من مرتبة علمية وعرفانية رفيعة ـ يفقد صوابه ـ غفر الله لهما ـ.

وكان الشيخ يقول في أثناء مجلس الدعاء:

«يا أصدقائي، إنّ ما أحدّثكم به هو غاية دروس العرفان».

وقال تلميذ آخر من تلاميذه: كانت دروس الشيخ تبدّل النحاس إلى ذهب.

أساليبه التربوية:

يمكن تقسيم الأساليب التربوية التي اتّبعها الشيخ في تربية تلاميذه إلى نوعين من الأساليب، وهما:

١ـ الأسلوب التربوي في المجالس العامة.

٢ـ الأسلوب التربوي في المواقف الخاصة.

١ـ في المجالس العامّة:

كانت المجالس العامة للشيخ تنعقد عادة في داره أسبوعياً، وكان أيضاً يقيم في أكثر أيّام الأعياد، وأيام مواليد وشهادة المعصومين عليهم السلام مجالس وعظ في داره. وكان له في أيام محرم وصفر وشهر رمضان في كل ليلة مجلسٌ في الوعظ والإرشاد. وكانت هذه المجالس تنعقد أحياناً في دور الأصدقاء في كلّ أسبوع على شكل دورة إلى فترة تقارب سنتين.

كانت المجالس الأسبوعية تقام عادة في ليالي الجمعة بعد صلاتي المغرب والعشاء بإمامته. وكان يفتتحها عادة بقراءة أبيات من شعر المرحوم الفيض[١].

وإليك الأشعار بالمعنى:

أستغفر الله من كل ما سوى الله
أستغفر الله من كل وجود مستعار
كل لحظة تمر بدون ذكره
أستغفر الله منها بما لا يحصى من الاستغفار

---

(١) هو المرحوم محسن بن مرتضى القمي المعروف بالملاّ محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٦ـ ١٠٩١هـ.ق) من فلاسفة وعرفاء ومفسري وشعراء القرن الحادي عشر للهجرة.

واللسان الذي لا يترطب بذكر الحبيب
الحذر من سرّه وأستغفر الله
انقضى العمر ولم أفق ساعة
من الغفلة، أستغفر الله
ولّى الشباب وتصرّمت الشيخوخة
ما عملت شيئاً أستغفر الله

يقول أحد تلاميذه: إنّه كان يقرأ هذه الأبيات بنحو يستعصي عليَّ حبس دموعي، وفي أعقاب ذلك يقرأ بشكل رائع واحدة من المناجاة الخمس عشرة المنسوبة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

ويقول آخر: لم أرَ في مجالس دعاء الشيخ من هو أكثر بكاءً منه، فهو كان يبكي بكاء مريراً يفتت الأكباد.

وبعد انتهاء الدعاء وتناول الشاي، كان يبدأ كلمته في الوعظ والإرشاد. كان الشيخ على درجة عالية من حُسن البيان، وكان يحاول على الدوام أن ينقل في كلماته حصيلة ما أدركه من القرآن والأحاديث، وما توصّل إليه من حقائق حولهما إلى الآخرين. كان يخاطب الحاضرين في مجلسه بكلمة «أيها الرفقاء»، وتدور المحاور الإسلامية لكلامه حول موضوعات التوحيد، والإخلاص، وحبّ الله، وحضور القلب، والأنس بالله، وخدمة الناس، والتوسّل بأهل البيت عليهم السلام، وانتظار الفرج، والتحذير من حب الدنيا، ومن الأنانية وهوى النفس. وهذا ما سنتحدّث عنه بالتفصيل في الفصول اللاحقة إن شاء الله تعالى.

قال الدكتور ثباتي حول بداية معرفته بالشيخ وكيفية مجالسه ما يلي: تعرّفت في السنوات الأخيرة من مرحلة الثانوية بالشيخ بواسطة الدكتور

عبد العلي كويا ـ الذي يحمل شهادة الدكتوراه في الفيزياء الذرّية من فرنسا ـ وبقيت أتردّد على مجالسه مدة عشر سنوات. كانت مجالسه ذات نطاق محدود ويحضرها عدد قليل من الأشخاص، وتتّسم مجالسه بطابع خصوصي أكثر من الطابع العام، ومتى ما ازداد عدد الحاضرين وشارك في المجلس أشخاص غرباء، كان يؤجّل حديثه الخاص إلى وقت آخر. ومعنى هذا أنّه لم يكن راغباً في كسب المزيد من التلاميذ والمحبّين.

لم تكن مجالسه تتضمّن سوى بضع مكلمات ونصائح ومواعظ تعقبها عادة قراءة الأدعية، وكانت بعض الكلمات مكررة تقريباً، ولكن تتّسم بطابع روحي يبعد الكلل والملل عن نفس الإنسان مهما تكررت على سمعه.

ومثل كلماته في روعة البيان كمثل كلمات القرآن التي مهما أكثر الإنسان من تلاوتها يراها غضّة وكأنه لم يسمعها من قبل.

كان مجلسه يتّصف بالبعد الروحي بحيث إنّ أحداً لم يكن يتحدّث فيه عن القضايا الدنيوية والمادية، وإذا تحدّث فيها أحد عن شؤون اعتيادية كان الآخرون يشعرون بالاشمئزاز من حديثه. كانت أحاديث سماحته تنصبّ على أبواب: القرب إلى الله، وحب الله، والسير إلى الله. وكان يلخّص موضوع السير إلى الله في كلمتين، ويقول:

«يجب أن تغيّر مرشدك من الآن؛ أي كل ما كنت تفعله إلى يومك هذا إنّما كان لنفسك، ويجب عليك من الآن فصاعداً أن تفعل كل شيء في سبيل الله. وهذا هو أقرب الطرق إلى الله «اسحق ذاتك واحتضن محبوبك».

كل المنطلقات الذاتية في وجود الإنسان مبعثها حب النفس، وما لم

يتحوّل الإنسان إلى محبّ لله فإنّه لا يبلغ المرتبة الرفيعة. ومعنى ما قاله الشاعر:

إذا تحررت من قيود ذاتك اندمجت مع الحبيب

وإلاّ يذهب كل عملك هباء إلى الأبد

«يجب أن تكون أعمالك لوجهه وأن تكون مقرونة بحبّه؛ أي أن تحبّه وتؤدي أعمالك حباً له. فحب الله والعمل في سبيله هو السر الكامن وراء أي تقدّم معنوي يحرزه الإنسان. وهذا لا يتم إلاّ بمخالفة هوى النفس.

وعلى أيّ حال أنّ كل تقدم يحرزه الإنسان إنّما يكون في ظل كبح أهواء النفس، وما لم يصارع المرء نفسه ويتغلّب عليها لا يتسنّى له إحراز أي تقدّم».

كان سماحتُه يقول عن خصلة العُجب:

هنا يشترون الأجسام الضعيفة والقلوب المتعبة

أما سوق العُجب ففي الجانب الآخر

وكان يقول:

قيمة كل امرىء بمقدار ما يريده؛ فإذا كان يريد الله فقيمته مطلقة، وإذا كان يريد الدنيا فقيمته بقدر ما يطلب.

لا تقل قلبي يريد كذا وكذا، ولكن انظر إلى ما يريده الله. فإذا أردت أن تدعو الناس إلى وليمة، فهل تدعو إليها كلّ من يريده الله أم تدعو إليها من تريده أنت؟ وما دمتَ منقاداً لأهوائك النفسيّة فلن تبلغ أيّة مرتبة. القلب بيت الله فلا تفتحه لأحد غيره، ويجب أن يكون الحكم فيه ل لا لغيره. فقد سُئل الإمام علي عليه السلام: كيف بلغت هذه المرتبة؟

قال: «جلستُ عند بوابة قلبي، فلم أدخل فيه غير الله».

وكان بعد الانتهاء من كلمته، يُقدِّمُ للحاضرين شيئاً من المأكولات، ثم تبدأ من بعدها المناجاة. وكانت مناجاته تستصغي الآذان لسماعها، وحالاته تستميل الأبصار لرؤيتها. كان يقرأ الأدعية على سجيته من غير تكلّف، وكان دعاؤه أشبه ما يكون بمغازلة حبيب لحبيبه. وكأنّه أمٌّ تبحث عن ولدها المفقود؛ كان يبكي من صميم قلبه، ويئن وهو يتحدّث مع الله.

كان يشعر أحياناً وكأنّ تلك الأدعية تتخللها مكاشفات تظهر آثارها وعلائمها بين طيّات كلماته وحالاته. وكان يأمل من أصدقائه أن تنكشف لهم رؤية الملائكة والأئمة عليهم السلام في مثل تلك المجالس، فلذا كان أحياناً يعتريه الأذى؛ لأنّه لم يرهم قد وصلوا إلى المستوى المطلوب الذي يأمله منهم.

وحينما كان يعود أحدٌ من الزيارة كان أوّل سؤال يوجهه له:

«هل شاهدت صاحب الضريح الذي زرته»؟

بعض تلاميذه حالفهم النجاح وحصلت لهم حالات معنوية ومكاشفات، أمّا الآخرون فبقوا يتعثّرون في مسيرتهم وراءه. وعلى كل حال فإنَّ مناجاته كانت تتّسم بالشوق والحرارة، فهو كان يدرك عمق معنى تلك الأدعية ويؤكّد كثيراً أهمية ما يرد فيها من عبارات ويعمد إلى تكرارها أحياناً، ويوضّح معانيها أحياناً أخرى.

وكان يكثر من قراءة دعاء «يستشير»(١) والمناجاة الخمس عشرة، وكان يعتقد أنّ دعاء يستشير أشبه ما يكون بمغازلة الحبيب لحبيبه.

أمّا في أيام محرّم فكان يقل من الكلام، ويكثر من قراءة مصيبة أهل البيت عليهم السلام من كتاب «طاقديس»، ويبكي ثم يبدأ بعدها بالمناجاة.

---

(١) انظر عنوان «اقرأ دعاء يستشير» في الفصل السادس من الباب الثالث.

تأكيد أهمية طاعة الله ومخالفة هوى النفس:

كان سماحة الشيخ يعتقد أنّ الحكمة من الخلق هي أن يكون الإنسان خليفة لله في الأرض[1]. ومتى ما بلغ الإنسان هذه الغاية يصبح بإمكانه أن يفعل فعل الله. والسبيل إلى بلوغ هذه الغاية هو طاعة الله ومخالفة هوى النفس، حيث كان يقول في هذا المجال:

جاء في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي**»[2].

وجاء أيضاً: «**عبدي، أطعني حتى أجعلك مِثلي أو مَثَلي**»[3].

وطبقاً لهذه الأحاديث فإنّكم أيّها الرفقاء خلفاء الله في أرضه، وأنتم خير الثمرة. فاعرفوا قدر أنفسكم، ولا تنقادوا لهوى أنفسكم، وعليكم بالامتثال لأمر الله كي تبلغوا ما تأملون، وبهذا تستطيعون أن تفعلوا فعل الله؛ فهو تعالى قد خلق العالم لأجلكم وخلقكم لأجله. فانظروا عظمة المقام والمنزلة التي منحكم إيّاها».

كان الشيخ يعتقد أنّ المرء ما لم يبلغ مقام الخلافة الإلٰهية فهو ليس بإنسان، ويقول:

«صُنعت الملعقة لأكل الطعام، والفنجان لشرب الشاي، وكلمة الإنسان لأجل أن يكون ابن آدم إنساناً كاملاً لا غير».

---

(١) يُنقل أنّ الشيخ كان يقول: سألت عدداً من العلماء وأهل المعنى عن الغاية من خلق الإنسان فلم أسمع منهم جواباً مقنعاً، إلى أن وجّهت هذا السؤال إلى آية الله محمد علي الشاه آبادي، فقال: إنّ الله خلق الإنسان ليكون خليفة له، وذلك قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) شرح الأسماء الحسنى، ج ١، ص ١٣٩، ح ٢٠٢؛ رسائل الكركي، ج ٣، ص ٩٦٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٠٥، ص ١٦٥.

وكان يكرر على الدوام:

«إنَّ الباري تعالى منَّ عليَّ بكرامة، وأنتم أيضاً إذا امتثلتم لأوامر الله يمنّ عليكم بمثلها. أيّها البنّاء، وأيّها الخيّاط، هذه اللبنة التي تصنعها وهذه الإبرة التي تغرسها في القماش، اجعلها حبّاً لله، وفي سبيله، واجعل الله نصب عينيك في عملك. وهذا الثوب الذي ترتديه وقد اشتريت قماشه بمبلغ مئة تومان للمتر الواحد[1]، لا تقل اشتريت المتر منه بمئة تومان، بل قل: أعطانيه الله. قدّم الله ولا تقدّم نفسك».

(١) كان ثمن مئة تومان للمتر الواحد من القماش ثمناً غالياً جداً في ذلك الوقت.

أساس بناء الذات

كان الشيخ رجب علي الخيّاط يقول في هذا المعنى:

«أساس بناء الذات هو التوحيد؛ فكلّ من يريد تشييد بناء لا بدّ وأن يكون الأساس الذي يبني عليه أساساً سليماً ورصيناً. وإذا لم تكن القاعدة رصينة ومتينة، لا يكون البناء موضع ثقة واطمئنان، إذ يجب على السالك أن يبدأ مسيرته بالتوحيد؛ فقد كانت الكلمة الأولى لجميع الأنبياء هي كلمة «لا إلٰه إلاّ الله». وما لم يدرك الإنسان حقيقة التوحيد ويؤمن بعدم وجود مؤثر آخر في الكون غير الله، وأنّ كل شيء فانٍ إلاّ وجهه، لا يتسنّى له بلوغ مرتبة الكمال الإنساني. فالإنسان يستطيع ـ من خلال إدراك حقيقة التوحيد ـ التوجّه إلى الله بكلّ وجوده».

وكان يقول أيضاً:

«إذا أردت أن يناديك ربّك[1]، فعليك أن تنال قسطاً من المعرفة، ثمَّ تتعامل معه».

«حينما نقول «لا إلٰه إلاّ الله» يجب أن نقولها عن صدق وإخلاص.

(١) جاء في المناجاة الشعبانيّة: «إلٰهي واجعلني ممّن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك، فناجيته سرّاً وعمل لك جهراً».

وما لم يتخلَّ المرء عن صنم نفسه وهواه لا يمكن أن يكون موحّداً أو أن يكون صادقاً في قول لا إلٰه إلاّ الله. فمعنى «إلاّ الله» هو ما يستهوي قلب الإنسان، وكلّ ما يهواه قلب الإنسان هو إلهه[1]. وعندما نقول: «لا إلٰه إلاّ الله» لا بد وأن نقولها بشوق، القرآن كلّه يعود إلى كلمة لا إلٰه إلاّ الله. والإنسان يجب أن يبلغ مرحلة لا يبقى فيها أي أثر في قلبه سوى هذه الكلمة، ويفرّغ عن قلبه كلّ ما سواها: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2].

فالإنسان شجرة التوحيد، وثمارها ظهور الصفات الإلٰهية، وهو ما لم يثمر فهو غير كامل؛ لأنّ حدّ كمال الإنسان هو أن يصل إلى الله؛ أي أن يكون مظهراً لصفات الحق. عليكم بالسعي لإحياء صفات الله فيكم. الله تعالى كريم فكونوا أنتم كرماء أيضاً، وهو رحيم فكونوا أنتم رحماء أيضاً، وهو ستّار فكونوا أنتم ستّارين أيضاً...».

«إنّ ما ينفع الإنسان هو التحلّي بالصفات الإلهية، وليس هناك من شيء ـ حتى الاسم الأعظم ـ يؤثر في الإنسان كتأثيرها».

«إذا استغرق الإنسان في التوحيد، تشمله عناية ربّه في كلِّ لحظة برعاية خاصّة لم يكن يحظى بها من قبل، وتبقى هذه الرعاية تتجدد له في كلِّ لحظة».

تطهير القلب من الشرك:

«كلّ الكلام يدور حول هذا الصنم الكبير الموجود بين جنبيك».

---

(١) كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

وقال سماحة الإمام الخميني ـ رحمه الله ـ ذلك الرجل المحنّك، والحكيم والخبير أيضاً في هذا المعنى:

«أمّ الأصنام هو صنم النفس، وما لم يُحطّم هذا الصنم القوي الكبير فليس هناك من سبيل للسير نحو الله جلّ وعلا. ومن العسير جداً أن يُحطَّم هذا الصنم، أو أن يُروَّض هذا الشيطان»[1].

وإذا تغلّب الإنسان في هذا الصراع على هذا الصنم، يكون قد أحرز نصراً ساحقاً في حياته.

الكيمياء الحقيقيّة:

نُقلت عن سماحة الشيخ قصّة لطيفة حول كيمياء محبّة الله والكيمياء الحقيقية، حيث ورد عنه أنّه قال:

«كنت في وقت ما أبحث عن علم الكيمياء، ومارست الرياضة الروحية مدة من الزمن لكنني وصلت إلى طريق مسدود. وفي عالم المعنى عُرِضت عليَّ الآية الشريفة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾[2].

فقلت: إنّي كنت أطلب علم الكيمياء.

فقيل لي: علم الكيمياء يطلبونه للعزّة، وحقيقة العزّة هي ما وردت في هذه الآية. فأطمأنّ بالي.

وبعد بضعة أيام جاء شخصان من أصحاب الرياضة الروحية إلى داري وطلبا لقائي، وأخبراني أثناء اللقاء أنّهما بحثا في مجال الكيمياء مدة سنتين وقد وصلا إلى طريق مسدود، وأنّهما قد توسّلا بالإمام الرضا عليه السلام فأرشدهما إليّ!

---

(١) صحيفة نو،ر ج ٢٢، ص ٣٤٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

ابتسم الشيخ وذكر لهما قصته وقال:

«لقد انتهيت من هذه القضية إلى الأبد واسترحت، فالكيمياء الحقيقية هي تحصيل ذات الله نفسه».

وفي هذا المجال كان الشيخ يقرأ أحياناً هذه الجملة من دعاء عرفة لأصدقائه:

«ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك».

يشير الإمام السجّاد عليه السلام في آخر دعاء مكارم الأخلاق إلى كيمياء محبّة الله إشارة لطيفة حيث يقول:

«وانهج لي إلى محبّتك سبيلاً سهلةً، أكمل لي بها خير الدنيا والآخرة»[1].

وما أجمل ما نظمه لسان الغيب حافظ الشيرازي من أشعار في هذا المعنى حيث يقول:

يا مَنْ لا تعلم جد لكي تعلم
فإذا لم تُطع مرشداً وتهتدِ متى تكون هادياً؟
في مدرسة الحقائق وعند أديب الحُب
ابذل سعيك أيها الولد لكي تكون أباً يوماً ما
اترك كالسالكين المثابرين نحاسَ الوجود
لكي تحصل على كيمياء المحبّة وتصبح ذهباً
إذا سطع نور الحب على قلبك وروحك
تصبح والله خيراً من شمس الفلك

---

(١) الصحيفة السجّادية، دعاء مكارم الأخلاق.

أفضل ما يحسنه الشيخ:

أهم صفة كان يتحلّى بها الشيخ وأفضل ما يحسنه هو نيله لكيمياء محبّة الله.

فقد كان سماحته متخصصاً في هذا الباب، ولا ريب في أنّه كان أحد أبرز مصاديق ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[2]، وكل من كان يدنو منه كان يحصل على نصيب من كيمياء المحبّة.

كان سماحته يقول في هذا المعنى:

«حب الله هو آخر منازل العبوديّة، والحب فوق العشق؛ لأنَّ العشق عارض والحب ذاتي. فقد ينصرف العاشق عن معشوقه، لكن الحُب ليس كذلك. وقد يزول عشق العاشق إذا نقص محبوبه أو فقد كمالاته، بعيدَ أنّ الأُم تحب طفلها وإن كان فيه نقص أو عاهة».

وكان يقول أيضاً:

«يُقاس ميزان الأعمال بمدى حب العامل لله تعالى».

وكما قال الشاعر:

لا يحصل على ثمرة وحدة من بيدر الكمال
من لم يغرس في قلبه بذور المحبّة

شيرين وفرهاد[3]

كان الشيخ رجب علي يستشهد أحياناً بقصّة شيرين وفرهاد من أجل

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٣) شيرين وفرهاد: من قصص الغرام المعروفة في التراث الفارسي، وخلاصتها أنّ فرهاد كان مغرماً بحب امرأة اسمها شيرين، والملك كَسرى برويز كان يهواها أيضاً، فأمره الملك بنحت جبل بيستون من أجلها. وحينما كان منهمكاً بعمله بلغه خبر موت شيرين كذباً؛ فقتل نفسه.

تقريب المعنى لأذهان تلاميذه، ويقول:

«كانت كلّ ضربة من فأس فرهاد تعيد إلى ذهنه حب شيرين. وكلّ عمل تؤدّيه، يجب أن تؤدّيه على هذه الصورة إلى آخر المطاف، حيث يجب أن يكون كلّ تفكيرك في الله، لا في ذاتك»!

اكتب من أجل المحبوب:

نقل أحد تلاميذ الشيخ يقول: كنت أعمل كاتباً في محل تجاري. وفي أحد الأيام جاء الشيخ إلى هناك، وسألني:

«لمن تكتب هذه الدفاتر»؟

قلت: لصاحب المحل.

قال: «لو كتبت اسمك في هذه الدفاتر هل يؤاخذك صاحب المحل أم لا»؟

قلت: يؤاخذني بالتأكيد.

قال: «هذا القماش لمن تذرعه؟ لنفسك أم لصاحب المحل»؟

قلت: لصاحب المحل.

ثمّ قال: «أفهمت»؟

قلت: لا.

قال: «كان فرهاد يقول عند كلّ ضربة فأس: «أنت روحي يا شيرين» ولم يكن لديه ذكر غير محبوبته. وهذا الدفتر أكتبه في سبيل عشق المحبوب، واذرع هذا القماش لذكره. وفي مثل هذه الحالة تكون هذه الأمور كلّها بمثابة مقدّمة للوصال. وحتى الأنفاس التي تستنشقها، يجب أن تكون في ذكره»!

ليس لله زبائن!

كان سماحة الشيخ في بعض الأوقات يحرص على العثور على زبائن يتعاملون مع الله تعالى!

ولهذا السبب كان يقول:

«إنّ للإمام الحسين زبائن كثيرين. وقد يكون هكذا الحال مع الأئمة الآخرين، إلاّ أن الله لا زبائن له. إنّني أتألم لله لأنّ زبائنه قليلون. إذ قلّما تجد شخصاً يأتي من أجل الله، وفي سبيل معرفة الله».

وكان في بعض الأوقات يقول:

«إن الله يحبّك مع أنّك محتاج إليه»!

كما جاء في الحديث القدسي:

«يا ابن آدم، إني أحبك فأنت أيضاً أحْببني»[1].

«عبدي، أنا وحقّي لك مُحِبّ، فبحقّي عليك كن لي محبّاً»[2].

وكان يقول في بعض الأحيان:

«كان النبي يوسف عليه السلام جميلاً، ولكن انظر من الذي خلق يوسف؟ فالجمال كلُّه له».

وهذا المعنى يتجسّد في قول الشاعر:

ما رأت عين كجمال يوسف في الوجود
ولكنّ الجمال لمن خلق يوسف

---

(١) المواعظ العددية، ص ٤١٩.
(٢) إرشاد القلوب، ص ١٧١.

علِّم درس المحبّة!

نقل أحد محبّي الشيخ: أن الشيخ المرحوم أحمد سعيدي الذي كان مجتهداً مخسلَّماً به، وأستاذاً للمرحوم برهان، سألني ذات يوم: هل تعرف خياطاً في طهران يخيط لي جبّة؟ فذكرتُ له اسم الشيخ وأعطيته عنوانه.

وبعد مدة التقيته، وما إن وقع بصره عليَّ حتى قال: ماذا فعلت بنا؟! وإلى أي رجل أرسلتنا؟!

قلت: كيف؟ وما الذي حصل؟

قال: ذهبت إلى الشخص الذي ذكرته لي ليخيط لي جبّة. وعندما كان يأخذ القياسات، سألني عن عملي، فقلت له: أنا طالب للعلوم الدينية.

قال: «هل تَدرُس أمْ تُدَرِّس»؟

قلت: أدَرِّس.

قال: «وماذا تدرس»؟

قلت: أُدَرِّس مرحلة «البحث الخارج».

فهزّ الشيخ رأسه وقال:

«هذا حسن، ولكن عليك أن تُعلّم درس المحبّة».

لا أدري ماذا فعلت بي هذه الجملة! لقد أحدثت في داخلي تحوّلاً عميقاً.

بعد هذا الموقف ارتبط المرحوم سعيدي بسماحة الشيخ وأخذ يزوره، وكان يدعو لي بسبب تعريفي إيّاه بالشيخ.

تعلّم المحبّة من الفراشة!

ينقل أحد تلاميذ الشيخ عنه أنّه قال:

«كنت ذات ليلة غارقاً في التضرّع ومناجاة الحبيب، إذ لاحظت فراشة تدور حول المصباح النفطي، فلامست بطرف بدنها المصباح فسقطت ولكن بقي فيها رمق من الروح، وتحرّكت مرة أخرى ولامست الطرف الآخر بالمصباح وأهلكت نفسها.

وأُلهمتُ في هذا الموقف أن يا فلان تعلّم المحبّة من هذا الحيوان. يجب أن لا تتحجّج بالحجج الواهية؛ فحقيقة العشق وحب المعشوق هي ما فعله هذا الحيوان. فاتّعظت من هذه القصّة الطريفة، وتغيّر حالي...».

مبادىء حب الله:

المبدأ الأساسي في محبة الله هو معرفته؛ إذ لا يمكن أن يعرف الإنسان ربّه ولا يحبّه.

وهذا المعنى ينطبق عليه قول الشاعر:

«**لو رأيت يوسف وميّزت بين يدك والأترجة، لحقّ لك أن تلوم زليخا**».

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

«**من عرف الله أحبّه**»[1].

السؤال الأساسي الذي يتبادر إلى الأذهان في هذا المجال هو ما نوع المعرفة التي توجب محبّة الله؟ هل في المعرفة البرهانية، أم المعرفة الشهودية؟

---

(١) تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٥٢.

كان سماحة الشيخ يقول في هذا المجال:

«خلاصة المقال هي أنّ الإنسان إذا لم يعرف الله معرفة شهودية لا يتسنّىٰ له أن يكون عاشقاً. وهو إذا أصبح عارفاً يدرك أنّ كلّ المحاسن جمعت في ذات الله ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]. وفي مثل هذه الحالة من المستحيل أن يتوجّه الإنسان إلى غير الله».

يذكر القرآن الكريم اسم طائفتين عرفتا الله معرفة شهودية وهما: الملائكة وألو العلم: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[2].

وقد وصف لنا الإمام علي عليه السلام حلاوة معرفة الطائفة الأولى، أي طائفة الملائكة، بقوله:

«ثُمَّ خلق سبحانه لإسكان سماواته وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته... قد استفرغتهم أشغال عبادته، ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته، قطعهم الإيقان به إلى الوَلَهِ إليه، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره، قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشربوا بالكأس الرويّة من محبّته»[3].

الوصول إلى مرحلة المعرفة الشهودية:

ليس من سبيل لبلوغ مرحلة المعرفة الشهودية سوى تطهير مرآة القلب من غبار الرذائل. قال الإمام السجّاد عليه السلام في الدعاء الذي نقله عنه أبو حمزة الثمالي:

---

(١) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٩١.

«وأنَّ الرالح إليك قريب المسافة، وأنّك لا تحتجب عن خلقك إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك».

فليس لله حجاب، ولكن أعمالنا هي الّتي تحجبنا عنه. ولو أزيل الصدأ الذي خلّفته أعمالنا القبيحة على مرآة القلب، سيشاهد القلب جمال الله ويقع في حبّه.

وهذا هو قول الشاعر:

جَمال الحبيب لا ستر له ولا حجاب

أَزِلْ غُبارَ الطريق لكي تستطيع النظر إليه

باطن طلاّب الدنيا:

كان سماحة الشيخ يرى باطن الناس ببصيرته، فكان يصوّر الحالة الباطنية لأهل الدنيا وأهل الآخرة وأهل الله على النحو التالي:

«من يطلب الدنيا عن طريق الحرام باطنه كلب، ومن يريد الآخرة فقط فهو خنثى، ومن يريد الله فهو الرجل الحقيقي».

القلب مرآة لله:

كان الشيخ يقول:

«كلّ ما يطلبه القلب يتجلّى له، فاسعوا بجد لتكون قلوبكم مرآة تعكس محبّة الله! كلّ ما يرغب فيه الإنسان تنعكس صورته في قلبه، ويفهم أهل المعرفة من خلال النظر إلى قلبه حقيقة صورته في البرزخ. فإذا أغرم بجمال وجهِ شخص، أو كان لَدَيْه ولع شديد بالأموال والأملاك، فهذه الأشياء هي التي تشكّل صورته البرزخيّة».

ماذا فعلت؟!

قال أحد محبّي الشيخ: رأيت ذات ليلة حُلُماً مثيراً للشهوة، وبقي

يشغل بالي حتى في النهار. فذهبت إلى الشيخ، وما إن رآني حتى طأطأ رأسه إلى الأرض وأخذ يترنّم بهذا الشعر:

إن كنت تريد عدم قطع الوصال مع الحبيب
تمسّك بحبل المودّة حتى يبقى هو متمسّكاً به
أيّها القلب عش بالشكل الذي إذا زلّت قَدمُك
يحفظك الملَك الداعي بكلتا يديه

فأدركت أنّ هناك شيئاً ما لأنّه لم يقرأ هذه الأشعار اعتباطاً. بقيت جالساً والشيخ مشغول بالخياطة. فقلت له بعد فترة: هل حدث شيء؟

قال: «ماذا فعلت حتى تحوّلت هيئتك إلى هيئة امرأة»؟!

قلت: رأيت امرأة جميلة في المنام، وبقيت صورتها متعلّقة بمخيلتي.

قال: «هو ذاك، استغفر ربّك»!

ماذا أرى فيك؟

نقل أحد محبّي الشيخ قائلاً: كنت ذاهباً في أحد الأيام إلى دار الشيخ، وفي الطريق وقع بصري على امرأة جميلة سافِرةٍ لفتت انتباهي. وبعد أن وصلت إلى دار الشيخ وجلست إلى جانبه، نظر إليَّ وقال: «ماذا أرى فيك»؟!

فقلت في نفسي: يا ستّار العيوب!

فضحك الشيخ وقال: «ماذا قلت حتى زال ما كنت أراه»؟!

الرجال الذين تحوّلوا إلى نساء!

نقل الدكتور الحاج حسن توكّلي قائلاً خرجت في أحد الأيّام من عيادة تركيب الأسنان التي أعمل بها لأذهب إلى مكان ما، وركبت في

الحافلة. وعندما وصلت إلى ميدان فردوسي أو قبله بقليل توقفت الحافلة وركبت مجموعة من الركاب. فلاحظت أنّ السائق امرأةٌ، ونظرت إلى الركاب فرأيتهم جميعهم نساء بشكل واحد وزي واحد! ولاحظت أنّ التي تجلس إلى جانبي امرأة؛ فتنحّيت عنها وظننتُ أنّ هذه الحافلة خاصّة بالموظّفات وأنني قد ركبتها خطأً. وبعد هنيهة توقّفت الحافلة ونزلت منها امرأة، وما إن نزلت تلك المرأة، أصبح الركاب كلّهم رجالاً!

ومع أنّني لم أكن عازماً في بداية الأمر على الذهاب إلى دار الشيخ، ولكنني عندما نزلت من الحافلة ذهبت إلى منزل الشيخ. وقبل أن أتحدث بشيء بادرني بالقول:

«أرأيت جميع الرجال قد تحوّلوا إلى نساء! سبب ذلك هو أنّهم نظروا كلّهم إلى تلك المرأة».

ثم قال:

«عندما يموتون تتجسّد أمام أعينهم هذه الأعمال، غير أنّ محبّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تكون سبباً لخلاصهم».

«ما أجمل أن يذوب الإنسان في جَمال الله... حتى يرى ما لا يراه الآخرون، ويسمع ما لا يسمعون».

ما تلك الطاولة؟

قال الدكتور ثباتي: كان هناك إسكافيٌّ اسمه السيّد جعفر ـ وقد توفيّ ـ حكى لي في أحد الأيام قائلاً: كانت عندي في البيت طاولة كبيرة لم يكن هناك مكان مناسب لأضعها فيه، وبقيت أفكّر في مكانها. وبعدما حلَّ المساء ذهبت إلى مجلس الشيخ، ولما رآني قال لي بكلّ هدوء وهو يشير إلى قلبي:

«ما تلك الطاولة التي وضعتها هنا»؟!

انتبه الإسكافي فجأة، وضحك وقال: حضرة الشيخ! ليس لديَّ مكان مناسب لها، لذا فقد وضعتها هنا.

نيل الأسرار الإلهية:

كان سماحة الشيخ يرى أنّ المبدأ الأساسي لمقدّمات نيل الأسرار الإلٰهية هو حب الله، ومن هنا كان يقول:

«ما دامت في القلب ذرة من حب غير الله، فمن المحال نيل شيء من الأسرار الإلٰهية»!

لا تطلب شيئاً غير الله:

تعلّم الشيخ عقيدة ألاّ يريد شيئاً غير الله من الملكين. فقد نقل عنه أحد محبّيه أنه قال:

«في إحدى الليالي علّمني الملكان طريق الفناء بجملتين، وهما: «لا تقل شيئاً من عدنك، ولا تطلب شيئاً غير الله»[1].

---

(١) قال الخواجه نصير الدين الطوسي في هذا المجال: «يستطيع المرء أن يبلغ درجة الوحدة بعد التخلّي عن الوجود والعدم، والانصراف ببصره عن هاتين المرتبتين. وهو ما دام متردداً بين الوجود والعدم. فهو إمّا أن يكون رَجلَ دنيا، وإمّا أن يكون رجل آخرة. فإذا كان يطلب الوجود المجازي والعدم الحقيقي فهو رجل دنيا، والآخرة محرّمة عليه، وإذا كان يطلب الوجود الحقيقي والعدم المجازي فهو رجل آخرة، والدنيا محرّمة عليه. وإذا لم يكن يطلب وجوده ولا عدم نفسه، ولا يريد صحوه أو سكره، ولا يراهما شيئاً، ولا يعير أهمية لهذين الجانبين، فهو رجل إلٰهي، والدنيا والآخرة محرّمتان عليه كلاهما؛ أي أنّه إذا عطف بصره على الدنيا أو على الآخرة فإنَّ ذلك يقلّل من كمال تلك الدرجة ويتنزّل وينعكس؛ وذلك لأنّ المرء إذا كان يطلب الآخرة والجنّة والثواب والسعادة، فمعنى ذلك أنّه يطلب كمال ذاته، فهو إذاً يطلب ذاته ولا يطلب ربّه. وإذا كان كذلك فهو رجلٌ كثرة لا رجل وحدة. وكما قالوا: «كلّ شيء تراه غير الله فهو صنم، وعليك أن تحطّمه».

مرتبة العقل ومرتبة الروح؛

كان سماحة الشيخ يقول:

«إذا كان الإنسان في مرتبة العقل، فهو لا يتمرّد على العبادة ولا يعصي ربّه أبداً؛ على اعتبار أنّ «**العقل ما عُبد به الرحمٰن واكتُسب به الجنان**»[1].

«وهذه المرتبة تتضمّن النظر إلى غير الله، وهو الجنة».

ولكن حينما يصل الإنسان إلى مرتبة الروح انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[2] فهو ينظر إلى ربّه فقط، ويصبح مصداقاً للبيت الثاني من هذين البيتن.

صوم العامي إمساك عن الطعام والشراب
وصوم الخواص إمساك عن كل عصيان
وصومه إمساك عن كل ما سوى الحبيب
فكل ما يريده فهو للحبيب

أو كما قال الشاعر حافظ الشيرازي:

إذاً، فإنّ طلب ما سوى الله عبادة للأصنام؛ وطلب الآخرة والجنّة والرضا وجوار الله، تعتبر في الحقيقة أشياء أخرى غير الله. وعلى هذا الأساس يجب على من يطلب الله أن لا تكون لديه رغبة إلى واحدة من تلك الأشياء؛ وذلك لأن علامة من يعرف ربّه هي أن لا يطلب سواه. وهذه الدرجة من معرفة الله وطلب الله لا تزال في مقام الكثرة؛ على اعتبار أنّ الوحدة يتلاشى فيها العارف والمعروف ولا يوجد فيها الطلب والمطلب، وليس فيها إلاّ الله لا سواه. إذاً فكل من يرى الله فقط في كل شيء، هو الذي يطلب الوحدة. ولو أزاح الله تعالى حجاب الوجود والعدم من أمام بصيرته، يبلغ هذه المرتبة». من رسالة «التولّي والتبرّي» الملحقة بكتاب «أخلاق محتشمي» ص ٥٦٩.

(١) الكافي، ج ١، ص ١١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

لـو أُعـطـيـت الـجـنّـة أنّـى لـي الـقـبـول
فوصل الحبيب أفضل في رأيي من الجنّة

كل شيء لنا، حتى الله!

كان سماحة الشيخ يقول:

«أيّها الإنسان، لماذا تطلب غير الله؟! وماذا جنيت من غيره؟![1]، إذا لم يردْ فليس في الوجود مؤثّر دونه، ويكون مرجعك إليه!

ما أكثر السكّر في المدينة بحيث قنعوا به
وصقور الطريقة ارتضت بصيد الذبابة

فهل تُعرضُ عن الله وتطلب ما سواه؟! لماذا تدور حول ذاتك إلى هذا الحد؟! اطلب الله واجعل كلّ اهتماماتك الأخرى مقدمة للوصول إليه، مشكلتنا هي أننا نريد كلّ شيء لأجل أنفسنا حتّى الله»!

أعلى مراتب التقوى:

قال الشيخ في صدد التقوى:

«للتقوى مراتب؛ أدناها الإتيان بالواجبات وترك المحرّمات، وهو أمر جيّد بالنسبة للبعض، إلاّ أن للتقوى مراتب عالية، وهي اجتناب ما سوى الله؛ بمعنى أن لا يكون في قلب الإنسان شيء غير محبّة الله».

مدرسة المحبّة:

كان الشيخ يرى أنّ الإنسان ما دام قلبه مشغولاً بمحبّة ما سوى الله، فهو لا يصل إلى المقصد الأعلى للإنسانية، وحتى إذا كان مراده من وراء مجاهدة نفسه كمال ذاته، لا تتحقق له تلك الغاية.

(١) جاء في الحديث القدسي: «يا ابن آدم كل يريدك لأجله، وأنا أريدك لأجلك، فلا تفرّ منّي». المواعظ العددية، ٤٢٠.

وانطلاقاً من هذه الرؤية، فقد جاء إلى الشيخ شخص مسترشداً ويقول له: إنّني مهما أمارس من رياضة روحية لا أحصل على نتيجة، فكان يقول له:

«إنّك، عملت من أجل النتيجة، وهذه المدرسة ليست مدرسة النتيجة، وإنّما هي مدرسة المحبّة، ومدرسة طلب الله».

انفتاح عين القلب:

أدرك المرحوم الشيخ من خلال التجربة أنّ طريق انفتاح عين القلب وأذنه والاطّلاع على أسرار الغيب، هو الخلاص الكامل، ومحبّة الله بمفهومها المطلق، وكان يقول في هذا المعنى:

«إذا حافظت على قلبك ولم تفسح المجال لغير الله بالدخول إليه، يتسنّى لك أن ترى ما لا يراه الآخرون وتسمع ما لا يسمعون».

«إذا صان الإنسان عين قلبه عمّا سوى الله، يمنحه الله نوراً ويعرّفه المبادىء الإلهية».

«إذا عمل المرء لله، تنفتح عين قلبه».

«أيّها الرفاق، ادعوا ربّكم ليخلّصكم من حالة الصم والبكم؛ لأنّ الإنسان ما دام يطلب غير الله فهو أصمّ وأبكم»!!

وبعبارة أخرى كان الشيخ يرى أنّ المعرفة الشهودية لا تُنال إلاّ عن طريق القلب السليم؛ وهو ذلك القلب الذي يتمتّع بالسلامة وليس فيه ذرّة من حب الدنيا، إضافة إلى عدم الرغبة إلى شيء آخر غير الله. وهذا هو التوجيه الذي بيّنه الإمام الصادق عليه السلام في شرحه لمعنى القلب السليم الوارد في الآية الشريفة ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]: إذ قال في تفسيره:

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

«هو القلب الذي سلم من حب الدنيا»[1].

وقال أيضاً في حديث آخر:

«القلب السليم الذي يلقى ربّه، وليس فيه أحد سواه، وكلّ قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط»[2].

الصورة الباطنية للقلب:

كان سماحة الشيخ يقول:

«إذا كانت للإنسان بصيرة باطنية، يلاحظ بمجرجد أن يفسح المجال لغير الله بالتغلغل في قلبه، إن باطنه البرزخي يظهر في تلك الصورة. فإذا كنت تطلب غير الله، فقيمتك هي ما تطلبه، وإذا كنت تطلب الله فلا قيمة لك، «**من كان لله كان الله له**»؛ فإذا كنت في جميع الأوقات مستغرقاً في الله، تشعّ فيك الأنوار الإلهية ثم ترى ما تشاء بنور الله».

القلب الحاضر عنده كلّ شيء!

كان سماحة الشيخ يقول:

«ابذل جهدك لكي يكون قلبك لله، وإذا أصبح قلبك لله يكون الله فيه، وعندما يكون الله في قلبك، يصبح كلّ ما لله حاضراً وظاهراً في قلبك، ومتى ما شئت يأتي كلّ شيء إليك. وبما أنّ الله موجود هناك، فإنّ أرواح جميع الأنبياء والأولياء تكون هناك. وإذا شئت، تكون مكة والمدينة لديك... إذاً عليك بالسعي لكي يكون قلبك لله وحده؛ ويكون كلّ ما خلق الله حاضراً عندك»!!

---

(١) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٩٨٤، الباب ٣٣٨٨، الحديث ١٦٩٣١.

(٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٩٨٤، الباب ٣٣٨٨، الحديث ١٦٩٣٠.

الإنسان الذي يفعل فعل الله:

كان سماحة الشيخ يرى أن محبة الله إذا تغلّبت على القلب، ولم يطلب القلب غير الله حقيقة، يصل الإنسان عندئذٍ إلى مقام خلافة الله، وتصدر عنه أفعال إلٰهية. وكان سماحته يقول في هذا المجال:

«إذا غلب شيءٌ على شيء، يتّخذ ذلك الشيء صفة الشيء الأوّل. ومثال ذلك كمثال الحديد إذا وضع في النار، نجد صفة النار تغلب بعد مدة على الحديد ويصدر منه ما يصدر من النار من صفة الإحراق. وهكذا الحال بالنسبة إلى عمل الإنسان مع ربّه»!

وكان سماحته يقول أيضاً:

«نحن لا نأتي بأعمال خارقة، وإنّما نتّخذ طابعنا الفطري الذي يكون فيه الإنسان إلٰهياً، حيث تمنح الروح الإنسان كلّ شيء؛ فروح البقر يصدر منها عمل البقر، وروح الديك يصدر منها عمل الديك. والآن قل لي ماذا يجب أن تفعل الروح الإلٰهية في الإنسان؟ يجب أن تأتي بفعل الله؛ والآية الشريفة ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[1] تشير إلى هذا المعنى».

تطهير القلب:

وبناء على ما سبق قوله، لا تحصل المعرفة الشهودية، ولا يصبح الإنسان عاشقاً للكمال المطلق إلاّ بتطهير القلب من محبّة غير الله، ومعنى هذا أنّ القضية الأساسية هي: أنّ تطهير القلب من حب الدنيا ليس عملاً سهلاً. إذاً فكيف يمكن تطهير القلب من التعلّق بهذه «العجوز» المتجمّلة؟

يرى سماحة الشيخ أن ما يمكن تطهير القلب به، وما يمكن أن يوصل الإنسان إلى حقيقة التوحيد هو شيء واحد؛ وهي العوامل التي أشير إليها في الفصل السابق، وتتلخّص في:

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٩؛ وسورة ص، الآية: ٧٢.

«حضور القلب الدائم، والتوسّل بأهل البيت عليهم السلام، والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ في الليالي، والإحسان إلى الناس.

كيف نحبّ الله؟

كان الشيخ يهتمّ اهتماماً خاصّاً ـ من بين العوامل المذكورة آنفاً ـ بعامل الإحسان إلى الناس لما له من دور في إيجاد الأنس بالله ومحبّته، فكان يعتقد أنّ طريق محبّة الله يمرّ عبر محبّة الناس وخدمتهم، وخاصّة المساكين منهم والمستضعفين.

فقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«الخلق عيال الله؛ فأَحَبُّ الخلق إلى الله مَنْ نَفَعَ عيال الله وأدْخَلَ على أهلِ بيتٍ سروراً»[1].

وجاء في حديث آخر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل: من أحبّ الناس إلى الله، فقال:

«خير الناس من انتفع به الناس»[2].

وورد في حديث آخر: إنّ الله تعالى أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج:

يا أحمد محبّتي محبة الفقراء؛ فأَدْنِ الفقراء، وقرّب مجلسهم منك... فإنَّ الفقراء أحبّائي»[3].

يقول أحد تلاميذ الشيخ: بقيت أتردّد على آية الله الكوهستاني في مدينة «نِكا» لفترة طويلة بتوجيه من سماحة الشيخ. وفي صباح أحد الأيّام

---

(1) الكافي، ج ٢، ص ١٦٤، ح ٦.
(2) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٣.
(3) إرشاد القلوب، ص ١٩٩.

كنت أسير في شارع «ناصر خُسرو» متوجّهاً إلى موقف سيارات «إيران پيما»[1]، بقصد الذهاب إلى مدينة «نكا» وفي تلك الأثناء التقيت بسماحة الشيخ، فسألني:

«إلى أين أنت ذاهب»؟

قلت: أريد الذهاب إلى «نكا» لزيارة آية الله الكوهستاني.

فقال لي:

«إنّه رجل سيرته الزهد، ولكن تعال لأعلّمك منهج حبّ الله»!!

ثم أخذ يدي وتوجهنا إلى الشارع الذي يُسمى اليوم بـ «شارع الإمام الخميني» وكانت أرضه مرصوفة بالحجر، وعند القسم الجنوبي من الشارع، عطفنا في زقاق فرعي، وطرق باب أحد المنازل وإذا ببيت مظلم وضيّق كأنّه مقبرة، وفيه عدد كبير من الفقراء والمساكين؛ صغاراً وكباراً.

فأشار الشيخ إليهم وقال:

«الاهتمام بشأن هؤلاء البؤساء يجعل المرء محبّاً لله!! هذا هو درسك، والذي كان عند آية الله الكوهستاني هو درس الزهد، وأما هذا فهو درس الحب».

وبقيت بعد ذلك أذهب مع سماحة الشيخ لمدة عشر سنوات إلى خارج المدينة، حيث كان سماحته يدلّني على بعض الناس الفقراء، وكنت أنّا أهيجىء الطعام وأُقدّمه لهم».

---

(١) اسم شركة لنقل الركاب.

ذكر أولياء الله

كان لسماحة الشيخ توجيه رئيسي في ما يخصّ ذكر الله، وكان في مختلف المناسبات يكرّره ويؤكّده.

الحضور الدائم

كان الشيخ يحرص على تربية تلاميذه بالشكل الذي يجعلهم يستشعرون حضور الله في كلّ حال. وهذا في الحقيقة هو ما أشار إليه الحديث المهم والبنّاء المنقول عن رسول الله ﷺ في قوله:

«**أذكروا الله ذكراً خاملاً. قيل: وما الذكر الخامل؟ قال: الذكر الخفي**»[1].

وجاء عنه أنه قال في حديث آخر:

«**يفضُلُ الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه سبعين ضعفاً**»[2].

تكمن أهمية وأفضلية الذكر الخفي على الذكر العلني والجلي، في دوره الفاعل والمصيري في بناء الإنسان، أنّ الذكر اللساني سهل يسير،

---

(١) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٦٦، الباب ١٣٥٢، الحديث ٦٤٩١ و٦٤٩٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٦٦، الباب ١٣٥٢، الحديث ٦٤٩١ و٦٤٩٣.

وأمّا الذكر القلبي ـ وخاصة ديمومته ـ فهو عسير جداً، وعلى هذا الأساس وصفه الإمام محمد الباقر عليه السلام بأنّه من أصعب الأعمال:

«ثلاث من أشد ما عمل العباد: إنصاف المؤمن من نفسه، ومواساة المرء أخاه، وذكر الله على كل حال؛ وهو أن يذكر الله عزّ وجلّ عند المعصية يهم بها فيحول ذكر الله بينه وبين تلك المعصية، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ٢٠١﴾»[1][2].

وورد في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام وصف فيه الإنصاف والمواساة والذكر الدائم بأنّها من أصعب الواجبات الإلٰهية، وصرّح بأنّ المراد من ذكر الله ليس هو الذكر اللساني؛ وإن كان الذكر اللساني يُعتبر هو الآخر ذكراً لله، قائلاً:

عن الحسين البزاز قال: قال لي الإمام الصادق عليه السلام: «**ألا أحدّثك بأشدّ ما فرض الله عزّ وجلّ على خلقه؟... إنصاف الناس من نفسك، مواساتك لأخيك، وذكر الله في كلِّ موطن. أمّا إنّي لا أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلاّ الله، والله أكبر، وإن كان هذا من ذاك. ولكن ذكر الله في كلّ موطن إذا هَمجتَ على طاعته أو معصيته**»[3].

سبيل التخلّص من النفس والشيطان

كان سماحة الشيخ يقول:

«لا سبيل للتخلّص من شرّ النفس إلاّ بالتوجّه إلى الله والحضور

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٥٦، الباب ١٣٤٢، الحديث ٦٤٥٤.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٥٦، الباب ١٣٤٢، الحديث ٦٤٥٥.

الدائم، وما دمت ماثلاً بين يديه ودون انقطاع لا يمكن للنفس أن تخدعك وتغرّك».

وكان سماحته يشير في كثير من الأوقات إلى الآية الكريمة:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[١].

ويقول:

«متى ما قطع الإنسان توجهه إلى الله، يستحوذ عليه نفسه والشيطان ـ اللذان يتربّصان به ـ فيتصرّفان بقلبه ويبدآن بتسييره كيف يشاءان».

كُفّي عنّي!

ونقل عنه أحد تلاميذه أنّه قال:

«رأيت نفسي في عالم المعنى؛ فقلت لها: كُفّي عنّي! فقالت: ألا تعلم أنني لا أكفّ عنك حتى أوقعك في المهالك».

ولعلّ هذه المكاشفة هي التي جعلت الشيخ مولعاً بهذه الأبيات:

جمالك أرشدني في مدرسة الأزل
ولطف كرمك هداني إلى محبتك
فنفسي ميّالة إلى كلّ باطل
وفيضك هو الذي أنقذني من قبضتها

الفيض الإلٰهي ينزل على القلب من خلال المداومة على ذكر الله. وذكر الله حينما يدخل إلى القلب أوّل ما يزيل عنه الوساوس الشيطانية والأدران النفسية، ويجعله مستعداً لاستقبال الفيض من الفيّاض المطلق.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا المجال:

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

«أصْلُ صلاح القلب اشتغاله بذكر الله»[1].

ومن خلال شعور الإنسان بالحضور الدائم عند البارىء تعالى؛ يتحرر من قيود النفس والشيطان، وهذا التحرّر هو علاج له من كلّ الأمراض النفسية؛ حيث قال الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى:

«ذكر الله مطردة الشيطان»[2].

«ذكُر الله دَواءُ أعلالِ النفوس»[3].

«يا من اسمه دواء وذكره شفاء»[4].

المداومة على ذكر الله تفيض على القلب الحياة الإنسانية، وتنيره وتقوّي الروح. وتجعل الذاكر مأنوساً بذكر الله، وتُفيض تدريجاً كيمياء المحبة على الإنسان.

قال الإمام علي عليه السلام ذاك العارف بالله والمطّلع على أمراض النفس البشرية، في هذا المجال:

«من ذكر الله سبحانه أحيا الله قلبه ونوّر عقله ولبّه»[5].

«مداومة الذكر قوتُ الأرواح»[6].

«الذكر مفتاح الأنس»[7].

«منْ أكثر ذكر الله أحبّه»[8].

---

(١) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٤٦، الباب ١٣٤٠، الحديث ٦٣٩٤.
(٢) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٥٠، الباب ١٣٤٠، الحديث ٦٤٢٧.
(٣) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٥٠، الباب ١٣٤٠، الحديث ٦٤١٨.
(٤) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٥٠، الباب ١٣٤٠، الحديث ٦٤١٩.
(٥) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٤٨، الباب ١٣٤٠، الحديث ٦٣٩٩.
(٦) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٤٨، الباب ١٣٤٠، الحديث ٦٤٠٣.
(٧) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٥٠، الباب ١٣٤٠، الحديث ٦٤٢٢.
(٨) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٥٢، الباب ١٣٤٠، الحديث ٦٤٣٥.

إنّ ما جاء في هذه الأحاديث يمثّل جانباً قليلاً من انعكاسات ذكر الله التي تعود بالخير والبركة على حياة الإنسان وبناء ذاته. ولكن يتّضح من خلال التأمّل في ما مرَّ ذكره مدى أهمية اللحظة التي نقضيها في ذكر الله، ومدى ضرر اللحظة التي تمرّ علينا بدون ذكره.

ذكر الله عند النوم!

يقول الدكتور ثباتي: دعانا أحد الأشخاص ذات يوم لتناول طعام الغداء في داره، وبعد الانتهاء، أخذنا جميعاً قسطاً من الراحة فتمدّدت، وغمضت عينيَّ، واستغرقت في ذكر الله، وكان سماحة الشيخ في مقابلي، ولمّا رآني على تلك الحالة أوصى سائر الأصدقاء قائلاً:

«حتى في النوم يجب أن تذكروا الله».

ولا أتذكّر أني سمعته حيثَّ على «ذكر الله عند النوم» مرة أخرى غير تلك المرة.

نداء من البرزخ!

يقول أحد أصدقاء الشيخ: كنت ذات يوم عند الشيخ وسمعته يقول:

«رأيت شاباً في البرزخ يقول: لا تعلمون ماذا هنا في البرزخ، عندما تأتون إلى هنا ستعلمون أنّ كلّ نَفَسٍ تنفّستموه في غير ذكر الله فهو في ضرركم»!

الاهتمام بذكرين

يقول أحد محبّي سماحة الشيخ: كان الشيخ يُعير أهمية كبيرة لـ «الاستغفار» و«الصلاة على محمد وآل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام»، وكان يرى أنّ هذين الذكرين بمثابة الجناحين لتحليق السالك.

وكان سماحته يقول في هذا المجال:

كلّ من يكثر في حياته من الصلاة على النبي وآله، يُقبّل رسول الله ﷺ شفتيه عند الاحتضار».

التغلّب على الأهواء النفسيّة

١ـ المداومة على ذكر: «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم».

٢ـ الإكثار من ذكر: «يا دائم يا قائم».

٣ـ لقمع النفس المتمرّدة، قُلْ في الصباح والمساء، ثلاث عشرة مرة أو مئة مرة: **«اللّهُمَّ لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان»**.

٤ـ قُل في كل ليلة مئة مرة: **«يا زكيّ الطاهر من كل آفة بِقُدسه»**(١).

كان سماحة الشيخ يوصي بالإكثار من الذكر الأخير للتغلّب على النفس ويقول:

«أنا شخصياً كنت أكثر من هذا الذِّكر، ودخلت عن ذلك الطريق، وحتّى أني ذات يوم دأبت على قراءته إلى أن ماتت نفسي، وقلت: يجب عليَّ مواصلة قراءته إلى أن يصبح وجودي عدماً. وقد غفلت فترة ـ بسبب مقتضيات طبع البشر ـ عن قراءته، وإذا بي أجد نفسي حيّة، فمن الواضح إذاً أنّ كل من تكثر رغبته في الدنيا تصبح نفسه قوية؛ وقراءة هذا الدعاء تفيد في التغلّب على النفس».

التغلّب على وسوسة الشيطان في النظر إلى امرأة أجنبية

نقل الدكتور فرزام: أنّ سماحة الشيخ رجب علي كان يعتبر ذكر: **«يا خير حبيب ومحبوب صَلِّ على محمد وآله»** يفيد إذا وقع بصره على امرأة أجنبية، وقد أوصاني مرات كثيرة بقراءته؛ لأكون في مأمن من وسوسة الشيطان، وكان يقول:

---

(١) ورد هذا الذكر في دعاء النبي إدريس؛ انظر مصباح المتهجّد، ص ٦٠١.

«حين يقع بصرك على امرأة أجنبية؛ فإن لم تعجبك فأنت مريض! وأمّا إذا أعجبتك فاغمض عينيك واخفض رأسك وقل: يا خير حبيب... أي، يا إلهي إنّني أحبّك أنت، فما هذه الأشياء التافهة التي لا تستحق المحبّة؛ لأنّ كل ما لا دوام له لا يستحقّ الحب».

من أجل محبّة الله

تكرّر الصلاة على محمد وآل محمد في كل ليلة ألف مرة لمدّة أربعين ليلة من أجل غرس محبة الله في القلب.

من أجل صفاء الباطن

كان سماحة الشيخ يعتقد أنّ قراءة سورة «الصافات» في الصباح، وسورة «الحشر» في المساء تفيد في الحصول على صفاء الباطن.

ويقول أحد تلاميذه إنّه كان يوصيه بقراءة سورة الحشر في كل ليلة، وكان يعتقد أنّ الاسم الأعظم موجود في الآيات الأخيرة من هذه السورة المباركة.

من أجل رؤية صاحب الزمان أرواحنا فداه

من أجل رؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام تقرأ الآية الكريمة:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾[(١)].

أربعين ليلة؛ في كل ليلة مئة مرة.

ويُنقل أنّ عدداً لا يُستهان به من تلاميذ الشيخ خطوا خطوة لرؤية صاحب الزمان عليه السلام من خلال المداومة على هذا الذكر، وإن لم يعرفوه أثناء رؤيته، ونشير إلى مثالين من ذلك:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٠؛ راجع الفصل التاسع: توجيهات الشيخ إلى الحجاج.

رؤية آية الله زيارتي لإمام الزمان عليه السلام

ينقل أحد تلاميذ الشيخ أنّ سماحة الشيخ علّم المرحوم آية الله زيارتي[1] ـ في منطقة مهدي شهر ـ والظاهر أنه الذكر المتقدم من أجل رؤية الإمام صاحب الزمان ـ عجّل الله فرجه ـ وبعد أن واظب على قراءته رجع إلى الشيخ وقال له: لقد عملت بما علّمتنيه، ولكن لم أحصل على نتيجة. فتأمّل الشيخ لحظة ثمّ قال له:

«عندما كنت تصلّي في المسجد جاء رجل علويّ وقال لك: يكره التختّم باليد اليسرى، فقلت له: كلّ مكروهٍ جائز، كان ذلك هو الإمام صاحب الزمان عليه السلام»!

رؤية البَقّال للإمام صاحب الزمان عليه السلام:

تكفّل بقّالان بنفقة أسرة علوية، وشرع أحدهما بقراءة الذكر الذي قدّمه إليه الشيخ لرؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام، وقبل حلول الليلة الأربعين جاءه أحد أبناء الأسرة العلوية وأراد منه صابونة، فقال له: إنّ أمّك لا تعرف غيرنا، فلان موجود أيضاً ـ وأشار إلى البقّال الآخر ـ يمكنك أن تأخذ منه!

يقول هذا البقّال: وبعدما نمت تلك الليلة سمعت صوتاً يناديني من ساحة الدار، فخرجت ولكنّي لم أجد أحداً؛ فرجعت ونمتُ، وسمعت الصوت مرة أخرى يُناديني باسمي، وتكرّرت هذه الحالة ثلاث مرّات؛ وفي المرة الثالث فتحتُ باب الدار؛ فرأيت علوياً ملثّماً، فقال لي:

«نحن نستطيع أن ندير الشؤون المعاشية لأولادنا، ولكن غايتنا هي أن تصلوا أنتم إلى مكانةٍ رفيعة».

---

(١) هو والد حجة الإسلام والمسلمين السيّد حميد الروحاني.

من أجل حل المشاكل وعلاج الأمراض

يقول الدكتور فرزام: كان سماحة الشيخ يوصي بقراءة بعض الآيات وفقرات من الأدعية مقرونة بالصلوات من أجل حلّ المشاكل ومعالجة الأمراض مثل: «**ربِّ إنّي مغلوب فانتصر وأنت خير الناصرين**»(١).

وفي إحدى المرات كانت لديَّ مشكلة فأوصاني بقراءة هذا الذكر:

«**يا ربّ، إني مَسَّني الضُّرُّ وأنت أرحمُ الراحمين**»(٢).

وكان يقول: «هذه أذكار، اقْرَأْها مشفوعةً بالصلاة على محمد وآل محمد».

وإذا مرض أطفالنا كان يقول:

«قل: يا من اسمه دواء وذكره شفاء، صلِّ على محمد وآل محمد».

من أجل إزالة الحرارة والبرودة

يقول أحد تلاميذ الشيخ: سألت سماحة الشيخ عند أول سفر لي إلى مكة المكرّمة: ما الذي يجب عمله للتخلّص من خطر شدّة الحرارة؟ فعلّمني قراءة الآية الشريفة للتخلّص من خطر الحرارة والبرودة:

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾(٣).

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾(٤).

---

(١) هذان الذكران مقتبسان من آيتين هما: الآية ١٠ من سورة القمر، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾، والآية ١٥١ من سورة الأعراف ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

(٢) هذان الذكران مقتبسان من آيتين هما: الآية ١٠ من سورة القمر، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾، والآية ١٥١ من سورة الأعراف ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

(٣) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

دعاء أولياء الله

من جملة التوجيهات التربوية التي كان سماحة الشيخ يؤكّدها هو تنظيم أوقات الخلوة مع الله؛ وللدعاء والمناجاة، وهو ما كان يعبّر عنه بـ «الاستعطاء عند باب الله»، ويؤكد قائلاً:

«اْدعُ ربَّك ساعةً في كلِّ ليلة، وحتى إذا لم تكن لديك رغبة في الدعاء، لا تترك الخلوة مع الله».

وكان يقول أيضاً:

«في يقظة السحر والثلث الأخير من الليل آثار عجيبة؛ فكلّ ما تطلبه من الله يمكنك الحصول عليه من خلال الدعاء في الأسحار. لا تقصروا في الدعاء في الأسحار؛ لأن كل ما هو موجود، إنّما هو موجود فيها، والعاشق لا ينام، ولا يطلب سوى وصال المحبوب، ووقت اللقاء وبلوغ الوصال يكون أثناء السحر».

وهذا المعنى جاء في قول الشاعر:

كل كنز من السعادة حباه الله لحافظ

كان بفضل دعاء الليل ووِرْد السحر

أدعية سماحة الشيخ

كان الشيخ كثيراً ما يقرأ دعاء يستشير، ودعاء العديلة، ودعاء التوسّل، ومناجاة أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة التي تبدأ بـ «**اللّهُمّ إني أسألك الأمان يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون**»، والمناجاة الخمس عشرة للإمام السجّاد عليه السلام ويوصي تلاميذه بقراءتها.

وكان يؤكّد أهمية قراءة «مناجاة المفتقرين» خاصّة و«مناجاة المريدين» وكان يقول:

«لكلّ واحد من هذه المناجاة الخمس عشرة فائدة خاصّة».

الدعاء الدائم للشيخ

ينقل الدكتور فرزام أنّ من جملة الأدعية الدائمية التي كان سماحة الشيخ يقرأها هو الدعاء التالي:

«اللّهُمّ علّمنا وكمّلنا وربّنا لك. إلهي وربّي، اجعلنا على استعدادٍ وتأهّب للقائك».

وفي ليالي الجمعة كان الشيخ يقرأ عادة بعد الصلاة دعاء كميل أو إحدى المناجاة أو الأدعية المذكورة ويشرحها.

اقرأ دعاء يستشير!

نقل آية الله السيّد أحمد الفهري الزنجاني أنّ سماحة الشيخ كان يقول:

«سألت الله قائلاً: إلٰهي كلّ شخص له لذّة المناجاة مع محبوبه، ونحن أيضاً نريد أنّ نتلذّذ بهذه النعمة، فماذا نفعل؟

فقيل لي في عالم المعنى: اقرأ دعاء يستشير».

ومن هنا فهو كان يقرأ دعاء يستشير بنشاط وتوجّه خاص.

تحجّج على الله تعالى!

كان سماحة الشيخ يرى أنّ الإنسان إذا طلب الله حقاً ولم يطلب غيره، لا بد وأنّه تعالى سيأخذ بيده ويبلّغه مناه. وكان يضرب مثلاً طريفاً في هذا المعنى وهو:

«عندما يميل الطفل إلى المشاكسة، لا يقرّ له قرار، وحتى إذا قدّموا له الألعاب والحلوى يرميها جانباً، ولا يكفّ عن العناد ويبقى يبكي إلى أن يجلسه أبوه في حضنه ويداعبه ويسترضيه، وعندها يكفّ عن عناده.

وهكذا أنت أيضاً إذا أعرضت عن زبرج الدنيا وزخرفها وتحججت على الله، فهو تعالى سيأخذ بيدك في نهاية الأمر ويرفعك، وعندها تستشعر اللذة».

قيمة البكاء والمناجاة

كان سماحة الشيخ يعتقد أنّ الإنسان يكون أهلاً لمناجاة الله تعالى حينما يتمكّن من إخراج حبّ كل شيء من قلبه ما عدا حبّ الله. أما من يكون إلٰهه هواه فهو لا يستطيع أن يقول «يا الله» من كل قلبه، وكان يقول في هذا المعنى:

«إنّما يكون للبكاء والمناجاة قيمة حقيقية عندما يخلو القلب من محبّة غير الله».

وقد نُقلت في هذا مكاشفة تربوية وقعت لسماحة الشيخ تثبت صحّة هذا الادعاء:

ريالان، إجابة لـ «يا الله»!

نقل آية الله الفهري عن سماحة الشيخ أنّه قال:

«كنت أسير ذات يوم في السوق، فلقيني شخص فقير وسألني أن أعطيه شيئاً. فلما مددتُ يدي في جيبي لأخرج له بعض النقود لمستُ قطعة نقدية ريالين [دو ريالي]، فتركتها وأخرجت «ده شاهي»[(١)] وقدّمته له. كان الوقت ظهراً فدخلت إلى أحد المساجد لأُصلي. وبعد الانتهاء من الصلاة رفعتُ يدي للدعاء قائلاً: «يا الله» وإذا بي أرى قطعة الريالين التي تركتها في جيبي قد عُرضت أمامي»!!

تظهر لنا من خلال هذه المكاشفة عدة نقاط جديرة بالتأمّل، وهي:

١ـ تجسّد الهوى على صورة الإله، كما صرّح القرآن الكريم بهذا المعنى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[(٢)].

٢ـ يبتعد الإنسان عن عبودية الله على قدر انقياده لهوى نفسه، بل ويصبح عبداً لما يهوى. ومن هنا تحوّل الإله في عالم المكاشفة إلى «ريالين»!

٣ـ تكون للإنفاق قيمة إذا أنفق الإنسان شيئاً يُحبّه، والمؤمن يجب أن يقدّم في سبيل محبوبه ممّا له قيمة لديه، وليس ممّا لا أهمية له عنده:

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[(٣)].

---

(١) قطعة نقدية تساوي في قيمتها ربع القطعة من فئة ريالين.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

سبيل الأنس بالله

كان سماحة الشيخ يرى أنّ سبيل الأنس بالله يتلخّص في الإحسان إلى العباد. ومن أراد أن يتلذّذ بالذكر والمناجاة مع الله تعالى يجب أن يسخّر نفسه في خدمة العباد في سبيل مرضاة الله. وكان يقول في هذا المجال:

«إذا أردت أن يكون لك عند الله حظ وافر من مناجاته والأنس به، عليك بالإحسان إلى الناس، وإذا أردت أن تصل إلى حقيقة التوحيد، عليك بالإحسان إلى الناس، وتعلّم طريقة الإحسان إلى الناس من أهل البيت عليهم السلام ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾[1]».

وكان يقول أيضاً:

«الشيء الذي يبعث في الإنسان الرغبة في عبودية الله بعد أداء الفرائض هو الإحسان إلى الناس».

ماذا نريد من الله؟

من الأمور المهمّة في الدعاء هو أن يعرف الداعي ماذا يقول في الابتهال والتضرّع إلى الله، وماذا يطلب من ربّه. كان سماحة الشيخ يتمثّل من خلال شرحه للأدعية بهذه المقاطع من الأدعية:

«يا غاية آمال العارفين»، و«يا منتهى أمل الآملين» و«يا نعيمي، وجنّتي، ويا دنياي، وآخرتي». وما شابه ذلك، ويقول:

«يا رفاق، تعلّموا التوسّل من إمامكم، انظروا كيف يتوسّل الإمام إلى الله ويتضرّع إليه، فهو يقول: اللّهُمّ إنني إليك التجأت، وبك لذت، جئت لأكون بجانبك، جئت لأعانقك! فأنا أريدك»!

---

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٨ ـ ٩.

وكان سماحته يقول في دعائه ومناجاته:

«اللّهُمّ اجعل هذا مقدمة للوصول إليك».

ماذا يريد العاشق من معشوقه؟

بعد أن نقل الدكتور حميد فرزام المطلب أعلاه عن سماحة الشيخ، قال: كان الشيخ يستعين أحياناً بأمثال بسيطة ولطيفة أحياناً من أجل إيضاح مطالب عرفانية رفيعة، ويقول مثلاً:

«طرق عاشق باب معشوقته فسألته: أتريد خبزاً؟

قال: لا.

قالت: أتريدُ ماء؟

قال: لا.

قالت: فماذا تريد إذاً؟

قال: أريدُكِ أنتِ.

أيها الرفاق، المرء يجب أن يحبّ صاحب الدار ماءه ورزّه، وكما قال الشاعر سعدي الشيرازي:

إذا كنت تنظر لإحسان حبيبك
فأنت متعلّق بذاتك لا بالحبيب

كان يقرأ هذا الشعر لنا ويقول:

«يجب أن تطلبوا الله وحده، وكلّ عمل تعملونه يجب أن يكون في سبيله. كونوا عشّاقاً له، ولا يكن هدفكم الثواب في عبادتكم له».

وكان يقول لي أحياناً بصوت جميل:

«اعمل كيف تظفر بالزلفى هناك».

وكثيراً ما كان يستشهد بأشعار تناسب المقام، وخاصّة من أشعار حافظ الشيرازي، وكان وقعها مؤثراً في نفوس السامعين، نذكر منها البيت التالي على سبيل المثال:

إن أردت أن لا يقطع المعشوق وصالك

فتمسّك بطرف حبله كي تحفظ

استغث بنداء من لا ناصر له!

كان سماحة الشيخ يقول:

«إذا وفّقت للتضرّع إلى الله في الليالي، فاستغث بنداء من لا ناصر له وقل: إلهي! لا قدرة لي على محاربة نفسي الأمّارة، وإنّها قد اثّاقلت إلى الأرض، فأغثني وخلصني من شر نفسي الأمّارة، واجعل واسطتك أهل البيت عليهم السلام».

وكان يقرأ هذه الآية:

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾(١).

فلسفة التوسّل بأهل البيت عليهم السلام

كان سماحة الشيخ يقول:

«أغلب الناس لا يعرفون سبب التوسّل بأهل البيت عليهم السلام، ولذلك فهم يتوسّلون بهم من أجل مشاكلهم المعاشية. بينما يجب علينا أن نقصد منازل أهل البيت عليهم السلام في سبيل طَي مراحل التوحيد ومعرفة الله؛ فطريق التوحيد طريق وعر والإنسان غير قادر على السير فيه بلا مصباح ولا دليل».

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

زيارة عاشوراء

إحدى النقاط الّتي كان سماحة الشيخ يؤكّد أهميتها في التوسّل بأهل البيت عليهم السلام هي زيارة عاشوراء، وكان يقول في هذا المعنى:

«أوصوني في عالم المعنى بقراءة زيارة عاشوراء».

وكان هو يوصي الآخرين:

«لا تتركوا زيارة عاشوراء ما دمتم أحياء».

وقد واصل أحد تلاميذ الشيخ قراءة زيارة عاشوراء أربعين سنة امتثالاً لهذه الوصية.

شروط استجابة الدعاء

أحد الشروط المهمة في استجابة الدعاء هو الطعام الحلال؛ فقد جاء شخص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسأله: ماذا أفعل حتّى يكون دعائي مستجاباً؟ فقال له:

«طهّر مأكلك، ولا تُدخل بطنك الحرام»[1].

---

(١) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٦٥٨، الباب ٥٥٩٩.

صلاة أولياء الله

توجد ضمن توجيهات سماحة الشيخ بشأن الصلاة أربع نقاط أساسية مستقاة من النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، وهي:

العشق:

كان سماحة الشيخ يعتقد مثلما أن العاشق يلتذُّ من الحديث مع معشوقه، كذلك المصلّي يجب أن يستشعر اللذة بالمناجاة مع ربّه؛ فهو نفسه كان على هذه الشاكلة، وكذلك الحال بالنسبة لسائر الأولياء.

وصف رسول الله ﷺ لذته في الصلاة على النحو التالي:

«جعل الله ـ جلَّ ثناؤه ـ قرّة عيني في الصلاة، وحبَّب إليَّ الصلاة كما حَبّب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء. وأنّ الجائع إذا أكل شبع، وأنّ الظمآن إذا شرِبَ رَوِيَ، وأنا لا أشبع من الصلاة»(١).

قال أحد تلاميذ الشيخ ـ وكان قد رافقه حوالي ثلاثين سنة ـ: يشهد الله أنني كنت أراه في الصلاة وكأنه عاشق يكلّم معشوقه وهو ذائب في جماله. وقد رأيت في حياتي ثلاثة أشخاص كان لهم في الصلاة وضع خاص يسترعي الانتباه، وهم: المرحوم الشيخ رجب علي الخيّاط، وآية الله

(١) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٣٠٩٢، الباب ٢٢٦٦، الحديث ١٠٥٣٥.

الكوهستاني، والشيخ حبيب الله الگلبايگاني في مشهد، فهؤلاء الثلاثة كانوا أعجوبة، فحينما يقفون للصلاة كنت أشاهد بالبصيرة الإلٰهية أنّ الجو أصبح على نحو آخر، وأنهم لا يلتفتون في أثناء الصلاة إلى ما سوى الله.

الأدب:

التأدّب بين يدي الله في أثناء الصلاة من الأمور الّتي يعيرها الإسلام أهمية كبرى؛ فقد قال الإمام السجّاد عليه السلام في هذا المضمار:

«وحقُّ الصلاة، أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عزّ وجلّ، وأنّك فيها قائم بين يدي الله عزّ وجلّ؛ فإذا علمت ذلك قمت مقام الذليل الحقير، الراغب الراهب، الراجي الخائف، المستكين المتضرّع، والمعظّم لما كان بين يديه بالسكون والوقار، وتُقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها»[1].

وقال سماحة الشيخ عن أدب المثول بين يدي الله عزّ وجلّ:

«الشيطان يراود الإنسان على الدوام، يجب عليك أن تلتفت إلى عدم قطع التوجّه إلى الله، وكُن في الصلاة مؤدّباً، ويجب أن تقف في حالة استعداد أمام شخصية كبيرة، فلا تتحرّك حتّى وإن وخزوك بإبرة»!

هذا الكلام قاله سماحة الشيخ لولده في جوابه عن سؤال طرحه على أبيه وهو: لماذا تبتسم أحياناً أثناء الصلاة؟ وقال ابن الشيخ: أظن أنه كان يتبجّح على الشيطان، ويقول له: لن تقوى عليَّ!

كان الشيخ يعتقد أنّ أية حركة مخالفة للأدب بين يدي الله تُعزى إلى وسوسة الشيطان، وكان يقول في ذلك:

«رأيت الشيطان يُقبّل الموضع الذي يحكه المصلّي أثناء صلاته»!!

(١) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٣١٢٤، الباب ٢٢٩٩، الحديث ١٠٦٦٩.

حضور القلب:

باطن الصلاة هو ذكر الله، وحضور قلب المصلّي عن صدق بين يدي الحق تعالى. ومن هنا فقد قال رسول الله ﷺ:

«لا يقبل الله صلاة عبد لا يَحضرُ قلبُهُ مع بدنه»[(١)].

وانطلاقاً من هذا الحديث كان سماحته يسعى إلى تهيئة المصلين أن يصلوا بحضور القلب. وكانت صلاته أنموذجاً لحضور القلب.

قال الدكتور حميد فرزام في هذا المجال: كان يؤدي صلاته بطمأنينة وأدب.

وكنت أحياناً عندما أصل متأخّراً وأرى حالته أثناء الصلاة ـ عندما أمرُّ من أمامه ـ أراه يرتجف كأنه سعفة تهزّها الرياح، وكان يعتلي وجهه النور أثناء الصلاة، فمشاعره وحواسّه متركّزة كلها على الصلاة، وهو مهطع رأسه.

واستنباطي من ذلك هو أن سماحة الشيخ لا يُوجد في قلبه شكٌّ ولو بمقدار رأس إبرة.

وقال واحد آخر من تلاميذه: كان يقول لي أحياناً:

«يا فلان، أتدري ما تقول في الركوع والسجود؟

وحينما تقول في التشهد: «أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له» هل تقول ذلك عن صدق؟

ألا توجد لديك أهواء نفسية؟! ألا تهتم بغير الله؟! ألا تُعنى بـ ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾[(٢)].

---

(١) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٣١١٦، الباب ٢٢٩٠، الحديث ١٠٦٣٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

المحافظة على الصلاة في أول الوقت:

أكَّدت الأحاديث كثيراً أهمية أداء الصلاة في أوّل وقتها؛ فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«فضلُ الوقتِ الأولِ على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا»[1].

كان سماحة الشيخ ملتزماً بأداء الفروض الخمسة في أول وقتها وكان يوصي الآخرين بذلك أيضاً.

---

(١) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٣١٣٠، الباب ٢٣٠٢، الحديث ١٠٦٨٥.

حج أولياء الله

لم تتوفر للشيخ الاستطاعة المالية لأداء فريضة الحج أبداً؛ فهو لم يذهب إلى زيارة بيت الله الحرام، إلاّ أن توجيهاته لبعض الحجاج تظهر أنه كان على اطلاع دقيق بأسرار حج أولياء الله؛ فهو كان يعتقد أن الحج الحقيقي والكامل يتحقق عندما يكون الحاج عاشقاً لصاحب البيت، ليستطيع إدراك المقاصد الحقيقية لمناسك الحج. ومن هنا فقد ردّ على اقتراح عرضه عليه أحد الأشخاص بالذهاب إلى الحج سويّة، قائلاً:

«اذهب وتعلّم العشق ثم تعال لنذهب إلى مكّة»!

توجيهات الشيخ للحجّاج

١ـ السعي لزيارة الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه:

نقل أحد المحبّين القدماء لسماحة الشيخ قائلاً: قصدت سماحة الشيخ قبل أن أسافر إلى مكّة المكرمة ـ وهو أوّل سفر لي ـ وطلبت منه بعض التوجيهات فقال:

«اِقرأ ابتداءً من أوّل يوم سفرك إلى مدة أربعين يوماً[1] الآية الشريفة:

(١) هذا في وقت كان فيه سفر الحج عن طريق البرّ يستغرق أكثر من هذه المدّة. (المترجم).

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾[1].

لعلّك تستطيع رؤية صاحب الزمان ـ عجل الله تعالى فرجه».

ثم أضاف:

«كيف يمكن أن يُدعى أحد لزيارة بيتٍ ولا يرى صاحب البيت! لينصبَّ كل اهتمامك وتفكيرك على أنَّك ستزور إن شاء الله ذلك الوجود المبارك في إحدى مراحل الحج».

٢ـ تحريم محبة غير الله في الإحرام:

«الشخص الذي يحرم في الميقات يجب عليه أن يعلم أنّه إنّما جاء إلى هنا ليحرِّم على نفسه ما سوى الله، وأنّه قد قبل دعوة الله منذ اللحظة التي لبّى فيها وحرّم على نفسه كل ما سواه، ومحبّة غير الله محرّمة عليه، ويجب عليه أنّ لا يفكّر بغير الله حتى آخر لحظة من حياته»!

٣ـ محورية الباريء عزّ وجلّ في الطواف

«الطواف حول الكعبة يبدو في ظاهره أنّه طواف حول البيت، ولكن اعلم أنّ المراد من هذا الطواف اتخاذ الله محوراً للحياة والفناء فيه.

اشعر وكأنّك تطوف حوله، واجعل نفسك فداء له، وافعل ما يجعل البيت في الحقيقة يطوف حولك»![2].

٤ـ الدعاء تحت ميزاب الذهب

«قُل في حِجر إسماعيل وتحت ميزاب الذهب حيث يطلب الحُجّاج

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

(٢) انظر موضوع: «الإحسان إلى معيل عاطل...».

من الله حلّ مشاكلهم: اللّهُمّ ربّني لعبادتك ولنصرة وليّك الحجة ابن الحسن ـ عجل الله تعالى فرجه ـ».

٥ـ قتل النفس الأمّارة في مِنى

«عندما تذهب إلى مِنى ماذا تفعل عند المنحر؟ هل تعلم ما هي فلسفة النحر والتضحية؟ إنّك في الواقع يجب أن تضحّي بنفسك الأمّارة: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾(١)، اذبح نفسك هناك وعُد، وحرّر ذاتك من مخالبها، يجب أن لا تكون نفسك، عندما تعود، أقوى ممّا كانت عليه من قبل»!

الموضع الوحيد الذي حظيت فيه بالمحبّة!

وبعد رجوعي من الحج ذهبتُ إلى الشيخ وسألته: أود أن أعرف هل حصلتُ من حجّي هذا نتيجة أم لا؟

قال: «طأطىء رأسك واقرأ سورة الحمد مرة واحدة».

ثم إنّه تأمّل لحظة وأخذ يصف لي معالم المسجد الحرام، والموضع الذي كنت أقفُ فيه إلى أن قال:

«الموضع الوحيد الذي حظيت فيه بالمحبّة هو مقبرة البقيع التي كانت لك فيها مثل هذه المشاعر ودَعوتَ بمثل هذه الأدعية».

لقد كان ما طلبته من الله هناك مكشوفاً لدى الشيخ.

وليمة الحج:

وعند عودتي من الحج دعوت الشيخ وجماعة آخرين لوليمة طعام أقمتها في داري بمناسبة عودتي من الحج. وأعددنا مائدة خاصّة تحتوي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

على «چلوكباب» لسماحة الشيخ وعدد آخر من خواصّ الأصدقاء في الطابق الأعلى ـ الشرفة ـ ولمّا عرف الشيخ ذلك، ناداني وقال:

«لماذا هذا التفاخر؟ لا تتكبر! ولا تفرّق بين الناس، إن كان عملك هذا لله، انظر للجميع بعين المساواة، ولماذا تميّز جماعة على جماعة أخرى؟! أمّا بالنسبة لي فأنا أختلط مع الآخرين، وأنت يجب أن لا تميّز بين الناس»!

وفاة الشيخ رجب علي الخيّاط

ارتحل ذلك الوجود المليء بالبركة من آفاق هذا العالم في ١٣٨١هـ.ق (المصادف للثاني والعشرين من شهر يور عام ١٣٤٠هـ.ش) بعد عمر قضاه في بناء ذاته وتهذيب ا لنفوس. وقصّة عروج روحه النورانية إلى الملأ الأعلى حريّة بالسماع أيضاً.

يوم قبل وفاته

وصف ابن الشيخ حال والده قبل يوم من وفاته على النحو التالي:

كان والدي قبل يوم من وفاته سالماً، ولم تكن والدتي في البيت، وكنت وحدي في البيت. وعند العصر جاء أبي وتوضّأ، فناداني وقال لي:

«أشعر بنحول في جسدي، إذا جاء هذا الشخص ليأخذ ثوبه، فإنَّ القصّاصات موجودة في جيبه، ويعطيك ثلاثين توماناً أجرة الخياطة.

ولم يكن أبي سابقاً يخبرني أنّ شخصاً إذا جاء كم تكون أجرة العمل، ولم أعرف لماذا.

رؤيا أحد تلاميذ الشيخ

تنبّأ أحد تلاميذ الشيخ بوفاة الشيخ في رؤيا صادقة شاهدها في الليلة التي سبقت وفاته، وهي على النحو التالي:

رأيت في عالم الرؤيا في الليلة التي توفّي الشيخ في غدها، وكأنّ أبواب الدكاكين الواقعة في الجانب الغربي لمسجد قزوين تغلق، فسألت: ما الخبر؟ فقيل لي: رحل الشيخ رجب علي الخيّاط من الدنيا. فاستيقظت من النوم فزعاً. وكانت الساعة الثالثة من منتصف الليل؛ فعلمت أنّ ما رأيته في المنام رؤيا صادقة. وبعد آذان الصبح صلّيت وتوجّهتُ إلى دار السيّد «راد منش» على وجه السرعة؛ فسألني باستغراب عن سبب مجيئي في هذا الوقت المبكّر، فحدّثته برؤياي.

كانت الساعة الخامسة صباحاً وكان الجو لا يزال معتماً، فتوجهنا إلى دار الشيخ، وفتح الشيخ الباب فدخلنا وجلسنا، وجلس الشيخ أيضاً وقال:

«أين كنتم في هذا الصباح الباكر»؟

لم أحدّثه برؤياي، فاضطجع الشيخ على جانبه ووضع يده تحت رأسه وقال:

«تكلّموا... اقرؤوا شعراً...!

فقرأ أحدنا:

لا يوم أجمل من أيّام العشق
فصباح العُشاق لا ليل له

* * *

الأوقات الجميلة ما قُضي مع الحبيب
والباقي كله عبث لا طائل فيه

الشيخ على فراش الوفاة

لم تمض إلاّ ساعة حتى رأيت حالة الشيخ قد تغيّرت، فاستأذنت منه

لآتيه بطبيب. كنت موقناً بأنّه سيرحل عن الدنيا في هذا اليوم، فقال لي: «الأمر لك».

كتب الدكتور... وصفة، فذهبت وجئت بالدواء، وعندما رجعت وجدتهم قد نقلوا الشيخ إلى غرفة أخرى، وكان جالساً باتجاه القبلة، وعلى رجليه ملاءة بيضاء كان يلمسها بالسبابة والإبهام.

أخذتُ أدقّق النظر لأرى كيف يفارق الرجل الإلٰهي الدنيا، وفجأة حصلت له حالة وكأن أحداً يهمس في أذنه، فقال:

«إن شاء الله».

ثمَّ قال:

«أي يوم من أيام الأسبوع اليوم؟ هاتوا لي دعاء اليوم».

قرأت دعاء ذلك اليوم، فقال الشيخ:

«ناوله للسيّد أحمد ليقرأه أيضاً».

فقرأ، ثم قال الشيخ:

«اِرفعوا أيديكم إلى السماء وقولوا: يا كريم العفو، يا عظيم العفو، العفو، اللّهُمّ اعفُ عني».

نظرتُ إلى صديقي وقلت: سأذهب لإحضار السيّد سُهيلي؛ لأنّه يبدو لي وكأن رؤياي صادقة، وأنه على وشك الرحيل، فذهبت.

مرحباً يا سيّدي العزيز

اسمعوا تكملة هذه القصة من لسان نجل الشيخ: ...رأيت غرفة والدي مزدحمة، فقالوا: إنّ حالة سماحة الشيخ قد اضطربت، فدخلت إلى الغرفة مباشرة ورأيت والدي جالساً باتجاه القبلة ـ بعد أنّ كان قد

توضّأ قبل لحظات ودخل إلى الغرفة ـ وفجأة نهض وجلس، وقال مبتسماً: « مرحباً يا سيّدي العزيز».

ومد يده، ثم تمدّد وقضى نحبه، والبسمة على شفتيه!

الليلة الأولى في القبر

قال شخص آخر من أصدقائه: رأيت في عالم الرؤيا وكأنّني ذهبت إلى الشيخ في ليلة القبر الأولى، ورأيته في منزلة عظيمةمنَّ بها عليه أمير المؤمنين عليه السلام، فدنوت منه، ولمّا رآني ألقى عليَّ نظرة لطيفة ـ وكأنّه أب يعظ ولده وهو لا يلتفت إليه ـ وتذكرتُ من خلال نظراته أنّه كان يقول على الدوام:

«لا تطلبوا غير الله، ولكننا نبقى مكبّلين في أغلال أهوائنا النفسية».

اقتربت منه، فقال جملتين:

الأولى: «نهج الحياة هو الأنس بالله وبأولياء الله»[1].

الثانية: «لقد خلد من آثرت زوجته بثوبها في ليلة الزفاف في سبيل الله«.

والسلام عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم يُبعث حياً.

---

(١) ورد في الدعاء الحادي والعشرين من الصحيفة السجادية: «وهبْ لي الأُنسَ بكَ وبأوليائكَ وأهلِ طاعتكَ».

نبذة من حياة
العارف البيدآبادي

نبذة من حياة العارف البيدآبادي

حياته:

ولد الفقيه العارف البيد آبادي في عائلة علمائية، فوالده الملاّ محمد رفيع الگيلاني كان من علماء گيلان وفضلائها من أهل الورع والاجتهاد، هاجر من گيلان إلى أصفهان عاصمة الدولة الصفوية آنذاك التي كانت تحتضن أكبر الحوزات العلمية ويتواجد فيها أعداد غفيرة من العلماء والمدارس الدينية، وبقي فيها إلى أن توفي ودُفن في مقبرة تخت فولاد، وعاش البيد آبادي في أصفهان أيضاً إلى أن توفي فيها ودفن قرب والده.

تربّى العارف البيد أربادي في أحضان مثل هذا الأب وفي الأجواء الدينية والعلمية في حوزة أصفهان بحضوره عند أكابر علمائها وحكمائها وعرفائها. فقد كان أبرز تلاميذ الملاّ عبد الله الحكيم المتوفى ١١٦٢هـ في الحكمة، وتتلمذ عند الميرزا محمد تقي الألماسي المتوفى ١١٥٩هـ في علم الرجال والدراية وفقه الحديث، كما حضر عند الفقيه المتكلّم الملاّ إسماعيل الخواجوئي المتوفى ١١٧٣هـ.

وتلقّى التربية الروحية والأخلاقية عند السيّد قطب الدين النيريزي الشيرازي المتوفى ١١٧٣هـ الذي انتهت إليه قطبية الطريقة الذهبية، وكان

من العلماء والعرفاء المشهورين في عصره، وذكره صاحب «طرائق الحقائق» بقوله: «وبعد تنقلّه في أكثر بلاد إيران توقف مدة في النجف الأشرف ودرّس فيها كتاب الفتوحات المكية، وانتفع منه جمع من العلماء كالسيّد محمد مهدي الطباطبائي بحر العلوم والمولى محراب الگيلاني والشيخ جعفر كاشف الغطاء»[1].

وعلى كل حال فقد ذُكر في التراجم بأن البيد آبادي قد تتلمذ مدة من الزمن على يد النيريزي، ولكن لم نعثر على نص في آثار البيد آبادي يشير إلى تتلمذه عنده أو تأثّره به أو على الأقل على حضوره عنده، بل هناك نص في رسالته في السير والسلوك الآتي ذكرها يدلل على خلاف ذلك، قال: «وقد سعىٰ هذا الضعيف مراراً للوصول إلى خدمة جمع ممّن ظهر على جبينهم القرب إلى الله تعالى وطلب المدد والمعونة منهم، ولكن اطّلاعهم على الأحوال كان سبباً للبعد. وهذه الجماعة اليوم مفقودة وإن كانت هذه الجماعة سبباً لوجود السموات والأرض، ولكن وبموجب «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري» فهم مستورون، وما لم يكن الإنسان مثلهم فإنّه لا يستطيع معرفتهم».

ومع مرور الأيام أصبحت حوزة درس البيد آبادي هي أكبر وأهم الحوزات في أصفهان، وكانت لحياته الفقيرة البسيطة وتواضعه الشديد سبباً لاستقطاب الناس حوله ورجوعهم إليه في مختلف شؤون حياتهم الدينية، فقد ذكر صاحب معارف الرجال: «كان البيد آبادي يتناول اللحم مرّة واحدة في كل شهر، وكان لداره في محلة بيد آباد باب صغير وقصير، فأقترح عليه أن يغيّر باب داره ووضع باب كبيرة بدلها، فقال: سيأتي من

---

(١) طرائق الحقائق: ٢١٧.

بعدي من يسكن هذه الدار ويغيّر بابها. وتعجّب الحاضرون من جوابه، ولم يمض وقت طويل حتى سكن حجة الإسلام الشفتي هذه الدار وغيّر بابها»[1].

وكان البيد آبادي يؤمّن رزقه في حياته المعاشية بخياطة الأزرار، وكان مع علوّ منزلته يشتري حاجيات منزله ويحملها بنفسه على خلاف ما عليه سيرة العلماء آنذاك. كما واسىٰ الفقراء في جميع ما يملكه أيام القحط العام الذي مرّ على أصفهان أبان الاحتلال الأفغاني لإيران وبقي مدة ستة أشهر كاملة يتقوّت مع عائلته على الجزر فقط، فاقتدىٰ بعمله هذا جمع من أثرياء أصفهان وآثروا أموالهم الفقراء ونجت أصفهان من محنة الجوع والقحط الذي اجتاح المدن الأخرى عامّة.

كما كان ماهراً في ما يُعرف آنذاك بصناعة الكيمياء وهو صناعة الذهب الخالص من تصفية معدنه بنحو كانوا يأخذون ربع مثقال مما يصنعه من الذهب ويخلطونه بثلاثة أرباع مثقال من الذهب المغشوش ويستخرجون منه مثقالاً خالصاً من الذهب، كما ذكر ذلك في روضات الجنات.

ذكر المؤرّخ الإيراني محمد هاشم آصف الملقّب برستم الحكماء الذي كان حياً في القرن الثالث عشر الهجري في كتابه، قال:

«ليعلم أولو الألباب بأن عالي الجناب، مقدّس الألقاب، كروبي الآداب، الملاّ محمد المازندراني الساكن بيد آباد أصفهان ولد في مازندران واستوطن أصفهان كان صاحب الإكسير الأعظم وعالم الكيمياء المعظم.

---

(١) معارف الرجال ترجمة روضات الجنات (فارسي) ٤ : ٤٠٥ وقد أضاف المترجم الشيخ محمد باقر الساعدي تعليقات وحواشٍ مهمة إلى الكتاب.

وكان يرتاد غرفته المتواضعة المفروشة بالحصران وعلى أطرافها جلود الأغنام كثير من أرباب العلم، وجلس فيها بين يديه كثير من الأعزّة والأشراف والأعيان وأكابر الزمان، وكان من جملتهم الوكيل الثاني لدولة إيران علي مراد خان زند الذي جاء بكل تواضع وتعظيم، تلك الذات المقدسة والسلطان صاحب الجاه العظيم جلس مع سائر الفقراء الذين كانوا حاضرين هناك.

وقد وهب السلطان مبلغ سبعة آلاف تومان نقد من ماله الخالص الحلال الحاصل له من الزراعة، والذي يعادل في ذلك الزمان قيمة ثمانية وعشرين ألف حمولة حمار من الغلّة، وطلب منه تقسيمها بين الفقراء والمستحّقين، فأجابه على وجه الاستغناء بأنّي لا أعرف مستحقّاً والذي يعرف المستحقين هو الله سبحانه، وزّع هذه الأموال بين الرعية بنفسك. فقال: إني قد شاركت الرعية في زراعتهم وأخذت حصتي بما يوافق العدل والقسط، وقد أخذ كل منّا حصته. فأجابه: إذا كان الأمر كما تقول أيها العبد الذي سلّطك الله تعالى فإني سأجد الفقراء والمستحقين بشكل تدريجي وأرسلهم إليك وأنت أعطهم من هذه الأموال بيدك كما أكتب إليك فإنّه أوفق بما ورد من الأحاديث الصحيحة القائلة بأنّ إنفاقك دينار واحد من مالك أفضل من إذنك لوكيلك بإنفاق ألف دينار.

وكان المرحوم الآقا محمد البيد آبادي المذكور يأتي بنفسه النفيسة إلى دكان الخباز والبقال والقصاب والعلاّف والعصار وبائع الخضروات ويشتري ما يحتاجه له ولعياله ويحمله على كتفه ويضعه في ثوبه ويوصله إلى بيته ولا يقبل إعانة من أحد على ذلك.

وكانت ثيابه وبساطه من المتاع الرخيص، وكان يرتزق بخياطة

الأزرار، وكان خطّاطاً، وكان له عدّة آلات يدوية لحياكة الشعر، ويشتغل أيضاً بالزراعة بنحو محدود»[1].

وكان للعارف البيد آبادي حوزات درسية متعددة في الأصول والفقه والفلسفة والعرفان والتفسير. فقد كانت له حوزة مهمة في الفقه ويتمتع بمقام شامخ في هذا العلم، وكان يلتزم عملاً بما كان يستنبطه من أحكام شرعية، فمثلاً كان يرى وجوب إقامة صلاة الجمعة في عصر الغيبة، وبما أنّ هذه الصلاة كانت تقام في أصفهان فقد كان يذهب إلى إحدى القرى المجاورة ويقيم فيها صلاة الجمعة. وهذه المسألة يمكن النظر إليها من زوايا مختلفة فقد كان بإمكانه الحضور في الصلاة التي تقام هناك لإسقاط الوجوب مع توفر شرائطه، فإنه ربما كان عمله هذا نشاطاً تبليغياً بنحو يلتزم أهالي هذه القرية ويرشدهم ويعلّمهم مرة في كل أسبوع ولا يستنكف عن القيام بمثل هذا العمل الذي لا يقدم عليه العلماء الكبار الذي كان البيد آبادي أستاذاً لهم، إضافة إلى مهماته الرئيسية في التدريس في الحوزات العلمية في أصفهان على أرفع مستوى كان معروفاً آنذاك وخاصة تدريس كتب الحكمة الإلٰهية وهداية وإرشاد أهل السير والسلوك، وإضافة إلى ما كان يلتزم به من مناهج وأعمال عبادية استمراراً في تزكية نفسه وتهذيبها.

وكان له تأثير عجيب في مسألة تزكية الباطن وتهذيب الأخلاق على طلابه ومريديه، واستطاع أن يدفعهم إلى درجات راقية في العلم والعمل فاستقطب بذلك أبرز العلماء والفضلاء إلى مجلس درسه.

---

(١) رستم التواريخ: ٤٠٥ ـ ٤٠٨.

تلاميذ البيد آبادي:

لقد كان الملاّ علي النوري هو أفضل طلاب البيد آبادي في الحكمة الإلٰهية، كما تتلمذ على يديه ثلّة من الأعاظم كالملاّ محراب الگيلاني وأبو القاسم المدرس الخاتون آبادي والسيّد إسماعيل بن سيد مرتضى الجزائري والسيّد علي مير محمد الصادقي والميرزا محمد مهدي الشهيدي والسيّد صدر الدين محمد الدزفولي والملاّ عبد الكريم إشراق القايني والملاّ نظر علي الگيلاني والميرزا عبد الجواد الشيرازي والحاج محمد إبراهيم الكرباسي والملاّ محمد مهدي النراقي والسيّد محمد تقي مستجاب الدعوة والميرزا محمد علي ميرزا مظفر الأصفهاني.

وإضافة إلى هؤلاء فإن السيّد حسين القزويني الذي كان من كبار العلماء والفقهاء وكذلك الميرزا القمي صاحب قوانين الأصول قد اقتصرا على أخذ برامج العمل من البيد آبادي ولم يحضرا مجلس درسه.

وأمّا الميرزا محمد علي بن ميرزا مظفر الأصفهاني فقد نقل صدوقي سُها في كتابه عن صاحب كتاب «مرآة الحق» قوله: «المولى محمد علي مظفر الأصفهاني تلميذ الزاهد المحقق الآقا محمد البيد آبادي وأستاذ الميرزا محمد جعفر مجذوب علي كبوتر الآهنگي وكان عارفاً حكيماً متكلّماً كثير العبادة والرياضة. وكان من أرشد وأعلم وأورع تلامذة الآقا محمد البيد آبادي، وكان ماهراً في العلوم الإلهية وأستاذاً مرموقاً في أقسام الحكمة وخاصة الإلهيات، وتتلمذ على يديه الأكابر مثل مجذوب علي شاه والحاج الكرباسي، ويعتقد بعض المحققين أن تدريس كتب العرفان كشرح فصوص الحكم وشرح حكمة الإشراق قد أخذها الميرزا محمد علي مظفر من الآقا محمد البيد آبادي، وكان واسطة أيضاً بوصول العرفان إلى الملا محمد جعفر الآبادي والسيّد رضا المازندراني والآقا محمد رضا

القمشه اي. وأخيراً توفي هذا العارف الكامل والحكيم الإلٰهي قبيل ساعة من غروب شمس يوم الثلاثاء الثالث عشر من شوال المكرم سنة ١١٩٨ هجري» (أي بعد تسعة أشهر من وفاة أستاذه البيد آبادي).

وبرز اثنان من تلاميذ البيد آبادي في استلهام التوجّه العرفاني ـ الفلسفي واتّباع طريقة أستاذهم في السلوك وتولّى أمر الإرشاد والهداية من بعده وهما: السيد صدر الدين الدزفولي والملا عبد الكريم إشراق القايني.

أمّا الأول فسنذكر حياته بقليل من التفصيل لأنّه كان حلقة الوصل بين سلسلة عرفاء النجف الأشرف وبين العارف البيد آبادي.

وأما الملاّ عبد الكريم البيرجندي القايني المعروف بإشراق فقد كان من حكماء وعرفاء القرن الثالث عشر الهجري ذكره المؤرخ الإيراني بهارستان في كتابه تاريخ قهستان، قال: «أمضىٰ إشراق سنوات من عمره في أصفهان، وكان من تلاميذ صدر الحكماء والمتألهين، أفضل المتأخرين الآقا محمد البيد آبادي قدّس سره. وكان ذو ذوق عرفاني ومشرب فلسفي. وبعد رجوعه إلى بيرجند سافر إلى كابل ثم إلى الهند، وفي كابل التفت إلى علمه وعلوّ منزلته ملك الأفغان تيمور شاه وكانت له مكاتبات مع أدباء الأفغان وإيران، رتّبها في دفاتر، ويوجد عندي دفتر يحتوي على مراسلاته مع الآقا محمد البيد آبادي والآخوند ملاّ حمزة والميرزا جعفر الأصفهاني المتخلّص باسير والملاّ إسماعيل المتخلّص بمنزوي وأشخاص آخرين ويحتوي رباعيات في مدح الآقا محمد البيد آبادي. توفي إشراق في سنة ١٢٢٩ هجري»[١].

---

(١) شرح رسالة سير وسلوك بيد آبادي: ١٤ ـ ١٥.

مؤلفات البيد آبادي:

لم تكن الكتابة من طرق البيد آبادي، في بث أفكاره وآراءه وما تركه من آثار في المعارف الإسلامية المختلفة كانت حواشي أو تعليقات على ما كتبه العلماء السابقون أو رسائل متبادلة بينه وبين تلامذته وعلماء عصره.

وهذه الآثار هي:

١ـ تفسير القرآن الكريم إلى سورة الكهف، مخطوط في مكتبة جامعة طهران.

٢ـ رسالة «حسن ودل» فارسية (مطبوعة).

٣ـ رسالة في السير والسلوك، جواب لطلب السيد حسين القزويني (مطبوعة).

٤ـ رسالة في التخلية والتحلية وآداب السلوك.

٥ـ رسالة في السير والسلوك، جواب لطلب الميرز القمي (مطبوعة).

٦ـ حواشي وتعليقات كثيرة على كتب الحكماء والعلماء، منها: حاشية على الأسفار ينقل عنها الملاّ علي النوري وتلميذه الملاّ عبد الله الزنوزي.

برنامج عمل نقله العلّامة النراقي عن اليبد آبادي في كيفية تصفية القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل البدء بالأربعين ينبغي المداومة على قول: «الله خاطري الله ناظري» وأداء النوافل بخشوع كامل. ثم يبدأ بالأربعين فيحترز عن كل ما هو حيواني، ويأتي بالنوافل بخشوع تام، ويكرر بين نافلة الليل ونافلة الشفع ثلاثمائة وستين مرة «يا حيّ يا قيّوم»، ويقول كلّما انقطع نفسه: «برحمتك أستغيث اللّهم أحيي قلبي»، ثم يستمر على ذكره السابق، وهكذا إلى أن ينتهي العدد ويتم نافلة الليل ويستمرّ على هذا العمل أربعين يوماً.

وبعد إتمام الأربعين يواظب على قراءة آية النور وكلّما وصل إلى كلمة نور من الأنوار الخمسة المذكورة في الآية توسّل بباطنه بواحد من الخمسة أصحاب الكساء (محمد، علي، فاطمة، الحسن، الحسين)[1]

وية النور هي: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ

(١) الخزائن: ٣٨٩.

ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[1].

(1) سورة النور، الآية: ٣٥.

رسالة السير والسلوك
مجاهدة النفس وشرائطها ولوازمها
محمد البيد آبادي

بسم الله الرحمن الرحيم

بما أنّ الإيمان مبنيّ على الرياضة والمجاهدة كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾[1]. ولا شك أنّ المراد بالجهاد هنا هو الجهاد الأكبر الذي هو سبب الهداية إلى الطريق الإلٰهي. وهذه الآية مع هذا الاختصار تتضمّن معانٍ كثيرة:

الأولى: المجاهدة هو ضرب النفس بالسيف. فالنفس هي أعدى الأعداء؛ لإلفتها للمشتهيات الجسمانية والجامعة لجميع الشهوات والغضب، كما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠﴾[2].

وبما أنّ الشهوة من الهوى، فالغضب أيضاً من الهوى. وإذا أراد إنسان جهاد شهواته النفسانية فإنّ مشقته ستكون عظيمة، وهو مغلوب دائماً. فلا بدّ من باب الاضطرار من الجوع لتضعف بعض قواه وتسهل

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦.

(٢) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.

عليه المجاهدة. والجوع أيضاً يفوّت على الإنسان قوّة العبادة والأذكار، فلا بدّ من تقليل الطعام شيئاً فشيئاً لتقلّ قوة الجسم فتقلّ بذلك رغباته وتكون المجاهدة عليه أيسر.

والأخرى: إلفة المعاشرة، فهي جالسة له دائماً تمنعه من المجاهدة، فإن أصل المعاشرة مانع.

والأخرى: إلفة الكلام، ورفع ذلك بالصمت، ورفع الصمت بإلفة الذكر والفكر.

من الموانع الأخرى: إلفة النوم، ورفع ذلك بالجوع فإنّه يقلّل من النوم.

والجامع لكل ما تقدم هو مخالفة كل ما تريده النفس أولاً ثم الاشتغال بالذكر الإلٰهي.

وينبغي أن يكون الغرض في جميع ذلك هو التقرّب إلى الله تعالى، كما يدل على ذلك لفظ «فينا» في الآية الشريفة المتقدّمة. أي أنّ مجاهدة النفس والشيطان من جهتنا هي قرب في الله تعالى، والقرب في الله بعد القرب لله، لأنّ المراد بالقرب لله هو الرضا الإلٰهي، والرضا في القرب في الله هو في ضمن الارتباط والسير إلى الله.

ويظهر من لفظ «جاهدوا» مطلق القرب، ومن لفظ «فينا» هذا النوع من القرب. ومقصوده أن تكون جميع المجاهدات، سواء في ترك ما نُهي عنه أو في فعل ما أمر به، هو الربط بذات الله تعالى وصفاته والتخلّق بأخلاقه، ولا يحصل ذلك في ضمن الأكل والشرب والجماع، بخلاف القرب لله فهو جامع.

وتصحيح النية هو من أعظم المجاهدات، وطريق ذلك هو أنّ هدف هذا الموضوع هو أعظم وأكمل من الموضوعات الأخرى، وكمال العبد

اتّصافه بصفات الباري تعالى ليصل ـ وفقاً لما ورد في الأخبار الصحيحة ـ فيكون كلامه كلام الله وسمعه سمع الله كما ورد في الحديث: «**بي يسمع، وبي ينطق، وبي يبصر، بي يمشي**»[1].

ولا يمكن تصوّر هذه الدرجة تصوّراً صحيحاً في البدء، نعم يمكن أن يتصوّر الإنسان ابتداءً أنّ جميع أعماله أعماله خالصة مع أنه إذا طلب الإخلاص في صلاته لم يستطع مهما سعىٰ في ذلك، لأنّه عند التأمل يرى أنّ مراد نفسه هو المطلوب إما طلباً للرئاسة أو للخلاص من جهنم أو للوصول إلى الجنّة، في حين أنّه مأمور بالعبادة الخالصة. ولهذا تكون أعماله جميعاً هباء منثوراً، وينقطع به طريق الوصول إلى حضرة القدس الإلٰهي.

وفي نهاية المطاف يرتفع ثواب جميع أعماله، ويرى آناً فآناً تزايد ذوقه وشوقه وحبّه، ويرى كمال العبودية عندما تكون أعماله كلّها خالصة لله تعالى و«**مَن كان لله كان الله له**» وكل ما يخطر في ذهنه يكون كذلك، وتحصل له جميع الكمالات. ويتخلّص من مرتبة ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[2] ويصل إلى درجة يكون فيها أفضل من الملائكة المقرّبين، كما دلّت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وتكون علومه حقيقة لدنية ويتخلّص من مرتبة الطبيعة التي هي أسفل السافلين، ويكون أفضل من المقرّبين الذين عبدوا الله تعالى آلاف السنين الذين لم يتلوثوا بغبار العصيان أبداً، ويصل إلى درجة «**علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل**»[3] **فإنّ السلام هنا لام قسم بذاته سبحانه وتعالى.**

---

(١) الكافي: ٢: ٢٢.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.
(٣) بحار الأنوار: ٢: ٢٢.

ومعنى ذلك: والله لنهدينهم قطعاً إلى سبُل القرب إلينا، ولأكشفن لهم في كل ساعة حجاباً وأهديهم طريقاً.

ثم يقسم الله سبحانه في نفس الآية المتقدّمة بقسم آخر فيقول: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وفي هذه التتمة إشارة إلى هدف هو من أعظم الأهداف الإنسانية وطريق المجاهدة العظيمة غير المتناهية، حيث يكون الحق سبحانه وتعالى معه ويفوز بالقرب منه.

فقد سُئل سيد الأنبياءﷺ: ما هو الإحسان؟ فقال: **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك»**[1].

وسُئل أيضاً سيد الأوصياءعليه السلام: أرأيت ربك؟ فقال: **«ما كنت أعبد ربّاً لم أره»**[2].

ويظهر من الفقرة الأخيرة من قول سيد الأنبياءﷺ «فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» أنّ المرحلة الأولى أن يعلم العبد أنّه تحت نظر الخالق سبحانه، فإذا وصل العبد إلى هذه الدرجة فمن المستحيل حينئذٍ أن يعصي الله. وكما أُشير إلى الهدف فقد أُشير أيضاً إلى الطريق حيث إن عبادة الله تعالى توصل العبد إلى القرب العظيم، وهي الدرجة التي عبّر عنها سيد المرسلينﷺ بقوله: **«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»**[3]. **وهي تُشعر بأنّ مثل هذه العبادة تعود بالنفع له سبحانه مع أنّه عزّ وجلّ أجلّ وأرفع من أن يعود عليه نفع من هذه العبادة.**

إذن يظهر من هذه الآية الكريمة التي تصدّرت البحث الأصول

---

(١) مجمع البيان: ٣: ذيل الآية: ٢١٣ من سورة النساء، صحيح مسلم: ١: ٦٤.
(٢) نهج البلاغة: خطبة ١٧٩.
(٣) جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٢٧، الأسفار: ٦/٣٨٦.

الخمسة للرياضة وهي: الصمت والجوع والسهر والعزلة والذكر الدائم ومراعاة المراقبة التي تعني أن الحقّ سبحانه مطّلع على أفعال العبد وأحواله دائماً، وهو بهذه العظمة والجلال حاضر وناظر ومطّلع على الضمائر والأسرار.

وعليك الالتزام بالأربعينيات، فقد ورد في الحديث الشريف: «**مَن أخلص العبادة لله أربعين يوماً أجرى الله الحكمة في قلبه على لسانه**»[1].

ويجب عليك أيضاً العزلة والانقطاع الكامل عن الخلق وترك الإلفة مع الناس مطلقاً. وعليك بمداومة الذكر ليلاً ونهاراً وأداء الصلاة مع حضور القلب.

وعليك بمراقبة قلبك من ورود الخواطر عليه، فإذا هجمت عليك فابتهل وتضرّع إلى الله سبحانه في دفعها ثم اشتغل بالذكر، واشتغل أحياناً بالأدعية كالمناجاة الخمسة عشر، واشتغل أحياناً أخرى بذكر «يا الله».

واعلم بأن الحق سبحانه وتعالى حاضر في كل مكان، ولا تتصوّر أنّه سبحانه جسم رقيق أو جسم غليظ، وينبغي أن لا تتصوّر أيضاً أن الله سبحانه كبير بكبر الأجسام أو صغير بصغر الأجسام، ويجب أن تعلم بأن الله تعالى حاضر لا بحضور جسماني وأنّه غير غائب بغيب جسماني، فإنّ الاعتقادات الفاسدة من أعظم الحجب.

ومن لوازم البشرية أن يعلم الإنسان أنّ ربه سبحانه وتعالى هو كالروح ليست داخل البدن وليست خارجه. وهو سبحانه لا كبير ولا صغير، ولا أسود ولا أبيض وفعله مثل تصوّر الإنسان للعلوم التي يحصل عليها ويدّخرها في حافظته مع أنّه لا يستطيع أن يتصوّر مكان الحافظة،

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٦٩، بحار الأنوار ٧ باب الإخلاص.

على الرغم من أنّ بعض الحكماء قد شخّصوا محل القوى والحواس الباطنة فقالوا بأنّ الحسّ المشترك في مقدّم الدماغ ثم تأتي بعده المخيّلة. ولكن هذا مجرّد خيال ولا دليل كامل عليه. وبناء على هذا فإنَّ طريق العلم إلى ذلك مسدود بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[1].

بل أنّ الحواس الظاهرة لا يمكن أن تدرك كيف تدخل مئات الآلاف من الأشياء إلى القوة الباصرة من غير أن تكبر أو تصغر ولا يمكن أيضاً أن تدرك ارتباط وعلاقة القدرة على التكلّم بالقلب وخاصة عندما تتفجّر ينابيع الحكمة على اللسان، ومن أين يحصل عليها القلب؟

فيجب إذن أن يُعلم أنّ الله سبحانه وتعالى حاضر لا كحضور الأجسام والأرواح، لأنّه، كلّما كان أقوى كان أرفع. ومع كل هذا التنزيه لله سبحانه فإنّه في منتهى القرب من عباده ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾[2].

وهو سبحانه وتعالى مدبّر ومربّي جميع أنواع المكنونات.

وبهذا النحو يكون الذكر، فيتيقّن العبد بحضور الله تعالى، ويتذكّره في كل ذكر، ويجعل قلبه متوجّهاً إليه، ويستحصل له في زمن قصير ترقيات عظيمة.

وقد جربت كراراً ذلك، ففتحت لي الأبواب خلال العشرة الأولى، وعند انتهاء الأربعين تظهر جميع الأشياء بنحوٍ لا يمكن وصفها، ولكن شياطين الإنس والجن يرتكبون مخالفات عظيمة لأنّه مهما كان الطريق قصيراً تكون المخالفة أعظم. ولهذا لا تمانع الشياطين المباحثات المتعارفة مطلقاً، بل تعاونهم على ذلك. فإذا توجّهت إلى طريق السلوك إلى الحقّ سبحانه فإنّهم يأتون إليك بألف إشكال واعتراض فيقولون:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) سورة ق، الآية: ١٦.

إنّ هذا أمر غير حسن وتحصيل العلم واجب وهذا تضييع للوقت، كما أنّهم يعترضون عليك بألف طريق لو عزمت على التصدّق بنيّة خالصة لله تعالى، وأمّا إذا أردت إنفاق أموالك بالباطل فإنّهم يزينون لك ذلك بألف وجه. وللمجاهدة نفس هذا المعنى فهي أمر شديد على النفس، وهي على الشياطين أشدّ.

فيجب على المبدىء عند اعتراض الشياطين التوجّه إلى الله عزّ وجلّ ويطرد عنه وساوسهم بسهام «**لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم**» ليتسنّى له الفوز بدرجة المحبّة، وتقلّ حينئذٍ المعارضة له. وعلى السالك السعي وبذل الوسع ليكون حاضر القلب في أوقات ال صلاة، وأن يفهم معاني الآيات والأذكار والدعوات، وأن يكون قلبه مع الله تعالى.

والهدف المهم في هذه المجاهدات هو أن تكون جميع صلواته بحضور قلب وليتدارك اللحظة التي ينقله بها الشيطان إلى مكان آخر، وليتوجّه ثانية إلى الله عزّ وجلّ ليصل إلى درجة المحبّة. ثم ترتفع بعد ذلك مشقة الصلاة بصورة كاملة، كما كان يقول سيد الأنبياء ﷺ لبلال حين حلول وقت الصلاة: «**أرحني يا بلال**»(١) **وكما قال أيضاً**: «**قرّة عيني في الصلاة**»(٢).

وبالجملة فكل مَن لم يصل إلى درجة المحبة فلا إسلام عنده ولا إيمان ولا صلاة له مقبولة ولا سائر عباداته.

ولا تتخيل بأن قراءة كتب الفلسفة لا منافاة لها مع سلوك الطريق إلى الله تعالى، بل هي من الحجب الظلمانية، وكذلك مطالعة الكتب الكلامية

---

(١) كنز العمال ٧: ٦٢٩.

(٢) الخصال للصدوق: ١ باب الخصال الثلاثة ح ١٨٩.

والمعارضات والمجادلات، فهي ضدّ صريح في سلوك الطريق إلى الله سبحانه وتعالى. ولهذا وردت المبالغات العظيمة في النهي عنها. فإنّ الإيمان لا يزداد بكثرة الأدلّة، بل إنّ أغلبها تزيل الإيمان الفطري الذي وهب الله تعالى للإنسان، وتأثير شبهة واحدة على النفس أكثر من تأثير ألف برهان ودليل.

ويزداد الإيمان واليقين بالرياضة الروحية، وبقانون الشريعة المقدّسة، وبالنصوص القرآنية والحديثية.

وإذا لم تتقلّص معارضات النفس والشيطان بكثرة الدعاء والتضرّع فاستعن بتضرّعات وتوجهات المقرّبين الذين هم في هذا الطريق، وأغلبهم مخفيين. والأفضل هو التوسّل بالله تعالى والتضرّع إليه حين معارضة الشيطان ليتولى الحقّ سبحانه حمايته من مكائد الشيطان.

ولقد كان لهذا الضعيف مرات عديدة في استمداد العون بجماعة من الأولياء الذين ظهر على جبينهم آثار القرب، ولكن اطّلاعهم على الأحوال كان سبب بُعدهم. وهذه الجماعة مفقودة اليوم بحسب الظاهر، وإن كانت هي سبب وجود السماوات والأرض «**أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري**»[1]. **وهذه الجماعة مخفية ومستورة، ومَن لم يكن مثلهم لا يتسنىٰ له معرفتهم.**

والحمد لله رب العالمين والصلاة على أشرف الواصلين والمحسنين والعارفين محمد وآله وعترته الأنجبين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أسرار الشريعة: ١٩٧.

العبادة القلبية والقالبية وأقسام الأذكار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحليم الكريم العلي العظيم، والصلاة على النبي المصطفى ـ والوليّ المرتضى وعترتهما أصحاب التسليم والرضا.

أمّا بعد، فإنّ مقتضى العبودية الحقيقية هو اشتغال قلب وقالب العبد بعبودية المعبود باستحقاق وتوجّه الظاهر والباطن بطاعة المقصود على الإطلاق تعالى شأنه وعظم برهانه.

فمثلاً لا يسمع بأذنه الظاهرية والباطنية غير كلام الحقّ، ولا يرى ببصره وبصيرته غير كتاب الحق، ولا ينطق لسان قلبه وقالبه بغير اسم الحق لئلا ينخرط في سلك ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ ولا يندرج تحت زمرة ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(1) وهكذا سائر أعضاء وجوارح الظاهر والباطن وباقي الحواس والقوى والمدركات والمشاعر. ولهذا فإن عبادة القلب بعد تحصيل العقائد الحقّة هو اشتغال لسان القلب بدوام الذكر بسبب إذن صاحب النفس المأذون من الإمام عليه السلام كما قال الله

(1) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1] واستغراق عين القلب بمشاهدة الصور والنقوش المكتوبة على لوح القلب بواسطة القلم الأعلى الذي هو عبارة عن الروح الأعظم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ﴾[2] واشتغال أُذن القلب بتلقّي الواردات والإلهامات الربانية والحكم والخطابات السبحانية كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾[3]. وكذلك اشتغال الجوارح والأركان بالعبادات البدنية بعد إقامة الأركان الظاهرية الشرعية على صادعها وآله آلاف التحية والسلام تحت نظر صاحب النفس المأذون الذي هو شيخ الطريقة والخبير المطّلع، وهو عبارة عن الكامل ذي الفنون.

وكذلك اشتغال اللسان بتلاوة الأوراد الواردة عن صاحب النفس المأذون وإجازة شيخ الطريقة عمّن ينوب عنه المأخوذة عن أنفاس وإجازات مشايخ سلسلة الطريقة ومرشدي طريق الحقيقة التي تنتهي سلسلة إجازاتهم يداً بيد ونفساً بنفس إلى الإمام عليه السلام.

وبما أنّ المقصود من تحرير هذه الصحيفة هو بيان الأوراد الموظفة لأحد الأبناء الموفّقين أذاقه الله من رحيق التحقيق، وذلك على قسمين:

قسم يثمر المداومة عليها قرب النوافل، ويوجب العروج إلى المعارج والمنازل. ولا ينبغي تركها مهما أمكن إلى الوقت المعيّن.

وقسم يجب الاشتغال به أثناء الإقبال والفرصة وفراغ البال. فإذا لم يكن هناك حضور قلب وفرصة وفراغ بال فإنّ تركه لا ضرر فيه ولا خسران.

وما ينبغي بيانه سنورده في ضمن الفصلين الآتيين بعد تقديم مقدمة جامعة، ومن الله تعالى إفاضة الأنوار اللامعة.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨ .
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٢.

مقدمة جامعة
المراقبة وحضور القلب

اِعلم أيها العزيز الموفّق ـ ثبّتك الله على سواء الطريق ـ أنّ اشتغال سالك الطريق القديم وناهج الصراط المستقيم بأيّ عبادة من العبادات القلبية والقالبية والمداومة على أي طاعة من الطاعات الجنانية واللسانية والأركانية غير نافع بدون حضور القلب.

وبحكم الحديث القدسي «**لا تسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن**»[1] **أن القلب هو محل ظهور نور الله ومرآة تجليات حضور مولى الحقيقة، والقلب لطيفة ربانية ومجرّد روحاني، وحقيقة القلب الروحاني صورة جسمانية، وهي عبارة عن مضغة صنوبرية واقعة في التجويف الأيسر للصدر، وكلّ تجلّي معنوي يقع في القلب المعنوي يظهر في القلب الصنوبري والذي هو بمنزلة نافذة تلك اللطيفة الربانية، وبمثابة خليفة ذلك المجرّد الروحاني. وفي كل آن يحصل فيه تجلّي من التجليات الجامعة فإنّ صورته التمثيلية ستكون لا محالة صورة جامعة في جميع الصور بحكم «خلق الله آدم على صورته»**[2].

---

(١) المحجّة البيضاء ٥ ٢٦.

(٢) التوحيد للصدوق: ١٥٢.

وعلى طبق ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[1] فإنّ الصورة الإنسانية وكما عبّر علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء في شرح السكينة القلبية المذكورة في الآية الشريفة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] قال: «**السكينة ريح تفوح من الجنّة، لها وجه كوجه الإنسان**». ويكون ذلك التجلّي القلبي قويّ أحياناً إلى حدّ يظهر من الباطن إلى الظاهر ويتجسّد في الخارج ويظهر لملاحظة العين كما ذكر في القرآن الكريم حكاية تمثّل جبرئيل لمريم بنت عمران بصورة إنسان مستوي الأجزاء والأركان.

ومن جملة الأنفاس الإلٰهية على لسان ترجمان الحقائق ما ظهر من فيّاض الحقائق مولانا أبو عبد الله جعفر عليه السلام محمد الصادق عليه السلام هذه الكلمات الشريفة: «**الصورة الإنسانية هي أكبر حجة لله على خلقه، وهي الكتاب المبين الذي كتب بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي الطريق المستقيم إلى كلّ خير، وهي الحبل الممدود بين الجنّة والنار**»[3].

وبناء على هذه المقدمات يجب على السالك في جميع الأحوال والأفعال والأقوال والحركات والسكنات واللهجات واللمسات واللمحات في أثناء الذكر والورد والطاعة والخدمة مراقبة القلب الصنوبري لكي تكون أنواع التمثلات ـ التي هي من أنواع التجليات تنعكس من القلب المعنوي على القلب الصنوبري ـ ملحوظة من عين القلب.

والأدلة على صحة هذا الموضوع من الآيات الإلٰهية وأخبار المعصومين ـ إضافة إلى الأدلة العقلية والشواهد الكشفية ـ كثيرة لا يسعها هذا المقام، ومن الله الإعانة والمدد.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٣) تفسي الصافي: ذيل الآية ٣ من سورة البقرة.

الأوراد التي لا ينبغي تركها إلى وقت معين

في ذكر قسم من الأوراد التي يثمر المداومة عليها قرب النوافل وتوجب العروج إلى المعارج والمنازل، ولا تُترك مهما أمكن إلى وقت معين ومدّة معهودة.

وبما أنّ مقتضى الحديث «**كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون**»[1] **نوم ويقظة الإنسان التي هي عبارة عن ـ توجّه الروح من الظاهر إلى الباطن والتفاتها من الباطن إلى الظاهر هي أُنموذج الموت والبعث.**

فإذن بناء على ذلك يلزم على السالك عند النوم وعند الاستيقاظ من النوم أن يتذكّر الحالتين المذكورتين. ومن هنا فإنّ أغلب الأوراد المذكورة في هذا الفصل تتعلّق بهذين الوقتين بهذا التفصيل: عند الاستيقاظ من النوم عند الصباح وقبل التكلّم والاشتغال بأي قول أو فعل يصلّي على محمد وآل محمد تخلّقاً بأخلاق الله تعالى وتأدّباً بآداب ملائكته طبقاً للآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[2].

وكما أن الصباح يتنفس بنفس رحماني بأمر خالق الإصباح بمقتضىٰ

(١) مستدرك سفينة البحار ٨ ١٩٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾[1] فالسالك أيضاً يتنفس بالنفس الرحيمي ويكرّر بلسان ترجمان العقيدة الكلمة المحمدية الإجمالي [اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد] بعدد المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كما يخرج من ظلمة الليل ويدخل في نور النهار طبقاً للآية الكريمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2]. فيخرج من ظلمات حجب الليالي بواسطة تأثير النفس الرحيم ويدخل نور النهار ويكون قابلاً للظهور والتجلّي.

ثم يشتغل بهذا العدد على الأقل بإقامة الصلاة الكبرى [أي الذكر القلبي]. ويجب أن يكون مراقباً للسكينة القلبية حتى ينتهي من أداء فريضة الفجر، ويشتغل بعدها بتلاوة الآية العظيمة [وهي آية الكرسي] التي هي الصراط للعقائد الحقّة، وتحتوي على أسرار أصول المعارف، وتنطوي على سرّ علوّ ودنوّ ذات الله تعالى مجده، ونفي التعطيل والتشبيه، وإثبات الأمر بين الأمرين في الصفات ونفي الجبر والتفويض وإثبات الأمر بين الأمرين في الأفعال.

ثم يشتغل بعدها بقراءة الكلمة الطاهرة يعني السبحة الظاهرة [وهي تسبيحة الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام] التي هي كتاب مجمل المعارف الإلٰهية والعلوم الربانية.

وهذين الموردين ـ أعني تلاوة الآية العظيمة التامة وقراءة السبحة الظاهرة ـ لا يختصّان بصلاة الفجر، بل يجب قراءتهما عقيب الصلوات الخمس جميعاً كما هو مأثور عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم.

ثم يتخلّق بالخلق اللاهوتي ويتأدّب الأدب الملكوتي فيأتي مرة

---

(١) سورة التكوير، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

واحدة بالكلمة المحمدية الإجمالية ويتنفّس بالنفس الرحيمي الإجمالي.

وبما أنّ السالك انتقالي من الصورة إلى المعنى والتفاتي من الظاهر إلى الباطن وتوجّهي من الشهادة إلى الغيب. وبما أنّه قد تقرّر في محلّه بأنّ الصورة والظاهر والشهادة والنبوة المحمدية ﷺ لا معنى ولا باطن ولا غيب لها بغير الولاية العلوية.

فلهذا يجب بعد التخلّق بخُلق حضرة اللاهوت والتأدّب بأدب حضرة الملكوت واستنزال الرحمة الرحيمية من حضرة الذات على صاحب النبوة وأمين الرسالة عليه وآله أفضل الصلوات التوجّه من ظاهر النبوّة إلى باطن الولاية.

وليتكلّم مرة واحدة بالكلمة الجبرائيلية [لا فتى إلاّ علي ولا سيف إلاّ ذو الفقار] والتي تشتمل على النفي والإثبات كالكلمة التوحيدية.

وبواسطة التخلية الأولى تثبيت المروة والكرم والكمال والفتوة والنعم والجمال لوليّ حضرة ذو الجلال [يعني علي عليه السلام] حيث ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

وبواسطة التخلية الثانية ينفي الحول والقوة والعظمة القدرة والقهر والقوة والاختيار والإرادة من غير صاحب اختيار مالك الاقتدار يعني ذو الفقار حيث ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[2].

وهذا النفي والإثبات مجاهدة باطنية، فكما أنّ صاحب المجاهدة الظاهرية يظهر في مقام نفي ومعارضة الكفار والفجّار الظاهريين فكذلك

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٦.

صاحب هذه المجاهدة ينفي الكفار والفجّار الباطنيين الذين هم عبارة عن جنود الجهل الدنية حيث ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١) ويثبت أبرار وأخيار الباطن الذين هم عبارة عن جنود العقل العليّة حيث ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢) ثم يعرج بعد ذلك من مقام المجاهدة إلى مقام المشاهدة، فينسى الأغيار تماماً، ويرسم صورة جمال المحبوب على لوح صدره، ويتوجّه إلى حضرة الولاية الكلية بإقبال كامل وتوجّه تام، ثم يتلفّظ مرة واحدة بالكلمة العلوية الإجمالية [وهي: لا فتى إلاّ علي لا سيف إلاّ ذو الفقار، يا علي يا إيليا يا أبا حسن يا أبا تراب] ويظهر التكلّم بها بسبب اشتمالها على أربعة الاسم الأعظم الاقتدار المحيطة بالقوائم الأربعة لعرش الأسرار والأركان الأربعة لكرسي الأنوار.

وبما أنّ السالك بعد توجّهه الكامل إلى حضرة الولاية فإنّه تظهر عليه جميع آثار جلال المولىٰ، ونظراً لضعف وجود الكثيرين يحصل له التزلزل بأركان الاطمئنان بحكم «**لا ملجأ إلاّ إليك**»، فإنّه يلتجىء أيضاً بملجأ الولاية ويهتدي بالتمسّك بالعروة الوثقى، وليتلفظ مرة واحدة بالكلمة العلوية التفصيلية(٣) بعد الكلمة العلوية الإجمالية.

وبما أنّ الإنسان أنموذج العالم الكبير، وتوجد في عالم وجوده عيّنة من حقائق الإلوهية والولاية والنبوّة ومراتب الملكوت والجبروت واللاهوت، فلا جرم أن يفتتح بلسان جبرئيل كلي الروح أمر حضرة النبوة كلي القلب المبعوث بمقاتلة كفار جنود النفس أن يفتتح بنداء حضرة

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) الكلمة العلوية التفصيلية هي:

نادِ علياً مظهر العجائب — تجده عوناً لك في النوائب

كل همّ وغمّ سينجلي — بولايتك يا علي يا عليّ يا علي

الولاية الكلية بالكلمة العلوية التفصيلية المسمّاة بباب الظاهر وباب النبوة المحمدية وباب الأمر وباب النداء.

وحينئذٍ ناد أولاً بلسان الولاية الكلية سرّاً، وعند الدخول في الباب الثاني اختتم بالكلمة العلوية التفصيلية المسمّاة بباب الباطن وباب الولاية وباب العلوية وباب الامتثال وباب الإجابة لكي يمكن أن تفيض على باطنه بواسطة التأييدات الإلٰهية والإلهامات الملكوتية والجبروتية والشفاعات المحمدية والنشاءات العلوية والجذبات الولايتية. ويجب تكرار الحروف الأخيرة من الكلمة العلوية التفصيلية المسمّاة بالسرّ المكنون بعدد عين الجمع [أي ١١٠ مرات] وبما أنّ غلبة النشأة العلوية وقوة الجذبة الولايتية توصل عمل السالك إلى مرحلة يفلت فيها عنان السلوك من يده ويصير مجذوباً للمطلق.

وهو وإن استطاع أن ينقذ بساطه من أمواج الخطر ولكنه لا يستطيع إعانة غرقى شطوط بحار الجهالة.

وإذا ارتفع من البين قانون السلوك الذي هو ثمرة مقام النبوّة انقطع طريق الإفاضة من العالي إلى السافل واستفاضة السافل من العالي، لأنّ وصول الفيض متوقّف على وجود برزخ بين جهتين ومتوسط بين عالمين والتي هي عبارة عن الإنسان الكامل الذي هو نتيجة وثمرة الإنسان السالك المجذوب[١] والمجذوب السالك[٢].

---

(١) السالك المجذوب: هو الذي بايع مرشده في بداية أمره وأخذ مراتب السلوك عن طريق العلم ثم وجد حالة الجذبة وأتمّ علومه بواسطة المشاهدة والكمال ورجع من مراتب عالم الفناء إلى الوجود الإلٰهي وأنهىٰ سلوكه، أي هو سالك غير قادر صرفاً مع إدامة السلوك على طي الطريق وجذبه اقتضاء سلوكه.

(٢) المجذوب السالك: وهو الذي يسقط ابتداءً في عالم الجذبة ويحصل على الوجودات الإضافية عن طريق الكمال ويفني نفسه في وجود الحق ويبقىٰ فيه، ثم يبايع مرشداً ويتابع مراحل السلوك على تحصيل العلم.

ولهذا يجب على السالك الرجوع بسلوكه من الجذب المطلق إلى أن يجعل سلوكه خليطاً من نشاط الشراب الزنجبيلي مع كيفية الشراب الكافوري[1] والعود إلى مقام النبوة الذي هو فرق بعد الجمع[2].

وثانياً: أن يتخلّق بالخُلق اللاهوتي ويتأدّب بالأدب الملكوتي ويتلفّظ مرة واحدة بالكلمة المحمدية التفصيلية [وهي: اللّهُمَّ صلِّ على المصطفى محمد والمرتضى علي والبتول فاطمة والسبطين الحسن والحسين وصلِّ على الإمام زين العباد علي والباقر محمد والصادق جعفر والكاظم موسى والرضا علي والتقي محمد والنقي علي والزكي العسكري الحسن وصلِّ على الإمام الهادي المهدي صاحب العصر والزمان وخليفة الرحمن وقاطع البرهان سيّد الإنس والجان صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين] والتي هي عبارة عن النفس الرحيمي التفصيلي فتتلذذ الروح والنفس من المقامات المحمدية الأولية والوسطية والآخرية المستفادة من الكلمة الجامعة «**أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد**»[3].

وبما أنّ الاشتغال بلوازم السلوك وتربية القوى البدنية يلوّث القلب بالغبار ويلقي عليه غشاء رقيق فيغطّي وجه الخواطر، ولذا ينبغي للسالك في ختام أعماله وأوراده أي بعد الانتهاء من سجدة شكر صلاة العشاء أن

---

(١) يعبّر عن الجذب بالزنجبيل، ويعبّر عن السلوك بالكافور، والزنجبيل مزاجه حار، والكافور مزاجه بارد، والتعبير عن الجذب والحرارة من ذلك الطرف، والكافور الذي فيه جنبة سلوكية فيه جنبة برودة ويرتبط بنفس البشر (شرح رسالة سير وسلوك: ٢٤١).

(٢) أي يرجع من مقام الولاية الكلية التي هي مرتبة الجذب إلى مقام النبوة التي هي مرتبة السلوك والتي هي مقام الفرق بعد الجمع والإدبار بعد الإقبال، وهذا المقام لا ولاية فيه، بل هو مخصص النبوّة لأن الأولي ليس مأموراً بالتبليغ بل هو مأمور بالحفظ فالنبيّ له فرقان وجمعان أي له إقبالان وإدباران (شرح رسالة سير وسلوك: ٢٤١).

(٣) بحار الأنوار: ٣/٢٦، ١٦، ٣٦٠/٢٥.

يتلفّظ بالكلمة الفتحية [وهي كلمة: يا فتّاح] ـ التي هي مفتاح كنوز القلب ـ ثلاث أو خمس مرات على الأقل بحضور تام مع مراقبة القلب والتوجّه إلى حضرة الذات الإلٰهية جلّ شأنه والاستشفاع بحضرة الإنسان الكامل الجامع بين ظاهر الصورة النبوية المحمدية وباطن معنى الولاية العلوية. فإذا ما حصلت رقّة حضور القلب فليكرر هذه الكلمة ما استطاع.

وليختم أوراد صلاتي الفجر والعشاء بزيارة سيد الشهداء وقرّة عين الأولياء وابن الولي مولانا أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، وزيارة مصدر سلاسل الأولياء ومنبع ولاية الأصفياء مولانا أبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليهما، وعلى الطاهرين من آبائهما وأبنائهما.

ويجب على السالك عند النوم ـ الذي هو أخ الموت وهو بمثابة حالة النزع والاحتضار عند الأموات، وهو يجانس وقت الموت وتوديع الحياة وصورة مقام الفناء ومقدمة منزل البقاء ـ أن ينام على ظهره ويرطّب لسانه بتلاوة أوراد صلاة الفجر، أي يذكر مرة واحدة الكلمة الجبرائيلية ومرة واحدة الكلمة العلوية الإجمالية ومرة واحدة الكمة العلوية التفصيلية بشرط تكرار الأخيرة المسماة بالسرّ المكنون بعدد عين الجمع(١).

ثم يتلفّظ مرة واحدة بالكلمة المحمدية التفصيلية. وحينئذ يختم باب القلب بخاتم السكينة الصدرية(٢) ويرقم جبينه برقم السكينة العقلية(٣)،

---

(١) الكلمة العلوية الإجمالية هي: علي ولي الله والكلمة العلوية التفصيلية: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ والكلمة الأخيرة هي «العلي» المفسّرة في كلمات أهل البيت عليهم السلام بأمير المؤمنين عليه السلام. وتكرارها بعدد عين الجمع أي سبعين مرة.

(٢) خاتم السكينة الصدرية: كتابة كلمة «يا علي» بترتيب خاص على الصدر.

(٣) رقم السكينة العقلية: كتابة كلمة «يا علي» بترتيب خاص على الجبين.

فتغلق الأبواب الظاهرة التي هي مدخل الأغيار ويفتح باب الباطن الذي هو مدخل وجه الحبيب.

وعند ختم باب القلب بخاتم السكينة الصدرية يضم إليه التشهّد الكامل[1] بنحو يقارن الافتتاح بالتشهّد الافتتاح بالختم ويقارن الاختتام بالتشهّد الاختتام بالختم مع أخذ الشرائط الشفاهية، وبعد ترقيم لوح الناصية برقم السكينة القلبية يتلفظ مرة أخرى بالكلمة المحمدية التفصيلية بنحو يقارن افتتاح التكلّم بافتتاح الترقيم واختتام التكلّم باختتام الترقيم مع الشرائط المقررة المعهودة.

وبما أنّ السكينة الصدرية خليفة السكينة القلبية، والسكينة العقلية خليفة السكينة الصدرية؛ فمن المناسب أن يقارن السكينة القلبية مع الصلاة الكبرى[2]، التي هي إشارة إلى البطون المحضة والدالّة على مصداق مفهوم: **أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا تشبيه»**[3].

ومقارنة السكينة العقلية الثابت وصف ظهورها مع الكلمة المحمدية التفصيلية التي هي إشارة إلى الظهور الصرف والدالّة على مظاهر حقيقة تفصيلية ومراتب نورية ظهورية «أولنا وأوسطنا وآخرنا».

ومقارنة السكينة الصدرية التي هي جامعة بين الظهور والبطون والبرزخ بين الغيب والشهود، مع التشهّد الكامل الذي هو جامع لمراتب الألوهية والرسالة والولاية، والمشتمل على مراتب ثلاث: الغيب المطلق

(١) التشهّد الكامل هو: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً ﷺ رسول الله، وأشهد أنّ علياً وأولاده المعصومين حجج الله.

(٢) الصلاة الكبرى هي من العبادات اللسانية للقلب، وسامعتها القلب أيضاً، أي في نفس الوقت الذي تجري فيه الصلاة على اللسان الظاهر يقرأ لسان القلب هذه الأذكار والأوراد منذ البدء حتى الانتهاء.

(٣) من أقوال أمير المؤمنين عليه السلام نقلها الفيض في كتابه «الكلمات المكنونة»: ١٩٩.

والشهادة المطلقة والغيب المضاف لكي يتهيأ لاستيفاء حقوق المنازل والمعارج واستقصاء وأداء واجبات المقامات والمراتب.

وأعلم أنّه يلزم على السالك مراقبة السكينة القلبية ـ التي هي من الأعمال المستمرة لعين القلب ـ أثناء إقامة الصلاة الكبرى التي هي من الفرائض الدائمة للسان القلب على الدوام في الليالي والأيام في جميع الحركات والسكنات كذلك فإنّ مراقبة السكينة الصدرية والسكينة العقلية من الباطن ينتج النشأة الجامعة بين الجذب والسلوك والبطون والظهور، وإذا لم يتحوّل حجاب المراقبة أحياناً إلى سكينة قلبية فسوف لن يكون خالٍ من التقوية.

ولا يخفى أن مراقبة السكينة القلبية التي هي في الحقيقة توجّه إلى جانب الكعبة الباطنية والتولّي إلى شطر القبلة المعنوية في أثناء إقامة الصلاة الكبرى، خصوصاً على تقدير أن تكون الإقامة المذكورة بكلمة سر السرّ(١). وهناك رموز خفية عظيمة وكنوز مخفية جليلة لا يمكن الإحاطة بها في هذا المختصر، ولعلّ التوفيق الإلهي يكون من نصيبنا لكتابة رسالة مستقلة عن ذلك إن شاء الله تعالى.

وأعلم أنّ مجموع عبادات السالك بعد العقائد الحقّة والأركان الشرعية ينحصر بقسمين: الأول: الصلاة الكبرى والصلاة الصغرى، والثاني: مراقبة السكينة القلبية والصدرية والعقلية.

وإقامة الصلاة الكبرى من مقولة العبادات اللسانية قلباً، وإقامة الصلاة الصغرى من مقولة العبادات اللسانية قالباً، والعبادة السمعية لازمة للعبادة اللسانية لا محالة، ومن هنا فإنّ كل ما ينطق به لسان القلب يعيه سمع القلب، وكل ما يتكلّم به اللسان تسمعه أذن القالب. ومقولة السكينة

---

(١) ذكر سرّ السرّ هو كلمة «العلي» وتعني أنّ الله سبحانه وتعالى منزّه عن الشريك والشبيه.

القلبية من العبادات البصرية قلباً، ومراقبة السكينة العقلية والدرية من مقولة العبادات البصرية مثالاً وخيالاً.

والعبادات الأركانية موجودة في هذا المقام أيضاً وهي ختم لباب القلب بقلم ذي شفتين، أعني صورة معنى **«قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء»**[1].

وكذلك كتابة لوح الناصية بقلم المصورة القلبية التي هي خليفة القلم الأعلى ومظهر اسم «المصوّر» المشتمل على شقين: جمع وفرق، ومجلاة اسمي الراتق والفاتق، كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[2].

ومن هذا المقام كان الظهور القرآني الذي هو نزول جمع إجمالي، والظهور الفرقاني الذي هو نزول تفصيلي بياني، كما قال سبحانه عزّ شأنه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[3].

ومن هذه الحقيقة كان الفصل والجمع ليوم القيامة يُعبّر عنه بيوم الجمع ويوم الفصل كما قال جلّ سلطانه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾[4].

وهذا باب عظيم من العلم يستخرج منه مجموع العلوم والصناعات الظاهرية والباطنية. وسرّ هذه الأعمال اللسانية والسمعية والبصرية الظاهرية والباطنية هو أنّ كل اسم من الأسماء الإلٰهية الحسنى ـ الذي له حقيقة مجرّدة في عالم الغيب لا محالة ـ عندما يظهر في عالم الشهادة فإنّ ظهوره يكون ممكناً على نوعين:

---

(١) جامع الأسرار: ١٣٨، علم اليقين: ١: ٢٨٢، ٥٥٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.
(٣) سورة القيامة، الآية: ١٧.
(٤) سورة المرسلات، الآية: ٣٨.

الأول: ظهوره في عالم الأصوات والحروف والألفاظ والكلمات التي هي عبارة عن أسماء ملفوظة.

والثاني: الظهور في عالم الرسوم والخطوط والأرقام والكتابات التي هي عبارة عن أسماء الله المكتوبة.

وكذلك ظهور الأسماء في عالم المثال ـ الذي هو خيال حقيقي غير وهمي، وبرزخ بين عالمي الغيب والشهادة ـ يمكن أن يكون على نوعين:

الأول: الظهور في عالم الأصوات والحروف القلبية التي هي منطوق لسان القلب ومسموع سمع القلب.

والثاني: الظهور في عالم الخطوط والرسوم القلبية التي هي مكتوبة بلوح القلب وملحوظة بعين القلب.

وبما أنّ سالك طريق الله يجب أن يكون مشغولاً بالحقّ بمجامع باطنه وظاهره ومعناه وقلبه وقالبه، فإذن يجب أن تكون حقيقة قلبه كذلك مشغولة بذكر الحقّ تعالى وظهور ذاته تعالى شأنه، ولذا يجب أن يكون لسان قلبه مشغولاً بإقامة الصلاة الكبرى والتي هي نطق قلبي، وتكون عين قلبه مستغرقة بمراقبة السكينة القلبية، ويشتغل لسان قالبه بإقامة الصلاة الصغرى التي هي نطق قالبي.

ويلتذّ سمعه الباطني باستماع الصلاة الكبرى، ويلتذّ سمعه الظاهري باستماع الصلاة الصغرى. وباب قلبه الذي هو عنوان صدره مطبوع بطابع السكينة الصدرية، ولوح ناصيته منقوش بنقش السكينة القلبية، وحتى لا يكون أي جزء من أجزاءه الظاهرية والباطنية خالية من الحق تعالى، ولا يدع منفذاً لقطّاع الطرق من شياطين الجن والإنس إليه سبيلاً بأي نحو من الأنحاء.

ذكر الأوراد التي ينبغي الاشتغال بها عند الفرصة وفراغ البال

نذكر هنا قسم من الأوراد التي يجب الاشتغال بها عند الفرصة والإقبال وفراغ البال، فإن تُركت عند تشتت البال وعدم الفرصة فلا ضرر في ذلك.

ومنها: بعد الفراغ من الأوراد المذكورة عقيب صلاة الفجر ترديد الكلمة الجبرائيلية [لا فتى إلاّ علي لا سيف إلاّ ذو الفقار] بعدد عين عين الجمع [المقصود منه عدد عين علي، الذي هو عدد «٧٠»]. وكذا يجب تكرار آية القدرة [وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾﴾[1]] بعدد خمس عين الجمع [عدد عين الجمع ١١٠، فيكون خمسه ٢٢]. والقراءة بعدد خمس عين الجمع يراعي فيها ضمناً عدد عين الجمع الذي هو أشرف الأعداد. وينبغي أن يتوجّه وجه القلب عند تلاوة آية القدرة إلى حضرة القدرة الكاملة التي هي يد الله المعنوية، وأزمّة قبض وبسط الظاهر والباطن وأعنّة المنع والإعطاء صورة

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

ومعنى هي بكف كفايته وفي قبضة ولايته، حضرة الإنسان الكامل الذي هو المظهر التام لمالك الملك وواهب الولاية للأولياء الهادين والمفوّض إليه أمر الحكومة الإلٰهية الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم الماسكين أزمّة التوحيد بأيديهم ويجرعون شراب الفناء في الله المعبّر عنهم بقلندر أي الرجل المصفىٰ والمجرّد عن الآمال والرغبات.

وكذلك تلاوة آية الأعراف [وهي قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ التي تشتمل على ثلاثة فصول وتحتوي على ثلاثة أصول بعنوان الخطاب مع ربّ الأرباب في مقام حضور حضرة نور الأنوار ـ علا سلطانه وجلّ برهانه ـ بعدد عين الجمع.

ويثبت التوحيد بالأصل الأول، ويثبت بالأصل الثاني التصديق بقدس الصفات، ويشير الأصل الثالث ـ الذي يتضمّن الاعتراف بظلم النفس ـ إلى العدل في الأفعال لكي يتسنّى لليونسي بمقتضى «الاعتراف بالذنب كفارة له» الخروج من ظلمات بحر حوت الطبيعة، كما قال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

وقراءة الكلمة الجبرائيلية بعد صلاة العصر بعدد عين عين الجمع.

وتلاوة الآية العظيم [آية الكرسي] والسبحة الزاهرة [تسبيحة الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام] بعد صلاة المغرب على الوجه المذكور في الفصل الأول، ثم تلاوة السورة العظيمة [سورة الواقعة] بعدهما.

وقراءة سورة البركة [سورة الملك] بعد صلاة العشاء بعد الفراغ من قراءة الآية والتسبيح المذكورتين آنفاً.

ويقرأ السورتين المذكورتين بقصد إهدائهما إلى الأرواح الطاهرة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

الزاكية والبواطن الطيبة العلية للأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وإلى أرواح المؤمنين والمؤمنات الممتحنين الذين ورد في الحديث الشريف «**إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان**»[١] **الإشارة إلى كمال درجاتهم وعلوّ مقامهم، ويطلق عليهم أهل البيت** عليهم السلام اسم الشيعة ويُسمّون بالدراويش والفقراء والعرفاء والأولياء.

ولطول السورتين المذكورتين فلا يمكن بيان دقائقهما وأسرارهما بنحو مفصّل في هذا المختصر. ويجب قراءتهما بحضور كامل، والتوسّل بالأرواح المقدسة المهدى إليها ثواب هذه التلاوة يثمر إفاضة أنوار عجيبة وأسرار غريبة، وستحصل بعون الله العلي الأعلى رقة كاملة في القلب.

ويشتغل بعد قراءة سورة البركة بتلاوة سورة النبوّة [سورة الفاتحة] مرة واحدة وسورة الولاية [سورة التوحيد] ثلاث مرات بقصد استعجال ظهور حضرة صاحب العصر والزمان وقاطع البرهان عليه وعلى آبائه صلوات الله الملك المنان، وقصد تقوية الدين المبين وتنوير شمع اليقين وإذلال المكذّبين بيوم الدين، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ٢: ١٨٢، ٣٥: ٣٦٦، ٣٧/ ٢٣٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٥.

الأذكار التي ينبغي ذكرها عند وقوع العطسة ومشاهدة ضوء المصباح

اِعلم بما أنّ انتقال كل نفس من عالم إلى عالم لا يمكن بدون ظهور حضور صاحب الولاية الكلية الذي هو واسطة إيجاد العوالم ورابطة انعقاد سلسلة وجود بني آدم والبرزخ بين الحدوث والقدم.

وبموجب بعض فقرات نهج البلاغة التي هي من الأخبار المأثورة، وبعض الأحاديث الصحيحة المشهورة بين الخواص والعوام فإن حضرة الولاية الكلية يتجلّى للمولودات حين الولادة وعند توديع الحياة بالتجلّي الجلالي والجمالي للمودَّع والمتولِّد.

وكذلك عند عودة الروح إلى البدن في القبر ـ لأنّها في الحقيقة نوع من الحياة والممات وإحدى العوالم الانتقالية ـ فإنّ حضور حضرة الولاية الكلية أمر ضروري، وكذلك سؤال منكر ونكير أيضاً في القبر لا يكون إلاّ بعد حضورها واستئذانها.

وفي هذه الأوقات فإنّ رجوع الروح إلى البدن باعث على وقوع العطسة، سيكون ظهور شمس عالم النور في سماء الوجود موجباً لظهور الضياء في نظر المودّع والمنتقل. وبموجب بعض الأحاديث فإنّ عيون

منكر ونكير ستكون أيضاً في نظر هذا الشخص في كمال الضوء والنور[١].

ومن هناك وبموجب البراهين المحكمة فإنّ الطبيعة الإنسانية لا تنصرف عن أمر المعاد، فيلزم على سالك طريق الحق ويتحتم على المتذكرين المواظبة على قراءة آية الاستشهاد[٢] حين وقوع العطسة، والتي هي في الحقيقة إقرار بالعبودية واستشهاد من تلك الحضرة على هذا المعنى، أو أن يعوّد العاطس لسانه قبل القراءة ويطلب من حضرة الولاية الكلية ومنكر ونكير أن يعيّنوه على الشهادة بعبوديته واعترافه بربوبية ربّ الأرباب.

ويحسن أن يحرك السالك لسانه بذكر العقائد الإسلامية الحقّة[٣] عند مشاهدة ضوء الشمع والمصباح ليتنوّر ناظريه عند ظهور شمس جمال المولى ويتزين محفل قربه بضياء شموع منكر ونكير، ولا تتزلزل أركان حواسه عند ظهور نور النور ووقوع تلك الواقعة فيلفّه الصمت والسكوت من فرط الوحشة.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين.

---

(١) فقد جاء في دعاء شهر رجب: «وادرأ عنّي منكراً ونكيراً وارعيني مبشّراً وبشيراً» يعني نطلب من الله سبحانه أن لا يرينا منكراً ونكيراً بصورة مرعبة بل يُرينا هما بصورة نورانية جميلة.

(٢) وهي الآية ٢٤ من سورة يس ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥﴾.

(٣) والمراد به هي قوله: الله جلّ جلاله إلٰهنا، ومحمد ﷺ نبيّنا، وعليّ إمامنا، والقرآن كتابنا، والكعبة قبلتنا، والإسلام ديننا، والمؤمنون إخواننا.

آداب السير والسلوك
رسالة الآقا محمد البيد آبادي
إلى الميرزا القمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خمَّر بيدي جماله أربعين صباحاً طينة الإنسان وأودع فيه أسرار الأسماء كلّها وعلّمه المعاني والبيان.

ثم أكرمه باستعداد تعلّم استعمال الدليل والبرهان، وتحصيل الإيقان، باستفادة علم الحديث وفهم غرائب القرآن ودرك دقائق عجائب الفرقان من قلم الرحمن.

ثم مَنّ على المؤمنين إتماماً للنعمة وإكمالاً للدين ببعث رسول ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1] ليعلم العباد منه ما لا يعلمون ولئلاّ يقولوا ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾[2] ولئلاّ يكون ﴿لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[3].

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

وجعل ظواهر أقوال رُسُله شريعة لهداية طالبي المحسوس، ودقائق إشارات أفعالهم شفاءً لأمراض القلوب وطريقة النجاة من علل النفوس، وحقائق وجنات أحوالهم معراجاً لعروج أهل الحقيقة إلى حضرة المَلِك القدّوس.

فأضاء قلوبنا بأنوار مصابيح مشكاة جوامع كَلمه، ولُمعات أضواء إشراقات فهم مقاصد كلام نجوم هدايته، عن ظلمات شُبهات مشاغبات الكتب الكلامية ومتشابهات كلمات الحكماء المشّائية والإشراقية.

وأغنانا بالحكمة الإلٰهية الإيمانية القرآنية عن تصحيح العقائد بالأدلّة الطبيعية والرياضية ومخترعات أصول المعتزلة والأشعرية، ورزقنا النجاة والعافية بشفاء صحاح الأحاديث النبوية، وفتوحات درك المطالب العالية من آثار الإشارات الولوية، عن الأمراض المزمنة الحاصلة من ملاحظة كلمات الفلسفة اليونانية، ومزاولة أعمال الطبيعة الحيوانية، وتقليد الآباء والأسلاف في الجوانية والبرّانية[١].

فصلّى الله عليه وآله، وجزاه عنّا أفضل ما جُزي نبياً عن أُمّته، حيث أوضح لنا سبيل الوصول، وقرّر لنا درك حقيقة المأمول بالتزام لوازم الشريعة، وسلوك سبيل الطريقة المستقيمة، وبيّنَ ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وفيها تذكرة للمتّقين، وإمحاض النُصح للإخوان من أعزّ أركان الدين، وإن كان القوم لا يحبُّون الناصحين. فأقول امتثالاً لأمرك يا أخي في الله:

مثلك يعلم بالضرورة أنّ الإخلاد إلى أرض المادة، وازدياد التثاقل

(١) أي في الأمور الباطنية والظاهرية أو الخاصة والعامّة.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

بالانكباب على لوازم الطبيعة الجسمانية، والاشتغال باستيفاء اللذّات الحسّية والمشتهيات البهيمية والسبُعية؛ بل صرف تمام أوقات العمر في تدريس العلوم الرسمية، وترك طريق التصفية بالرياضيات الشرعية، وتقليد الآباء والمشايخ في المسائل الأصلية والفرعية، من موانع العروج إلى سماء المعارف الحقيقية والنفس الأمرية.

فخُذْ من العلوم المتعارفة الرسمية أحسنها، بقدر الضرورة مع المجانبة عن المراء والمجادلة الممرضة.

ثم اشتغل بتلطيف السرّ؛ فإنّ العلم ليس بكثرة التعلّم، إنما هو نور يقذف في القلوب[1] المستعدة للإلفاضة، بل العلم مجبول في القلوب، تأدّب بالآداب الروحانية تجده[2]. والجوع سحاب يمطر الحكمة، و«**من أخلص لله أربعين صباحاً جرتْ ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**»[3].

وسيّد علوم أهل البيت عليهم السلام نكت في القلوب وقرع في الأسماع. والعلم ما يحدث يوماً فيوماً ولحظة فلحظة.

فارفض عنك رسوم العادة، ولازم طريق أهل الشهادة الطالبين للحقائق؛ لأنّ لكلّ حقَّ حقيقة، فخذ اللباب واترك القشور في كل باب.

وإيّاك والاغترار بالظاهر، لأنّ لكلّ آية ظهراً وحدّاً ومطلعاً.

وكن من الزاهدين في الدنيا وما فيها؛ لأنّها دار غرور الإنس

---

(١) إشارة إلى رواية عنوان البصري عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ليس العلم بكثرة التعلّم، بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء» بحار الأنوار ١/ ٢٢٥.

(٢) نقل عن بعض الأنبياء السابقين مخاطباً أتباعه: «لا تقولوا: العلم في السماء مَن ينزل به؟ ولا في تخوم الأرض من يصعد به؟ ولا من وراء البحار من يعبر به؟ العلم مجعول في قلوبكم تأدَّبوا بين يديّ بآداب الروحانيين، وتخلّقوا بأخلاق الصدّيقين أظهرُ العلم في قلوبكم» مصباح الهداية ومفتاح الكرامة: ٦٠.

(٣) بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٤٢.

والجانّ، وحياتها لهوٌ ولعبٌ بنص القرآن، فذرها للنساء والصبيان، وشمّر مثل الرجال في طلب الآخرة، وهي الحيوان عند أهل العرفان.

وما الدنيا؟ هل هي إلاّ طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها، وهي عند أهل اللبّ في الظلال.

كلّ ما في الكون وهمٌ أو خيال أو عكوسٌ في المرايا أو ظلال

واتّق الله حق تُقاته ما استطعت، واطلب الإعانة من الله، وجاهد أولاً في سبيل الله ثم في الله، لأنّ الثاني سبب الوصول كما أشار إليه قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1].

ورمز إليه قول السجّاد عليه السلام: «**من وفىٰ بعدهك، وأتعب نفسه في ذلك وأجهدها في مرضاتك فأهلٌ للبشارة**» إذ ليس لأهل الإخلاص في النشأة العنصرية من خلاصٍ إلاّ بإفناء بقايا الوجود وتسليم الأمر كله إلى وليّ الإحسان والجود.

فتقرّب إليه بالنوافل، حتى يكون الحقّ بصرك وسمعك، فتكون من الرجال السابقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. وأدّوا الأمانات إلى أهلها، وردّ وإلى الله مولاهم الحقّ، فإنّ لله أولياء تحت قبابه لا يعرفهم غيره.

وإن لم تستطع ولن تستطيع إلاّ بمعونة توفيقٍ وتجريد واحتمال مشقّة شديدة، فلازم طريقة أصحاب اليمين، «**أكثر أهل الجنّة البله**»[2] **القانعون بجوار خيرات حسان وبطواف جواري وغلمان عن روضة رضوان المال وخلد مقعد صدق عند مليكٍ متعالٍ.**

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٨/٥.

وٱعلم أنّ أكثر أهل الدنيا أهل غفلةٍ، لا خير فيهم ولا غنى عنهم، وما أشبه حالهم عند أهل الانتباه بحال الأحجار التي يزال بها العذرة عند فقد المياه، فهم من ضرورات مزبلة الدنيا وعمارة هذه الأولى، فنزّلهم منازلهم، واعرف لذوي الفضل منهم فضلهم، ودارهم ما دمت في دارهم؛ وأرضهم ما دمت في أرضهم، بلا مداهنةٍ في الدين، ولا ركون إلى الظالمين. واحتمل منهم الضرر والأذى، فإنّ نعيم الآخرة محفوف بالمكاره الدنيوية. واصبر نفسك مع الذين آمنوا صبراً جميلاً، وتوكّل على الله واتّخذه وكيلاً.

ولا ترسل عنانك في مراتع الرُخص الشرعية الواردة لأهل الزمان من ضعفاء العقول والنسوان والمستضعفين من الرجال ومن الصبيان.

واذكر عيشى مولى الإنس والجان؛ فإنّه احترز عن دقيق شعير ببعض الأدهان.

ولا تقل: من حرّم زنية الرحمن؟ فإنّ تخيّل ذلك في هذا المقام من تسويلات الشيطان الموجبة للحرمان من درجات أهل العرفان والإيقان. وبين التحريم وحرمان النفس فرقان.

ولذا قال مرشد أهل الحقيقة وقائد سبيل الطريقة بلسان أهل الشريعة في عسل أمّ أيمن الممزوج باللبن: «**يمكن الاكتفاء بأحدهما، لا أشربهما؟ ولا أُحرّمهما**».

وقال عند الاجتناب من أكل سخليص[1]: «**أخاف أن يقال لي يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾**»[2].

وقال: «**وإياكم والتنعّم والتلهّي والفاكهات**».

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

وقال بعض في بعض الأدعية: «أعوذ بك اللهم من رفيع المأكل والمشرب».

فلا تذهب طيّباتك في حياتكم الدنيا، ولا تنس نصيبك عن الآخرة؛ فإنّها خير وأبقى.

وإيّاك وتناول الشبهات والتوغُّل في المباحات؛ فإنّها تورث القسوة وتفوّت لذّة المناجاة.

وإياك والرئاسة والتحدث بها، لأنّها «**ملعونٌ مَن ترأس، ملعونٌ من همّ بها**» لأنّها لا تصحّ إلاّ لأهلها، وهم الذين أماتوا نفوسهم وأحيوا قلوبهم وأخلوا دخائلهم من غير الله وجزوا أوقاتهم في طلب مرضاته حتى صارت أنفسهم مواضع لمشيئة الله.

وإيّاك ومجالسة المترأسين، سيما مدّعي العلم منهم بلا برهان؛ لأنّهم قوم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فيتّبعون شهوات الحيوان ويستدلّون بالمتشابهات عند مطالبة البرهان، فسوف يلقون غيّاً وسيصلون سعيراً.

فبعد تطهير قلبك استفت قلبك، فإن أفتاك فعليك بجمع الحقيقة والطريقة والشريعة، فإنّ فاقد أحدها ليس بإنسان في الحقيقة، بل حيوان طريد أو شيطان مريد أو جبّار عنيد.

وبالجملة لا بدَّ لك من تحصيل عقائد برهانية، وحقائق ربانية عرفانية، وأخلاقٍ فاضلة نفسانيّة، وملكات ملكية، وآداب شرعية، وعبادات بدنية، بشرائطها المقرّرة الدينية، حتى تعرف صدق ذلك من قلبك.

وذلك لا يحصل بالمنى ولا ينال بالهوى ـ لا يدرك بالأسباب الظاهرة من العباء والرداء، والتختُّم بالعقيق وأخذ العصا والتزيّن بزيّ العلماء والعبّاد والصلحاء والانتساب بالنسب إلى سلسلة الأتقياء، بل لا بد فيه من الزهد في الدنيا.

فلا يجد الرجل حلاوة الإيمان حتى لا يبالي مَن أكل الدنيا وينسى التدريس والمدرسة والتلامذة الساكنة فيها، ثم النية الصادقة والإخلاص في كل ما تأتي وتذر.

وعند تصحيح النية تسكب العبرات. ولا بدّ فيه من الرياضات المبادي، لإصلاح البضعة [القلب] التي إن صلحت بقية الجسد؛ لأنّ بالنيات خلّد هؤلاء وهؤلاء، والكلام في ذلك طويل.

فٱشغل قلبك بأوامر القرآن والحديث قبل أن يشغلك من قبل نفسه بالأحاديث؛ فإنّها إن لم تشغلها شغلتك. ولا تتركها وهواها، لأنّها تسعى في رداها، وقد أفلح من زكّاها ونهاها من هواها.

ثم الواجب عليك الاهتمام باستيفاء آداب الزيارة وشرائطها، من تعظيم المزور وإعانة الزوّار.

وإيّاك وأن تكون كاذباً في قولك: «**وأُشهدُ أنّك تَرى مقامي وتسمعُ كلامي**». ولا تلفت إلى أحد في الروضة المقدّسة، ولا تحدّث الناس فيها، ولا تتفرّج في رياض القناديل؛ فإنّها لا تليق بعبادة المصطفين، ومتى فَتَرَ شوقُك فٱخرج منها؛ فإن الغفلة عن الذكر أحسن من الغفلة في الذكر وادعُ لأبويك وأرباب الحقوق عليك.

فهذه سبيلي أدعو إليه من اتبعني وما توفيقي إلاّ بالله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ومن يضلل الله فما له من هادٍ، ومن لم يجعل الله له من قلبه مرشداً واعظاً فلن تجد له وليّاً مرشداً؛ فإنّ الهدى هدى الله ولا تهدي من أحببت فهذه تذكرة لمن شاء أن يتّخذ إلى ربه سبيلاً.

تمّت الرسالة

برنامج عمل
من العارف البيد آبادي

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد فاْعلم يا أخي العزيز أنّ طريق القرب إلى الحقّ تعالى منحصر بأمرين: التخلية والتحلية.

ومعناهما هو إخلاء النفس الناطقة ـ التي تسمّى بالقلب والروح واختلاف الأسماء بسبب اختلاف المسمّيات من طريق الحيثيات، كما هو مفصّل في محلّه في كتب أهله ـ ممّا يمنعها ويحول بينها وبين التوجّه إلى الله سبحانه؛ وتزيينها وتحليتها بما يكون سبباً للتوجّه والقرب من حضرة الحق سبحانه وتعالى.

وكلّما وجدت النفس المؤيدة من الحق سبحانه الرغبة والميل للقرب من الله تعالى فإنّ أول شيء يجب عليها هو تحصيل التخلية، والتوبة مقدمة على جميع أسبابها ومبادئها.

وعليك بمراقبة النفس، ولا تغفل لحظة عنها، واجهد أن لا يصدر منها معصية، فإن صدر منها ذلك سهواً وغفلة فسارع إلى تداركها بالتوبة والإنابة.

ويشترط أولاً أن تكون متعلّماً للشريعة المصطفوية والطريقة المرتضوية، أي تكون عالماً بما أمر به الشارع وما نهى عنه، وهي تشمل أمرين:

الأول: العلم بالمسائل التي تتعلق بالأفعال والجوارح.

الثاني: العلم بما يتعلّق بالقلب من الأوصاف الجميلة والأخلاق الرذيلة.

ويحصل العلم الأول إمّا بالتقليد أو الاجتهاد، ويسمّى عند أهل التحقيق بعلم الشريعة، ويسمّى العلم الثاني بعلم الطريقة.

ويحصل من ترتيب هاتين المقدّمين ـ الصغرى والكبرى ـ على نتيجة يقال لها الحقيقة، أي أنّ المعرفة الكاملة بحسب القابلية والاستعداد بحقائق الموجودات هي من محصولاتها أو بنفسه.

وكلما ناب القلب وأصرّ على التوبة وتدارك ما فات فهي علامة التوفيق الإلٰهي وإذن الدخول في الحضرة الإلٰهية.

وحينئذ ينبغي المداومة على ذكر:

«لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم»

لرفع وسوسة النفس والخواطر القلبية اللازمة للطبع البشري. وما يظنّه هذا الحقير، بل ما يتيقّن به، أنّه ستعرض للنفس قبل تمام الأربعين يوماً حالة من الترقّي والاختلاف الكامل عمّا كانت عليه سابقاً.

ثم يداوم مدة أقلّها أربعين يوماً على ذكر:

«لا إلٰه إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»

وكلما كانت مراعاة حال النفس لما هو مذكور مقارناً لهذا الذكر فإنّه

وبلا شك سيفقد الحالة التي هو عليها بشرط أن تكون هذه الأوقات مقارنة للجوع والسهر وأن لا يكون المأكول في الظاهر من الشبهات.

وبعد إتمام الأربعين في هذا الذكر أو مراقبة النفس يشرع بذكر:

«لا إلٰه إلاّ الله»

مع تذكّر معناه بحيث عندما يتلفظ بـ «لا إلٰه» يوخرج خيال غير الله سبحانه من قلبه ويمحوه. وعندما يجري على لسانه لفظ «إلاّ الله» يتوجّه بكلّه وقلبه نحو الحق سبحانه. ويلتزم أربعين يوماً بهذا الذكر بالشرائط السابقة، وفي خلال هذه الأربعين سينكشف له صفاء ونور في القلب بنحو يكون في بعض الأحيان غائباً عن وعيه.

وبعد إتمام أربعين يوماً في هذا الذكر يداوم ليلاً ونهاراً على ذكر:

«الله»

بدون حرف النداء. ويُفتح له في هذه الأربعين باب الملكوت في قلبه بقدر قابليته واستعداده حيث تنكشف له الأمور المخفيّة، وتفاض عليه أنوار الصفات.

ثم يداوم أربعين يوماً أيضاً على ذكر:

«يا هُو يا مَن لا هُو إلاّ هُو»

وينبغي أن لا يتوجّه إلى أي شيء سوى الفرائض والنوافل اليومية والأكل والشرب الضروري. وسيحصل له في هذه الأربعين فناء في الملك والملكوت.

وإضافة إلى مشاهدة غير نفسه فإنّه يشاهد محيط الملك والملكوت والحق محيطاً به بلا كم ولا كيف، ويرى نفسه كالقطرة الذائبة في بحر الحقيقة.

ثم يداوم أربعين أخرى على ذكر:

«يا هُو»

ويفنىٰ في هذه الأربعين عن نفسه، وفي هذهِ الحالة يفنى العبد من البين ويكون الشاهد والمشهود ذات المعبود وهذا محل الإقدام.

ويستيقظ منه في هذا المقام صرخة ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[1] بنحو يكون هو القائل وهو السامع.

وبعدها يداوم أربعين جديدة على ذكر:

«يا الله يا هو»

فينتقل من حالة المحو إلى حالة الصحو ويحصل له البقاء الكلّي في عين الفناء، وينكشف له سرّ معنى «**العبودية جوهرَة كُنهها الربوبية**». وسيصل في هذا المقام إلى مرتبة الخلافة ومراد الحق تعالى من قوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2].

ومن المناسب في هذه المرحلة أن يدعو الخلق إلى الله، والاسم العام بل الخاص لحجّة الله على اورض سيكون بالإشارة الغيبة تلك الحضرة.

والوصول إلى المرتبة والترقّي في هذه المقامات موقوف على تكميل كل مقام بالشرائط المقررة مع مراعاة الأمور الجزئية المتعلّقة بذلك المقام، وإلاّ فإنّه سيبقىٰ في خطوته الأزلية وستنفتح في نفسه الأنانية والفرعونية.

اللهُمّ وفّق وسدّد وقوِّ نفوسنا للترقّي.

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠

برنامج عمل
من الفقيه العارف حسين القزويني
تلميذ البيد آبادي

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلاة على النبي والآل فهذه كلمات طلبها مني بعض إخواني في الدين خطّها بقلمه أقلّ العباد حسين بن إبراهيم الحسيني في خلاصة النصائح وتهذيب الأخلاق طالباً من الحضرة الأحدية دوام التوفيق.

اعلم بأن دفع صفات النفاق وتحصيل الأخلاق واجبة على جميع المكلّفين بالاتفاق، وهي من جملة الفروض العينية. وإنّ التهاون في الرياضات والتخلّق بمكارم الصفات منشأ لتضييع القابلية وباعث للخروج من الكرامة الإنسانية، وستلحق نفسه النفيسة بالبهائم وآية ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1] شاهد صدق على هذا الادّعاء.

فيلزم على طالب الحقّ ـ بعد تحصيل الاعتقاد بالمبدأ والمعاد

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٤.

وتحصيل اليقين قراءة الكتب الدرسية في أيام مهلة الحياة وفقاً للشريعة الغرّاء لسيد المرسلين النازل فيه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وأن يتّخذ أقوال وأحوال هذا العظيم شعاراً، ويتدرّج بنفسه من حضيض النقصان إلى أوج الكمال وحدّ التمكين والوقار بحول وقوة الملك الغفّار تعالى شأنه.

ونشير هنا ـ على سبيل التنبيه ـ إلى بعض من أمهات الفضائل:

الأول: تحصيل القتوى في جميع الأفعال والتروك، بحيث يبقى في حالة المراقبة الدائمة لحضرة القدس الإلٰهية تعالى شأنه بنحو يراه حاضراً وناظراً في كل حال، ويكون في مقام الخوف والخشية، فيأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه في العلن والخفاء، وأن يجعل التقوى شعاره، وأن لا يخرج قدمه من دائرة الشريعة الغرّاء، وأن يلجأ حين عروض الذنب إلى التوبة والاستغفار والندامة والإنابة ويتدارك ما فات بسرعة.

الثاني: دوام ذكر الحق بالقلب واللسان بنحو لا يدع لحظة تمرّ وهو غافل عن ذلك، وأن يغتنم ساعته ولا يضيّع أيام المهلة سدى، فإنّ كل ساعة جوهرة ثمينة لا تساويها جميع الدنيا وما فيها.

الثالث: التوكّل وترك الأمور للولي الحقيقي، واللجوء إلى حضرة القدس الإلٰهية تعالى شأنه بنحو لا يعتمد في أي حال على رأيه وتدبيره ويعتمد على الذات الدائمة، وأن يرضى بما يُقدّر له المنعم الحقيقي، ويتجنّب اتهام الله سبحانه في قضائه، وأن يمحي من قلبه ضيق القلب والسخط على الأقدار.

الرابع: التمسّك بجميع شرائع الدين المبين في السُنّة لسيد السنية

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

المرسلين، وأخذها من علماء الدين الورعين المتقين، فإنّ التخلف عن ذلك منشأ للأخذ بالبدع والأهواء وباعث على الهلاك. فيجب مثلاً بذل تمام الجهد وكمال السعي للمداومة على الفرائض والواجبات ونهي النفس عن المنهيّات على مرور الليالي والأيام. ولا تكتفي بنصيحة الشفيق بمجرد وصف الطريق من غير عمل. وعليك السعي كثيراً بقدر السعة والطاقة ليلاً ونهاراً وحين الصحة والفراغ بالنوافل ومندوبات الفضائل واحذر أن تندم يوم العرض الأكبر على تضييع عمرك الثمين.

واحفظ لسانك من اللغو والكلام غير النافع وخاصة الفحش والكذب والغيبة والنميمة، واحذر من سماع واستماع المنهيّات والأمور غير المفيدة الدينية والدنيوية، واحفظ جميع أعضائك وجوارحك من كل ما لا يرضي المالك الحقيقي.

الخامس: الزهد وعدم الرغبة في الدنيا وما فيها، والاقتصاد في المعيشة بقدر البلغة من الحلال، وضبط النفس عن الاشتغال بفضول العيش، والاستغناء عن جميع الناس في القليل والكثير، فإنّ الحاجة إلى الناس مذلّة حاضرة ونسيان الآخرة ويورث اليأس ويوجب الإفلاس.

السادس: المداومة على ذكر الموت والاستعداد لنزوله فيجعله نصب عينيه، وأن لا يغفل عن ذلك لحظة فإنّ الغفلة وبال الدنيا والآخرة، وتهيئة أسباب السفر للآخرة كالوصية والكفن وغير ذلك من الضروريات التي يراها لازمة، فإنّ مَن ترك الاستعداد فاجأه الموت مهما كان عمره.

السابع: المداومة على محاسبة النفس في كل صباح ومساء، فإن رأى من نفسه خيراً حمد الله تعالى على ذلك وشكره، وأن يعتقد أن هذا الخير هو نعمة عظمى منه سبحانه وتعالى ويطلب توفيق الازدياد فيها.

وإن رأى شرّاً في أعماله سارع إلى التوبة والإنابة وطهّر صفحة قلبه بماء الحسرة والندامة، وأن يتدارك ذلك بالأعمال الحسنة فيطلق نفسه النفيسة من تلك السيئة.

الثامن: المداومة على الاستغفار وطلب المغفرة في ساعات الليل والنهار خصوصاً في الأعصار والأسحار ـ فقد جاء في وصية لقمان لابنه: «**وقل كثيراً: اللّهمّ اغفر لي**».

وهناك على وجه التحقيق أوقات لجناب الحضرة الأحدية لا يردّ فيها سائلاً من حضرة عزّته وجلاله. فعليك إذن المداومة على الدعاء في جميع الأوقات فلعل دعاءك يقع في ساعة من ساعات إجابته سبحانه وتعالى.

التاسع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقدر المقدور مع تحقق آدابه وشرائطه كما هو في كتب الأسلاف مسطور، فإن كل إظهار الحقّ غير ممكن فلا تختار على الأقل مجالسة الأشرار، ويجب عليك أن تنكر أعمالهم وأحوالهم من صميم قلبك، وإياك ومداهنتهم.

العاشر: مساعدة إخوانك في الدين في الأمور الخيرية والسعي في قضاء حوائجهم، وخاصّة الذرية الطيبة لحضرة خير البرية والسلالة العلوية الفاطمية.

الحادي عشر: الاعتقاد بعظمة الأوامر الإلٰهية، وتعظيم وتكريم علماء الدين وأهل التقوى وأصحاب الورع من المؤمنين فإنّه موجب للخلاص في الدنيا والنجاة في العقبى.

الثاني عشر: الصبر في جميع المواطن، فإنّ الصبر بمنزلة رأس الإيمان، والرضا بالأقدار موجب للراحة في الدارين، وينبغي ترك التمنّي

أبداً وأن لا نأمل شيئاً لا نعرف عقباه، والدوام على حالة الشكر يوجب زيادة النعم، وعليك بتكرار الدعاء بفرج آل محمد ﷺ.

الثالث عشر: الاشتغال بالعلوم الدينية النافعة في سلوك طريق الآخرة، وطلب ذلك من أهله. ولا تخشى ـ لومة لائم، ولا تبقى في الجهالة.

الرابع عشر: الإخلاص وعدم النظر إلى غير الحق في جميع الأعمال، فإنّ الرياء ـ نعوذ بالله ـ شرك، واجتنابه واجب.

الخامس عشر: السعي في صلة الرحم والإحسان إليهم، فهو منشأ لعلوّ الدرجات والبركة في الأموال وطول الأعمار ورضا الرحمن، ولو بالسلام إن كان غيره محال، وصلة رحم الوالدين خاصة فإنّ حقوقهما لا حصر لها وعقوقهما موجب للخسران سواء في الحياة أو الممات.

السادس عشر: زيارة الإخوان ومذاكرتهم في أمور الدين والآخرة، فإنّ في مذاكرتهم يحصل الاستعداد التام وتوفر الزاد لسفر الآخرة البالغ الخطورة.

السابع عشر: ترك التوسّع في المباحات وترك التضييق على النفس، بل يجب الاقتصاد وسلوك طريق الاعتدال.

الثامن عشر: معاشرة أهل الدنيا بعنوان المداراة ومعاملتهم على قدر عقولهم، وتجنّب عرض ما أنكروه من المعارف وما لا يدركوه بنواقص عقولهم، وحسن الخُلق معهم وكظم الغيظ والتواضع وترك التكبّر والعُجب والأنانية والخيلاء والنخوة، والطلب من الحضرة الأحدية إصلاح أعماله وأعمالهم. واجعل التقوى رأس مالك في جميع الأمور وعليك بمداومة مراقبة جناب حضرة القدس الإلٰهي تعالى شأنه، والتوسّل بأهل البيت الأطهار صلى الله عليهم في الليل والنهار.

التاسع عشر: تحصيل الخوف والرجاء وهو الخوف من سخط الجبار والكون في مهد الأمن والأمان للرحمة اللانهائية للرحمن. وينبغي الاحتفاظ بهاتين الحالين بدرجة واحدة. فإنّ اليأس من رحمة الله والأمن من سخطه منشأ لمآثم لا تحصىٰ، اللّهمّ إلاّ في حال الاحتضار فينبغي غلبة رجاء الرحمة.

العشرون: تحصيل عفاف النفس مع الجود والسخاوة والثبات والاطمئنان ومواساة الإخوان ومسامحتهم، والتأمّل في دقائق المسطور والمداومة على رياضة النفس يثمر السعادة وارتفاع الشقاء.

عصمنا الله وإخواننا المؤمنين عن هواجس الشيطان اللعين وجعلنا في يوم الدين في مقام الآمنين آمين ربّ العالمين.

برنامج عمل
من العارف السيّد صدر الدين
محمد الموسوي الكاشف الدزفولي
تلميذ البيد آبادي
في بيان الأمور التي يجب
على سالك الحق العمل بها

العمل بالطاعات الواجبة وبيانها على سبيل الإجمال

وهو شامل على عدّة مطالب:

[الآداب الباطنية للصلاة]:

المطلب الأول: في ذكر الصلوات الواجبة:

اِعلم أنّ من جملة الصلوات الواجبة هي الصلاة اليومية، وهي سبعة عشر ركعة في اليوم والليلة، ويجب أداءها بالآداب والشروط المذكورة في كتب الفقهاء.

يجب أولاً تصحيح ظاهر الصلاة، ثم السعي لإصلاح باطنها، فإن للصلاة ظاهر وباطن. فظاهرها هي هذه الصورة من الأركان والآداب التي يجب الإتيان بها، وباطنها هو حضور القلب عند أدائها من الابتداء إلى حين الانتهاء أي التوجّه إلى الحق سبحانه في وقت الصلاة بنحو لا يوجد خيال في القلب غير الحق سبحانه، وهذا لا يمكن حصوله إلاّ بترك الشهوات، والانزواء عن أهل الدنيا، ورفض التعلّقات، والمداومة في الخلوات على الذكر والفكر فإنّ النفس المحجوبة بحجاب الشهوات لا تدعه يلتفت إلى الله تعالى بنحو كامل.

واعلم أنّ للصلاة صورة باطنية حقّاً، وتحصل بست خصال: حضور القلب والتفهّم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء. وهذه الخصال الستة حالات حسنة وجميلة لا يمكن تحصيلها بتمامها إلاّ في مؤمن ممتحن نوّر الله سبحانه قلبه بالمعرفة والإيمان.

وأمّا بيان هذه الخصال:

حضور القلب:

والمقصود منه إفراغ القلب من غير ما هو مشغول به، فيجب إذن أن لا يكون فكره مشغولاً بغير ذلك الأمر. وكلّما رجع فكره عن غير الأمر المشغول به، وثبت في قلبه ذكر الشيء الذي هو مشغول بحصوله، فإنّه سيحصل له على وجه التحقيق حضور القلب.

التفهّم:

أي فهم معنى الكلام، وهو أمر وراء حضور القلب، إذ يمكن أن يكون القلب حاضراً مع اللفظ وغير حاضرٍ مع معناه. ووصول القلب بالعلم بمعنى لفظ هو نفس الشيء الذي نريده من التفهيم. ويتفاوت الناس في هذا المقام.

التعظيم:

وهو أمر وراء حضور القلب والفهم. فمن الممكن أن يخاطب الرجل غلامه، ويكون هذا الغلام حاضر القلب عند المخاطبة ويفهم معاني كلامه ومع ذلك فهو لا يعظّمه. فالتعظيم إذن أمر غير حضور القلب والفهم.

الهيبة:

وهو أمر غير التعظيم، فإنّ الشخص الذي لا يخاف لا يقال عنه إنّه هائب، فالهيبة إذن خوف مصدره الجلال. فمثلاً كان الإمام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة وكان

عندما يتوضأ يصفرّ وجهه المبارك، وكان يرتجف عندما يقوم للصلاة، وحينما سُئل عن هذه الحالة قال: «**أتدرون لمن أتأهب للقيام بين يديه**»(١).

الرجاء:

لا شك أنّ الرجاء أمر غير ما تقدّم، فكثيراً ما يُنظر بتعظيم لملك ويهابه لخوفه من سطوته وهو لا يتوقّع الحصول على هدية منه. فالعبد يجب أن يكون راجياً من صلاته ثواب الله سبحانه وتعالى كما يخاف من عقابه سبحانه في حال تقصيره.

الحياء:

وهو أمر زائد على جميع الخصال من حيث إن سبب الحياء هو التقصير وتوهّم الذنب، ويمكن أحياناً تصوّر التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء عندما لا يتصوّر تقصيره.

وٱعلم أن لهذه الأمور المذكورة أسباب وبواعث عديدة:

فأما سبب حضور القلب:

فهو القصد، من جهة أن قلب الإنسان تابع لما يقصده، فهو لا يحضر إلاّ فيما قصده. والقلب لا يبقى عاطلاً أبداً، فهو إن لم يكن حاضراً في الصلاة فإنّه سيكون حاضراً في الأمور الدنيوية. فإذن لا مناص في إحضار القلب إلاّ بإلفات القصد نحو الصلاة.

ولا يتوجّه القصد نحو الصلاة إلاّ بظهور الغرض، والمطلوب من القصد والغرض هو الإيمان والتصديق بأنّ الآخرة أفضل وأبقىٰ من الدنيا، والصلاة وسيلة للوصول إلى الآخرة. فإذن عندما يضاف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا يحصل من مجموع ذلك حضور القلب في الصلاة.

---

(١) بحار الأنوار: ٧٣/٤٦ ح ٦١.

وأما سبب التفهّم:

وبعد حضور القلب ينقل الفكر ويلفت الذهن نحو إدراك المعنى. وعلاجه كعلاج حضور القلب بإقبال النفس على التفكير والسعي في رفع الأمور الشاغلة للفكر. وعلاج دفع الخواطر الشاغلة هو في قطع موادّها، ودفع أسباب الخواطر يعني قطع القلب منها، وما دامت لم تقطع تلك المواد التي توجد منها الخواطر فإنّ الفكر لا يرجع منها إلى ذكر الله تعالى والتأمّل في عظمته وجلاله.

فإذن كل من يحب شيئاً فهو دائم الذكر له، وذكر الشيء المحبوب غالب على القلب ويشغله عن ذكر المحبوب، ومن هذه الجهة نرى من يحب الدنيا لا يمكن أن يأتي بصلاة صافية من هذه الخواطر التي تشوّش المصلّي.

وأما سبب التعظيم:

وهي حالة توجد من معرفتين:

الأولى: معرفة جلال الله وعظمته، وهي كمال الإيمان.

الثاني: معرفة حقارة النفس وخسّتها؛ ووجودها يجعل العبد ذليلاً في نهاية الذلة والمسكنة.

وبعد وجود هاتين المعرفتين تكون الاستكانة والانكسار والخشوع لحضرة ذي الجلال. ويعبّر عن هذا بالتعظيم.

وأمّا الهيبة والخوف:

وهي الحالة التي تحصل للنفس من المعرفة بقدرة الله وسطوته وبطشه ونفاذ أمره، وإنّ الحق تعالى إذا أهلك الخلق من الأولين والآخرين فلا ينقص من ملكه شيء، ومع وجود هذا لاحظ الابتلاءات النازلة على

الأنبياء والأولياء. فإذن معرفة هذا يكون منشأ لحصول الهيبة في القلب، وكلما زاد علمه بالله سبحانه وكبريائه ازدادت هيبته وخشيته.

وأمّا سبب الرجاء:

وهي معرفة لطف الله تعالى وكرمه وسعة رحمته وفضله وإحسانه وإنعامه ومعرفة لطائف صنعه ومعرفة صدقه في الوعد بالثواب والجنة على إقامة الصلاة. وحينما يحصل اليقين بوعده سبحانه ومعرفة لطفه يحصل من مجموع ذلك الرجاء.

وأما سبب الحياء:

وهو الشعور بتقصير النفس في العبادة والعلم بالعجز عن القيام بتعظيم الله سبحانه، كما يجب الاطّلاع على كثير من عيوب النفس وآفاتها وقلّة إخلاصها وميلها نحو لذات الدنيا الفانية في جميع أفعالها. وكذلك العلم بأنّ الحق تعالى يرى ويطّلع على باطن الأمور وعلى الأمور التي تخطر على القلب مهما كانت في ظلمات الخفاء. وعندما تحصل هذه المعارف على وجه اليقين تحصل حالة يُطلق عليها «الحياء».

ثم اُعلم بعد هذا أن الصلاة الكاملة كالإنسان الكامل واقعاً، ومشتملة على روح وجسد، وتنقسم إلى ظاهر وباطن، وأنّ لروحها وباطنها أخلاق وصفات عديدة، ولجسدها وظاهرها أعضاء وجوارح عديدة.

فإذن روح الصلاة هي معرفة الحق الأول، ومعرف عبوديته يكون من جهة الإخلاص. ولأخلاقها وصفاتها الباطنية ستّ معانٍ مرّ ذكرها. وأمّا أعضاءها وجوارحها فهي القيام والقراءة والركوع والسجود.

المطلب الثاني: في ذكر الصوم والزكاة والحج:

اِعلم أنّ معنى الصوم هو المنع ومسك النفس عن شيء. وصوم شهر رمضان واجب بنص القرآن. والصوم على ثلاث مراتب:

الأولى: مرتبة العوام، وهي منع النفس من الأكل والشرب وباقي المبطلات.

الثانية: مرتبة الخواص، وهي منع النفس عن المذكورات السابقة، ومنع الأعضاء والجوارح أيضاً من ارتكاب المعاصي، مثل منع العين من النظر إلى ما حرّم الله، ومنع الأذن من سماع الغناء والغيبة، ومنع اللسان من الفحش والغيبة، وكذلك باقي الجوارح.

نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضّوا أبصاركم، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تغتابوا ولا تماروا ولا تكذبوا ولا تباشروا ولا تحالفوا ولا تغاضبوا ولا تسابّوا ولا تشاتموا...**»[1].

الثالثة: مرتبة خواص الخواص، وهي منع النفس والجوارح عمّا هو مذكور سابقاً، مع تطهير القلب من التعلّق بغير الله ومنع القلب من الالتفات إلى غير الحق، وهذه مرتبة الأنبياء والأئمة المعصومين وقليل من أولياء الله الذين وصلوا إلى هذه الدرجة بسبب متابعة الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

[خواص الصوم الكامل]:

الصوم الواقع بشروطه وآدابه على وجه الكمال على سبع خواص:

الأول: أن يكون شبيهاً بالملائكة بسبب خلوّ البطن من الطعام وحفظ الجوارح من المعاصي.

الثاني: تذكر جوع وعطش يوم القيامة بسبب الجوع والعطش.

الثالث: الإحساس بألم قلوب الفقراء عند تحسّسه بألم الجوع.

الرابع: العلم بقدر نعمة الله تعالى، فإنّ الإنسان ما لم يجوع ويشبع لا يدرك نعمة الخبز والماء.

---

(١) بحار الأنوار: ٩٦/ ٢٩٢ ح ١٦.

الخامس: ما يحصل من صفاء للقلب بسبب الجوع، وصفاء القلب سبب للقرب من الحق تعالى.

السادس: أن يتيسّر له بذل الطعام والشراب في طريق الحق.

السابع: تضييق طريق الشيطان وإرغام أنفه بالتراب، وفيه إشارة إلى الحديث القائل «**الصوم جنّة من النار**»[1]، **فإنّ الشهوات النفسانية بمنزلة النار، بل هي عين النار، وبما أنّ الإنسان إذا جاع وعطش خمدت نار شهوته، وكلّما انطفأت نار شهوته ابتعد عن نار جهنم، فالصوم إذن سبب النجاة من النار، وبسبب علوّ درجة صاحب الصوم يقول الحق تعالى**: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»[2].

وأمّا الزكاة:

فهي على ثلاثة أقسام:

الأول: زكاة المال، وهو يتعلّق بتسعة أشياء.

الثاني: زكاة البدن، وهو على قسمين:

١ـ الزكاة التي لها شركة مع المال والتي يحفظ البدن بسببها من الآفات وهي زكاة الفطرة.

٢ـ الزكاة الحاصلة من وصول الأذى والأمور غير المرغوبة للإنسان.

الثالث: زكاة الجاه وهو السعي لتخليص المظلوم من يد الظالم، وعدم التقصير في ذلك لمن يقدر عليه.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/ ٣٣٠ ح ٦.

(٢) بحار الأنوار: ٩٦/ ٢٥٥ ح ٣١.

وأمّا الحج:

وهو واجب على المستطيع، ويجب أن يكون الظاهر موافقاً للباطن، أي كما أن ظاهره متوجّه إلى بيت الله فينبغي أن يكون باطنه متوجّهاً إلى صاحب البيت. والاحتراز من إلقاء كلّه على الناس في أثناء الطريق أو أن يكون زاده من المال الحرام أو الشبهات أو لا يكون له معرفة بصاحب البيت مطلقاً. والخلاصة يجب السعي أن لا يضيع تبعه في هذا الطريق.

المطلب الثالث: في ذكر الجهاد:

وهو على قسمين: أحدهما الجهاد الأصغر وهو الجهاد مع الكفار، والآخر هو الجهاد الأكبر وهو الجهاد مع النفس الأمّارة، وهو من أعظم آداب السلوك. فيجب ويتحتم على السالك إذن الجهاد مع النفس، كما جاء في الكلام المجيد: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] أي الذين يجاهدون مع أنفسهم في طريق محبتنا وامتنعوا عن الاستجابة لمشتهيات أنفسهم وواظبوا على الطاعات والعبادات واجتناب المنهيات واكتساب الفضائل والكمالات الأخروية سنهديهم ونوصلهم إلى طرقنا التي يأمنون عند سلوكها من الضلال والضياع ويصلون إلى المقصد من غير شائبة شك وشبهة.

فإذن يجب على كل شخص جهاد النفس، ويجعل نفسه دائماً في معرض المحاسبة والمراقبة، والامتناع من لذات الدنيا الدنيئة الفانية، ويتوجّه في جميع أحواله من حركاته وسكناته وأن لا يغفل عن المخاطر الموجودة فيها.

واعلم أنّ كل نفس يخرج منه درّ ثمين وجوهر غالٍ، وليس هنالك شيء من الأشياء تكون فيه قابليته بنحو يكون بديلاً عنه أو يكون عوضاً

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

له، بل هو نقد يمكن فيه شراء كنز من كنوز الرحمة الإلهية بحيث ينتفع من فيضه أبد الآباد ويكون نفعه مصوناً عن عار الفناء والزوال، وإضاعته أو صرفه في أمر لا يتضمّن إدراك سعادة نقصان عظيم وخسران مبين، وكل عاقل لا يقترب منه لئلاّ يوصف بضعف العقل، وهو لا يليق بكل ذكي وعالم حتى لا يصفه أرباب الإدراك والنقد بالجهل وعدم التمييز.

فإذن عليك أن تكون كطائر السَحَر صارخاً «سبّوح قدّوس» وتؤذّن بنداء «حيّ على الصلاة»، وعليك أن تأتي بكلا القسمين، وبعد الفراغ من ذلك اجعل النفس محراباً لخطابك ويجب عليك أن تقول لها: «يا نفس إنّك بضاعتي ورأسمالي الذي أستطيع به النجاة، وأنت، ليس لأيام العمر الفانية هذه فقط، وأن ما ذهب منه في معرض الفناء والزوال هو في الحقيقة نقصان حصل في رأسمالي، وهذا اليوم الجديد من أجل مُهلة الحياة قد وهب لك ربّ العزّة الحياة فيه لتعبديه وليكون لك فيه فائدة لنجاتك وفوزك، وإذا لم تحصلي على أجل المهلة فيه وتكونين اليوم فيه في سلك الأموات فتصوري أنّ كل ما تريديه من الله سبحانه في أن يهب لك الحياة في هذا اليوم لتتداركي فيه أيامك الماضية وأن تأتي فيه بعمل يبيّض فيه وجهك وترفعي الخجل عنك قد تحقّق لك وقد استجاب الله لطلبك فوهبك الحياة فيه، فاْعملي فيه ما كنت تريدين الإتيان به في ذلك اليوم. وهنيئاً لك أن اعتبرت الحياة في هذا اليوم غنيمة لك ولم تضيعي ساعاته ولم تدعيه يذهب سدى.

في ذكر مجمل الآداب والسنن وبيان رياضة النفس وأركانها والكلام فيه في عدّة مطالب

المطلب الأول: في بيان مجمل في النوافل اليومية:

اعلم أنّ من السنن التي يلزم المواظبة عليها لطالب الحق هي النوافل اليومية ومتممات الفرائض، وينبغي على السالك عدم تركها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. فإن تركها لعذر قضاها في وقت آخر. ونشير إليها بنحو مختصر:

يبدأ بنافلة الظهر عند العلم بزوال الشمس، وهي ثمان ركعات. وأمّا وقت نافلة العصر فهو بعد الانتهاء من صلاة الظهر وتعقيباتها، وهي ثمان ركعات أيضاً مثل نوافل الظهر كل ركعتين بسلام واحد.

وأما نافلة المغرب فأول وقتها بعد الفراغ من صلاة المغرب، وآخره ـ بناء على المشهور ـ إلى زوال الحمرة المغربية، وهي أربع ركعات، ثم تأتي بعدها بركعتي الغفيلة.

وأما نافلة العشاء فهي ركعتان بعد صلاة العشاء وتسمى الوتيرة، والمشهور بين العلماء هو الإتيان بها عن جلوس.

وأما نوافل الليل، فقد ورد التأكيد عليها على سائر النوافل، وثوابها

عظيم، ويقرّب طالب الحق وجوبها على نفسه. فينبغي إذن السعي لعدم تركها، فإن تركها قضاها. ووقت نوافل الليل هو منتصف الليل، وكلما اقترب أدائها من الفجر كان أفضل، فإنّ حضور القلب يكون أفضل كلما اقترب من الفجر لخلوّ المعدة من الطعام والشراب ولنسيان بعض التخيلات الحاصلة في أول الليل، وعددها مع نافلة الصبح ثلاثة عشر ركعة.

المطلب الثاني: ذكر الآداب والسنن التي يلزم لطالب الحق الإتيان بها في طريق السلوك:

وأهمها أربع أمور:

الأول: المواظبة على حضور صلاة الجماعة التي هي من السنن المؤكدة، وقد جاء التأكيد عليها كثيراً في الأحاديث، ويجب على طالب الحق عدم تركها من غير عذر وسبب.

الثاني: التصدّق في سبيل الله بما هو متيسّر، بل كلما أعطى أكثر كان أفضل إذا لم يلحق الضرر بنفسه وعياله، ففي هذه الحالة فإنّ النفس والعيال أولى من الصدقة.

الثالث: اتخاذ الصوم سُنّة، خاصة في الأيام البيض من كل شهر، وقد ورد الترغيب والتأكيد على صيام أيام شهري رجب وشعبان وكذلك الأيام المباركة الأخرى أثناء السُنّة. وينبغي على طالب الحق عدم ترك صيام ثلاثة أيام من كل شهر وهي الخميس الأولى من أول الشهر والأربعاء وسط الشهر والخميس في آخر الشهر، وهي من سنن النبي الأكرمﷺ. واعتقاد هذا الحقير أن الصوم الدائم جيد إن كان متيسّراً، إلاّ إذا كان باعثاً على العُجب والرياء فحينئذٍ يكون الإفطار أفضل من صيام كهذا.

الرابع: زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأئمة المعصومين عليهم السلام وسائر قبور الأنبياء والأولياء، خصوصاً زيارة قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقد ورد فيه تأكيد كثير، وكذلك من السنن المؤكّدة زيارة قبر الوالدين والأساتذة.

الخامس: أداء حقوق الإخوان المؤمنين وقضاء حوائجهم، فقد ورد فيه تأكيد كثير. والسعي في حوائجهم وإدخال السرور على المؤمنين وحفظهم في الغيب. بل يعتبر طالب الحق حاجة أخيه المؤمن حاجته، وأن يفكر في قضائها أكثر ممّا يفكر في حاجة نفسه.

السادس: تدارك ما مضى ذكره من النوافل وقضاء حوائج المؤمنين وغيرها في كل وقت يكون فيه واعٍ ومنتبه.

السابع: قراءة القرآن في كل يوم على حدّ المقدور. والأحوط أن لا يقرأ في اليوم أقل من خمسين آية، وإن قرأ أكثر كان أفضل، بل الأفضل أن يقرأ في غير شهر رمضان في كل يوم جزء فيختم القرآن في كل شهر مرة، وأما في شهر رمضان فيختمه في كل ثلاثة أيام مرة.

الثامن: زيارة العلماء الربانيين والإخوان في الدين وصحبة الصلحاء والعبّاد إذا عرفهم.

التاسع: الذكر، والمداومة في كل يوم على الأدعية والأذكار من أهم مطالب السالك، وخصوصاً في تعقيب الفرائض اليومية التي ورد فيها تأكيد كثير. والمداومة على الذكر من أعظم شرائط الرياضة وسلوك طريق الحق. وأفضل الأذكار ذكر «**لا إله إلاّ الله**» لتجرّد النفس من التعلّقات، وأمّا الذكر لقضاء الحاجات ودفع الهموم والغموم فإنّ أفضل أذكارها هو ذكر يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

العاشر: ترك الأكل الكثير والشرب الكثير والكلام الكثير والنوم الكثير وكثرة جمع المال، فإنّها تمنع الطالب من الحق وتصير حجاباً له.

الحادي عشر: عدم إضاعة أوقات العمر في الأمور التي لا تعينه على آخرته، مهما كانت تلك الأمور مباحة، فإنّ العمر رأس مال الإنسان ويجب على الإنسان أن يربح فيها الآخرة ودرجات التقرّب للحق.

الثاني عشر: مداراة الناس بحسن الخلق، ومعاشرتهم بحسن البشر، وأن لا يكون عبوس الوجه معهم مهما كان ذلك الشخص محسوباً من السيئين، إلاّ أن يكون حسن البشر مع الشخص العاصي سبباً في جرأته أكثر على المعصية، فإنّ التعبيس في وجهه حينئذٍ أفضل.

الثالث عشر: الاحتراز من سوء الظن بالناس.

الرابع عشر: تنظيم الأوقات، أي يقسم ساعات ليله ونهاره في الأمور الضرورية، مثلاً النوم في أول الليل والاستيقاظ في آخره لأداء النوافل، لا أن ينام الليل كله أو يستيقظ الليل كلّه، إلاّ في الليالي المباركة التي يكون إحيائها سُنّة. وكذلك تقسيم النهار فيصرف قدر منه في المعيشة، فإنّ طلب الزرق الحلال له ولعياله واجب، بل من أفضل العبادات.

المطلب الثالث: في رياضة النفس:

المراد من الرياضة في هذا المقام هو منع النفس الحيوانية من الانقياد والمطاوعة للقوى ـ الشهوية والغضبية وما يتعلّق بهما، ومنع النفس الناطقة من اتّباع القوى الحيوانية في الرذائل الأخلاقية والأعمال التي مثل الحرص على جمع المال وطلب الجاه وما يلحق ذلك في المكر والحيلة والخدعة والغلبة والتعصّب والحقد والحسد والفجور والانهماك

في الشر وغير ذلك، وإرجاع ملكة إطاعة النفس للعقل والعمل على إيصالها إلى الكمال الممكن. ويقال لمثل هذه النفس بالنفس الملهمة، ويطلق على النفس المتّبعة للقوى الشهوانية بالنفس البهيمية، وتسمّى النفس التي صارت الرذائل ملكة لها بالنفس الشيطانية، وقد سمّاها الله تبارك وتعالى في القرآن المجيد بالنفس الأمّارة.

وعندما تميل النفس إلى الخير تندم على الشر وتلوم نفسها عليه. وحينئذٍ تسمّى «اللوّامة». وعندما تكون النفس منقادة للعقل وصار طب الخير ملكة لها سمّيت بالنفس المطمئنة.

والغرض من الرياضة ثلاثة أمور:

الأول: رفع الموانع من الوصول إلى الحق، وهذه الموانع هي المشاغل الظاهرية والباطنية.

الثاني: انقياد النفس الحيوانية إلى طاعة العقل في العمل الباعث نحو الكمال.

الثالث: ملكة انقياد النفس والثبات على الحالة التي تكون فيها مستعدة لقبول الفيض الإلهي لتصل إلى الكمال الممكن.

المطلب الرابع: في ذكر الجوع ومدح قلّة النوم:

اِعلم أنّ أعظم مهلكات بني آدم هي شهوة البطن، لأن الوصول إلى ملذات الطعام والشراب والنكاح لا يكون إلاّ بالمال، فتحصل الرغبة في تحصيل المال. كما أن المال لا يحصل إلاّ بالجاه، ومن تحصيل المال والجاه تحصل أنواع الآفات والملكات الرديئة كالحسد والحقد والبخل والرياء والعداوة وأمثالها. وكلها في الحقيقة هي ثمرة شهوة البطن.

روي عن الرسولﷺ قوله «**التفكير نصف العبادة، وقلّة الأكل تمام**

العبادة» وقال أيضاً: «**المؤمن يأكل في معيٍ واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء**»(١).

ويحصل من الجوع: قلّة النوم وسرعة الاتسيقاظ في الليل للعبادة، وصحة البدن، ودفع الأمراض، فإنّ سبب أكثر الأمراض هو كثرة الأكل. وأما قلّة النوم والاستيقاظ فهو على نوعين: يقظة القلب ويقظة العين. ويقظة القلب هو استيقاظه من نوم الغفلة للبحث وطلب مشاهدة المطلوب، ويقظة العين من جهة حفظ القلب في طلب المشاهدة.

ويجب أن يعلم أنّ كثرة النوم تميت القلب، وقلّة النوم تسبب صفاء القلب، بل العين المستيقظة هي أول سلسلة الوعي، وقلب محيي الليل بالعبادة خزانة الأسرار الإلٰهية.

المطلب الخامس: في ذكر العزلة ومدح السكوت:

يجب أن يُعلم أنّ سلوك طريق الحق والاستقامة على طريق الهدى ومخالفة النفس والهوى ـ والالتزام بخلوص العبادة ومطالعة كتاب القلب ومراقبة أمور الباطن لا تتحقق من غير عزلة.

ومن وصايا الرسول ﷺ لأبي ذر: «**يا أبا ذر الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء. يا أبا ذر لا تصاحب إلاّ مؤمناً**»(٢).

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «**يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها**

---

(١) بحار الأنوار: ٦٦/ ٣٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ٧٧/ ٨٤ ح ٢.

ورغب فيما عند ربّه، وكان أُنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزّه في غير عشيرة»[1].

وأمّا فضيلة السكوت:

فاعلم أنّ اللسان ترجمان القلب، وهو من جملة الأعضاء التي نسبتها إلى القلب أتمّ. والكملات الجارية على اللسان أثرها على القلب أكبر من أثر أعمال سائر الأعضاء الأخرى. فإنّ الكلام القبيح وفضول الكلام تجعل القلب مظلماً، وكلام الحق يضيء القلب، وكثرة الكلام تميت القلب، والكذب يجعل القلب مقلوباً فلا يرى حقائق الأشياء على واقعها.

ود وردت أحاديث كثيرة في مدح السكوت وذمّ كثرة الكلام. منها ما نقل في الكافي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**من علامات الفق: الحلم والعلم والصمت، إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة، إنّ الصمت يكسب المحبّة، إنّه دليل على كل خير**»[2].

ومن آفات اللسان:

الأول: الكلام في الأمور التي لا طائل وراءها ولا فائدة فيها.

الثاني: فضول الكلام والخوض في الأمور غير المقصودة.

الثالث: الخوض في الباطل وهو الحديث في المعاصي.

الرابع: المراء والجدال.

الخامس: الخصومة.

---

(١) بحار الأنوار: ١/١٣٧ ح ٣٠.
(٢) بحار الأنوار: ٢/٤٨ ح ٦.

السادس: التعقيد في الكلام، أي تكلّف السجع والفصاحة.

السابع: الفحش والسبّ.

الثامن: اللعن، إلاّ اللعن على مستحقيه من أعداء الله فهو من أفضل العبادات.

التاسع: الغناء.

العاشر: المزاح.

الحادي عشر: السخرية والاستهزاء.

الثاني عشر: إفشاء السرّ.

الثالث عشر: الوعد الكاذب.

الرابع عشر: الكذب في الحديث والقسم وهو من أقبح الذنوب.

الخامس عشر: الغيبة وهي من أعظم عيوب اللسان.

السادس عشر: النميمة.

السابع عشر: النفاق وذو الوجهين بمعنى أن يتحدّث أمام شخص بنحو معيّن ويتحدّث خلفه بنحو آخر.

الثامن عشر: المدح والذم لأشخاص غير لائقين للمدح أو الذم.

التاسع عشر: الغفلة عن الدقائق.

الشيخ محمد تقي بهجت

(دام ظله)

سيرته الذاتية

أ ــ مولده وموطنه:

ولد آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت أواخر سنة ١٣٣٤هـ.ق. في عائلة متديّنة من أهل التقى والورع في مدينة «فومن»[١]، وكان والده الكربلائي[٢] محمود من رجال تلك المدينة الموثوقين، والذين يرجع إليهم في حلّ مشاكل الناس ونزاعاتهم، وتزكّى وتؤيَّد سندات الملكية والمعاملات بشهاداتهم وتوقيعهم. كما كان الكربلائي محمود أيضاً من أهل الأدب وذوي الذوق الحسن فيه، ولا يزال شعره المملوء حرارة والذي كان يلقيه في مراثي أهل البيت وخاصة الإمام الحسين عليه السلام متداولاً على ألسن المداحين والقراء إلى اليوم.

ب ــ في ساحة العلم والعمل وجهاد النفس:

قام العلامة الشيخ بهجت بالهجرة بعد تحصيل المقدمات من علوم العربية في مدينة «فومن» سنة ١٣٤٨هـ.ق. وبعد التوقف فترة في مدينة «قم» قبل تأسيس الشيخ الحائري رحمه الله للحوزة بها، يمم شطر العراق ليقيم

---

(١) مدينة «فومن» من مدن مقاطعة كيلان في شمال إيران قريبة من مدينة «رشت».

(٢) «الكربلائي» لقب يطلق عند الإيرانيين على من وفق لزيارة كربلاء المقدسة.

حوالي أربع سنوات في كربلاء المقدسة يستفيد خلالها من كبار الأساتذة كالشيخ أبي القاسم الخوئي[1]، عدا عن انصرافه إلى تهذيب النفس وبناء الذات. ثم انتقل سنة ١٣٥٢هـ.ق. إلى النجف الأشرف بقصد متابعة التحصيل حيث أنهى هناك المراحل الأخيرة من السطوح العالية، لينتقل إلى مرحلة الخارج متلمّذاً على آيات الله العظام المحقق ضياء الدين العراقي والميرزا النائيني والمحقق الشيخ محمد حسين الأصفهاني، وقد قام بتكميل نظراته وآرائه في الأصول والفقه على يد الأخير منهم الذي عُرف درسه بغزارة المحتوى وعمق المضمون. وقد نقل بعض علماء النجف عن آية الله الشيخ بهجت تميّزه في درس الشيخ الأصفهاني بالنقاش الدقيق والإيراد الناضج.

وفي أثناء دراسته كان الشيخ بهجت من الطلاّب المعروفين في العرفان للعارف الأوحد السيد علي القاضي التبريزي الذي تغني شهرته عن بيان أحواله، فكان الشيخ بهجت يتربى على يديه في السير والسلوك كما ينقل العلامة المرحوم السيّد محمد حسين الطهراني في الجزء الأول من كتابه أنوار الملكوت، ويتابع قائلاً إن الشيخ بهجت كان زمان المرحوم القاضي واجداً لحالات ومكاشفات غيبية إلهية وكان حائزاً للحد الأعلى من مراتب المراقبة والصمت.

كما قد استفاد الشيخ بهجت أثناء تحصيله من آية الله العظمى السيّد أبي الحسن الأصفهاني والحاج الشيخ محمد كاظم الشيرازي صاحب الحاشية على المكاسب بدرجة كبيرة، وعدا عن دراسته في الفقه والأصول فقد قام في مجال الفلسفة والمنطق بتحصيل كتاب الإشارات

---

(١) وهو أحد العلماء المعروفين بالتقى والزهد والاستقامة، وقد كان مقيماً في كربلاء، وهو غير المرجع المشهور السيّد أبي القاسم الخوئي.

لابن سينا والأسفار الأربعة للملا صدرا عند المرحوم السيد حسين بادكوبه.

عاد العلاّمة الشيخ بهجت عام ١٣٦٤هـ.ق. إلى إيران، وبعد توقف عدة شهور في موطنه «فومن» توجّه إلى مدينة قم المقدسة لزيارة السيدة المعصومة عليها السلام والاطّلاع على أوضاع الحوزة العلمية فيها مع كونه لا يزال مصمماً على العودة إلى النجف، وكان قد مضى على مجيء آية الله العظمى البروجردي إلى قم عدة شهور فحسب.

شرع الشيخ في قم بتدريس الفقه والأصول في مرحلة الخارج إلى جانب تدريس المعارف العقلية، ثم تواردت إليه أخبار ارتحال كبار أساتذة الحوزة في النجف الواحد تلو الآخر، مما حدا به إلى التصميم على البقاء في قم وصرف النظر عن العودة إلى النجف.

وقد استفاد في قم إلى جانب اشتغاله بالتدريس من آية الله العظمى الحجة الكوهكمري كما شارك في مجلس بحث آية الله العظمى البروجردي الذي كان يشارك فيه الآيات العظام كالسيّد الخميني والسيّد الگلبايگاني قدس سرهم، وينقل آية الله المرحوم الشيخ مرتضى الحائري أن مناقشاته الدقيقة وإشكالاته المهمة لفتت نظر الأستاذ تلك الفترة إلى درجة كان يخرج المجلس عن حالة الدرس ليتحوّل إلى مجلس حوار بينهما، لكن يبدو أن الفرار من الشهرة قد ألجأ العلاّمة الشيخ إلى الانزواء وعدم التعرّض إلى ميزد من النقاش والحوار.

ج ـ أعماله العلمية في مجالس التدريس والتأليف:

لقد كانت مزاولة آية الله العظمى الشيخ بهجت للتدريس غالباً في منزله، وعدا عن تدريسه السطوح في النجف فقد مضى عليه في قم حوالي خمسين سنة في تدريس البحث الخارج، ويتميّز درسه في الأصول

بالإيجاز والعمق ودقة التحقيق، ومن هنا يعتبر مناسباً للفضلاء أكثر منه للمبتدئين في حضور هذه المرحلة، أما في الفقه فيعتمد سهولة الأسلوب والوضوح في البيان.

وله مؤلفات عديدة في الفقه والأصول منها:

١ـ دورة كاملة في الأصول.

٢ـ حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري رحمه الله.

٣ـ شرح كتاب الطهارة من الشرائع.

٤ـ ما يقرب من دورة فقهية في الصلاة.

٥ـ حاشية على ذخيرة العباد تأليف المرحوم آية الله العظمى الأصفهاني، وهي دورة في الفقه بالفارسية تبلغ حوالي عشرة مجلدات ولا تخلو من الاستدلال.

٦ـ حاشية على مناسك الحج للشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله.

٧ـ رسالة في الإرث.

٨ـ كتاب الصوم.

٩ـ كتاب الخمس.

ج ـ جانب العبادة والعرفان:

عُرِف الشيخ دام ظله منذ طفولته، بالإقبال على العبادة، والاستغراق في ذكر الله، والمواظبة على الطاعات والنوافل، وقد قيّض الله له منذ ذلك الحين، وقبل بلوغه سن التكليف، أولياء وعلماء مربِّين، اكتشفوا قابلياته وطهارته الذاتية، فاعتنوا بتوجيهه وإرشاده في طريق العبودية والسلوك إلى الله عزّ وجلّ، ولعلّ أهمهم وأعظمهم في هذا المجال

العارف الكبير وأستاذ السلوك الشهير السيد علي القاضي الطباطبائي رحمه الله.

ويتحدث المطَّلعون على أحوال الشيخ، عن مواظبته التامّة وإقباله منذ شبابه على النوافل، وإحياء الليالي بالعبادة في مقامات العراق ومساجدها المعروفة كمسجد السهلة. وتُروى عنه حكايات وكرامات في هذا المجال.

هذا من ناحية عبادته، أما في جانب العرفان فبالرغم من كون العرفان هو العنوان الأبرز في شخصية الشيخ بهجت، لكننا لا نستطيع أن نفيض في الحديث عنه اعتماداً على التحليل والاطلاع الشخصيص لدقة الموضوع، ولصعوبة الخروج بالتصور الدقيق عن حالات الشخص ومراتبه في هذا المجال الذي يرتبط بباطن الإنسان، ويتلازم عادة مع الكتمان والتستر، خاصة من مثل الكاتب ممّن يفتقر إلى أدوات التقييم الدقيق المطلوبة، وطريقنا إلى تعرُّف هذا الجانب أمور:

الأول: تميّز الشيخ منذ طفولته، وبداية تفتح وعيه، بطهارة النفس ونقاء السلوك، والإقبال على العبادة، كما يحكيه المطَّلعون على سيرته، ويذكرون أنه كان يدرك منذ ذلك الحين بعض الحالات المعنوية لأهل الاستقامة والتّقى، وقد تعرَّف في بداية أمره في بلدته «فومن» إلى رجل كبير السن، معروف بالطهارة والاستقامة، اسمه السيد «سعيدي». كان الشيخ يأتم به في الصلاة، ويستفيد من التردّد عليه قبل بلوغه سن التكليف، وكان مدركاً لبعض حالات هذا الرجل الصالح التي يعيشها أثناء صلاته، وملتفتاً إلى أوضاعه المعنوية من دون الآخرين.

الثاني: تلمُّذ الشيخ المعروف منذ مطلع شبابه عند كبار أساتذة الأخلاق والعرفان، وخاصة أستاذ عرفاء العصر العلاّمة السيّد علي

القاضي رحمه الله، وانخراطه في تلك الأجواء، وانصرافه منذ بدايته إلى العبادة والذكر، واجتناب ما يشغل عن ذلك.

الثالث: شهادات العلماء وأهل الخبرة في حقه، والتي تُنبىء كلها عن الإجلال لشخصه، وعن اتّصافه بالمراتب العالية من القداسة والفضلية، فمن الصعب أن تجد في عصرنا هذا عالماً يتسالم جميع العلماء، ويتّفقون على الإقرار بفضائله وتقواه وزهده وعلمه، كما يتسالمون على الشيخ بهجت. وقد كان له الموقع المميَّز في نفوس العلماء والحوزات العلمية منذ مطلع شبابه، إذ كان عامة العلماء يأتمون به في الصلاة في السفر مشياً على الأقدام من النجف إلى كربلاء، الذي كان متعارفاً بينهم تلك الأيام قبل أن يمنعه النظام الحاكم في العراق. حتى أنه شُوهد نفس أستاذه السيد علي القاضي يأتمّ به في بعض المرات.

وينقل السيّد محمد حسين الطهراني في كتابه أنوار الملكوت عن آية الله الشيخ عباس القوجاني تلميذ السيّد علي القاضي ووصيه، أن الشيخ بهجت كان منذ زمان أستاذه القاضي واجداً لحالات ومكاشفات غيبية إلهية، وحائزاً على مراتب عالية من المراقبة والصمت.

الرابع: سيرته العملية في العبادة والأخلاق والتعاطي مع الناس، ودقّته الفائقة في مراعاة آداب الشرع الحنيف في ذلك. وهذا ما نشير إليه ضمن فقرته الخاصة.

الخامس: كراماته، فإن ما ظهر منه من كرامات وإخبارات غير عادية، وصل إلى درجة اشتهر بين عامة من يعرفه ويطّلع على حالاته، وبات غالبية من يحتكّ به من علماء وغيرهم يذعن بأن الشيخ بهجت يمتلك خصائص غير عادية، من اطلاع على الضمائر، والتفات إلى جوانب وأمور مما لا يمكن حصوله بالوسائل الطبيعية.

السادس: توجيهاته وإرشاداته.

ج ــ في الأخلاق والتعامل:

يروي أحد علماء طهران في هذا المجال، أنه جاء يوماً إلى بيت الشيخ في حاجة له، ففتح له الباب شيخ بسيط المظهر، وكأنه لم يحتمل أن يكون هذا الشخص المتواضع هو نفس الشيخ بهجت ـ إذ من أبسط المعتاد في بيوت المراجع وكبار العلماء أن كون هناك خادم يفتح الباب أو شخص يستقبل المراجعين ـ ولذا قال له هذا العالم: لدي شغل مع آية الله بهجت، فأجابه الشيخ: تفضل بما تريد، فأجاب العالم الطهراني: لي شغل معه شخصياً. فأجاب الشيخ مرة أخرى: تفضل (أي بذكر حاجتك). يقول العالم الطهراني: لم يخطر ببالي أصلاً أنه نفس آية الله بهجت، واعتقدت بأن هذا الشخص لا يريد السماح لي برؤية الشيخ مباشرة. ولذا رجعت دون بيان ما أريد. لكن فيما بعد، وعندما ذهبت إلى المسجد الذي يصلي فيه الشيخ بهجت لأشارك في جماعته، أدركت أن ذلك الشخص الذي فتح لي الباب كان آية الله بهجت نفسه.

ويقول أحد أبنائه حول صرامته في زهده، وتقديسه للوقت، أنه خلال ثلاثين سنة من وجودي إلى جانب الشيخ لم أُسجّل له ثلاثين ساعة من التعطيل أو التنزّه. ويروي أنه دُعي الشيخ بهجت يوماً من قبل أحد أصحاب البساتين للتنزّه في بستانه، وبعد إصرار وتكرار وافق الشيخ، وفي يوم الجمعة الموعود شاهدت الشيخ يأتي حاملاً دفتره، ليبحث عن أول مكان ظليل عند إحدى أشجار البستان، ليجلس فيه ويفتح دفتره ويشرع بالمطالعة، ثم يقوم بعد ذلك ببرنامجه اليومي من أداء زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة عاشوراء، وانقضى الوقت بهذا النحو دون

أن يقوم حتى بدورة تفرج وتفقّد للبستان، ودون أن يتناول شيئاً من الفواكه والطيبات التي كان يأتي بها مضيفنا معلقاً باستمرار كلما أصرّ عليه المضيف في تناول شيء بقوله: دع ذلك لأهله.

وتجد عند الشيخ دام ظله الدقّة الفائقة في حكاية الآداب الشرعية والالتزامات الدينية، في جميع حركاته وسكناته، مما يُنبىء عن درجة عالية من المراقبة والالتفات للنفس وسيطرة عليها. إن من الطبيعي أن يؤثر الإيمان بأدنى مراتبه في سلوك الإنسان وتصرفاته، وأخلاقه وتعامله مع الناس، لكن السيطرة بتلك الدرجة على النفس وانفعالاتها، واختيار الموقف الأفضل بلحاظ الشرع باستمرار، يحكي عن مرتبة إيمانية متميزة وجهاد للنفس بدرجة عالية جداً.

ويتحدث في هذا المجال الشيخ محمد تقي المصباح فيقول ما ملخصه: إن أهم خصائص الشيخ بهجت التي تلاحظ في طريقته التربوية، هي اهتمامه بالآداب الشرعية وبسيرة أهل البيت عليهم السلام، بشكل لا يهمل معه أدقّ التفاصيل.

وكمثال على ذلك، لديه قطعة أرض زراعية انتقلت إليه بالإرث، وعندما يصل إليه قسم من محصولها من الأرز سنوياً، يحرص على تخصيص جيرانه وأصدقائه بمقادير منه، ولا يغير طريقته هذه مهما كان المحصول الواصل إليه قليلاً.

ويتابع الشيخ المصباح مستشهداً على هذه النقطة بقوله ما ملخصه: اضطررت زمن الشاه للتخفّي والابتعاد عن قم لفترة من الزمن، وقد أرسل الشيخ بهجت لمنزلنا تلك الفترة كمية من الأرزّ في إحدى المرات، وفي مرة أخرى أرسل مبلغاً من المال مع ابنه. لكن طريقته كانت أن يرسل ابنه

مع زوجته فيقف ابنه على رأس الزقاق المؤدّي إلى المنزل وتتقدم زوجته لتدخل المنزل بمفردها، ولم أفهم وقتئذٍ السر في هذا التصرّف، إلى أن اطّلعت فيما بعد على أنه من الآداب الشرعية ألاّ يدخل رجل من غير المحارم منزل المرأة في غياب زوجها.

ومما يحكي دقته في الالتزام بالشرع، أن بعض المعارضين لنهج العرفان وللسيد علي القاضي قام بكتابة رسالة إلى والده تلك الفترة يحذِّرونه من أن ابنه يتردد على بعض الصوفيين، وأنه منصرف إلى العبادة مما قد يؤثر سلباً عليه، وقد حدا ذلك بوالده إلى أن يرسل له رسالة ينهاه عن التردّد على السيّد القاضي، فما كان من الشيخ بهجت إلاّ أن حمل رسالة والده وتوجّه إلى أستاذه السيّد علي القاضي ليتعرّف منه تكليفه تجاه ذلك، فيأمره السيّد القاضي بالرجوع في ذلك إلى المرجع الذي يقلّده، وكان الشيخ تلك الفترة يقلّد المرجع السيّد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله، الذي حكم على الشيخ بلزوم إطاعة والده، وتنفيذ أمره بالامتناع عن التردّد على السيّد القاضي، فيلتزم الشيخ حفظه الله بذلك، وتؤثر تلك الحادثة في نفس الشيخ، فيختار السكوت التام وعدم مخالطة أحد إلى درجة أنه كان يستعمل الكتابة حين اضطراره لإنجاز أموره الحياتية العادية كشراء الحاجيات ونحوه.

٢ ـ كراماته:

لو أردنا إحصاء وذكر ما اطّلعنا عليه من كراماته، مما لمسناه مباشرة، أو عرفناه عبر ملازميه والموثوقين ممّن لهم علاقة به، أو بواسطة ما كتب عنه، لأمكننا ربما طباعة منشور مستقل في ذلك. خاصة وأن أمر الشيخ بهجت دام ظله في ذلك بلغ من الشهرة والمعروفية بين العلماء

وسائر المؤمنين في قم، بل في إيران وعامة العالم الإسلامي حدّاً يغني عن الإكثار من الشواهد.

١ـ ينقل العلاّمة المرحوم السيّد محمد حسين الطهراني في كتابه (أنوار الملكوت) نقلاً عن آية الله الحاج الشيخ عباس القوجاني وصيّ المرحوم الميرزا السيّد علي القاضي، فيقول إنّ الشيخ بهجت كان كثيراً ما يزور مسجد السهلة ويبيت فيه، وفي إحدى الليالي المظلمة احتاج إلى تجديد الوضوء منتصف الليل، ولم يكن ثمة مصباح مضاء في المسجد، وكان عليه الخروج من المسجد والعبور باتجاه الجانب الشرقي حيث يقع محل الوضوء.. وأثناء عبوره تلك المسافة في تلك الظلمة الحالكة أحس فجأة بشيء من الخوف ينتابه، وبمجرد الشعور بذلك ظهر حوله نور كما المصباح، سمح له برؤية طريقه والسير خلاله إلى أن وصل مكان الوضوء وأنهى عمله والنور يسير أمامه، ثم اختفى ذلك النور حين رجع إلى مكانه وعاد الوضع كما كان.

٢ـ ينقل آية الله مصباح اليزدي عن أحد أصدقائه أنه أراد السفر قبيل شهر رمضان إحدى المرات وكانت زوجته حاملاً فذهب إلى الشيخ بهجت ليودعه ويلتمس منه الدعاء، فما كان من الشيخ إلاّ أن قال له: سيمُّن الله عليك هذا الشهر بولد ذكر فسمه «محمد حسن».

يقول صاحب القصة: لم يكن الشيخ مطّلعاً على أن زوجتي حامل ومن أين له أن يدري أيضاً أن الولد سيكون ذكراً أم أنثى، لكن بالفعل وضعت زوجتي حملها في ليلة النصف من شهر رمضان ليلة ولادة الإمام الحسن عليه السلام وكان المولود صبياً.

٣ـ يروي أحد الطلاب الأصفهانيين قائلاً: لقد سافرت إحدى

المرات إلى مدينة مشهد بقصد العمل على إصلاح نفسي وتزكيتها هناك في جوار الإمام الرضا عليه السلام، وقمت في يوم من الأيام بزيارة الشيخ بهجت حفظه الله هناك، فبادرني قائلاً دون **سؤال** مسبق: أيها السيّد إن إصلاح النفس بهذا النحو لا فائدة منه، اذهب إلى أصفهان وأرضِ والدتك. فلم أقتنع ورحت أناقشه في ذلك، لكن عندما خرجت من عنده التفتّ إلى أني لم أحدِّثه في هذا الأمر، فمن أين علم بواقع الحال، فرجعت إليه واعتذرت منه.

٤ـ ويروي حجة الإسلام شعباني، أنه عندما أراد التعمم ولبس الزي الديني، توجّه عند الشيخ بهجت لكي يتبرّك بقيام الشيخ بوضع العمامة على رأسه، وكان ذلك في مسجده بعد صلاة الصبح جماعة، يقول: وعندما وضع الشيخ العمامة على رأسي سألني عن الموضع الذي بلغته في الدراسة، وكنت ذلك الوقت قد أنهيت دراسة كتاب اللمعة الدمشقية تقريباً ما عدا بعض الأبحاث والكتب الصغيرة فيها التي لم ألتفت إليها حين الإجابة وقلت: إني أنهيت اللمعة بجزئيها، فلاحظت عندئذ وكأن الشيخ قد انزعج من جوابي، بل لعل شيئاً من آثار الغضب قد ظهر على وجهه، وقال لي: النجاة في الصدق. وقد دعتني هذه الجملة إلى التفكير والتساؤل، بأن الشيخ قد دعا للجميع إلاّ لي، فقد واجهني بهذه العبارة، فما السبب؟ فالتفتُّ بعد التأمل إلى عدم دقّتي في **الجواب**، وإني فعلاً لم أنهِ اللمعة بجزئيها، فرجعت إليه وقلت له: إن مقصودي من إتمام اللمعة هو أني أنهيتها إجمالاً، ولم ألتفت إلى بقاء هذه الكتب الصغيرة، لكني الآن التفتّ إلى ذلك. عندما ذكرت ذلك للشيخ حفظه الله ظهرت عليه آثار الانشراح، ودعا لي بالخير، وعلمت حقاً بأنّه مطّلع على باطن الناس وأوضاعهم الخاصة.

٥ـ وينقل أحد الأجلّة أنه كان يسعى للالتزام بالصلاة جماعة خلف الشيخ بهجت، مع أن منزله كان في أحد أطراف قم القليلة العمران ذلك الوقت، يقول: وفي إحدى المرات خرجت إثر الشيخ بعد الفراغ من صلاتي المغرب والعشاء فالتفت إلي قائلاً: أين منزلاك؟ فذكرت له مكانه، فقال لي بعد تأمل قليل: عجّل بالذهاب إلى المنزل، وليس من اللازم أن تأتي للصلاة ليلاً.

وحيث إني كنت أعتقد بحكمة هذا الشخص العظيم في كل ما يقوله أحسست بضرورة التعجيل بالذهاب للبيت، وعندما وصلت وجدت زوجتي جالسة تحتضن طفلها في حالة شديدة من الرعب، وتبيّن أنها قد وجدت عقرباً في البيت مما أثار خوفها الشديد، وقد دعاني ذلك إلى ترك المجيء إلى جماعة الشيخ بهجت بعد ذلك إلى فترات طويلة مراعاة لحال العائلة.

٦ـ يروي أحد السادة أنه رافق الشيخ بهجت كالعادة في طريقه من المسجد إلى البيت بعد الفراغ من صلاة الجماعة، وخطر بباله أن يسأله حول شجرة النسب الراجعة لعائلته ومدى صحّتها، وفكر في نفسه أثناء ذلك أنه هل يملك الشيخ اطّلاعاً حول الموضوع أم لا؟ يقول إنه عندما وصل الشيخ إلى باب المنزل أخذ المرافقون يسلمون عليه ويقبلون يده مودعين واحداً تلو الآخر إلى أن وصل دوري فقال لي ـ دون سبق سؤال مني ـ: إذا كان لديك مشكلة حول شجرة النسب فعليك بمراجعة الشخص الفلاني.

٧ـ ينقل أحد أساتذة الحوزة عن آية الله المؤمن أنه كان لديه جلسة بحث مع زميل له أيام بداية الدراسة الدينية، وفي أحد الأيام أخبره ذلك

الزميل لدى مجيئه للبحث أنه قد قرر الانصراف عن الدراسة الدينية وترك الحوزة، وعلل ذلك بقوله: أنه لا فائدة تعود للإنسان من البقاء في الحوزة، يقول الشيخ المؤمن فقلت له: لكن إلى أين تذهب؟ وما الذي تنوي المصير إليه؟ فقال: أتحوّل إلى التدريس في المدارس الحديثة، أو أجد عملاً آخر، وتوقف بحثنا منذ ذلك اليوم، وبعد مضي عدة أيام صادف أن ذهبنا سوياً ـ وكان ذلك يوم الجمعة ـ عند الشيخ بهجت، وبمجرد جلوسنا توجّه إلينا الشيخ حفظه الله قائلاً: أيها السادة لا تستخفّوا [بهذه الأحاديث المروية] قال الصادق عليه السلام وقال الباقر عليه السلام، ولا تظنوا أنكم إذا صار أحدكم مدرّساً فثمة شيء هناك [فائدة تحصل]، كلا فكل شيء [وفائدة يمكن أن تحصل] فهو موجود هنا وحسب.

ولقد أثار هذا الكلام اليقظة والتنبّه بدرجة كبيرة لدى صديقنا، والتفت إلى أن المقصود من هذا الكلام الإشارة إلى ما كان يحمله من أفكار تشغله، ومن ثم انصرف عمّا كان ينوبه.

٨ـ كان هناك شخص يعاني من ابتلائه ببعض الشبهات العقائدية، فيترك بلده ويسافر إلى قم، وهناك يرى الشيخ بهجت في عالم الرؤيا، فيجيبه على شبهاته، وبعد أن يستيقظ ذلك الشخص لم يكن قلبه مطمئناً بصدق الرؤيا، فيأتي يوم الجمعة إلى الشيخ ليطرح عليه شبهاته، وبمجرد وصوله ومحاولته الكلام في الموضوع يقول له الشيخ: الجواب هو ما قلته لك في الرؤيا فلا تتردد.

٩ـ ينقل أحد مريدي الشيخ قائلاً: لقد نويت في إحدى المرات أن أسيطر على لساني بدرجة أكبر فلا أكلم أحداً، وفي ذلك اليوم زرت الشيخ بهجت فالتفت إليَّ قائلاً [دون سبق سؤال مني وإشارة للموضوع]:

لن يسوؤني أنه لو أراد شخص ما أن يكون متحفظاً في كلامه ـ وإذا كان في ذلك مصلحة ولم يكن خلاف السياسة [اللياقة] أن يكون كلامه بالقرآن.

١٠ـ ويروي أحد طلاب الشيخ بهجت ما يلي:

كان لدي بنتان، وفي إحدى الليالي لاطفت طفلتي الصغرى وقبلتها دون أن ألتفت إلى أختها، لكن خطر ببالي حينها أنه قد تكون الكبرى مستيقظة وتتضايق لأني لم ألاطفها أيضاً، لكني أهملت الأمر وتجاوزته. وفي الصباح لدى وصولي عند الشيخ حفظه الله التفت بعد السلام مباشرة قائلاً: عسى أنكم تطبقون المساواة بين الأطفال إنشاء الله.

٣ ـ منهجه وجملة من توجيهاته وآرائه:

إن التعرّف بدرجة وافية إلى آراء الشيخ حفظه الله ومنهجه يتكفّل بها ربما المطالعة الدقيقة والشاملة للمطالب المدرجة في هذا الكتاب لكن نشير إلى بعض النقاط المهمة من ذلك.

من مفاخر الدين الإسلامي اهتمامه بالعلم، وحثّه عليه، واحترامه وتقديسه إلى هذه الدرجة العظيمة. ويرى الشيخ بهجت دام ظله طلب العلم الديني في عصورنا هذه واجباً لمن كان متمكّناً منه ولا يمنعه من ذلك مانع. ويرجحه على ما سواه من الاشتغالات.

وقد حصل أن راجعه البعض طالباً منه الاستخارة على ترك طلب العلم، فرفض الشيخ أن يستخير له معللاً بأن طلب العلم واجب، والواجب لا يُستخار على تركه أو فعله، وإنما تكون الاستخارة بين الأمرين المباحين.

بل حدث أن استخار عنده أحدهم في إحدى المرات، وعندما علم

الشيخ بأن استخارة هذا الشخص كانت على طلب العلم، قال له بأن استخارته لغو ولا قيمة لها. لأن طلب العلم واجب وقد علل ذلك في بعض مجالسه بحاجة المجتمع إلى العلماء، وأن الموجود منهم حالياً لا يفي بالحاجة المطلوبة.

ويُقدّر الشيخ دام ظله أهمية استغناء طالب العلم عن الحقوق الشرعية وهبات الناس إذا أمكنه ذلك، لكن إذا توقف ذلك على عمل يشغل الطالب عن التحصيل، أو يعيقه بدرجة ما، فالمرجح عنده هو الانصراف للتحصيل، حتى لو اضطر إلى تناول الحقوق والمساعدات.

وقد علل الشيخ ذلك بما للعلم من دور في زيادة الإيمان وبالتّالي يقدم على ما سواه.

لكنّه في نفس الوقت، لا يرى الاشتغال بالعلم من دون العبادة والعمل كافياً في إنتاج العالم المطلوب. وكان يستغرب أحياناً ما يطرحه بعض أهل العلم، من تساؤل عن الترجيح بين الاشتغال بالعلم أو القيام لصلاة الليل مثلاً. معلقاً بأن صلاة الليل ونحوها هي المفتاح والمقدمة للعلم، وهل تتعارض المقدمة والسبب مع ذي المقدمة والنتيجة؟!

وعندما سأله بعض الطلاب عن السر فيما يجده من عدم التوفيق في التحصيل، ألفته إلى ضرورة ترك المعصية، معللاً بأنه قد يكون السبب هو أن العلم فضل من الله، وفضل الله لا يعطى للعاصي.

وقد تكرر **سؤاله** حول الحاجة للأستاذ والمرشد في السلوك إلى الله، وكان يجيب باستمرار بأن الأستاذ والمعلم واسطة بما يحمله ويؤدّيه من علم، وبالتالي فعلى المرء أن يعمل بما يعلمه، ويستشهد باستمرار بالأحاديث التي تفيد هداية الله لمن يعمل بما يعلم، وأنه يكفيه ويعلّمه ما

لا يعلم عندئذٍ، ويتعجّب من دعوى البعض الحيرة والجهل مع أن كل إنسان مهما دنت مرتبته العلمية يعلم أموراً ويجهل أخرى، وإن دعوى الجهل والحيرة تدل على أن صاحبها لم يعمل بما يعلم، وإلاّ لانكشف له الطريق فيما لا يعلم ولما بقي على جهله وحيرته.

وينقل آية الله الشيخ محمد تقي المصباح: إن النصيحة التي يؤكد عليها لمن يراجعه هي مراعاة مسلّمات الشرع في الدرجة الأولى والاهتمام بها، وله في ذلك استدلال لطيف مضمونه: إن الله تعالى عندما يريد أن يهدي عباده إلى طريق السعادة، فهل يؤكد ويركّز على الأمور الأكثر تأثيراً في الوصول إلى ا لسعادة، أم على الأمور الأقل تأثيراً؟ لا بد أن الله الحكيم يؤكد على الأهم والأكثر تأثيراً. وعليه فإذا أردنا أن نعرف ما هو الأهم والأكثر تأثيراً علينا أن نرجع إلى القرآن والنصوص الواردة، فكل أمر اهتمّ القرآن وأحاديث المعصومين وسيرتهم ببيانه أكثر كان تأثيره في التكامل والسعادة أكبر، ومن أهمّ هذه الأمور الاهتمام بالصلاة، حيث نجد للصلاة في مقدماتها وشرائطها وأجزائها الظاهرية والباطنية الموقع الأهم في القرآن والسُنّة، فأهم أمر يمكن أن ينفع الإنسان في تحصيل سعادته هو الصلاة فيجب الاهتمام بها.

وأحياناً كان حفظه الله يقول من باب التندر: نحن وأمثالنا نتطلع في البحث عن التكامل إلى أمور لم يتحدّث عنها الله ولا النبي ولا الإمام، نبحث عن أمر متوهمين أن طريق السعادة أمر لم يذكره الله ولا النبي ولا الإمام، فهل يمكن أن يكون ثمة طريق للسعادة له تأثير كبير في ذلك، وقد غفلوا عنه أو أهملوه؟ وهل يمكن أن يهتموا ويؤكدوا على أمر لا أهمية له؟

ومن كلماته حفظه الله عندما يتعرّض لبعض مساوىء أهل الدنيا وانحرافاتهم وظلمهم: إن الأكثر إثارة للعجب هو نحن لا هم، موقفنا نحن هو العجيب، إذ أن هؤلاء لا يرون، فهم بمنزلة الأعمى، لكن نحن الذين نرى وكأننا لا نرى حالنا أشدّ غرابة.

ويريد حفظه الله أن المؤمن المطّلع الذي يلتفت لآيات الله وآثاره ليلاً نهاراً والذي يعيش في ظلال القرآن وأحاديث المعصومين وتوجيهات العلماء باستمرار، يفترض به أن تظهر آثار إيمانه ومعرفته، وأن يكون في عمله وسلوكه أكثر التزاماً واهتماماً بأمر آخرته، فهو أقلّ عذراً من ذلك الكافر أو المارق الغافل، الذي هو بمنزلة الأعمى أو الميت المحروم من حياة الإيمان ونوره.

وتوجّه أحد الطلاب يوماً إليه طالباً منه الموعظة، فالتفت إليه الشيخ حفظه الله ليقول بعد شيء من التأمّل: إن المواعظ كثيرة لكن المتّعظ قليل.

نعم فالأساس للاتعاظ والانتفاع من المواعظ هو أن يحمل الإنسان روح الاتّعاظ والانتفاع من العبر والمواعظ، وعندئذٍ فحيثما التفت سوف يجد المواعظ والآيات مبثوثة في جنبات الكون وما تزخر به الحياة من ألوان وحوادث، تنطق جميعها بما يذكر بالله عزّ وجلّ، ويدعو إلى طاعته والاتّعاظ من الماضيين.

وهذه الكلمة للشيخ لعلها مأخوذة من كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: «ما أكثر العبر وأقل الاعتبار».

فإذا كان الإنسان متّعظاً معتبراً فسيجد عبرته وموعظته كيفما التفت أما إذا كان غافلاً يعيش على سطح الحياة كالأنعام فلن تنفعه كثرة المواعظ.

ومن كلماته دام ظله ـ ما مضمونه ـ أن الطالب للمعرفة بصدق يعلّمه حتى الباب والجدار، أما المُعرض الغافل فلن ينفعه حتى تعليم النبي ﷺ.

وعليه فالمطلوب هو السعي لبناء النفس المتّعظة ينزع رداء الغفلة والتنبّه لما يحصل ويحلّ داخل الإنسان أو فيما يحيط به.

وراجعه أحد الطلاب يوماً طالباً منه برنامجاً للعمل والسلوك فرد الشيخ حفظه الله: حسناً لكن أين العامل [فهل يوجد من يلتزم بالبرنامج]؟ ومقصوده حفظه الله أن ليس المهم إعطاء البرنامج والتوجيه، وإنما المهم أن يوجد العامل الذي يقوم بالعمل ويؤدّيه، وبعد إصرار الطالب التفت إليه قائلاً: أدلّك على شيء يكفيك حيثما ذهبت، ولا شيء سواه. وهو أن لا تقارف الذنب.

وقد تكرر منه حفظه الله أن أفضل ذكر وأرقاه هو الذكر العملي بترك المعصية في الاعتقاد والعمل، وأنه يكفي عمّا سواه، ويولّد الخيرات، ويفتح سبل الترقي.

وعندما كان يراجع: بأننا نحاول ترك المعصية، لكننا لا نوفّق للاستمرار، ولا نقدر عليه. كان يقول: إن المطلوب هو العزم الأكيد على ترك المعصية، والله ولي التوفيق. لكنه يركّز أن المطلوب العزم الصادق الجاد، لا اللعب والتلهّي بالأماني الكاذبة.

ويبين أيضاً في بعض كلماته، أن التوفيق للترك الكامل للمعصية لا يتمّ من دون المراقبة التامة والدائمة للنفس. وكان يؤكد على أهمية المراقبة وعظم أمرها.

وفي نفس الوقت يشير لمن يهتم بأمر نفسه، إلى أن السعادة لا

تحصل من دون عمل وجدّ، مستشهداً بالآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

وقد راجعه مجموعة من طلاب العلوم الدينية طالبين منه درساً في الأخلاق، فاعتذر لانشغاله الشديد، لكنه نصحهم بطريقة تنفع المهتم لأمر نفسه، وإن لم يوفّق لأستاذ يوجهه في هذا المجال. وقوام هذه الطريقة مطالعة حديث واحد من الأحاديث الواردة في كتاب جهاد النفس من وسائل الشيعة، وبعد إكمال مطالعة كتاب جهاد النفس الانتهاء منه يشرع بكتاب العشرة من الوسائل أيضاً، وذلك ليلاً قبل اللجوء إلى النوم، مع التدقيق في مضمون الحديث الذي يقرأه وكيفية تطبيقه، ومراقبة حال النفس في اليوم التالي والسعي إلى تذكره طيلة اليوم، مع التأكيد على السعي إلى التخلُّق به، والاتّصاف بما يدعو إليه، أو تخلية النفس مما ينهي عنه، وألاّ يقتصر على مطالعته مطالعة تعلّم فحسب. وقد نصح البعض ممن هو في بداية دراسته الدينية، وقد يشق عليه فهم الروايات، بنفس الطريقة مع اعتماد كتاب جامع السادات للمرحوم النراقي بدلاً من الوسائل.

ومن كلماته حفظه الله: إنّ في نفس كل منّا شمراً يمكنه أن يقتل الحسين عليه السلام، ووظيفتنا نحن أن نمنع أنفسنا من أن نكون كذلك، ونسير بها في اتجاه الطاعة والعبودية.

ومن الأمور التي يحثُّ عليها كثيراً: الدعاء بتعجيل فرج صاحب الزمان عليه السلام، والتوسّل به لقضاء الحاجات، وعيش رقابته والارتباط معه.

فهو إمامنا حالياً، والأقرب إلينا من سائر الأنبياء والأئمة عليهم السلام. وهو يطّلع على أحوالنا، بل وعلى نيّاتنا أيضاً. وهو أرأف بنا من آبائنا وأمهاتنا.

وقد نصح مرة بعض المبتلين ببعض المشاكل الصعبة، عدا عن التوسل بصاحب الزمان عليه السلام بأمرين شبَّههما بالحيل الشرعية:

الأول: الدعاء لجميع المبتلين بالمشكلة المبتلى بها ذلك الشخص. إن أن الله تعالى يستجيب دعاء المؤمن لإخوانه، وكرمه يأبى أن يستجيب بعض الدعاء دون بعضه، وعندئذ يصل الداعي حظه من الاستجابة عبر التعميم في الدعاء.

الثاني: الدعاء بتعجيل الفرج لصاحب الزمان عليه السلام، لأن فرجه هو الفرج والقضاء الحقيقي لجميع حوائج المؤمنين، فالدعاء بتعجيل فرجه هو تعبير آخر عن الدعاء بقضاء جميع حوائج المؤمنين، ورفع كل ضيق وكدر في حياتهم.

ويؤكد الشيخ بهجت دام ظله الوارف على صلاة جعفر الطيّار أيضاً لقضاء الحاجات وعلى الإكثار من الصلوات على محمد وآل محمد للحاجات ولرفع الهم والغم كذلك.

في العبودية والعرفان وإصلاح النفس

باب الوصول إلى لقاء الله مفتوح

مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾[1]، ويقول أيضاً: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾[2]، فهل من الممكن مع وجود الخلوص والصدق في الاستعلام والطلب ألاّ تتحقق الهداية وإراءة آيات المعرفة للإنسان؟!

إنّ باب الوصول إلى الكمالات ولقاء الله مفتوح. أفليس من المؤسف حقّاً أن نُحرَم من هذه المراحل التي تحصل من طريق العبودية ولا ننالها؟!

«ما كنتُ أعبد ربّاً لم أره»[3].

وقد ورد في موضوع المعرفة:

«ما كنتُ أعبد رباً لم أره»[4].

---

(١) سورة فصّلت، الآية: ٥٣.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٠١.
(٣) أصول الكافي ١/١٩٧ و١٣٨، بحار الأنوار ٤/٤٤. ٥٢/٣٠٤.
(٤) أصول الكافي ١/١٩٧ و١٣٨، بحار الأنوار ٤/٤٤، ٥٢/٣٠٤.

وأيضاً: «عَمِيَت عين لا تراك عليها رقيباً»(١).

وأنّه: «رأته القلوب بحقائق الإيمان»(٢).

وكذلك: «نزل من ربِّه منزلةً فرآه بقلبه»(٣).

عدم غلق باب الفيض الأعم

يُستفاد من رواية «علماء أمّتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل»(٤) أنّه وإن أُغلق باب النبوّة إلاّ أن الفيض الأعمّ لا زال مفتوحاً، هذا بالإضافة إلى أن القرآن الذين بين أيدينا لم يكن عند موسى وعيسى عليهما السلام.

طريق السعادة غير مسدود

يقولون إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد رحل من بين ظهرانينا، وإن إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف غائب أيضاً، ولا يمكن الوصول إليه ونيل غوثه، وعلى هذا فنحن مستضعفون ومحرومون من السعادة ولا حيلة لنا.

فهل الأمر كذلك؟ كلا. ليس الأمر كما يقولون؛ لأنّ العقل والشرع يثبتان لنا أنّ الإنسان المتدين والعاقل يستطيع إدارة شؤونه الدينية؛ إذ أن دفتر الدين وقوانينه الشرعية تحت أيدينا. وإذا لم نكن نعلم بها أو نتمكن منها، فيجب علينا بحكم العقل والعقلاء سؤال الآخرين الذين يعلمون، وتشخيص صحة وخطأ الجواب من طريق العقل والدين. فهذا مقتضى كون الإنسان عاقلاً، وفي كل موضع لم يتّضح له الطريق، فالاحتياط

---

(١) راجع: بحار الأنوار ٦٤/ ١٤٢، ٩٥/ ٢٢٦، إقبال الأعمال: ٣٤٩.

(٢) أصول الكافي ١/ ٩٧ و١٢٨، بحار الأنوار ٤/ ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٤٤، ٥٢، ٥٤، ٣٠٤.

(٣) قريب منه: الميزان ١٩/ ٣١.

(٤) أوائل المقالات: ١٧٨.

بالنسبة له هو طريق النجاة. وعليه فطريق السعادة للإنسان ليس مغلقاً في أي مكان أو زمان.

الإنسان هو الذي يقطع عن نفسه ينبوع الصلاح

إنّ الإنسان يرتكب في حقّ نفسه أعمالاً لا يفعلها معه أي عدوّ، فهو الذي يجفّف ينبوع الصلاح إلى يوم القيامة، ومن هنا ليس من المعلوم أنّ جميع الناس سيؤمنون باطناً بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عند ظهوره، بل ثمة جماعة منهم ستؤمن بالإكراه.

من اللاشيء إلى كل شيء بإرشاد ولي الله

ابتداء حركة الإنسان في مسيرة الكمال والمعرفة هو القابلية والاستعداد، وبواسطته يستطيع الوصول من اللاشيء إلى كل شيء، وغاية السير ومقصده هو الله سبحانه وتعالى.

والربوبية الإلٰهية تقتضي أيضاً مساعدة وإرشاد الإنسان في حركته التكاملية للوصول إلى الغاية المقصودة، فقد جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي: «من أين لي الخير يا ربّ ولا يوجد إلاّ من عندك»[1].

فالله تعالى هو حافظنا ولينا وقائدنا وصاحبنا في طريقنا، كما يقول هو سبحانه عن نفسه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾[2]، أي يخرجهم من ظلمات الحيرة إلى نور الهداية.

ونحن معرّضون للغرق في بحر الحياة، وهداية وإرشاد ولي الله لازمة وواجبة في سبيل الوصول إلى المقصد سالمين. فعلينا الاستغاثة بولي

---

(١) بحار الأنوار ٩٥/ ٨٢، إقبال الأعمال: ٦٧، البلد الأمين: ٢٠٥، مصباح الكفعمي: ٥٨٨، مصباح المتهجّد: ٥٨٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف لينير لنا المسير ويصحبنا إلى آخر مقصدنا وغايتنا.

حتمية الوصول مع جدية الطلب

إنّ من يطلب الهداية ومعرفة الله، وكان جادّاً ومخلصاً في طلبه فإنّ الباب والجدار سيكونان هاديين [ومرشدين] له بإذن الله. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1].

وإنّ طالب المعرفة والهداية قريب من وصوله إلى هدفه وحصوله عليه، وهو في دخوله إلى حرم القُرب ومعرفته إلى درجة وكأنّه يقال له: وصلت، فادخل.

أبشر الطالب بالوصول وقل... للذي يطرق الأبواب أن يلجأ.

أي كيمياء أفضل من معرفة الله؟!

إنّ الذين كانوا يتمتعون بقدرٍ من المعنويات لم يكونوا يسعون خلف الكشف والكرامات. بل يقولون: نحن نعرف الكيمياء ولكننا لا نعلّمها أحداً، فنحن نعرف ما الذي نعلّمه للآخرين، وما حاجة من كان من أهل المعنويات ومعرفة الله إلى الكيمياء؟! وهل هناك كيمياء أفضل من معرفة الله؟!

إنّ جميع الواجبات هي لتحصيل المعرفة ومقدّمة لها، ومعرفة الله وحدها هي الواجب النفسي والذاتي ومن أعظم الواجبات.

الفناء في الوجود والبقاء في المعبود

إنّ الجمع بين روايتي «خُلقتم للبقاء لا للفناء»[2]، و«خُلقتم للفناء لا

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

للبقاء» اللتان يظهر منهما التناقض، يكون كالتالي: إنّكم خُلقتم للبقاء في المعبود، والفناء في الوجود.

الحبّ أساس العبودية

إنّ أساس العبودية هو الحبّ، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[1]، ويقول أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]، ويقول أيضاً: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[3].

ومع كل هذا، فإنّ بعضاً من العامة ينكرون الحبّ بين الله وعباده! ويقولون بأن حب العبد لله يعني إطاعة أوامره، وحبّ الله لعبده هو ثوابه وجزاء أعماله.

وقد جاء في إحدى الروايات: «إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف»[4].

الترقي المعنوي وتحصيل المقامات

هل من الممكن أن يصلح عملنا، ونصل إلى مقامات الكمال والمعرفة، من غير أن نترك الدنيا، ونرفع أيدينا عن حياتنا الاجتماعية، وعن أعمالنا وحِرَفنا؟ ومن غير أن نذهب إلى المغارات والصحاري، ونعتزل فيها باستمرار عن الناس والمجتمع، لنشتغل بتأدية العبادات المعهودة والأدعية والأوراد المأثورة؟ مع أنّه يمكن إجمالاً الاستفادة من الآية الشريفة: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا

---

(٢) راجع: غرر الحكم: ١٣٣ و١٤٠، بحار الأنوار ٦/٢٤٩، ٥٨/٧٨.

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧. بحار الأنوار ٢/٥٦. غرر الحكم: ١٩١.

﴿رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾(١) رضا الله سبحانه ب الرهبانية.

إنّ الإنسان الذي يمارس عملاً اجتماعياً لا يستطيع أداء الأدعية والعبادات... الخ. فهل الطريق هو الاستغناء عن هذا العمل الاجتماعي، والخلوة لأداء الذكر والعبادات، أو [المطلوب هو] «كن في الناس ولا تكن معهم»(٢)؟

فهل يمكن أداء العبادات من قبيل قراءة القرآن والصلاة... إلخ التي لا حدود لها مع وجود الاشتغالات الاجتماعية؟ وطبعاً كان يوجد من يختم القرآن في يوم وليلة.

وهل يوجد شيء يكون بديلاً عن الأعمال الثقيلة التي يؤدّيها المرتاضون، شيء يمكن الإتيان به مع ممارسة العمل الاجتماعي والوجود في المجتمع، من غير أن ينزوي الإنسان عن المجتمع، ويتخلّى عن لوازم الحياة الاجتماعية كالزواج وتكفّل معيشة الأفراد واجبي النفقة؟! إضافة إلى أنّه من المتعسّر حقّاً أن يستطيع الإنسان أن يقسّم أمواله بين أهله وأولاده في زمان حياته وينزوي في المجتمع، وأساساً هل يجوز مثل هذا العمل أم لا؟ لأنّه ربما أدّى إلى ترك الواجبات.

وعلى كل حال، هل يوجد طريق يستطيع الإنسان بواسطته عدم ترك الدنيا، ومع ذلك يكون مأموناً من سخط الله وغضبه، ومطمئناً إلى رضاه، ويصل من خلاله إلى نتيجة عمل الرهبان تاركي الدنيا، أي ﴿ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٢) هذا مضمون كلام لعلي عليه السلام حين وفاته، انظر: بحار الأنوار ٧٥/٩٨، أمالي الطوسي: ٧، أمالي المفيد: ٢٢٠، بشارة المصطفى: ٢٦، تحف العقول: ١٧١، غرر الحكم: ١٤٥، كشف الغمة ١/ ٥٣٥، ٥٦٧.

ٱللَّهِ﴾[1]؟ أي يكون نظير الشخص الذي لا رهبانية له وهو في المجتمع ويأتي بالمندوبات والمستحبات العادية فقط، ولكنّه يحصل على نفس نتيجة الأعمال الطويلة والشاقة لأولئك؟

فهل يمكن مثل هذا الشيء؟ وهل يوجد طريق غير طريق تحمّل الأعمال الشاقة التي يأتي بها المرتاضون؟ لأنّ كثيراً من العلماء الأجلاّء جداً كانوا في وسط المجتمع، ويشتغلون بالدروس الحوزوية المتعارفة من قبيل البحث والمطالعة... الخ ومع ذلك فإذا لم يكن لهم مقام أعظم من الآخرين فليسوا أقلّ منهم على الحد الأدنى، أي أنّ أعلميتهم من الآخرين كانت كالمسلّمات، ومقامهم كان عالياً جداً جداً.

لا تتخيلوا أنّهم لم يكونوا يشتركون في الدروس أو التدريس، بل نقطع أنّهم كانوا أكثر من الآخرين في ذلك، ونقطع بأنّهم كانوا من أصحاب المقامات العالية بسبب الكرامات الصادرة منهم، والتي ذاعت بعد وفاتهم.

وعلى سبيل المثال فإنّ الكرامات المنقولة عن الشيخ الأنصاري رحمه الله لم تكن معروفة في أيام حياته. وذكر الشيخ الأنصاري لمجرّد المثال، وإلاّ فإن كثيراً من العلماء كانوا من أصحاب المقامات العلمية والعملية، ومع ذلك كان لهم التفوّق في الفقه والأصول على الآخرين، وقد ذكر الشيخ النوري رحمه الله صاحب المستدرك أسماء مجموعة من العلماء منهم الشهيد الثاني رحمه الله، ممّن كانوا من أصحاب المقامات المعنوية العالية، وفي نفس الوقت كانوا أقوياء في الأمور العلمية، ويقيمون صلاة الجماعة، وكانوا يعيشون في وسط المجتمع، وكانت لهم علاقات مع الناس.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

والجواب هو أننا نتصور أنّه لا يوجد شك في هذا الأمر، وأنه إذا وخفِّق له الإنسان فهو كافٍ له وفيه جميع مطالب ونتائج الرياضات الشاقة. وهذا الأمر هو أنّ يرى الإنسان نفسه في محضر الله سبحانه، ويرى الله مطّلعاً عليه في جميع أحواله، وحاضراً في كل مكان، وناظراً على جميع الأعمال والأحوال. والله يعلم كم لهذه الحالة من المراقبة والتوجّه تأثيرات في روح الإنسان، وفي طلب العلم والمعرفة!

الفراشة لا تحتاج إلى تعلّم الحبّ والتوجّه إلى النور

إنّ من يعشق فتاة جميلة، ويريد أن يقيم علاقة معها ([طبعاً] الشخص المتَّقي يقوم بذلك عبر الطريق المشروع، بينما غير المتَّقي يتوصّل لهذا الأمر من الطرق غير المشروعة) يظل مشغول الفكر فيها، حائماً حول دارها ومكان سكناها، بل هو يحتاج إلى صارف ومانع كي يلتفت ويعود إلى نفسه. بينما نجد أن الفراشة غير محتاجة إلى تعلّم المحبة والتوجّه نحو النور، ولهذا يجب أن [تتوجه] تزيد المحبة لمنبع الكمالات «الله» ولذلك العالم «الآخرة».

تعارض الحرص على نيل الكماليات مع الوصول إلى الهدف

بمقدار ما نزيد من تجمّلات الحياة وكمالياتها نكون قد قلّلنا من [نيل] خواص المطلب[١]، وكلّما قلّلنا من قيود الضيافة وكانت أكثر بساطة ازداد عدد الضيوف والضيافات.

---

(١) الظاهر أن مقصوده حفظه الله هو أنّه كلما ازداد الانشغال بشؤون الحياة وانصرفنا إلى تهيئة كمالياتها كان ذلك على حساب الهدف الأسمى الذي يجب السعي لنيله منها. وكمثال لذلك إذا كان الهدف هو الضيافة فصرف الجهد والإمكانات في التكلفات الزائدة يكون على حساب عدد الضيوف وعدد المرات التي نتمكّن فيها من إقامة ضيافات أخرى؛ إذ لا يبقى لنا مالاً لدعوة عدد أكبر أو إقامة مآدب وضيافات أكثر.

نحن لا نفكّر في علاج أنفسنا

إنّنا نعرف الداء ولكنّنا لا نفكر في علاج أنفسنا. ونعرف الدواء أيضاً كما صرّح بذلك القرآن الشريف: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾[1]، ولكننا لا نفكّر في علاج أنفسنا.

درجات الإنسان ودركاته

مع أنّ الإنسان لا تفصله عن الملائكة إلاّ خطوة واحدة كما صرّح القرآن الكريم بذلك في قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[2].

ومع هذه الحالة، فإن وحوش البراري والغابات وحدائق الحيوانات ليس فيها من يطأ جهنم، بينما الإنسان الذي هو أعظم وأشرف المخلوقات يذهب إلى جهنم، بل ويحكم عليه بالخلود فيها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾[3]، لقد جلس الشيطان له في الطريق، وهو له في كمين دائم: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[4].

الفرق بيننا وبين الأنبياء والأوصياء

الفرق بيننا وبين الأنبياء والأوصياء في مسألة واحدة، وهي أننا لا نتوجّه إلى الخير ونحذر من الشر بالوجدان، بينما الأنبياء والأوصياء يرون بعين بصيرتهم [ووجدانهم] الشيء خيراً وخلافه شراً. وأما نحن ففي كل يوم لدينا خير وشر، وأخطاؤنا تصدر منّا عمداً لا سهواً. الأنبياء والأوصياء عَلِموا وشخّصوا أن الخير المطلق خير من كل خير، وأفضل

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٢، سورة آل عمران، الآية: ٨٨، سورة النساء، الآية: ١٦٩، سورة التوبة، الآية: ٦٨.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

من كل خير، فهم قد شخّصوا الأمر ولهذا توسّلوا بالمنبع. ولكن نحن الذين لا نملك إيماناً قوياً «إذا أقبل موسم كسر التوبة فما الحيلة»(١).

امتلاك الأهلية شرط التكامل

أعظم العبادات معرفة الله، وجميع التكاليف هي مقدّمة لمعرفة الله، ولكن معرفة الله واجب ومطلوب نفسي، وإذا وجد الشخص الذي يتمتّع بالأهلية، أي الطالب لمعرفة الله بجدٍّ وخلوص فحتى الباب والحائط سيكونان معلّماً له بإذن الله، وإلاّ [إن لم يتحقق صدق الطلب والجدية] فإنّ كلام رسول الله ﷺ سوف لن يكون مؤثراً فيه، كما لم يكن مؤثراً في أبي جهل.

(وجدتك أهلاً للعبادة) وقصّة الشمعة والفراشة

إنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام يخافون من جهنم ويطمعون في الجنّة، ولكن لا يعبدون الله سبحانه خوفاً وطمعاً ـ؛ لأن جملة (وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتك)(٢) لا تفيد وجود سبب [آخر] للعبادة، بل هي قصة الشمعة والفراشة(٣) أي (أهلاً لئن يُطلب ويُراد ويُعبد) وجدناك أهلاً للعبادة أي أهلاً لئن تكون مطلوباً ومراداً ومعبوداً.

الإنسان ومجالات كمالاته

عندما رأى الملائكة أن عجينة آدم عليه السلام قد صُنعت من الماء والطين، وأنّه من الممكن أن يصدر منه الغضب والشهوة والحرب وإراقة الدماء

---

(١) شطر بيت شعر من ديوان حافظ.

(٢) بحار الأنوار ٤١/١٤، ٦٧/١٨٦، و٢٣٤، ٦٩/٢٧٨.

(٣) مراده حفظه الله من قصة الشمعة والفراشة والتشبيه بها، هو بيان أن عبادة الله تعالى وطلبه لأنه أهل للعبادة، يشبه انجذاب الفراشة لنور الشمعة، وإصرارها على التحليق حولها، لا لسبب سوى هذا العشق والانجذاب إليها، حتى لو أدّى ذلك إلى احتراقها نهاية الأمر.

والفساد قالوا: إنّه ليس خفيفاً وسماوياً مثلنا ولا يستطيع التحليق[1].

ولكن الله تعالى أفهمهم بتجربة واحدة أن الإنسان الترابي المنشأ يستطيع أيضاً أن يكون أعلى من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾[2].

أي أنّ البشر لديهم السعة لتعلّم الأسماء مع المسمّيات، لا الاسم فقط دون المسمّى. ولكن مما يوجب التحسر أننا بقينا بذلك التثاقل وبتلك الحالة الترابية كما قال الله تعالى في مكان آخر: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[3].

قابلية الإنسان لنيل مقامات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

ما هي قابلية الإنسان وما هي فعليته؟! لقد خُلق الإنسان على نحو يمكن أن يكون في أعلى علّيين أو في أسفل سافلين، فإلى أي درجة يمكن أن يصل في تسافله؟ وإلى أي درجة يمكن أن يصل في علوّه؟

يمكن أن يحصل الإنسان على المقامات المطلقة للأنبياء عليهم السلام باستثناء المقامات الخاصة المختصّة بهم عليهم السلام، فقد استطاع النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله شقّ القمر[4]. وحديثاً تمكّن الإنسان بواسطة اكتشافاته واختراعاته أن يصل إلى كوكب القمر، وأن يلمسه، وذلك بواسطة الآلات ولكنّه عاجز عن شقّ القمر، فكيف استطاع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٣٠ من سورة البقرة ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٤) القمر: ١، ولمزيد من الاطلاع راجع بحار الأنوار ٧/٥٦، ١٦/٤١٢، ١٧/٣٤٧.

أن يشقّه بإصبعه، فهل كان القمر ورقة حتى يشقها نصفين؟!

الهدف من تعليم الأسماء هو معرفة الله

المقصود من الأسماء في الآية الكريم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾(١) العلم بالحقائق الموجب لامتياز الإنسان عن الحيوانات، بل والملائكة.

وعلى هذا الأساس فالمقصود من (الأسماء) حقائق الأسماء، لا الاسم فقط دون المسمّى، فإنّ إطلاق الاسم على المسمّى كان بسبب اتحاد الاسم والمسمّى، ومعنى ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾(٢) الواردة في ذيل الآية السابقة أي بهؤلاء المسمّيات؛ لأن العلم بالأثر تفصيلاً يعني العلم بالمؤثر إجمالاً، وحقيقة الموضوع هو نفس معرفة الله.

الارتباط بالثقلين وأفضلية العبادة في عصر الغيبة على عصر الظهور

الويل لنا إذا سُلب منا في يوم ما القرآن أو العترة، وسلب أيٍّ منهما هو سلب للآخر أيضاً، لأنّ هذين الاثنين لا ينفصلان عن بعضهما: «لن يفترقا» لا في الخارج ولا في الاعتقاد «حتى يردّا عليَّ الحوض»(٣).

فمن الممكن أن يقال لمثل هذا الشخص: صحيح ما تقول، فأنت معذور فثمة كثير من الأمور لم ترها ولم تعلمها، الحق معك، لأنّك تعيش في عصر الغيبة، وأنت قاصر عن الوصول إلى أبيك الروحاني

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٣) أصل الحديث هكذا: عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتى يردّا عليّ الحوض»، انظر: مسند أحمد: ٣/ ١٤ و٢٧ و٥٩، مجمع الزوائد ٩/ ١٦٣، مسند ابن جعد: ٣٩٧، منتخب مسند عبد بن حميد: ١٠٨، خصائص النسائي: ٩٣، مسند أبي يعلى: ٢/ ٢٩٧ و٣٧٦، المعجم الصغير: ١/ ١٣١.

والمعنوي حتى تكون مثل سلمان الذي كان عنده «علم الأول والآخر»[1]، وهو القائل: «إذا أدركتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشدّ فرحاً لقتالكم معه»[2].

ولكن ماذا نفعل إزاء قولهم عليهم السلام «**العبادة في الغيبة أفضل من الحضور**» وما قاله صلى الله عليه وآله أيضاً لأصحابه: «**أنتم أصحابي وأولئك إخواني، فوا شوقاً إلى إخواني، آمنوا بسوادٍ على بياض**»[3].

أفضلية العبادة في عصر الغيبة من عصر الظهور وإمكان نيل مقامات الأولياء

هل يمكن أن يصير الجميع مثل سلمان وأبي ذر رحمهما الله اللذين صبرا على كلّ ألوان البلاء، أو يكونوا مثل عمّار الذي كان مستعداً للقتل؟ إن باب المقامات التي وصل إليها هؤلاء قد أُغلق، فإنّ جميع الدنيا وما فيها لا تساوي قيمة صلاة ليلة واحدة لسلمان عليه السلام. كان يجلس على جلد خروف، وكان مصلاّه عجيباً وغريبً. وقد عدّت إحدى الروايات أثاث منزله، فكان جلد خروف، وكيس طحين... الخ، ولكنّه مع ذلك كان يبكي من ثقل ما سيحمله يوم القيامة[4]. فماذا كان مقام سلمان وما هو مقام الشخص الذي يقع في مقابله، أي معاوية بن أبي سفيان؟!

---

(١) بحار الأنوار: ١٠/ ١٢١، ٢٢/ ٣٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٧٢.

(٣) نقلاً بالمعنى، انظر: من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٦٥، وسائل الشيعة: ٢٧/ ٩٢، مستدرك الوسائل: ١٧/ ٣٠٠، بحار الأنوار: ٥٢/ ١٢٥، ٧٤/ ٥٥، جامع الأخبار: ١٨٠، كمال الدين: ١/ ٢٨٨، مكارم الأخلاق: ٤٤٠.

(٤) انظر بحار الأنوار ٢٢/ ٣٥٥.

طبعاً يحتمل كثيراً أن يستفاد من قولهم: «العبادة في عصر الغيبة أفضل من العبادة في عصر الظهور» أنّه يمكن لنا نيل مقامات أعلى. ومقصودي هو أنّه لو كنّا في عصر الرسولﷺ، وكنا نرى حوله أمثال سلمان من ذوي المقامات العالية، فكم سيكون ذلك مثيراً ومحفزاً لنا إلى تلك المقامات. ولكن من لم يرهم فهو معذور من تحصيل مقاماتهم؛ نّه سيحصل له الشك والتردّد في إمكانية حصولها له.

ولكنّنا رأينا نحن أيضاً من كرامات العلماء عجائب وغرائب لا يمكن بيانها، ونتعجّب لماذا يراها الآخرون ولا يذكرونها أيضاً؟! مع هذا فما عذرنا وما هو مبررنا في هذه اللامبالاة تجاه تحصيل تلك المقامات؟!

طريق كسب الكمالات

نحن نعلم بأنّ المقامات التي حصل عليها كثير من العلماء هي من هذا التعليم والتعلّم والكتابة والاشتغال بطلب العلم في الدروس المتعارفة في الحوزات العلمية، ومن المواظبة على المستحبّات المعمول بها. ولم يكونوا يقومون بعمل آخر. فالمتيقن أنّ هذا كل ما كان لديهم. ومع ذلك فقد كانوا من أهل الكرامات! ولو لم أكن قد رأيت بنفسي كراماتهم ومقاماتهم لقطعت بنفي تلك الكرامات عنهم، وإضافة إلى ذلك، فكم نقلوا عن أساتذتهم السابقين من الأمور العجيبة.

ضمان الدنيا من طريق العبادة والدين

حتى لو أردنا الوضع الدنيوي الأفضل، فهو إنّما يتحقّق بالكون مع الإمام الحسينعليه السلام أيضاً لا مع يزيد. ولكن الإنسان يطلب السعادة والراحة، وكلّما نال درجة منها طلب الدرجات الأعلى، فلا استقرار له حتى يصل إلى النفس المطمئنة. لكنّه جاهل أو غافل بأنّ امتلاك وسائل

الراحة والرفاه أمر آخر غير تحقق الراحة والرفاه واطمئنان القلب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

أي أنّ الوسيلة الوحيدة لاطمئنان القلب هو ذكر الله. ولكنّنا نركن ونعتمد على الأسباب، ونغفل عن مسبب الأسباب. في حين أنّ الله تعالى يقول: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2].

اللهم إلاّ إذا زال الإنسان نفسه «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك»[3].

ولم نتعرّض للامتحان لكي يتبيّن هل أنّنا مع الحسين عليه السلام أو مع يزيد.

معنى الحديث القدسي (خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي)

نتيجة الخلق والمخلوق في الحديث القدسي «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»[4] هي العلم والمعرفة.

تلازم العبادة والمعرفة

هناك تلازم بين العبادة والمعرفة، وبين ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[5] و(إلاّ ليعرفون)[6]، ولهذا فأولئك الذين رؤيتهم الشهودية قوية ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[7].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٣) بحار الأنوار ٦٧/ ٣٦ و٦٤، ٧١/ ٢٧١، عدّة الداعي: ٣١٤، عوالي اللآلي ٤/ ١١٨، مجموعة ورّام ١/ ٥٩، كنز العمال ٤/ ٤٣١.

(٤) بحار الأنوار ١٤/ ١١٦، ٦١/ ١٢، قصص الأنبياء للجزائري: ٣٧٧.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٦) يمكن استفادة هذا المعنى من رواية منقولة عن الإمام الحسن عليه السلام في بحار الأنوار ٥/ ٣١٢، ٢٣/ ٨٣ و٩٣. وانظر تفسير القرطبي ١٧/ ٥٥، تفسير الثعالبي ٥/ ٣٠٧.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

اتباع الأنبياء عليهم السلام ومنشأ الكمال والنقص البشريين

إنّ منشأ جميع النقص في البشر هو اتّباع النفس والابتعاد عن تعاليم الأنبياء ومتابعتهم، وكل من تابعهم فإنّه يكون شبيه وممثّل الأنبياء والأئمة عليهم السلام الذين نتمنّى [غاية ما نتمناه نحن وأمثالنا هو] أن نراهم في المنام.

إهمال الجانب الروحي في الإنسان

من الممكن أن يقال: بما أن الإنسان مركّب من جزئين (جسم وروح) فيكفيه أن يلاحظ تارة جزءه الملكوتي والروحي، وأخرى جزءه الحيواني. أي أن ينظر بأحد جزئيه إلى الأعلى، وبجزئه الآخر إلى الأسفل. فيقوي الروحانية وآثارها، كما يقوّي الجسمانية وآثارها أيضاً. فليس من الضروري أن يتخلّى عن نفسه بالكامل، لأنّ نصفه ملك ونصفه حيوان. ولكن البشر في هذه الأيام يسيرون باتجاه الحيوانية، فلقد استغرقت الحرب العالمية الثانية ست سنوات، مع أنّها كانت حرباً نووية وحرباً بين الدول الكبرى. فما هو الهدف من وراء هذه الحرب وسفك الدماء، وجميع هذا الدمار وقتل الأنفس؟ وهل كان ذلك عقلانياً ومنطقياً؟!

الأقلّون عدداً..

أصل المطالب والمقاصد المادية والمعنوية مائدتها مبسوطة للبَرِّ والفاجر، ولكن الهداية للمقصد الأعلى مهيّأ لجماعة خاصة من الناس فقط.

ميزان الأعمال التوجّه إلى الله تعالى

«إنّ لربكم في أيام دهركم نفحات»[1].

بناء على هذه الرواية، من الممكن أن يحصل شخص على السعادة

---

(١) بحار الأنوار ٦٨/ ٢٢١، ٨٠/ ٣٥٢، ٨٤/ ٢٦٧، ٨٧/ ٩٥، عوالي اللآلي ٤/ ١١٨.

الروحية من طريق الدعاء، بينما يحصل شخص آخر على لذّة الحضور من طريق الصلاة، أو تلاوة القرآن، أو غير ذلك.

وعليه، فيجب علينا أن هتمَّ أكثر بتأدية العمل الذي نحصل بواسطته ومن طريقه على حال أفضل، ودرجة من التوجّه إلى الله أكبر، فنشتغل من خلاله بالذكر والمراقبة، والتوجّه إلى حضرة الحقّ سبحانه وتعالى.

لا يحصل التوفيق من المطبخ

إذا كان العلماء الماضون قد تفوّقوا في دروسهم بسبب الإمداد الغيبي، فنحن اليوم أحوج إلى هذا الإمداد؛ لأنّ موانع وعراقيل اليوم أكثر من الماضي.

وكأنّ دعاء «سبحان من لا يعتدي على أهل مملكته...» الوارد في تعقيبات الصلاة[1]، هو لأجل هذا الأمر، وهو أن يكون للإنسان نورانية في فهم المعلومات؛ لأنّ المقامات لا تأتي من كثرة العمل، والتوفيق لا يحصل من المطبخ أيضاً.

وطبعاً، كم من الأشخاص لم يحصلوا على نتيجة من العمل والتحصيل العلمي، ولكنّهم حصلوا عليها بقضاء حوائج أهل الإيمان، والرحمة والإحسان، ومساعدة الإخوان في الدين.

الإنسان إمّا جليس سلمان أو قرين أبي جهل

عندما رأى الملائكة أنّ عجينة آدم عليه السلام وطينته ثقيلة ومظلمة، وقد جبلت من الماء والطين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ﴾[2]. فإنّ فيه الغضب والشهوة، وهو يُقيم الحرب ويسفك الدماء، ولا يستطيع التحليق

---

(١) مستدرك الوسائل ٥/ ٨٧، بحار الأنوار ٨٣/ ٩، عدّة الداعي: ٦٣، فلاح السائل: ١٦٨، مصباح الكفعمي: ١٩٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

مثلنا. ولكن الله عزّ وجلّ أفهمهم أنّ هذا البشر الترابي، يستطيع التحليق أكثر من الملائكة، وبمقدوره الوصول إلى مقامات أعلى من مقاماتهم.

وبالطبع، فنحن [وأمثالنا] باقون على ثقلنا هذا، وعلى نفس حالتنا الترابية[1]. نسأل الله أن لا يتزيَّن لنا الحرام، فإنّ هذا أحد أمراض القلب الذي يبتلي به المرء، ويؤدي به إلى توريط نفسه بالحرام، مع وجود طرق الحلال التي يستغني بها عن الحرام. والإنسان يستطيع باختياره أن يكون جليساً لسلمان، أو قريناً لأبي جهل.

ما كان لبلعم بن باعوراء بالفعل فهو ممكن لنا بالقوّة

هل قلَّل الشيطان أو اختصر من حلفه وأقسامه لأبينا وأُمّنا آدم وحواء [وسعيه في إغوائهما] ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[2]. [وهل صحيح أنه] ليس له شغل بنا ـ نحن أولادهما ـ [وبالتالي]، فلن يجعلنا محلاً لنصيحته وإغوائه؟!

وهل وسوسته مختصّة ببلعم بن باعوراء فقط حيث ورد فيه: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[3]؟! أو أن ما كان لهؤلاء بالفعل فهو لنا بالقوّة؟!

تساؤل الملائكة وسعة الإنسان الكبيرة

لقد رأى الملائكة أشياء عجيبة وغريبة من البشر، فقد خُلق من الماء والطين، فكان ثقيلاً ومظلماً، ولهذا سألوا الله سبحانه مستوضحين: لماذا خلقت هذا الكائن الذي ينطوي على الغضب والشهوة، ويصدر منه الحرب وسفك الدماء والفساد، في حين ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[4]!؟

---

(١) إشارة إلى الآية ١٧٦ من سورة الأعراف، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

أي إن كان المقصود هو التسبيح والتقديس فهو حاصل فينا، وعليه فخلق الإنسان تحصيل حاصل.

ولكن الله عزّ وجلّ قال في **جوابهم**: أُريد خلق وعاء[1] أُعلّمه الأسماء، وله من القابلية والسعة ما يكون أقوى وأكثر سعة منكم. ولهذا فإنّ خلقي له ليس تحصيلاً للحاصل[2]

أنت حجاب نفسك فانهض يا حافظ من البين

إنّ الماديات والدنيا ووسائل الراحة لا تأتي بالراحة للإنسان، بل الذي يجلبها هو ذكر الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3]، لا الاستحواذ على الملك والملكوت.

ولهذا يجب علينا السعي لإزالة القلق الذي يساورنا ورفع الحجب والستائر، وأكبر حجاب هو أنفسنا، كما قال الشاعر حافظ الشيرازي: أنت بنفسك حجاب نفسك فانهض يا حافظ من البين[4].

نحن أنفسنا الحجب، والله سبحانه ليس له حجاب: [لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الآمال دونك][5]. وهذه الموجودات هي الحجب، ولو خُرق الحجاب فلن تفنى البشرية بل تظل باقية أيضاً، والحجب النورانية هي ذلك التوجّه إلى نور الأذكار والعبادات.

محك التجربة واختبار العبودية

نُقِل عن المرحوم الميرزا جواد الملكي التبريزي أنّه قال: هل حدث أن اُمتحنت في صدق عبوديتك، لكي تعلم هل أنت عبد الله أم لا؟ فكّر

---

(١) موجود له قابلية وسعة أكبر.
(٢) انظر سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٤) ديوان حافظ. تصحيح القدسي، غزل ١٥٩ ص ١٤١؛ غزل ٣١٦ ص ٢٤٥.
(٥) مفاتيح الجنان: دعاء أبي حمزة الثمالي في السحر.

أنك إذا كنت تهيأت مع زوجتك وأولادك للسفر لزيارة كربلاء، وبعد تحمّل المشاق الكثيرة وإنفاق المال الكثير وصلتم إلى الحدود، ولكن فرض عليك هناك ارتكاب محرّم «مثل كشف الحجاب أو نظر الأجنبي إلى زوجتك وبناتك» لكي تستطيع الخروج من نقطة الحدود وأخذ الجواز، ففي هذه الحالة كيف تتصرّف؟ هل تقول في نفسك: لا أهمية لذلك، إنّه مجرد ذنب واحد، وقد أنفقنا كل هذه الأموال وتحمّلنا هذه المشاق حتى وصلنا إلى هنا، فلنرتكب هذا الحرام ونعبر الحدود. أو أنّك وبكل شجاعة ورجولة، ومع جميع ما تحملته من مشاق وبعد المسافة، ومع كل ما أنفقت من أموال ترجع مع عائلتك؟ وتقول: إنّ من أمرني بقوله: إنّ الزيارة مستحبّة، وهو نفسه من أقصده للتقرّب، ومجيئي إلى هنا وتحمّلي كل هذه الخسارة المالية كان من أجله، لا يجوّز ارتكاب الحرام فيجب علي الرجوع من دون أي قلق أو انزعاج استجابة لداعي نهيه وزجره. لأنّني عبد، وأريد زيادة سيد الشهداء عليه السلام من أجل رضا الله سبحانه، لا إرضاء لقلبي. وإذا كان هذا العمل لله، فالله تعالى ينهى عن ارتكاب الحرام، وينهى عن الزيارة إذا توقفت على ارتكاب الحرام، ولذا عليَّ الامتثال وترك الذهاب للزيارة [بهذا الشكل]. وعليه فلو لم يعدل ويرجع فهو يقيناً ناقص الإيمان؛ فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[1].

فالعبد المؤمن يجب أن يسلّم لأمر الله وحكمه، لا أن يكون تابعاً لرغباته وهواه، ومطيعاً للنفس والشيطان.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

التنعّم بالعبادة في الآخرة هو انعكاس التنعّم في الدنيا أو ثمرة له:

يستظهر من حديث: «تنعّموا بعبادتي في الدنيا فإنّكم تتنعّمون بها في الآخرة»[1] أنّ للعبادات قابلية التنعّم بها، ولكنّنا نأتي بالعبادات على نحوٍ وكأن السوط على رؤوسنا، وخوفاً من جهنم لأنّها أمر واجب، فإن لم نأت بها فسيؤول مصيرنا إلى الجحيم. وكأنّ العبادات دواء مرّ لا بد من تجرّعه، لأنّ الشفاء لا يحصل إلاّ به، فنضطر إلى تناوله.

أتوا بدواء مرّ إلى رجل عربي فتناوله وقال ساخراً: عسل! عسل! ويمكن الاستفادة من جملة «فإنّكم تتنعّمون بها في الآخرة» أنّ التنعم بالعبادة في الدنيا أمر ممكن، وأن نفس التنعّم في الدنيا له انعكاس على التنعّم في الآخرة، أو يكون سبباً لزيادة وعلوّ التنّعمات الأخروية، أي لزيادتها وعلوها عمقاً لا حسّاً.

مجاهدة النفس وتأديبها

كان المرحوم الميرزا جواد الملكي وعالم آخر من أهل تبريز في زيارة المرحوم المامقاني[2]، يقول الميرزا جواد رحمه الله: قالت لي نفسي: كلما تكلم هذا العالم بشيء فيجب عليك أن تقول شيئاً في مقابله أيضاً. ولكني قلت لنفسي: يجب عليك أن تقدمي له حذاءه [وتضعيه أمام قدميه إذا أراد النهوض]. فتألمت نفسي وقالت: كيف تفعل ذلك؟ فقلت: يجب عليك أن تضعي الحذاء لخادمه أيضاً.

---

(١) الكافي ٢/ ٨٣، وسائل الشيعة ١/ ٨٣، بحار الأنوار ٨/ ١٥٥، ٦٧/ ٢٥٣، مجموعة ورّام ٢/ ١٦٨، انظر أيضاً: أمالي الصدوق: ٣٠١، عدّة الداعي: ٢٠٨، مشكاة الأنوار: ١١٢.

(٢) هو المرحوم عبد الله المامقاني صاحب كتاب «تنقيح المقال».

الإنسان في قوس الصعود والنزول

إنّ قدرة البشر واستعداده هي بدرجة يستطيع أن يصل بها إلى أعلى عليين، أو أن ينزل إلى أسفل سافلين. والإنسان يمتلك روحاً حيوانية هي أشدّ افتراساً ووحشيّة وشراً من الحيوان؛ لأنّ الكلب والخنزير وباقي الحيوانات الوحشية لا تدخل النار، بينما هناك مجموعة من الناس الأشقياء والظالمين لن يمكنهم الخروج من جهنم وهم فيها خالدون، فكم التفاوت شاسع بين الإنسان والحيوان!

الآخرة وحدها الهدف دون سواها

لا ينبغي للمؤمنين أن يطمئنوا ويظنوا أن اللعبة قد انتهت، وأنّهم وصلوا إلى الهدف. فإنّ البعض يظنّ أنه بمجرّد أن يستشهد [مثلاً] فإنّ العمل قد تمّ، وأنه قد وصل إلى آخر درجات الإيمان، وقد غاب عن هؤلاء أن الآخرة وحدها ذي المقدمة وهي المقصودة لا شيء آخر.

عدم انقطاع الفيض الإلهي

الإلهام يشبه الوحي، وقد ورد في الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «أعطاني الوحي وأعطى علياً الإلهام»(١).

والإلهام درجة عالية تقارن الوحي. نحن غير جادّون في الطلب، وإلاّ فإنّ الفيض الإلٰهي لم ينقطع، ولن ينقطع.

أُنظروا إلى عشّاق الأموال كيف يجدّون في الطلب، فيصل بعض منهم إلى مقصوده، ويتلخّف الباقي عن الوصول لوجود الموانع. فهل أنّ مفيض المال غير مفيض العلم؟! ما الذي نعمله نحن؟ ولكنّ الله يعلم أنّ

---

(١) بحا الأنوار ١٦/ ٣٢٢، إرشاد القلوب ٢/ ٢٥٤، أمالي الطوسي: ١٨٨، كشف الغمة ١/ ٣٩٠.

بعض الابتلاءات هي شرط ومقدّمه لحصول بعض الإفاضات، يقول أحد [الأجلّة]: اُبتُليت بالبلاء الفلاني، ولكن أضيف إلى معلوماتي [بسبب ذلك] الكثير.

البون الشاسع بين الكرامات ومعرفة الحقّ

عندما نرى أمثال هذه الكرامات نقول في أنفسنا: يا ليتنا نستطيع أن نأتي بمثلها، مع أنه هنالك بون شاسع بين الكرامات وبين إمكان المعرفة ومعرفة الله التي وهبها الله لنا؟! كما قال تعالى بالنسبة لأصحاب الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[1]، وما قاله عن أم موسى عليه السلام: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وما قاله عن يوسف عليه السلام: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[3].

فأين هذا الكلام [وعلوّ هذه الصفات والمعاني من الكرامات التي يمكن أن ينالها أي كان بواسطة الرياضة] كطيّ شرق الأرض وغربها في لحظة!!

بأيّ شيء تعلّقت قلوب عشّاق الدنيا؟

جاء في قصة يوسف عليه السلام: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾[4].

لقد كان لقاء فقط، وبعد أن رأين جمال يوسف عليه السلام الذي «أُعطي شطراً من الحُسن»[5] قطّعن أيديهن وضيّعن ألبابهن ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[6].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٤.
(٢) سورة القصص، الآية: ١٠.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٤.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٣١.
(٥) انظر: قصص الأنبياء للجزائي: ١٦٠، الخرائج ٣/١٠٤٦.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٣١.

عندما نسمع صوت انفجار فإننا نهتزّ تكويناً، فكيف إذن لا يُعرض أهل الشهود عند مشاهدة الجمال والكمال المطلق عمّا سواه، مع أن كشفهم وشهودهم يكون أقوى بمراتب من أصوات الانفجارات؟!

إنّ تكرار الآية يوجب عروج الروح، وسماعها ذلك الصوت من المصدر مباشرة أو عبر واسطة؛ وذلك لأنّ القرآن من مقولة الصوت: «كررتها حتى سمعتها من قائلها»[1]، وأيضاً: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[2]. وكذلك: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3]. ولكن انظروا إلى عشّاق الدنيا بماذا تعلّقت قلوبهم، وعلى ماذا يتنازعون؟ على دنيا من الكرتون والورق وبيت العنكبوت، وكما قالوا: «رأيت زيداً معدوماً، على فرس معدوم، بيده سيف معدوم، في قِبالة عدوّ معدوم، بيده سيف معدوم، وهما يتقاتلان قتالاً معدوماً».

الحبيب الذي اشتاق إلى لقاء حبيبه

ورد حول علي الأكبر عليه السلام أن الإمام الحسين عليه السلام قال لأمه ليلى في لحظة وداعه ليذهب إلى ساحة القتال: «دعيه فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه!».

كما نقرأ في بعض الأدعية خطاباً لحضرة الحقّ تبارك وتعالى: «يا حبيب من لا حبيب له»[4].

رؤية الله

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بنحوٍ يستطيع بواسطة العبودية

---

(١) قريب منه: مستدرك الوسائل ٤/١٠٦، بحار الأنوار ٤٧/٥٨، ٨١/٢٤٧.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٨ ـ ٩.

(٣) سورة ق، الآية: ١٦.

(٤) بحار الأنوار ٩١/٣٩١، البلد الأمين: ٤٠٧، مصباح الكفعمي: ٢٥٤، ٣٥١، المقام الأسنى: ٨٩.

الخالصة أن يضع قدمه في مقام أقرب من مقام الملائكة، وأن يحصل على مقامات الأنبياء والأولياء. ورؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا[1] ممكنة بنفس ملاك إمكان رؤيته في الآخرة، وقد جاء في جواب أمير المؤمنين عليه السلام لمن سأله: هل رأيت ربّك؟ قال: «ما كنت أعبدُ ربّاً لم أره»[2].

كما نقرأ في دعاء عرفة: «عَمِيَت عينٌ لا تراك عليها رقيباً»[3].

نحن في الصف الأول ونريد تكاليف السنة السابعة

إنّنا نترك العمل أحياناً بالأوامر الشرعية الواضحية والسهلة والتي نعرفها، ثم نذهب مع هذا إلى أساتذة المعرفة والأخلاق والتربية، ونطلب منهم ذكراً ثقيلاً وتكاليف أعلى ممّا ينبغي لنا. فنحن في الصف الأول، ولكنّنا نطلب تكاليف السنة السابعة.

وهذا علامة تشير إلى أنّنا لا نريد أن نترقّى ونتقدم بالأسلوب الصحيح لنصل إلى الكمالات والدرجات المعنوية العالية. فيا ليتنا نعلم أنّ صلاح ديننا ودنيانا هو في الالتزام بالأنبياء والأوصياء، والتمسّك بالقرآن والعترة.

أهمية المراقبة وآثارها

لقد كان ثمة أناس إذا ارتكب أحدهم معصية أو صدر منه قبيح، أو تناول طعاماً غير طاهر، التفت إلى ذلك وقال: لقد صرت مظلماً، وحصل لي حجاب، أو قال: إنّ طعام بيت فلان يلائمنا، وقد اتّضح فيما بعد أن هؤلاء كانوا من الصلحاء. وعندما كانوا يتناولون طعام أشخاص لا أُباليين كان يخرج الدم مع مدفوعهم.

---

(١) المقصود الرؤية بالقلب.

(٢) أصول الكافي ١/١٩٧ و١٣٨، بحار الأنوار ٤/٤٤، ٥٢، ٣٠٤.

(٣) بحار الأنوار ٦٤/١٤٢، ٩٥/٢٢٦، إقبال الأعمال: ٣٤٩.

إنّ من يتابع أقواله وأفعاله ويراقبها، وينظر في كلماته وأعماله وماذا يفعل، ويحاسب نفسه على معاصيه وتسامحه فيما يصدر عنه، والأمور التي يتساهل فيها، يستطيع تشخيص عيوبه ونقائصه، ورؤيتها بمنظار المراقبة والدقّة والمحاسبة.

وأما أن نتدارك ما قصّرنا فيه أو لا نتداركه، فهذا أمر له حساب مستقل. ولقد رأيت أحد الأشخاص من أهل المراقبة كان يتأذّى عندما يؤخّر صلاة المغرب ولو بمقدار حلول العتمة، أو يحرم التوفيق لوضوء صلاة الليل، أو عندما تهاجمه بعض الحيوانات كان يقول: إنّ هذه الحيوانات تقول لي: لماذا أخّرت صلاتك! إنّ على الإنسان أن يكون مراقباً لأعماله، لكي يرى آثارها ونتائجها الحسنة والسيئة.

الاهتمام بإصلاح النفس

يجب أن نكون من أهل المحاسبة، وإن لم نكن من أهل التوبة، ولم نتدارك ما فات منّا، فإنّ المحاسبة بحد ذاتها مطلوبة منّا. وإذا كنّا نعلم بأنّنا سنكون حسينين في اليوم الفلاني ويزيديين في يوم آخر، فذلك أفضل من ألاّ نعلم أصلاً هل أنّنا حسينيون أو يزيديون، إذ من الممكن آخر الأمر أن يأتي علينا يوم نرجع فيه إلى أنفسنا ونسعى لتدارك ما فاتنا. وإذا التفتنا إلى عيوبنا وإصلاحها، فإنّنا لا نمتلك فرصة لمتابعة حساباتنا اليومية فضلاً عن محاسبة الناس، فإنّ «أفضل الناس من شغلته عيوبه عن عيوب الناس». لنفكّر في أنفسنا ونصلحها! فإنّنا إذا لم نتابع أنفسنا وعجزنا عن إصلاحها، فلن يكون بمقدورنا إصلاح الناس.

يمكن العثور على عيوب العمل بالمراقبة والمحاسبة

(إنّ الإنسان ليظلم نفسه أحياناً، ويضع نفسه في الأغلال بنحو لا يستطيع هو أو أي شخص آخر بعدئذ فكّ تلك الأغلال.

إنّ بمقدور الإنسان، وفي جميع الظروف والابتلاءات، أن يسلك الطريق المستقيم وصراط العبودية، ليحصل ـ في النتيجة ـ على القرب من الله سبحانه. فنحن الذين نهيء مقدّمات الأعمال، ومقدّمات الأفعال الاختيارية بأيدينا، وهي تتم بواسطتنا، ونحن أيضاً الذين نهيء أسباب الخواطر، والغفلة والنسيان عن ذكر الحقّ تبارك وتعالى. ولهذا يجب علينا البحث والتحقيق في علل الأعمال ومعلولاتها، وبواسطة المحاسبة والمراقبة تظهر وتتضح لنا عيوب الأفعال.

إلام التراخي والتقصير

لا يُراد منا في الأمور العبادية أن نزيح جبلاً عن محلّه، بل إن أصعب العبادات هي صلاة الليل، وهي في الحقيقة [مجرد] تغيير موعد النوم لا ترك له من أصل، بل تنام قبل نصف ساعة من موعد نومك لكي تستيقظ قبل نصف ساعة من موعد استيقاظك، فهل تخاف إن استيقظت أن لا تنام مرة أخرى وتموت؟! [لكنّك] إذا بقيت نائماً فمن الممكن أن يأتيك الموت وأنت نائم [أيضاً]!

خروج أنفس المقرّبين شوقاً إلى الجنّة

لقد وصف الله سبحانه في القرآن وفي غيره[1] الجنّة وأهلها وصفاً أخّاذاً، بحيث لو أنّ أحداً مات شوقاً من سماع ذلك لما كان بعيداً. كما وصفت آيات الجحيم بهذا النحو [البليغ] أيضاً، يقول القرآن: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ۝٢١﴾[2]، فلو أن إنساناً نظر إلى معاصيه فمات على أثر ذلك لما كان بعيداً.

---

(١) أي السُنّة.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢١.

وطبعاً فلا حديث لنا مع المنكرين، ولكن بعض المقرّبين قد ماتوا شوقاً إلى لقاء الجنّة؛ لأنّ سماع آيات الرحمة والنعمة أو آيات العذاب والنقمة لها أثر تكويني على الإنسان الموحِّد، فتخرج نفسه من سماع المشوِّقات أو المخوِّفات، ومع ذلك كله فإننا لا نجد لهذه الآيات أثراً فينا!

بين التسامي المعنوي والإخلاد إلى الأرض

إذا كان ثمة كتاب يعكس لنا صور [حقائق] الأشياء فهو هذا القرآن الذي يصف لنا الجنّة والنار، ومع ذلك كله فنحن لا أباليين إلى هذه الدرجة وقد تعلقت قلوبنا بالدنيا. وليت العوض وما به التفاوت [أي ما نناله من الدنيا] له قيمة تعادل قيمة [ما نخسره بسبب] الانفصال عن الحق والالتحاق بالباطل، فما هي قيمة الدنيا ومقاماتها؟ والله يعلم ما هي حالة أصحاب المقامات المعنوية في أوقات الخلوة والمناجاة، وكيف تحرقهم انطفاءة الفكر [والاستغراق] بسبب مشاهدة الأنوار الإلٰهية ولو في مدة قصيرة!

طريق معرفة الله

سؤال ـ ما هو طريق معرفة الله؟ تفضلوا ببيان ذلك إذا أمكن؟

الجواب ـ طريق معرفة الله معرفة النفس، فنحن نعرف بأننا لم نصنع [نخلق] أنفسنا، ولا يمكننا ذلك، والآخرون إن كانوا مثلنا فهم لم يخلقوا أنفسهم كما لم يخلقونا نحن أيضاً، ولا يمكنهم ذلك. فالذي خلقنا إذن قادر مطلق وهو الله، وطريق قربه «**شكر المنعم**» من خلال طاعته، والمشقّة في ذلك إنما تقع ابتداءً، ولا يمضي الكثير حتى يصبح [الأمر] لطالبي قربه أحلى من كل حلاوة.

حول السلوك إلى الله

سؤال ـ إني مصمم على تحصيل القرب من الله والتوفّر على السير والسلوك، فما السبيل لذلك؟

الجواب ـ بسمه تعالى: إذا كان الطالب صادقاً فترك المعصية كاف ووافٍ للعمر كله، حتى لو كان ألف سنة.

سؤال ـ هل لا بد في المسير إلى الله من وجود أستاذ؛ ومع عدم وجوده ما العمل؟

الجواب ـ أستاذك علمك؛ اِعمل بما تعلم تُكفَ ما لا تعلم.

سؤال ـ إني مصمم على نيل القرب الإلٰهي، تلطفوا بإرشادي. أفلا يحتاج هذا الأمر إلى أستاذ؟

الجواب ـ بسمه تعالى: الأستاذ هو العلم والمعلّم [مجرد] واسطة. اِعمل بمعلوماتك، ولا تضع المعلومات تحت قدميك، فذلك كاف: «من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لا يعلم»[1]. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2].

إذا رأيت أن الأمر لم يتحقق فاعلم أنك لم تعمل بذلك. خصص ساعة في اليوم والليلة لأجل العلوم الدينية.

---

(١) بحار الأنوار: ١٨٩/٧٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

في ذكر الله

الغنى والاطمئنان في ذكر الله

أهل ذكر الله يعلمون ماذا يحدث عند ذكره سبحانه، إلى درجة يصبح معها الذاكر هو نفسه [وفانياً في المذكور] «ومن ذكره صرت [كأني] هو» كما يقول الله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1]. ويقول أيضاً: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2].

وتفيد الآية الشريفة: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3] بحسب الحصر المستفاد من تقديم ما حقّه التأخير، أن سبب اطمئنان القلوب ينحصر بذكر الله. وقد ذُكر من بين الأسماء اسم «الله» على الخصوص. ويا لها من آية عجيبة تتّصف بالجامعية والمانعية.

وبناء على هذا هل نستطيع أن ندّعي نحن الفاقدين للطمأنينة بأنّنا ذاكرون لله؟! وهل من الممكن أن يكون جميع العلماء والفضلاء قد أخطؤوا في ادّعاء مثل هذه المطالب؟! وهل من الممكن أن يقع كل هذا

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

الخطأ من العقلاء في الأمور التكوينيّة؟! وهل يمكن لعاقل أن يخلع ملابسه في المسجد بدل الحمّام؟! أو أن يصلّي في الحمام بدل المسجد؟! وأن يقول في اللبن: ما أطيب هذا المرق؟! أو يقول في المرق: ما أطيب هذا اللبن؟! هل من الممكن أن تصدر من العقلاء مثل هذه الأخطاء في الأمور التكوينية؟! فإذا لم يكن ذلك ممكناً، فالمشاهدات والحالات التي يدّعيها هؤلاء في مراتب الشهود والمعرفة إذن ليست خطأ، بل هي واقعية. ونحن المحرومون من مثل حالاتهم ومشاهداتهم لا ينبغي لنا أن ننكرها.

ذكر الله سبحانه على كلّ حال

جاء في كتاب «الكافي» نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «ثلاث لا تطيقها هذه الأمة... وذكر الله على كل حال»(١).

ويقول في رواية أخرى: «لا أقول سبحان الله والحمد لله، وإن كان ذكراً، ولكن ذكره عند حلاله وحرامه»(٢).

معاني ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾

تشير جملة ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(٣) إلى التخلية، وجملة ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي ذكر العبد الله تشير إلى التحلية، وقد جاء في الرواية:

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤/ ٣٥٨، وسائل الشيعة ١٢/ ٢٧، ١٥/ ٢٥٤، بحار الأنوار ٧١/ ٣٩٥.

(٢) راجع: أصول الكافي ٢/ ١٤٥، وسائل الشيعة ١٥/ ٢٥٥، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٤ و٣٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

«لذكر الله العبد أكبر من غير ذكره [أو] من ذكر غيره»[1] بإضافة المصدر إلى الفاعل، أي: ذكر العبد لله من غير ذكره أو من غير ذكر غيره له أكبر.

وقد جاء في بعض الروايات عبارة «ذكر الله»[2]، مقابل «ذكر الناس» أي أنّ «ذكر الله أكبر من ذكر الناس».

وبناء على هذا، فإنّ كلَّ من يذكر الناس ويخاف منهم، أو يحبّهم، أو يلجأ إليهم، أو يفرّ منهم، فهو ليس في حالة ذكر لله.

لم يتم التركيز في الصلاة والعبادات على ذكر الله والتوجّه إليه بل الحرص على عدم «التوجّه إلى غيره تعالى»، فهو [الذي يحقق] التوجّه إليه؛ لأن العبد إذا قطع توجهه إلى غير الله وارتباطه به، فسيتحقق ارتباطه بالله تعالى عندئذ بشكل تلقائي.

ويمكن أن يكون في ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ إشارة إلى التعرّض[3] لآيات الأنفس في قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[4]، في مقابل آيات الآفاق ﴿فِى ٱلْآفَاقِ﴾[5]، من أجل الاستدلال على الوجود الغيبي للواجب، وإن كان وجود النفس من آيات الآفاق، ومن الموجودات الخارجية أيضاً، نظير الشمس والقمر والسحاب والمطر والكواكب والأرض والسماء.

---

(١) في تفسير القمي ٢/ ١٥٠، وسائل الشيعة ٢٧/ ٣٧٤، مستدرك الوسائل ٣/ ٨٠، بحار الأنوار ٧٩/ ٦٠٦ف نقلاً عن الإمام الباقرعليه السلام في تفسير آية ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أنه قال: «ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إيّاه، ألا ترى أنه يقول: فٱذكروني أذكركم».

(٢) في هذه الصورة يكون المصدر مضافاً إلى المفعول، أي ذكر العبد لله أكبر من ذكر الناس.

(٣) إشارة لحديث: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها» انظر: بحار الأنوار ٦٨/ ٢٣١، ٨١/ ٣٥٢، ٨٧/ ٩٥.

(٤) سورة فصّلت، الآية: ٥٣.

(٥) سورة فصّلت، الآية: ٥٣.

وإذا كان ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ بمعنى ذكر العبد لله[1]، فالمقصود الذكر القلبي. وأفضل الألفاظ في مقام لفظ الحكاية عن ذلك الذكر القلبي من بين جميع الأسماء الحسنى هو لفظ الجلالة (الله)، بل يمكن أن يقال بحسب اللغة: ءنّ ذكر الله في الآية الشريفة هو من قبيل إضافة المصدر إلى المفعول، والمذكور إلى الذكر حيث إن لفظ الجلالة (الله) يحكي عنه.

إذا قلّت النعمة فاعلموا أننا لم نشكر

إنّ سبب جميع هذه الابتلاءات والمصائب النازلة علينا هو عدم شكرنا النعم وكفراننا إياها؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2]. فالشكر يوجب ازدياد النعم، فإن لم تشكروا فلا تتوقّعوا ذلك. وعليه فإن افتقدنا زيادة النعم، فعلينا أن نعلم من غير شك أنّنا لم نكن شاكرين، لأن زيادة النعم معلول لعلةٍ، وهي الشكر. فإذا انتفى ذلك المعلول، أي زيادة النعم، فسببه انتفاء العلة، وهي الشكر.

والشكر له معنى واسع، والمقصود منه طاعة الله، وليس مجرد قول (الحمد لله) باللسان، وإن كان هذا القول من مراتب الشكر، فطاعة الله شكر له تعالى. وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ﴾ يعني لئن أطعتم لأزيدنّكم، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أي لئن عصيتم وخالفتم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

فشكر النعمة بمعنى طاعة الله هو الذي يوجب زيادة النعم، وكفران النعمة هو بمعنى عصيان الله أيضاً، ويوجب حلول العذاب من قبله

---

(١) بناءً على إضافة المصدر إلى المفعول.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

سبحانه. إذن كلّما نزل على رؤوسنا البلاء والمصائب والعذاب فلنعلم أننا نحن الذين مهّدنا أسبابه، إما بترك الواجبات، أو بارتكاب المحرمات، أو بترك المستحب الشديد والمؤكّد جداً، أو بإتيان الشبهات.

وإذا علمنا الآن أننا بحسب الظاهر لسنا من تاركي الواجبات، ولا من فالعي الحرام، فلنا أن نطير فرحاً لذلك.

عندما تطمئن القلوب بذكر الله

إذا اطمأن قلب الإنسان بذكر الله فحينئذٍ يتوجّه إليه خطاب: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾[1]، وقد جاء في الرواية الشريفة أنّ المخاطب بها هو سيد الشهداء عليه السلام[2].

ذكر الله لا حدّ له

لكلّ عمل خير حدّ مطلوب إذا تجاوزه انقلب إلى ضدّه: يعني إذا أتى به المرء دون الحدّ المطلوب عُدَّ مقصّراً أو قاصراً، وإذا أتى بأكثر منه ابتُلي بالمشقّة، إلى أن يصل إلى الحد الذي يكون معه غير ممكن ولا مقدور للبشر. كالصلاة، فإنّ بدن الإنسان لا طاقة له على كثرة أداء الصلاة، أو أنّها تزاحم خيرات أُخرى فتتسبب في فواتها، بنحو لا يستطيع الإنسان أن يأتي بمثلها لو مضى وقتها. وعلى هذا النحو جميع الخيرات والطاعات إلاّ «ذكر الله» حيث لا حدّ له كما ورد ذلك في الرواية[3].

---

(١) سورة الفجر، الآية ٢٧.

(٢) راجع: بحا الأنوار ٢/٩٣، ٤٤/٢١٨ و٣١٩، تأويل الأبات: ٧٦٩، تفسير القمي ٢/٤٢٢.

(٣) جاء في الرواية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلاّ وله حدّ ينتهي إليه إلاّ الذكر فليس له حدّ ينتهي إليه». أصول الكافي ٢/٤٩٨، وسائل الشيعة ٧/١٥٤، عدّة الداعي: ٢٤٨.

وطبعاً ليس المقصود بذكر الله هو الذكر اللساني؛ لأنّ أعضاء الإنسان تصاب بسببه أيضاً بالملل والضعف والعجز، بل ذكر الله الذي لا حدّ له هو الأعمّ من الذكر القلبي واللساني بل والبدني أيضاً؛ لأنّ جميع الطاعات وما يُرضي الله تعالى هي ذكر له سبحانه، وهذا النحو من الذكر يجتمع مع جميع الطاعات ويتحقق معها، كقضاء الحوائج وأداء الواجبات، بل وإتيان المستحبّات التي هي عند أهلها ذكر لله، بل ترك المكروهات والمحرّمات ذكر لله أيضاً، وقد جاء في ذلك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً». ثم قال: «لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر وإن كان منه، ولكن ذكر الله عند ما أحلّ وحرّم»[1]. أي الذكر القلبي المحض.

فهل أن سبحان الله [ونحوها] أشدّ تذكيراً بالله واقعاً؟ أم كلمه يوسف عليه السلام حيث يقول: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]. فالأمر كان منتهياً [لولا ذلك] حيث يقول القرآن: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[3]، فهل كان جميع هذا باختياره أم أنّ الله تعالى هو الذي حفظه؟ ماذا الذي قام به؟ فهل قام بشيء أكثر من أنّه رأى برهان ربّه؟ وطبعاً فإنّه قد أتى بآلاف الأعمال قطعاً قبل هذا حتى استطاع أن يحصل على أسباب برهان ربّه في أوقات الخلوة، وليتمكّن من رؤية برهان الرب في ذلك الظرف الحسّاس.

الذِكر أعلى كمال للبشر

الذِكر أعلى كمال للبشر، ولا بدّ أنّكم تتساءلون: كيف يكون الذِكر

(١) أُصول الكافي ٢/ ٨٠، وسائل الشيعة ١٥/ ٢٥٢، بحار الأنوار ٦٨/ ٢٠٤، ٩٠/ ١٦٣.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

أعلى كمال للبشر؟! وما هو الفرق بين كمال الذين يقولون يا الله وبين أولئك الذين لا ينطقون بها؟!

اذكروني أذكركم

سؤال: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[1]؟

الجواب: ذُكر في بعض التفاسير أنّ معناها: أُذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة[2].

وجاء في الروايات الشارحة: أنا مع عبدي إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، ومَن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه[3].

ومعنى «ذكرني في ملأ» أي جعل ملأً من الناس ينتفعون بذكر الله تعالى، كما انتفع هو أيضاً بهذا الذكر. ومعنى «ذكرتُه في ملأٍ» [أي ملأ] نافعين بذكري له (أي أذكره في ملأ أفضل من البشر الذين ذكرني فيهم) بنحو ينتفع من ذكري إياه فيهم.

رؤية الأغيار مانعة عن ذكر الله

هناك رواية عجيبة رأيتها في كتاب (غرر الحكم) على ما أظن، يمكن الاستفادة منها أنّ الإنسان الغافل عن ذكر الله مشغول بذكر عمرو وبكر[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١/٣٤١، مجمع الزوائد: ١٠/١٤٩، المعجم الصغير للطبراني: ٢/٩٢، كنز العمال: ١٥/٨٧٤، الدر المنثور: ١/١٤٩.

(٣) مستدرك الوسائل: ٥/٢٩٧ و٢٩٨، أصول الكافي: ٢/٤٩٨، وسائل الشيعة: ٧/ ١٥٩، شرح نهج البلاغة: ١٠/١٥٤، عدّة الداعي: ٢٤٨.

(٤) لم أجد هذه الرواية بهذا النص في كتاب غرر الحكم، ولكن ممضمونها مطابق لمضمون الآية ٣٦ من سورة الزخرف، وما في غرر الحكم في ص ١٩٠ هو: «من اشتغل بذكر الناس قطعه الله سبحانه عن ذكره».

فإذن المقصود من الأغيار المانعين عن ذكر الله هم هؤلاء الناس حتى الصالحون منهم، وطبعاً يوجد بعض منهم من يُعدّ ذكره ذكراً لله، بل من أسبابه وشروطه «ويزيد الذاكر تنويراً»[1]. فهل من الممكن أن يكون المقصود ممّن «يذكركم الله رؤيتُه» هو رؤية الناسي لله الذي هو في تضادّ مع ذكر الله؟ كلا، [بل من كان] رؤيته وذكره لله يزيد في ذكر الإنسان الله قهراً، فالذاكر لله هو الذي تذكر رؤيته بالله لا الناسي له تعالى.

---

(١) الكافي ٣٩/١، بحار الأنوار ٢٠٣/١، ١٤/ ٣٣١، ٦٧/ ٣٢٢، ١٨٩/٧١، ٧٤/ ١٤٩.

حول الصلاة والصوم

حول الاهتمام بالصلاة

اِعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك، عليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها، وبالإقبال بالكل إليه تعالى فيها وعندئذ لا تفوتكم السعادة إن شاء الله. وفّقنا الله وإياكم لمراضيه، وجنّبنا سخطه بمحمد وآله الطاهرين صلواته عليهم أجمعين.

لذّة الصلاة أعظم من كلّ لذّة

جاء في الرواية أنّ رسول الله ﷺ قال: «حُبِّب إليَّ من دنياكم: الطيب والنساء وجعل قرّة عيني في الصلاة»[1].

إن جميع اللذات الروحية ـ وما هو مطلوب تكويناً بنحو الحلال من اللذّات الموجودة في الطيب أو النساء، بل أكثر منها وأرقى بمراتب [كله] ـ موجود في الصلاة.

ولكن الطفل القليل الإدراك لا يأبه للذّة الحجلة والعرس، وهو لا يشعر بهكذا لذة، بل الحجلة بالنسبة له قفص وسجن، ويكون فيها بمثابة سجين لا يملك حرية الحركة. فالذي يمثل اللذة بالنسبة له هو الركض

---

(١) أصول الكافي ٢/ ٨٣، وسائل الشيعة ١/ ٨٣، بحار الأنوار ٨/ ١٥٥، ٦٧/ ٢٥٣.

واللعب، فهو يحبّ الدراجة ويتلذّذ بها حيث ينتقل بها من مكان إلى آخر، واللعب في الأزقّة والشوارع بالنسبة له ألذّ من الحجلة والعرس. وأمرنا نحن كذلك أيضاً إذ نتلذذ بتناول ماء اللحم بينما المُدمِم على الترياك [والمخدرات] يجده ألذّ من أي شيء آخر كما يدّعون. وجميع اللذائذ روحية، وإلاّ فإن الجبل بعظمته كلّها في جهالة من هذه اللذائذ الروحية، وقد جاء في الرواية: «تنعّموا بعبادتي في الدنيا فإنّكم تتنعمون بها في الآخرة»[(١)].

التلذّذ بالصلاة من مختصّات الإنسان الكامل

في كلام الله يُسمع الصوت من كل حدب وصوب، واللذة والتنعّم الحاصلان من ذلك أعظم بكثير من لذّة الأكل والشرب، وقد جاء في رواية للإمام الصادقعليه السلام حول آية «إيّاك نعبد»[(٢)]: «لا زلت أكرِّرها حتى سمعتها من قائلها»[(٣)].

إنّ الأكل والنوم، والاهتمام ببعض الشؤون الحيوانية الأخرى، قد نزلت بنا إلى أسفل من درجة بعض الحيوانات، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾[(٤)].

والله تعالى يعلم الأعمال العجيبة التي يمارسها النَّحل، في حين نحن البشر، ومع ادّعائنا بأنّنا أشرف المخلوقات، من غير المعلوم أنّنا نستطيع إنجازها. يقول الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله:

---

(١) وسائل الشيعة ١/ ٤٤٢، ف/ ١٤٤، بحار الأنوار ٧٣/ ١٤١، ٧٩/ ٢١١، الخصال ص/ ١٦٥. وراجع أيضاً: مسند أحمد ٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) انظر بهذا المضمون: مفتاح الفلاح: ٣٧٢، فلاح السائل: ١٠٧، بحار الأنوار ٤٧/ ٥٨، ٨/ ٢٤٧، مستدرك الوسائل ٤/ ١٠٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ٦٨.

«حُبِّب إليَّ من دنياكم: النساء والطِّيب، وجُعل قرّة عيني في الصلاة»[1].

وكلّ واحدة من هذه المذكورات لها محبوبية ولذّة تكوينية، ولكن اللذّة الحاصلة من الصلاة هي أكثر من اللذّة الحاصلة من النساء والطيب. لكن ماذا نعمل وذائقتنا مالحة ومرّة، ولهذا ترى أحدنا همّه الفراغ من صلاته والانتهاء منها! وبعض أنواع الفراشات والنحل تطلب الرائحة الطيبة أيضاً، والانتفاع من الجنس المخالف مشترك بين الحيوانات كذلك، ولكن التلذّذ من الصلاة هي من مختصّات الإنسان الكامل.

ترك العمل شوقاً إلى الصلاة

سؤال: جاء في أوصاف المؤمن في إحدى الروايات: «وصلاة في شغل»[2] فما معنى هذه العبارة؟

الجواب: أي أنه يصلّي صلاته في وقتها حتى حين انشغاله بالعمل.

سؤال: وما الميزة التي يمكن أن تكون للمؤمن من ذلك؟

الجواب: أي أنّه لا ينصرف عن صلاته بسبب عمله[3]. وطبعاً فإنّ هذا يحتاج إلى صارفٍ قوي، يجعله يترك السوق وحرارته والعمل في وقت الصلاة. وإن كان الآخرون يأتون بالصلاة أيضاً، ولكن بعد تأخيرها عن أوَّل وقتها، ومن دون حرصٍ على إدراك فضيلة أوّل الوقت، مما يسبب خسارتهم هذه الفضيلة.

---

(١) وسائل الشيعة ١/ ٤٤٢، ٢/ ١٤٤، بحار الأنوار ٧٣/ ١٤١، ٧٩/ ٢١١، الخصال: ١٦٥.

(٢) أصول الكافي ٢/ ٢٣١، وسائل الشيعة ١٥/ ١٨٧، بحار الأنوار ٦٤/ ٢٧١ و٢٩٤.

(٣) إشارة إلى الآية ٣٧ من سورة النور.

الصلاة أفضل أوقات الملاقاة والحضور

الصلاة هي أرقى أوقات الملاقاة والاستحضار والحضور بين يدي الله عزّ وجلّ، وكم الناس مختلفون في درجات قوس الصعود والنزول فيما بينهم. إن غاية جعل الصلاة هي تحقيق الخضوع والخشوع بجميع مراتبهما، ولكن كم هو الاختلاف شاسع بين صلاة وحال الشخص الذي هو حقيقة مصلّي وحاضر، وبين صلاة وحال الشخص الذي يؤدّي نفس حركات المصلّي ويكون [مجرد] شبيه للمصلّي. وطبعاً فإنّ صلاة مثل هذا الشخص تُسقط التكليف والعقاب عنه، ولكن لن يكون لها آثار وخواص الصلاة الحقيقية. ونحن نأتي بما يشبه الصلاة، وما يكون صورة لها، وفائدة ذلك إسقاط التكليف فقط. بخلاف صلاة سلمان رَحِمَهُ اللهُ التي لها جميع الآثار والخواص في تنوير القلب.

لذّة العبادة وخاصة الصلاة

ورد في الحديث القدسي:

«تنعّموا بعبادتي في الدنيا، فإنّكم تتنعّمون بها في الآخرة»[(١)].

يعني تلذّذوا بالعبادة. وهذا الحديث أعلى درجة من الرواية التي نقلها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من أنّ الصلاة ترفع الجوع والعطش، لأنّه يفيد الدوام والاستمرار.

أهمية الصلاة

لا يوجد كتاب فقهي يوازي كتاب الصلاة في كثرة أبحاثه، إلى أحدّ أنّ كتابي (الألفية) و(النفلية)[(٢)] كُتبا حولها، وقد جاء في كلمات أمير

---

(١) أصول الكافي ٢/٨٣، وسائل الشيعة ١/٨٣، بحار الأنوار ٨/١٥٥، ٦٧/٢٥٣.

(٢) الكتابان للشهيد الأول رَحِمَهُ اللهُ، يشتمل الأول على ألف واجب من الأحكام الواجبة للصلاة، ويشمل الثاني على ثلاثة آلاف حكم من الأحكام غير الواجبة في الصلاة.

المؤمنين عليه السلام: «واعلم أنّ كل شيء من عملك تبعٌ لصلاتك»[1].

وقد شاهدنا بعض العلماء الكبار كيف كانت تتغيّر أحوالهم بنحو عجيب وغريب في الصلاة، بنحو «تشعر» نألگ الواحد منهم لن يخرج من الصلاة.

بين الصلاة والولاية

لم أرَ في فضل الصلاة فعلاً رواية أبلغ وأليق من هذه الرواية:

«الصلاة معراج المؤمن»[2].

وتوجد لدينا رواية أخرى أيضاً تقول:

«لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما انفتل من صلاته»[3].

كما يُعلم من حديث «كلّ شيء من عملك تبعٌ لصلاتك»[4] أنّ الصلاة أعلى درجة من كل الأعمال العبادية. ولكن يُستفاد من حديث: «لم يُنادَ بشيء كما نُودي بالولاية»[5] أنّ الولاية أعلى درجة من العبادات الخمس، فما هي علّة ذلك؟ فهل أنّ ذلك باعتبار أنّ الولاية من الأصول

---

(١) نهج البلاغة: ٣٨٣، وسائل الشيعة ٤/ ١٦١، بحار الأنوار ٣٣/ ٥٨١، ٧٤/ ٣٩٢، ٨٠/ ١٤ و٢٣.

(٢) بحار الأنوار ٧٩/ ٢٤٧ و٣٠٣، ٨١/ ٣٥٥.

(٣) هذه العبارة مأخوذة من روايتين: الأولى: «لو يعلم المصلّي ما في هذه الصلاة ما انفتل» الكافي ٣/ ٢٦٥، وسائل الشيعة ٤/ ٣٢، أو مأخوذة من رواية «لو يعلم المصلّي من يناجي ما انفتل» من لا يحضره الفقيه ١/ ٢١٠، وسائل الشيعة ٤/ ٣٣، ٧/ ٢٨٩.

والثانية: «لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما سرّه أن يرفع رأسه من سجوده» مستدرك الوسائل ٣/ ٨٠، بحار الأنوار ١٠/ ١١٠، الخصال ف/ ٦٣٢.

(٤) نهج البلاغة: ٣٨٣، وسائل الشيعة ٤/ ١٦١، بحار الأنوار ٣٣/ ٥٨١، ٧٤/ ٣٩٢، ٨٠/ ١٤.

(٥) أصول الكافي ٢/ ١٨ و٢١، وسائل الشيعة ١/ ١٧، بحار الأنوار ٥/ ٣٣٢.

والعقائد، والصلاة من الفروع؟ أو باعتبار تلازم الولاية مع ما يحصل عليه المؤمن المصلّي من الصلوات؟

أهمية الصلاة في أوّل وقتها

يقول الشيخ مصباح: (كان آية الله بهجت ينقل عن المرحوم القاضي «أنّه قال: إذا أدّى إحدى صلاته الواجبة في أوّل وقتها ولم يصل إلى مقامات رفيعة فليلعنّي! أو برواية أخرى: فليبصق في وجهي».

فهنالك سر عظيم في أوّل الوقت وهنالك فرق بين ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾[1] وبين ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2].

وإذا اهتمّ المصلي بالصلاة وتقيّد في أدائها في أوّل وقتها، فإنّ هذا العمل في حدّ ذاته له آثار كثيرة حتى وإن لم يُصلِّها بحضور القلب[3].

الصلاة في أول وقتها ضمان للمعيشة

كان بعض العلماء يؤمّن معيشة أولاده في المستقبل من خلال إيصائهم بالصلاة في أوّل الوقت أو بصلاة الليل.

الصلاة أعظم لذّات الدنيا

جاء في رواية عن رسول الله ﷺ:

«حبّب إليّ من دنياكم: الطيب والنساء وجعل قرّة عيني في الصلاة»[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(٣) در محضر بزركان ـ في محضر الأولياء، محسن غرويان: ٩٩.
(٤) وسائل الشيعة ١/ ٤٤٢، ٢/ ١٤٤، بحار الأنوار ٧٣/ ١٤١، ٧٩/ ٢١١، الخصال ١/ ١٦٥، وراجع أيضاً: مسند أحمد ٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥.

ويمكن الاستفادة من هذا الحديث بأنّ أعظم لذّة وسرور في الدنيا بحسب الظاهر هي الطيب والنساء، ولا عدل لهما، والقلوب متوجهة إليهما.

ولكن قال البعض حول جملة «وجعل قرّة عيني في الصلاة» أنّ فيها عدولاً[١]. ولكن الأمر ليس كذلك، بل لعلّه إشارة إلى أنّ الصلاة أيضاً تشتمل لذاتٍ شبيهة بلذة الطيب والنساء، أي أنّ لذّة الصلاة هي أعلى بدرجات من لذّة الطيب والنساء، وقد جاء في الحديث القدسي:

«تنعّموا بعبادتي في الدنيا، فإنّكم تتنعمون بها في الآخرة»[٢].

ومعنى «تنعّموا» أي تلذّذوا.

(١) انظر الخصال ١/١٦٥، بحار الأنوار ٧٩/٢١١، نقله الشيخ الصدوق عن بعض الملحدين.

(٢) أُصول الكافي ٢/٨٣، وسائل الشيعة ١/٨٣، بحار الأنوار ٨/١٥٥، ٦٧/٢٥٣.

من آثار الصلاة والعمل على أساس التقوى

يُستفاد من الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

أنّه «لا صلاة لمن لا يتناهى عن الفحشاء والمنكر»[2].

سؤال: هل يمكن استفادة ما استنتجتموه من الآية المتقدمة بعكس النقيض من قوله تعالى أيضاً ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3]؟

الجواب: يظهر من هذه الآية أنّ العمل المقبول هو العمل القائم على أساس التقوى فقط، لا أنّ جميع أعمال الشخص المتّقي بما أنه متّقي مقبولة، وإن صدرت منه لا على أساس التقوى.

بواسطة المجاهدة نستفيد من القرآن والصلاة بنحو أفضل

يمكن الاستفادة من آية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4] بحسب الظاهر أنّ الهداية الإلٰهية وجهاد العبد لكل منهما مراتب ودرجات، وأنّ كل درجة من جهاد العبد وسعيه يتعقّبها درجة من الهداية الإلٰهية.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) قريب منه: مستدرك الوسائل ٤/ ١١٤، بحار الأنوار ٦٧/ ٢٩٣، ٨١/ ٢٦٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

ومن موارد العمل بالوظيفة والتكليف أيضاً، أن نتلو القرآن على وجهه بأشكال المجاهدات [ومراتبها] بنحو نستفيد من كل تلاوة غير ما استفدناه من التلاوة السابقة، وفي الصلاة أيضاً أن نستفيد في كل صلاة شيئاً آخر غير ما استفدناه سابقاً، لا أن نعيد للتكرار فقط، من غير زيادة أو نقيصة، بل إنّ الأمر بالنسبة لنا هو هكذا صورة لا سيرةً.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ أي لنفهّمهم الأمور التي في نفس القرآن والسُنّة، لا الأمور التي في غيرهما، والدليل على ذلك أنّكم تفهمون شيئاً جديداً في كل مرة تقرأونه وتتدّبرون فيه غير الشيء الذي تفهموه في المرّة السابقة. والصلاة أيضاً كذلك، فإنّكم تفهمون منها في كل مرة شيئاً، غير الذي كنتم فهمتموه من قبل، وإلاّ فإنّ الإنسان عندما يصلّي الصلاة الأولى، فإنّ بقية الصلوات تكرار لها، فهل أُمرنا بإتيان الصلاة دون أن نعرف لماذا أُمرنا بها؟ وهل [المطلوب فقط] أن نكرر ما عرفناه وقرأناه مرة أخرى، بل نعيده في اليوم والليلة خمس مرات؟! إنّه لأمر عجيب! بل [أنّه تعالى] يريد إفهامكم أنّ في كلّ صلاة تأتون بها انتبهوا لتنالوا أمراً ولتفهموا شيئاً جديداً لم تكونوا قد فهمتموه في المرة السابقة، والأمر كذلك في تلاوة السور والآيات القرآنية أيضاً، أي احصل في كل مرة على شيء غير ما كنت قد حصلت عليه في المرة السابقة.

مراجعات حول الصلاة

سؤال: نرجو أن تبيّنوا لنا جملة مختصرة [نافعة] وبليغة حول الصلاة لتكون نصب أعيننا.

الجواب: بسمه تعالى: من البيانات العالية في فضيلة الصلاة يقع في المرتبة العليا الكلام المعروف عن المعصوم عليه السلام: «**الصلاة معراج**

المؤمن» وقد ذكروهﷺ للذين يمتلكون اليقين بصدق هذا البيان، ويستمرون في طلب هذا المقام العالي، ولم يتجاوزوا اليقينيات.

سؤال: ما الذي نفعله لكي نؤدِّي الواجبات الإلٰهية وخاصة الصلاة بخشوع؟

الجواب: التوسّل الحقيقي بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه في أول الصلاة من أجل تأدية العمل بالتمام [والكمال] المطلق.

سؤال: ما الذي يجب فعله لتحصيل حضور القلب وتركيز الذهن في الصلاة؟

الجواب: بسمه تعالى: في اللحظة التي تلتفت فيها لا تنصرف [وتشرد بذهنك] باختيارك.

سؤال: ماذا نعمل لنفي الخواطر؟

الجواب: من عرفه تعالى واستأنس به يقال له: «**انصرف لضرورياتك**» ولا يقال له: «**لماذا لا تفارقه**» «**لو علم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما انفتل عن صلاته**».

حول الصيام:

جاء في الرواية: «للصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه»[1].

ورد في الروايات حول كمية الأكل أنه: «إذا جعت فكُل»[2].

(١) الكافي ٤/ ٦٥، من لا حضره الفقيه ٢/ ٧٦، وسائل الشيعة ١٠/ ٣٩٧، بحار الأنوار ٩٣/ ٣٨٠.

(٢) مستدرك الوسائل ١/ ٢٨٤، ١٦/ ٤٦٦، بحار الأنوار ٦٥/ ٢٦٠، فقه الرضا: ٣٤٠.

وإذا كان الإنسان جائعاً فإنّه يستلذّ حتى بالخبز وحده بلا إدام، ولذة الطعام يعرفها الصائمون.

الثواب الخاص للصوم:

جاء في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به»[١].

أي أنّ الله تعالى يعطي ثوابه بلا واسطة، إضافة إلى ما ذكر له من ثواب في الكتاب والسُنّة.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٢] أي أنه غير قابل للوصف والتوصيف.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢/ ٧٥، تهذيب الأحكام ٤/ ١٥٢، وسائل الشيعة ١٠/ ٤٠٠، بحار الأنوار ٩٣/ ٢٥٥ ح ٦، ٩٣/ ٢٥٨ ح ٢٥.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

متفرقات عملية وأخلاقية

كم نحن قريبون من الموت دون أن نفكّر فيه:

كم هو الإنسان قريب من الموت وفي نفس الوقت يظن أنّه بعيد عنه، ويعيش في غفلة منه، يقول الشيخ الحائري[1]: رأيت عزرائيل في عالم المنام وهو يقول لي: «يجب عليك أن تستريح». ومع أنّنا نعلم بأننا سنموت والذي لا نعلم به أو نظنه هو زمان الموت فقط، لأنّنا في كل ليلة نذهب إلى عوالم من البرزخ لا نملك فيها أي اختيار، كما قرّر ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾[2]. وقال أيضاً: ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾[3]. وورد أيضاً استحباب أن يقول الإنسان عند نهوضه من النوم، وقبل ا لبدء بصلاة الليل وهو ساجد: الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني[4].

ومع هذا كلّه فنحن غافلون عن الموت، نعم هناك أشخاص كانوا في حالة انتظار واستعداد دائم للموت.

---

(١) هو المرحوم الشيخ مرتضى الحائري ابن الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسّس الحوزة العلمية في قم.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٤) أصول الكافي ٢/ ٥٣٩، من لا يحضره الفقيه ١/ ٤٨٠.

الاعتدال والوسطية

كل شيء يخرج عن حدّ الوسط والاعتدال نحو الإفراط أو التفريط فإنّ نتيجته ستكون عكس المطلوب. «كل شيء جاوز حدّه انقلب إلى ضدّه».

وعلى هذا الأساس، فالاعتدال في الغضب والشهوة، والنوم والأكل، وكل عمل آخر يكون نافعاً ومُحبَّباً، وكلا طرفيه من الزيادة والنقيصة تكون مضرّة مهلكة، اللّهُمّ إلاّ الأمر الذي لا حدّ له[1].

ضرورة التسليم الدائم لأمر الله

لا ينبغي لنا أن نشعر بالاضطراب والإحباط من السير في طريق الحق، أو نترك متابعته بسبب قلّة أهله وكثرة أهل الباطل. إن علينا أن نرضى ونسلّم تجاه ما يرد في مجالي الأُمور التكوينية والتشريعية، فالله سبحانه وتعالى، وإن كان قد نهى تشريعاً عن المفاسد والمعاصي، لكنّه لم يشأ أن يمنعها تكويناً، مع أنّ المصالح والمفاسد بيده.

إنّ الشيعة بلا ملجأ، وهم هدف للهجمات والغارات من كل ناحية بجريمة حقّانيتهم وبراءتهم. والله تعالى يعلم أنّ الشيعة ـ غير الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف والمقرّبين إليه وأحبائه ـ في أي وضع وحال! وكم يعانون من ضيق وضغوطاتث

دور الطعام الحلال والحرام في سعادة الإنسان وشقائه

الويل لنا إذا لم نتجنّب تناول الأطعمة والأشربة المحرّمة، لأنّ هذه الأطعمة هي منشأ علمنا وإيماننا أو كفرنا، إذ قد يأت وقت نجد أنفسنا فيه وقد آمنّا بيزيد.

---

(١) وهو ذكر الله. انظر أصول الكافي ٢/٤٩٨، وسائل الشيعة ٧/١٥٤، عدّة الداعي: ٤٨ف.

ويُستفاد من آية: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] أنّ نفس الأكل والتناول كان في لسلة العلل والمعاليل في هبوط آدم عليه السلام.

والإنسان الذي له قابلية أن يكون ملكاً ـ مهما كان طرفه المقابل في أسفل السافلين ـ [يتحقق له ذلك بواسطة] الأكل والشرب الذي تظهر قوّته في الدم، وبالتالي يظهر أثره في الأعضاء، بل في روح ومخ الإنسان وفكره.

وكل هذا التوفيق الذي ناله العلماء السابقون في العلم والعمل، والبركة التي كانت في أعمارهم، والسلامة عن الانحرافات الفكرية التي اتَّصفوا بها، كل ذلك كان ناتجاً من تناول الأطعمة الحلال والاجتناب عن الشبهات.

الموت في نظر أمير المؤمنين وسيد الشهداء عليه السلام

جاء في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام:

«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه»[2].

وجاء في كلمات سيد الشهداء عليه السلام:

«وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف»[3].

وقال عليه السلام أيضاً حين خروجه من مكّة متّجهاً إلى كربلاء:

«من كان باذلاً فينا مهجته، موطِّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا»[4].

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥، سورة الأعراف، الآية: ١٩.
(٢) نهج البلاغة: ٥٢، بحار الأنوار ٢٨/ ٢٣٣، ٧١/ ٥٧، ٧٤/ ٣٣٤.
(٣) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٦٦، كشف الغمة: ٢٩، اللهوف: ٦٠.
(٤) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٦٦، اللهوف: ٤٠.

أي أنّه دعا الجميع إلى الجهاد والحرب والقتل. وكذلك أهل الجنّة أيضاً فإنّهم يدعون أصدقاءهم الذين في الدنيا، ويسألونهم عن سبب عدم مجيئهم، وبقائهم في السجن والقفص؟!

حمل هم المعيشة وغمها أسوأ من مشقّة العمل

نسأل الله أن يرزقنا اليقين! هل تجد إنساناً يخاف الموت من الجوع؟! ولكن ينبغي أن نعلم أنّه كما يمكن أن يموت الإنسان من الجوع إذا كان الموت مقدّراً له، فمن الممكن أيضاً أن يموت من الشبع، وكم هو حسن أن يكون الإنسان مطمئناً على أمر معيشته؛ لأنّ حمل هم المعيشة وغمها أسوأ من مشقّة العمل، فإنّ من ابتُلي بهمّ المعيشة تراه يعمل ليلاً ونهاراً، ومع ذلك يعاني من التحسّر والغم لأمر الرزق.

التساهل في الاستهلال

كم من الخيرات تفوتنا بسبب إهمال الاستهلال لمعرفة أول الشهر القمري؟! وكم من الحرمان يصيبنا كعدم معرفتنا بمثل ليلة القدر وليلة النصف من شعبان.. وغيرهما؟! وكم يفوتنا كذلك من الأعمال الخاصة في هذه الليالي؟! وليس من العبث واللغو قولهم عليهم السلام: «لا وفّقكم الله لفطرٍ ولا أضحى»[١].

يقع التساهل من قبلنا كثيراً في الاستلاهل لبعض الأشهر، بينما لو قمنا بالاهتمام بذلك فإنّ الاستهلال في الأشهر السابقة نافع في كثير من الحالات لمعرفة بدايات الأشهر اللاحقة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢/٨٩، بحار الأنوار ٤٥/٢١٨، علل الشرائع ٢/٣٨٩، وسائل الشيعة ١٠/٠، ٦٥ف، ٢٩٦.

مستحبّ فيه ألف واجب

من المعلوم أنّ صلاة الليل مستحبة كالمجلس الحسيني، فإنّه عندما منع رضاخان من إقامة المجالس الحسينية خاطب أحد أصحاب الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله الشيخ قائلاً له: ليس بالأمر المهم فقراءة العزاء عمل مستحب وقد منع منه الشاه البهلوي [رضا خان] فأجابه الشيخ الحائري رحمه الله: نعم هو مستحب لكنه ينطوي على ألف واجب.

والله يعلم كم من الأحكام الواجبة والأمور الأخرى من سيرة وكلمات سيد الشهداء وسائر المعصومين عليهم السلام، ممّا ينقل في مقدمة قراءة المجلس الحسيني، ويكون سبباً في تقوية الدين وموجباً لزيادة إيمان الناس.

الصراع المستقيم في الدنيا والآخرة

يجب على الإنسان أن يسعى في دنياه أن تكون جميع حركاته وأفعاله وأقواله وفقاً للصراط المستقيم، وأن لا ينحرف عنه. والكون على الصراط المستقيم يعني أن نجعل النبيّ صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام أمامنا ثم نتبعهما.

والصراط المستقيم صراطان يجب طيّهما: أحدهما في الدنيا، والثاني في الآخرة. وإذا ما استطعنا اليوم المشي بصورة صحيحة على الصراط في الدنيا، فإنّنا نستطيع غداً العبور على صراط الآخرة فوق جهنم أيضاً.

وعبارة «كتاب الله وعترتي» الواردة في حديث الثقلين هي نفسها عبارة «كتاب الله وسُنّتي»: لأنّ السُنّة الواقعية لرسول الله صلى الله عليه وآله هي عند العترة.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن نعتبر العترة هي واسطة الفيض في جميع النِعم وأن نتوسل بهم، وأن نعمل بما نعلم «سواء حصلنا عليه عن طريق الاجتهاد أو التقليد»! وإلاّ فسوف نندم، وأن لا نقدم على ما لا نعلم، وإلاّ فسوف نندم أيضاً. بل يجب الاحتياط والتوقّف في مواقع الشك والشبهة، حتى نسأل أهل العلم عنها، والعمل بالاحتياط لن يجرّ ندماً.

البلاء العام

يكون البلاء في بعض الأحيان عاماً فيحرق الأخضر واليابس، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[1].

أثر تناول الأطعمة المشبوهة

إنّ تناول الأطعمة المشبوهة، وكذلك تناول أطعمة من لا يتجنّب عن الحرام، وإن كان جائزاً ولكنّه يسبب المرض للإنسان[2]، ويحرمه من العبادة، أو يكون سبباً لسلب التوفيق.

الأثر التكويني للآذان والإقامة

إنّ الآذان والإقامة في أُذن الطفل عند ولادته[3] هو تعريف تكويني للإيمان بالنسبة له.

وكذلك تحنيك الطفل بماء الفرات والتمر[4] له أثر تكويني.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

(٢) الظاهر أنّ المراد المرض الروحي والمعنوي، وإن كان ممكناً أن يكون المقصود هو الأعمّ من المرض الروحي والجسمي.

(٣) راجع: الكافي ٦/ ٢٣ و٢٤، من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٩٩، التهذيب ٧/ ٤٣٧، وسائل الشيعة ٥/ ٤٦٥، ٢٠/ ١٣١، ٣١/ ٤٠٥.

(٤) راجع: وسائل الشيعة ١٤/ ٥٢١، ٢١/ ٤٠٧، ٢٥/ ٢٦٦، مستدرك الوسائل ١٠/ ٣٢٩، ١٥/ ١٣٨، ١٧/ ٢٢.

الترجيح بين الأبوين في الإحسان

سؤال: ورد بعض الروايات ولعلّه عن النبيّ الأكرمﷺ أنّ الإحسان إلى الأُم مقدّم على الإحسان على الأب: «للأُمّ ثلثا البرّ»[١]. فهل الأمر كذلك؟

الجواب: إذا كان الأب والأُم متساويين من جميع الجهات فالأمر كذلك، ولكن إذا كان الأب أرجح من الأُم من جهات العلم والتقوى والتربية... الخ فيمكن أن يكون برّه وإحسانه مقدّماً على الأم.

إطاعة الوالدين في ترك المستحبات.

الجواب: نعم، ولكن تستطيعون عندما تؤدّوا المستحبات أن تعملوا بنحو لا يؤذيهما؛ لأنّ إيذائهما حرام.

عبادة النظر

جاء في الرواية:

«النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى الوالدين عبادة، والنظر في المصحف من غير قراءة عبادة، والنظر إلى وجه العالم عبادة، والنظر إلى آل محمد عليهم السلام عبادة»[٢].

إنّ النظر المستمر إلى القرآن هو دواء لأوجاع العين، والظاهر أن النظر إلى المصحف هو الذي يترتّب عليه هذا الأثر، وأمّا قراءة القرآن من غير المصحف فهو خارج عن محلّ الرواية.

---

(١) روضة الواعظين ٢/٣٦٨، بحار الأنوار ١٣/٣٣٠، ٧١/٦٦.
(٢) من لا يحضره الفقيه ٢/٢٠٥، بحار الأنوار ٩٦/٦٥، وانظر أيضاً: وسائل الشيعة ١٢/٣١٢، ١٣/٢٦٤.

أهمية التوفيق لتشخيص العمل الناف

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لتشخيص العمل النافع لنا، وأن يرزقنا الثبات عليه، وأن نكون ثابتي القدم فيه، وأن لا تدور في رؤوسنا في كل يوم فكرة جديدة لعمل جديد، وألاّ نتلوّن في كل لحظة بلون جديد.

لذّة الحلال كلما اشتدّت كانت أكثر إلهية

سؤال: هل يمكن أن تكون لذّات الحلال الموافقة لطبع الإنسان وميله إلهية؟

الجواب: لذة الحلال الباعثة على ترك الحرام ولذّته تكون إلهية، ومهما كانت لذّة الحرم أشدّ كان تركها أكثر إلٰهية، وهذا بسبب ترك ضدّها. والمقولة القائلة بأنّ اللذة في ترك اللذة تحمل في طياتها تناقضاً، فنحن لا نخرج من عهدة النفس المتمردة والمعاندة وهوى النفس. قال أحدهم لصاحبه: ماذا سيكون جوابك لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف وأنت تنظر لامرأة أجنبية من فوق السطح؟

وعلى كل حال فإنّ البعض يرى اللذة في الخلوة مع الله، وأُنس مناجاته، والتهجّد له، بينما يرى البعض الآخر اللّذة في العشرة والجلوس مع أهل الغفلة والبطالة والمعصية. فشخص يطلب اللّذة بالصمت والسكوت وعدم الضوضاء، وآخر يطلبها في اللهو والطرب الصاخب والحافل.

نزاع البشر على سموم الدنيا

من المستحسن أن نجعل الأحكام الإلٰهية ملاكاً في شؤون حياتنا [واختلافاتنا] وأن نسعى لتحقيق الانسجام فيما بيننا، فالله تعالى هو الرؤوف والرحيم بكلا الطرفين، لا أن يقول أحد الطرفين: يجب تنفيذ

أوامري ورغباتي، ويقول الآخر أيضاً: بل أوامري أنا. فلماذا لا نصغي إلى الأوامر الإلٰهية؟!

إنّ الطيبات والأغذية الجيدة والللذائذ الأُخرى تتعقبها الأيام السيئة والعاقبة غير المرضية مما يكون ثمرة ونتيجة ومولوداً للإفراط والغور في هذه الطيبات والللذائذ. إضافة إلى أنّ هذا في محاسن الدنيا فكيف سيكون الحال في مساوئها؟! وها نحن نتخاصم ونتقاتل من أجل الدنيا التي محاسنها هكذا! نتصارع على هذا السم القاتل والخادع، فأنا أقول: إنّ هذا السم المهلك لي، والآخر يقول أيضاً: بل هو لي! وهذه هي الدنيا التي تجعل الطفل شاباً والشاب كهلاً والكهل حطاماً!

البحث عن الحق والحذر في تقليد الآخرين

لا ينبغي الاعتماد على كلام غير المعصوم مائة بالمائة مهما كان هذا المتكلم جليلاً، بل يجب احتمال الخطأ فيه، وحتى كلام المعصوم عليه السلام فإنّ له سبعين محملاً ولا يمكن الاعتماد على ظاهر معناه للوهلة الأُولى والعمل به قبل الفحص عن المعارض والصارف له عن معناه الظاهري.

وعلى هذا فإنّ أول تنبيه لطالب الفهم والمعرفة هو أن يحتمل الخطأ فيما يراه أو يسمعه من كلام حتى لو صدر من شخص جليل، ولا يصحّ ولا ينبغي الاعتماد على كلام وحديث شخص ما لمجرّد كونه جليلاً وعظيم الشأن، ولا تدعوا الأمور تمضي بمجرّد الاعتماد على الآخرين [والثقة بهم]؛ لأنّ هؤلاء غير معصومين. نقل أحد الأجلاّء عن أُستاذه أنّه قال: اِفتحوا عيونكم جيداً في كلّ مسألة تبحثون فيها.

ويقول أحد العلماء: لقد كنت أعتمد كثيراً على آراء الآخوند الخراساني رحمه الله، ولكن رأيت في بعض المواضع أني قد ظفرت به[1]، فلو

---

(١) كناية عن إمكان الاعتراض على بعض نظرياته.

قال لي الآن: إنّ اللبن أبيض، فإني أفتح عيني جيداً، فلعلّه يميل إلى الصفرة!

قراءة الشعر في ليلة الجمعة

سؤال: هل يُكره قراءة الشعر في ليلة الجمعة؟

الجواب: يُكره إنشاد الشعر المناسب للسهرات الليلية ومجالس الأنس واللهو، ولا يُكره الشعر الذي فيه ذكرٌ لله تعالى ومناجاته، أو الذي أُنشد في مدح الأئمة الأطهار والنبي ﷺ[1].

نسأل الله أن لا نرى أنفسنا في غنى عن الآخرين

نسأل الله تعالى أن ينبّهنا ويوقظنا لنفهم أنّنا لسنا من المتنبهين والعلماء، وأنّنا لا نستطيع إدارة أنفسنا لوحدنا، وأنّنا بحاجة إلى مأمن يرشدنا إلى ملجأ، ونسأل الله أن لا نعتبر أنفسنا علماء وأصحاب بصيرة مستغنين إلى حدّ أننا «لا نحتاج إلى أحدٍ»! وحينئذٍ سنبتلى بالهلاك والشقاء الأبدي والذلّ والهوان وقد جاء في الرواية: «إنّ المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضرّ»[2] والمؤمن العالم يكون كذلك بطريق أولى.

لزوم الصبر عند الفقر

إذا قسنا حياة العلماء السابقين بحياتنا اليوم فلن نجد وجهاً للمقارنة بينهما! فإنّ ما نتقاضاه من الحقوق الشرعية في شهر واحد كان يكفي لإدارة شؤون حياتهم سنة كاملة.

إنّ الحدّ الأدنى لتكليفنا هو أن نصبر حين لا نجد المال، وأن نعمل بما تقتضيه أحكام الحلال والحرام إذا وُجِد.

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ٧/ ٤٠٢، روايات باب ٥١، مستدرك الوسائل ٦/ ٩٩، روايات باب ٤٣.

(٢) بحار الأنوار ٨/ ٣٨، تفسير القمي ٢/ ٢٠٢.

وظائف الفقراء عند الحاجة

طبعاً يجب على الفقراء عند الحاجة والفقر والصبر والتحمّل، وليعلموا أنّهم يتمتّعون بنعم أخرى لا يتمتع بها الأغنياء، كما أنّ الأثرياء يعانون من ألوانٍ من الابتلاءات والهموم، في حين أنّ المستضعفين والمحرومين في عافية منها. ترى [جمال] الطاووس، لكن انظر إلى رجليه أيضاً؛ والسعادة والسرور لا يكونان بكثرة وسائل الرخاء فقط، فالراحة النفسية، والرفاه والسرور وطمأنينة القلب، لا تكون بامتلاك وسائل الراحة والرفاه [المادي]. بل كثيراً ما تكون هذه الوسائل سبباً للاضطراب والقلق الداخلي، وقد جاء في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: «المصائب بالسويّة مقسومة بين البريّة»[(١)]، أي أنّ الأقداح مختلفة ويجب أن تمتلىء بالفقر والبلاء والسرور... الخ، وهل كان ليستقيم نظم الحياة الاجتماعية لو صار الجميع مثل بعضهم الآخر، وكانوا شركاء جميعاً في المال والثروة، ومتساوين فيهما؟!

من آثار آية الكرسي

تُقرأ آية الكرسي بعد الفرائض اليومية لحفظ صحّة العين، ثم تضع اليدين بعد الانتهاء، من القراءة على العينين وتدعو:

«اللهُمّ احفظ حدقتيّ بحقّ حدقتي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام».

وطبعاً فإنّ آية الكرسي نافعة لدفع جميع الأخطار، ولها فوائد جمّة بعد الصلوات اليومية[(٢)].

---

(١) مستدرك الوسائل ٢/ ٤٨١، بحار الأنوار ٧٥/ ٥٣، ٧٩/ ١٣٤، تحف العقول: ٢١٤، الدعوات: ٢٨٨، غرر الحكم: ١٠١.

(٢) راجع: وسائل الشيعة ٦/ ٤٦٧ باب ٢٣، مستدرك الوسائل ٥/ ٦٦ باب ٢١.

أعمال للنسيان والعثور على الضالّة، والتوسّل بالقرآن لكل حاجة

من المستحسن أن يقرأ الدعاء التالي للعثور على الأشياء الضائعة:

«اللهم إنّي أسألك يا مذّكر الخير وفاعله والآمر به أن تصلّي على محمد وآل محمد وتذكّرني ما أنسانيه الشيطان»[1].

وكذلك فإنّ قراءة هذا الدعاء نافع في تذكّر الأشياء المنسيّة، وقد نقلت رواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بهذا الخصوص.

كما أنّ الصلاة على محمد وآل محمد مؤثّرة في النجاة من الازدحام.

كان المرحوم الزنجاني يحضر درس الشيخ أبي القاسم القمي رحمه الله، فقال له الشيخ مرَّة: أحضر الكتاب الفلاني، فجاءه بكتاب آخر، فقال له: قلت الكتاب الفلاني ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾[2].

ولا يستبعد أن تكون قراءة هذه الآية مؤثرة في علاج النسيان؛ لأنّه جاء في الرواية: «خذ من القرآن ما شئت لما شئت»، وهذه الرواية تشمل أيضاً التذكّر والنسيان.

وورد كذلك في رواية أخرى ظاهراً: «يستشفي به لكلّ داء».

ومع ما لدينا من القرآن والعترة والعلماء المعاصرين، فإنّنا ما زلنا نستجدي من أمريكا وروسيا كي يعطونا شيئاً ما تفضّلاً، فنحن مستعدون للجلوس في طريقهم من الصباح إلى المساء ليعطونا أخسّ المبالغ وأزهدها، إنّنا نرى الصورة الظاهرة لهذا المال ولكنّنا لا ندرك باطنه وهو الاستعباد والخضوع لهم.

---

(١) لم نجد هذه العبارة والتي بعدها في الروايات، ولكن جاء في الرواية المنقولة عن الإمام الكاظم عليه السلام: «في القرآن شفاء من كل داء» انظر: مستدرك الوسائل ٢/ ٩٨، بحار الأنوار ٥٩/ ٢٦٢، ٨٩/ ١٧٦ و٢٠٢، فقه الرضا: ٣٤٢، مكارم الأخلاق: ٣٦٣.

(٢) سورة الأعلى، الآية: ٦.

جواب اعتراض على الزيارة الرجبيّة

اعترض الشيخ مهدي الخالصي رحمه الله على مفاتيح الجنان لنقل الشيخ عباس القمي فيه الزيارة الرجبية، في حين أنّه قد جاء في هذه الزيارة: «فبكم يُجْبَر المهيض ويُشفى المريض»[1] كما اعترض على ترك الناس مصباح الكفعمي وعدم استلفادتهم منه؟!

مع أنّه ليس من المعلوم أنّ الكفعمي لم يذكر الزيارة الرجبية أو أمثالها في كتابيه «المصباح» و«البلد الأمين»[2]، فقد نُقل في كثير من الموارد أنّه: «بكم فتح الله وبكم يختم»[3]، وهي تفيد نفس المضمون [الوارد في الزيارة الرجبية].

غسل الجمعة وآثار المداومة عليه

سؤال: هل يوجد في الروايات أنّ من واظب على غسل الجمعة أربعين يوماً فإنّ بدنه لا يتلاشى في القبر؟

الجواب لم أرَ التعبير بأربعين يوماً في الروايات، ولكن ورد التعبير بالمداومة، وطبعاً لا استبعاد فيه، فإن كثيراً من أجساد العلماء والصلحاء شوهدت طرية بعد مضي سنوات طويلة على دفنها.

---

(١) بحار الأنوار ٩٩/ ١٩٥. إقبال الأعمال: ٦٣١، مصباح المتهجد: ٨٢١.

(٢) لم تذكر هذه الزيارة في كتابي «المصباح» و«البلد الأمين»، ولكن وكما تفضّل به سماحة الأستاذ مدّ ظلّه توجد فقرات مشابهة أو أعمّ صادرة عن الأئمة عليهم السلام في زيارات أخرى، كما سيأتي الإشارة إليه في الهامش اللاحق.

(٣) البلد الأمين: ٣٠٢، وراجع أيضاً: مستدرك الوسائل ١٠/ ٤٢٣. وكذلك وردت فقرة: «بكم فتح الله وبكم يختم» في المصادر التالية: الكافي ٤/ ٥٧٥، من لا يحضره الفقيه ٢/ ٦١٥، التهذيب ٦/ ٥٤ و٩٩، وسائل الشيعة ١٤/ ٤٩٠، بحار الأنوار ٩٨/ ١٥٣ و٢١٢، ٩٩/ ١٣١ و١٥٤، عيون أخبار الرضا ٢/ ٢٧٦، كامل الزيارات: ١٩٧، كتاب المزار: ١١١.

نوادر وقصص وكرامات
من أحاديث الشيخ بهجت ومواعظه

تواضع الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله ومرتبته العلمية

كان للميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله شغل مع أحد طلابه، ويريد إيصال مبلغ من الحقوق الشرعية له، فجاء إلى باب داره وبقي منتظراً عند باب الدار إلى الغروب، حتى خرج ذلك التلميذ فأعطاه المال.

فسأله التلميذ: ولماذا انتظرت هكذا، ولم تقرع الباب؟

فقال الميرزا: لقد كنت أعلم أنّك ستخرج من المنزل آخر الأمر، ولذا لم أرغب في إزعاجك.

وهذا هو الميرزا الذي لا يُعلم أنّ أحداً من الشيعة يصل إلى درجته في الجدل. يقول السيد حسين القمي رحمه الله: إذا ادّعى شخص بأنّه صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّنا نقول له: إذهب إلى الميرزا محمد تقي الشيرازي وباحثه في الأصول، فإذا تغلّبت عليه عندئذ نصدقك.

وكتاباته الشخصية دالّة على صحّة هذا الموضوع.

ما الذي حدث؟ وكأن العلم قد رحل من بلاد الشيعة؟ لماذا لا نحترم ونعظّم علماءنا، ولم ابتُلينا بفقدان نعمة وجودهم بين ظهرانينا؟!

شريف مكّة وكرامة للشيخ حسن علي الأصفهاني رحمه الله

صادف عندما كان الشيخ فضل الله النوري والشيخ حسن علي الأصفهاني رحمهما الله في مكّة لأداء فريضة الحج أن مرض الشريف حسين شريف مكّة، فطلب المرحوم الشيخ فضل الله من الشيخ حسن علي طريقة لعلاجه وشفائه، فأعطاه الشيخ شيئاً من التمر ليأخذه إليه. فتتحسن صحّة الشريف، ويشفى لدى تناوله ذلك التمر، ويقوم بعدها بدعوة الشيخين النوري والأصفهاني للضيافة عنده فيلبّي المرحوم النوري الدعوة ولكن المرحوم الشيخ حسن علي يمتنع من الذهاب. وهناك يرغب الشريف حسين من الشيخ النوري أن يطلب منه حاجة ليقضيها له، وكان المرحوم النوري يحرص كثيراً على كتابة حرز الإمام الجواد عليه السلام الذي يجب أن يُكتب على جلد غزال من غزلان تهامة[1] له من العمر ستة أشهر، ولذا طلب منه أن يهديه غزالاً بهذا العمر، فأرسل له الشريف حسين ستة عشر غزالاً من النوع الذي طلبه، فأخذ منها ثلاثة.

وفي (مهج الدعوات) لم يشترط أن يكون حرز الإمام الجواد عليه السلام في خاتم فضة، بل شرطه هو أن يُكتب على جلد غزال بالنحو الخاص، وأن يحمله صاحبه معه[2].

طراوة جسد الشيخ الصدوق رحمه الله

جاء في (روضات الجنات) أنّه في حدود سنة (١٢٣٨هـ) وعلى أثر تساقط الأمطار بكثرة وجريان السيول، تعرّض قبر الشيخ الصدوق رحمه الله ـ الموجود في سرداب في مدينة الري ـ للخراب، وعندما هدم القبر لأجل

---

(١) اسم مناطق أسفل (نجد) من بلاد الحجاز. انظر: مجمع البحرين ٦/ ٢٣.

(٢) للاطلاع على شرائط هذا الحرز انظر: بحار الأنوار ٥٠/٩٧، ٩١/٣٥٦، مهج الدعوات: ٣٨، الأمان: ٧٧، مستدرك الوسائل ٢/ ٥٩٩.

إصلاحه وإعادة تشييده، وجدوا جسد الصدوق رحمه الله باقياً على حاله لم يتغيّر، وكأنه قد دفن لتوّه، إلاّ ما كان من الكفن فقد تمزّق وأصبح كالفتائل المنتشرة على بدنه، وكان البدن مكشوفاً بكله باستثناء العورة.

فذهب الناس من العلماء والمؤمنين لمشاهدة البدن الطاهر في ذلك السرداب وزيارته، حتّى لم يبق أدنى شك لأحد من الأهالي في ذلك.

فلما وصل الخبر إلى سلطان الوقت فتح علي شاه، حضر بنفسه مع حاشيته إلى ذلك المكان، فظهرت للجميع تلك الكرامة الباهرة، فأمر السلطان بتعمير القبر وبناء قبة محكمة عليه مع وضع الزينة على البناء.

...ومن كرامات الشيخ الأنصاري رحمه الله أيضاً

يمكن القول إنّ للمرحوم الشيخ الأنصاري ـ الذي كان يحضر الدروس الأخلاقية للسيّد علي الدزفولي الشوشتري رحمه الله ـ كلمات مميزة منها: إذا أردنا السعي في حوائجنا فيجب أن نسعى إليها مع الخشوع والخضوع، أي لا يكون همنا تلك الحوائج، بل ينبغي أن ينصب اهتمامنا بالتكليف ومراعاته.

وقال أيضاً في مرض موته: الموت والحياة من عوارض البدن، والسوء سواد الوجه في الدارين.

فهل يستطيع الإنسان العادي النطق بمثل هذه الكلمات؟!

الله يعلم كم ينبغي للإنسان أن يطوي من المقامات حتى يستطيع التكلّم بمثل هذه الكلمات. إنّ هؤلاء قد أدّوا الأمانة علماً وعملاً، والويل لنا إذا كنّا على خلافهم. لقد كان جميع بيت المال في داره؛ لأنّ البنوك لم تكن معروفة آنذاك، وفي إحدى الليالي تسلق اللصوص سطح الدار لينفذوا إليه، فرأوا في دار الشيخ رحمه الله جاموسة، فلم يتجرؤوا على

النزول إلى الدار خوفاً منها. وهذه الكرامة لا تختصّ بالشيخ رحمه الله، فكثير من العلماء لهم مثل هذه الكرامات. ونحن الذين لا نملك مثل هذه الكرامات، لعلّ الاعتراف والإقرار بأنّنا علماً وعملاً لسنا مثلهم ينفعنا ويسعفنا.

جسد الآخوند الخراساني بعد خمسين سنة

لقد فتحوا قبر الآخوند الخراساني رحمه الله صاحب (الكفاية) بعد خمسين سنة من وفاته من أجل دفن ابنته زهراء بجنبه، فوجدوا أن جسده وبالرغم من مرور هذه المدة لم يتلاش، ولم يتغير وجهه وملامحه.

وسمع من المرحوم الحاج ميرزا هادي الكفائي، وكان حاضراً ينظر مراسم حفر القبر، أنه قال: والأغرب من هذا أني لما أخذت يد الآخوند ووضعتها على يد ابنته، وجدته كالشخص النائم مما أثار تعجّب الحاضرين، وعند ملاحظة الكفن والوجه وجد كأن الآخوند قد دفن يوم أمس، فأردت أن ألتقط له صورة لكن خالفني البعض في ذلك لاعتقاده بعدم جوازه.

الإمداد الغيبي

كنّا في إحدى المناسبات مجموعة من الأشخاص، وأراد البعض أخذنا بالسيارة من البيت أو المسجد، وكنت راغباً بالذهاب معهم، ولكن ما إن أردت الصعود معهم بالسيارة، أحسست أنّ ملكاً يمنعني من ذلك ولا يدعني أصعد.

نعم، نحن بحاجة أكثر من ذلك، إلى إرشاد الملك وهدايته من أجل الحفظ من ارتكاب المعاصي. وهو البلاء الذي كثيراً ما نكون مبتلين به إلى يوم القيامة. الدنيا بيت العبرة، ومهما شاهدنا من أمور نعلّل أنفسنا

باحتمال كوننا مستثنين من ذلك، واحتمال عدم تكرر هذا الأمر معنا[1].

الميرزا حسين بن الميرزا خليل

قال الميرزا حسين بن الميرزا خليل[2] وهو في التسعين من عمره: إنّ تناول الطعام بالنسبة لي هو كمن يملأ كيساً أو وعاء، إذ أني لا أجد فيه أية لذة، وإنّما لذّتي الوحيدة هي الصلاة.

وقد نقل أحدهم عنه أنّه كان رحمه الله يقف بعد صلاة الصبح في الجهة المسامتة لرأس أمير المؤمنين عليه السلام، ويبقى مشغولاً بالصلاة إلى حين طلوع الشمس.

الاحتياط إلى جانب التبحّر

يجب أن نكون خائفين ومن أهل التوسّل، يجب أن نكون في المعلومات واليقينيات خائفين ومتوسّلين فضلاً عن المجهولات والمشتبهات!! يجب الانتباه والحذر، لئلاّ يؤدي العمل وتحمّل الابتلاءات في طريق الحقّ بالإنسان إلى الانحراف، ولقد شُوهد من عظماء العلماء من هو عجيب في علميّته، ومع ذلك فقد كان احتياطه عجيباً أيضاً! فالويل لمن يتسرّع في الإجابة لا عن علم.

بين البهائي وميرداماد

كان بين السيّد محمد باقر الداماد والشيخ البهائي رحمه الله خلطة تامة ومؤاخاة عجيبة قلّ ما يوجد نظيرها وقد نقل: أنّ السلطان شاه عباس

(١) كأنّ مقصوده حفظه الله أنّنا مهما شاهدنا من انحراف وتردّي أحوال ومعاصي من أشخاص وربما كانت بداياتهم حسنة فإننا لا نتّعظ من ذلك، ولا يكون انحرافهم مدعاة لنا لأن نهتم بمراقبة أنفسنا أكثر بل نعلّل أنفسنا بأنّ ما حصل معهم ربما لن يحصل معنا، وكأننا نملك مزايا تجعلنا مستثنين مما أصابهم من زلل.

(٢) أحد العلماء والمراجع في النجف الأشرف.

الصفوي ركب يوماً إلى بعض مقاصده، وكان الميرداماد والبهائي أيضاً في موكبه؛ لأنّه كان لا يفارقهما غالباً، وكان السيّد الداماد عظيم الجثة بخلاف الشيخ البهائي، فإنه كان نحيف البدن في غاية الهزال.

فأراد السلطان أن يختبر صفاء الخواطر فيما بينهما، فجاء إلى السيّد الداماد، وهو راكب فرسه في مؤخر الجمع وقد ظهر من وجناته الإعياء والتعب لثقل جثته، بينما كان جواد الشيخ البهائي في مقدم الجمع يركض كأنّما لم يحمل عليه شيء.

فقال: (يا سيدنا! ألا تنظر إلى هذا الشيخ في مقدم الجمع كيف يلعب بجواده ولا يمشي على وقار بين هذا الخلق مثل جنابك المتأدّب المتين)؟.

فقال السيّد: (أيها الملك! إن جواد شيخنا لا يستطيع أن يتأنّى في جريه من شغف ما حمّل عليه؛ لأنّه يعلم من ذا الذي ركبه؟).

ثم جاء إلى الشيخ البهائي وقال: (يا شيخنا! ألا تنظر إلى خلفك كيف أتعب هذا السيّد المركب، وأورده من غاية سمنه في العي والنصب، والعالم لا بدّ أن يكون مثلك مرتاضاً خفيف المؤونة)؟

فقال: (لا، أيها الملك! بل العيّ الظاهر في وجه الفرس من عجزه عن تحمّل حمل العلم الذي يعجز عن حمله الجبال الرواسي على صلابتها).

فلما رأى السلطان المذكور تلك الأُلفة التامّة، والمودّة الخالصة بين عالمي عصره، نزل من ظهر دابته بين الجمع، وسجد لله تعالى، وعفّر وجهه بالتراب، شكراً على هذه النعمة العظيمة.

نموذج من قناعة العلماء وحياتهم البسيطة

كان السيّد مرتضى الكشميري رَحِمَهُ الله يتناول إفطاره بعد مضيّ ساعتين من الليل، وكان إفطاره عبارة عن صحن في وسطه لقمة من الرز مما لا يشبع أمثالنا بالتأكيد. كان يأكل قليلاً ويجتنب عن إملاء المعدة، اللهمّ

إلاّ بالعنوان الثانوي كالأكل مع الضيوف وأمثال ذلك. وكان يقتدي برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام اللذين كانا يكتفيان بتميرات في إفطارهما. ولكن نحن نرى الثروة والغنى في المحسوسات، ولهذا لو دُعينا إلى مائدة طعام بسيطة لاعتبرنا ذلك إهانة لنا.

لقد دُعي أحد الأشخاص إلى ضيافة قدّموا له فيها الخبز اليابس والسكنجبين من غير شاي.

نعم لقد أمضى أولئك حياتهم بالبساطة والقناعة، ومع هذه الحالة فكم نحن غير شكورين.

ولقد كان المرحوم الشيخ رضا الهمداني(١) يطالع دروسه على ضوء بيت الخلاء [في المدرسة لافتقاده وسيلة الاستنارة]. ومقصودي أن لا نتقيّد بغير هذه الأمور؛ لأنّ مسرّات الدنيا محدودة ومقيّدة بالزمان. بسم الله، انظروا إلى هذه القنابل التي تتساقط على المدن والابتلاءات الأخرى. أفراح الدنيا وأحزانها تذهب وتنتهي، وسرور العام الماضي وأنسه لا ينفع لهذا اليوم، ولذة اليوم لا أثر لها غداً، وسرور الغد لا فائدة فيه اليوم.

صبر العلماء على الفقر:

ذهب المرحوم شيخ الشريعة الأصفهاني مرة لعيادة المرحوم المامقاني الكبير في منزله، فوجده يلتحف لحافاً مهلهلاً رثاً، ثم أحضروا له حساء لا يناسب حاله كمريض. فلم يكن من المرحوم الأصفهاني إلاّ الاعتراض قائلاً له: ما هذا اللحاف؟ وما هذا الحساء؟

فأجابه المامقاني: [ومن أين آتي بالمال] ممن أسرق؟ أممن أسرق؟

وبعدها كان شيخ الشريعة يرسل بيد ولده الشيخ أبي القاسم رحمه الله مبلغاً

---

(١) فقيد وأصولي كبير، توفي سنة ١٣٢٢، صاحب تأليفات عديدة منها: مصباح الفقيه.

من المال ليعطيه المرحوم المامقاني، وتكرر هذا العمل منه مراراً.

ويروي أحد طلاب العلوم الدينية العاديين عن المرحوم السيّد محمد الفشاركي، مع كل ما له من الفضل ـ حتى أن البعض كان يعدّه أعلم من الآخوند الخراساني والسيّد اليزدي رحمهما الله، بل أعلم حتى من الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله. يقول: رأيت السيد محمد الفشاركي رحمه الله عند الخباز، وقد جاء ليشتري خبزاً، والخباز يقول له: لقد أصبح حسابك كبيراً، ولذا لن أعطيك خبزاً [هذه المرة]. يقول هذا الطالب: فقلت للخباز: أعطه خبزاً على حسابي.

نعم، فمع كل هذه المقامات العلمية أين نحن منهم؟! وما صبرنا بالقياس إلى صبرهم؟! وما عبادتنا بالنسبة لعبادتهم؟!

لقد كانوا في صبرهم على المصائب في المرتبة القصوى، ويمثّلون الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في ذلك، مع فارق أنّ الأئمة والأنبياء عليهم السلام كانوا متعمِّدين [لذلك].

مكاشفة للعلامة الطباطبائي

قال العلاّمة الطباطبائي: (في سنوات تحصيلي في حوزة النجف الأشرف كنت أتلقّى مصارفي من والدي، وكنت فارغ البال مشغولاً بالتحصيل، حتى مرّت بعض الشهو عليَّ ولم يأت أحد من المسافرين الإيرانيين إلى العراق، ونفد مصرفي، وذات يوم بينما كنت مشغولاً بالمطالعة وأُفكّر في مسألة علمية، زاحمتني أفكار خلو اليد من المال، ووضع العلاقات بين إيران والعراق، وانشغلت بنفسي، فخرجت عن التفكير في المسألة العلمية، ولم تمرّ لحظات حتّى سمعت طرق الباب، وكنت في تلك الحالة واضعاً رأسي على يدي، ويدي على المنضدة، فلما

أردت أن أفتح باب المنزل رأيت رجلاً طويل القامة، وله لحية مخضبة بالحناء، ويرتدي لباساً لا يشبه لباس رجال الدين في عصرنا لا من ناحية القباء ولا من ناحية العمامة، ومع كل ذلك فقد كانت له هيئة جذّابة، فما إن فتحت له الباب حتى بادرني بالسلام وقال: أنا الشاه حسين وليّ، إنّ الله المتعال يقول: في هذه المدّة (الثمانية عشر عاماً) هل تركتك جائعاً حتى تركت درس المطالعة وأخذت تفكّر في معيشة يومك هذا؟

ثم ودّعني وخرج.

وبعد أن أغلقت باب المنزل ورجعت لأجلس خلف المنضدة تعجّبت ممّا رأيت، وخطر لي بعض الأسئلة، منها:

السؤال الأول: هل من الصحيح أنّي قمت من خلف المنضدة وذهبت إلى باب المنزل، أم إن ما رأيت رأيته وأنا هنا، مع العلم بأن لي يقيناً بأنّي لم أكن نائماً.

السؤال الثاني: من هذا الشخص الذي عرّف نفسه باسم الشاه حسين وليّ؟

وقد بقي هذا السؤال بدون جواب إلى أن كتب لي والدي من تبريز بأن أزور إيران في الصيف، وفي تبريز وحسب العادة المتّبعة في النجف كنت أمشي بين الطلوعين، وفي أحد الأيام مررت من المقبرة القديمة في تبريز فنظرت إلى أحد القبور وكان يبدو أنّه قبر أحد الأعاظم، وعندما قرأت الكتابة على الصخرة وجدت أنه قبر رجل عارف باسم الشاه حسين ولي وأنّه متوفّى حدود ثلاثمائة سنة قبل أن يأتي إلى منزلي.

والسؤال الثالث الذي خطر ببالي هو أن تاريخ ثمانية عشر سنة، متى يبدأ، فهل هو من حين شروعي بتحصيل العلوم الدينيّة؟

فإنّ لي خمسة وعشرين عاماً، أو من حين الوقت الذي تشرّفت به إلى حوزة النجف الأشرف؟

وهذا أيضاً لم يتجاوز عشرة سنين، وبعد أن فكّرت جيداً رأيت أن ثمانية عشر سنة هو مدة تلبسي بلباس رجال الدين.

...أيضاً من كرامات الشيخ الأنصاري رحمه الله

أعطى الشيخ الأنصاري رحمه الله مبلغاً من الحقوق الشرعية مقداره أربعمائة تومان للشيخ محمد حسين الكاظميني رحمه الله، وبما أن الشيخ الكاظميني كان واقعاً تحت دين، فساوره التفكير أنّ هذا المبلغ الذي أعطاه إيّاه الشيخ، هل هو لإيفاء قرضه، أم لتوزيعه بين الطلاب؟ ولهذا فقد أخّر توزيع المال على الطلاّب يوماً واحداً. وفي اليوم التالي وأثناء مرور الشيخ رحمه الله قريباً منه ناداه قائلاً: وزّع هذا المال بين تلاميذك وسنجد حلاًّ لأداء فرضك.

وطبعاً، فقد اطّلعنا على هذه الأمور بعد وفاة الشيخ رحمه الله، والأساتذة الذين نقلوا هذه القصص كانوا هم أنفسهم من أصحاب هذه الأمور، أو ربما إذا نقلوها عن الآخرين فيحتمل أن يُتصور أنهم أيضاً من أهل هذه الكرامات. وطبعاً كانوا يبيّنونها بنحو تنصرف الأذهان عنهم. وهؤلاء مع كل هذا الفقر، كم كانت لهم من مقامات وحالات. بينما نحن لسنا على شيء، مع جميع ما نمتلكه من وسائل الرفاه المادية هذه؟! فكم نحن مسلوبي التوفيق وكسالى!

رؤيا الشيخ جواد مشكور

رأى الفقيه العادل المرحوم الشيخ جواد بن مشكور في ليلة (٢٦/ صفر / ١٣٣٦هـ) في النجف الأشرف في منامه عزرائيل، وبعد السلام سأله الشيخ: من أين جئت؟

فقال: جئت من شيراز بعد أن قبضت روح الميرزا إبراهيم المحلاّتي.

فسأله الشيخ: كيف حال روحه في البرزخ؟

فقال: في أحسن حال، وفي أفضل بساتين عالم البرزخ، وأنعم الله عليه بأن جعل له ألف ملك يمتثلون أمره.

فسأله الشيخ: ما الذي عمله حتى وصل إلى هذا المقام؟

قال: لكونه كان يقرأ زيارة عاشوراء (وكان المرحوم الميرزا المحلاّتي قد واظب على زيارة عاشوراء ثلاثين سنة في أواخر عمره) فلما انتبه الشيخ جواد من نومه ذهب من الغد إلى منزل آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله ونقل له ما رآه في منامه، فبكى المرحوم الميرزا الشيرازي، فلمّا سئل عن سبب بكائه؟

أجاب: ذهب الميرزا المحلاّتي من هذه الدنيا، وكان أسطوانة الفقه.

فقيل له: لعلّه لا يصحّ نبأ وفاته، والشيخ رأى مناماً ويحتمل أن لا يصدقه الواقع.

فقال الميرزا الشيرازي رحمه الله: نعم، إنها رؤيا في المنام، ولكنّها رؤيا الشيخ مشكور.

وهذه الحكاية رواها البعض من فضلاء النجف عن المرحوم آية الله السيّد عبد الهادي الشيرازي رحمه الله الذي كان حاضراً في منزل الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله عند ورود الشيخ مشكور رحمه الله ونقل الرؤيا، وكذلك نقل هذه القصة الحاج صدر الدين المحلاتي حفيد المرحوم الميرزا إبراهيم المحلاّتي.

مكاشفة للسيد جمال الدين الكلدايكاني رحمه الله

نُقل عن السيّد جمال الدين الگلدايگاني رحمه الله أنّه قال:

رأيت المرحوم الشيخ آقا ضياء الدين العراقي في قنوت صلاة الوتر وهو يقول: سماحة الشيخ[1]، وقد التحق بنا.

وقد كان ذلك ليلة وفاة المرحوم الأصفهاني.

سؤال: هل رأى ذلك في عالم اليقظة أم في عالم المنام؟

الجواب: لقد نهض بعد صلاة الوتر، وأتى بصلاة الصبح ونافلته من غير أن يجدّد وضوءه، وعلى هذا فيكون قد رآه في عالم اليقظة.

اختبار في العبودية

نُقِل عن المرحوم الميرزا جواد الملكي التبريزي أنّه قال: هل حدث أن ٱمتُحنت في صدق عبوديتك، لكي تعلم هل أنت عبد لله أم لا؟ فكّر أنك إذا كنت تهيأت مع زوجتك وأولادك للسفر لزيارة كربلاء، وبعد تحمّل المشاق الكثيرة وإنفاق المال الكثير وصلتم إلى الحدود، ولكن فرض عليك هناك ارتكاب محرّم «مثل كشف الحجاب أو نظر الأجنبي إلى زوجتك وبناتك» لكي تستطيع الخروج من نقطة الحدود وأخذ الجواز، ففي هذه الحالة كيف تتصرّف؟ هل تقول في نفسك: لا أهمية لذلك، إنّه مجرد ذنب واحد، وقد أنفقنا كل هذه الأموال وتحمّلنا هذه المشاق حتى وصلنا إلى هنا، فلنرتكب هذا الحرام ونعبر الحدود. أو أنّك وبكل شجاعة ورجولة، ومع جميع ما تحمّلته من مشاق وبعد المسافة، ومع كل ما أنفقت من أموال ترجع مع عائلتك؟ وتقول: إنّ من

---

(١) آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله، وقد توفي بعد رحيل المحقق العراقي بأسبوع واحد فقط.

أمرني بقوله: إنّ الزيارة مستحبّة، وهو نفسه من أقصده للتقرّب، ومجيئي إلى هنا وتحمّلي كل هذه الخسارة المالية كان من أجله، لا يجوّز ارتكاب الحرام فيجب عليّ الرجوع من دون أي قلق أو انزعاج استجابة لداعي نهيه وزجره. لأنّني عبد، وأريد زيارة سيد الشهداء عليه السلام من أجل رضا الله سبحانه، لا إرضاءً لقلبي. وإذا كان هذا العمل لله، فالله تعالى ينهى عن ارتكاب الحرام، وينهى عن الزيارة إذا توقفت على ارتكاب الحرام، ولذا عليَّ الامتثال وترك الذهاب للزيارة [بهذا الشكل]. وعليه فلو لم يعدل ويرجع فهو يقيناً ناقص الإيمان؛ فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[(١)].

فالعبد المؤمن يجب أن يسلّم لأمر الله وحكمه، لا أن يكون تابعاً لرغباته وهواه، ومطيعاً للنفس والشيطان.

استشهاد ابن السكيت في محبة أهل البيت

كان أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت عالماً بالنحو والقرآن واللغة والشعر، راوية ثقة، وله تصانيف كثيرة في النحو ومعاني الشعر وتفسير دواوين العرب.

قال ابن خلّكان في (وفيات الأعيان): (وكان يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقدّم علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان يؤدّب أولاد المتوكّل، وكان المتوكّل كثير التحامل على علي بن أبي طالب وعلى ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، فبينما هو مع المتوكّل يوماً إذ جاء المعتزّ والمؤيّد، فقال المتوكّل: يا يعقوب، أيّهما أحبّ إليك: ابناي هذان أم الحسن والحسين؟!

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

فقال ابن السكّيت: والله، إنّ قنبر خادم عليّ عليه السلام خير منك ومن ابنيك، فقال المتوكّل: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا به فمات، وكان ذلك لخمس خلون من رجب سنة ٢٣٤هـ عن ثمان وخمسين سنة.

الكلباسي ودعاء الاستسقاء

كتب المرحوم الحاج ملاّ إسماعيل السبزواري في كتاب (جامع النورين) قائلاً: (ببالي أنّ المطر انقطع عن الهطول لمدّة سنة كاملة وذلك في عهد الحاج الشيخ الكلباسي، فجاء منوجهر خان ـ معتمد الدولة ـ إلى الحاج الكلباسي وقال: إنّ الناس يلتمسون من سماحتكم أن تشرّفنا للدعاء بنزول المطر، فاعتذر له الحاج بقوله: أنا شيخ كبير السنّ ولا أقدر على الحركة فكيف ذلك؟

فقال له معتمد الدولة: أرسل لكم تختاً متحرّكاً، تجلس عليه وتشرّفنا.

فقال الحاج الكلباسي: وأخيراً أدعو الله بإنزال المطر من على تخت مغصوب، وهل يستجيب الله تعالى مثل هذا الدعاء؟

فقال له ابنه محمد مهدي: نحن نصنع لك تختاً جديداً، وعندنا أخشاب في البيت.

فقال الحاج: لا بأس، فأرسلوا إلى النجار في صنع ذلك، ثم أعلنوا بين الناس بأن يصوموا من يوم السبت إلى الاثنين ويلتحقوا بالشيخ للدعاء بإنزال المطر، فصام الناس واجتمعوا في اليوم الموعود، فجلس الحاج على التخت، فأخذوا بأطراف التخت وذهبوا به باتجاه منطقة تخت فولاذ، ومن جهة أخرى جاء أرامنة منطقة جلفا من توابع أصفهان واصطفوا، كما جاء يهود أصفهان ينظرون أيضاً.

فلما رأى الحاج أن الأرامنة قد اصطفوا في جانب، واليهود اصطفوا

في جانب آخر، رفع رأسه إلى السماء بعد أن رفع العمامة عن رأسه، وقال: إلهي! قد ابيّضت شيبة إبراهيم في الإسلام، فلا تخجلنا هذا اليوم أمام اليهود والنصارى، وما إن تمّت دعوته حتى غطى السحاب السماء وبدأ المطر في تلك الساعة بالنزول.

التوسل بصاحب الزمان عليه السلام وزيارة عاشوراء

نقل المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله قال: (كنت يوماً عند الميرزا الشيرازي رحمه الله بسامراء أقرأ عليه، وفي أثناء الدرس دخل أُستاذنا الكبير آية الله السيّد محمد الفشاركي وعليه آثار الانكماش نتيجة ظهور مرض الوباء الذي شاع في العراق في ذلك الزمان.

فقال لنا: هل تعتبرونني مجتهداً أم لا؟

فقلنا: نعم، قال: وهل تعتبرونني عادلاً؟ قلنا: نعم، وكان مقصوده أخذ إقرارهم واعترافهم بجامعيته لشرائط الحكم والفتوى أو عدمه.

فقال بعد ذلك: أحكم على كافة شيعة سامراء من الرجال والنساء أن يقرأ كلّ واحد منهم زيارة عاشوراء يومياً نيابة عن والدة إمام الزمان عليه السلام لكي تشفع هذه المكرمة لدى ابنها حضرة ولي الأمر (عج) ليشفع بدوره عند الله المتعال حتى ينجو الشيعة من هذا البلاء.

قال المرحوم الحائري: عندما أصدر هذا الحكم، أطاعه جميع الشيعة من سكنة سامراء، وكانت النتيجة أنّه لم يتلف أحد من الشيعة في سامراء، في حين كان يتلف عشرة أو خمسة عشر يومياً من غير الشيعة من أثر الوباء).

فكّر بنفسك

نقل عن المرحوم المجلسي الأول أنّه ذهب إلى مقبرة (تخت فولاد) بأصفهان بصحبة الشيخ البهائي رحمه الله لزيارة أهل القبور، قال: فلمّا وصلنا

قبر بابا ركن الدين سمع الشيخ البهائي صوتاً من داخل قبر يقول له: يا شيخنا! فكّر بنفسك.

فالتفت إليّ الشيخ البهائي وقال: هل سمعت هذا الصوت؟

قلت: كلا. فأخذ الشيخ بالبكاء، وراح يدعو الله. فأصررت عليه أن يشرح لي ما جرى؟

فقال: أخبرني بأن أستعد للموت.

ولم يمض على هذه القضية إلاّ ستة أشهر حتى فارق الشيخ الحياة في أصفهان.

الوحيد البهبهاني يأتمر بأمر الإمام الحسين عليه السلام

كان للوحيد البهبهاني رحمه الله في كربلاء حوزة درس ومرجعية تامّة، وكان يخطر على باله في بعض الأحيان أن يغادر كربلاء إلى إحدى المدن الأُخرى، حتى رأى في المنام الإمام الحسين عليه السلام وهو يقول له: (أنا غير راض بخروجك من مدينتي)، فعدل عن رأيه السابق وصمّم على البقاء بجوار الحسين عليه السلام.

زهد وورع الملاّ عبد الله التستري رحمه الله

كان المولى الفاضل الملاّ عبد الله التستري يقول لابنه وهو يعظه: يا بني، إنّي بعدما أمرني مشايخي (رضوان الله عليهم) بحبل عامل بالعمل برأيي ما ارتكبت ـ مباحاً ـ حتى الأكل والشرب، وكان يعدّ ذلك بأصابعه، وهو رحمه الله أصدق من أن يتوهّم في مقاله غير محض الحقيقة.

وكأنّ ما يوجد في بعض المواضع من أن بعض العلماء، كان يقول: لم يصدر منّي منذ ثلاثين سنة إلى الآن من الأحكام الخمسة سوى الواجب والمندوب، أيضاً يشير إلى هذا العالم الكبير.

وروي: أنّه جاء يوماً إلى زيارة الشيخ البهائي رحمه الله، فجلس عنده ساعة إلى أن أذّن المؤذن، فقال الشيخ: أدّ صلاتك ها هنا حتّى نقتدي بك ونفوز بثواب الجماعة، فتأمل ساعة، ثم قام ورجع إلى المنزل، ولم يرض بالصلاة جماعة هناك، فسأله بعض أحبّته عن ذلك، قائلاً: إنّك مع غاية اهتمامك بالصلاة في أوّل الوقت لِمَ لم تجب الشيخ إلى سؤاله؟! فقال: راجعت نفسي سويعة، فلم أرَ نفسي لا تتغير بإمامتي لمثله، فلم أرض بذلك.

ونقل أيضاً أنّه كان يحب ولده المولى حسن علي كثيراً، فاتّفق أنه مرض مرضاً شديداً فحضر المسجد لأداء صلاة الجمعة مع تشتّت حواسه، فلمّا بلغ في سورة المنافقين إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ جعل يكرر ذلك، فلمّا فرغ سألوه عن ذلك؟ فقال: إنّي لمّا بلغت هذا الموضع تذكّرت ولدي، فجاهدت مع النفس بتكرار هذه الآية إلى أن فرضته ميّتاً وجعلت جنازته نصب عيني، ثم تلوت ما بعدها.

وكان من عبادته أنّه لا يفوته شيء من النوافل، وكان يصوم الدهر، ويحضر عنده في جميع الليالي جماعة من أهل العلم والصلاح، وكان مأكوله وملبوسه على أيسر وجه من القناعة، ونقل أنه اشترى عمامة بأربعة عشر شاهياً وتعمّم با أربع عشرة سنة، وكان مبجّلاً للغاية عند الناس.

سبب تأخّرنا

لقد عاش السيّد بحر العلوم رحمه الله مع جميع هذه البركات عمراً أقلّ من عمر الشيخ الأنصاري رحمه الله. وكم للشهيد الأول رحمه الله من كتب نافعة وقوية ومتينة. فالتوفيق في تحصيل العلم شيء آخر، وليس هو بمجرد كثرة الاشتغال والدرس.

وأنّه لمن الخطير جداً أن لا نعرف الطريق الذي سلكه العلماء والمتقدّمون. إن سبب تأخّرنا هو أنّنا نأكل الأموال المشتبهة، والمال المشتبه يوجد التردّد والشبهة ويسببها. ولا نكتفي بمثل الخبز ومقدار الضرورة. وهذه الأمور هي المؤثّرة في حصول الإيمان واليقين، والتوفيق في طلب العلم وآثاره وبركاته، ولهذا كان بعض العلماء يحرصون على تهيئة الخبز في داخل البيت ليطمئنوا إلى طهارته وحلّيته. إن التصرّف في المال وإنفاقه بغير رضا صاحبه يترك أثراً سيئاً في أمورنا العلمية والعملية.

لقد كان ناصر الدين شاه يظهر احتراماً بالغاً للمرحوم الكني[١]، ولهذا أعفاه من دفع الضرائب، ولكنّ المرحوم الكني قال له: أرجو أن تأمروا بأخذ الضرائب من أملاكنا أيضاً. وكان قصده أنّه لو قلّت الضرائب من جهة ما فسيضاعفونها على جهة أخرى، وأنّهم إذا لم يأخذوا منه ضريبة على أملاكه فسيعملون على تحصيل ما فاتهم بذلك من مضاعفة ضرائب الآخرين.

لقد كان علماؤنا من أهل القناعة في الإنفاق، بالإضافة إلى تفقدهم أحوال الآخرين. بينما سلكنا نحن طريقاً آخر، فلم نبالِ بتصرفاتنا، كما لم نغتن بأوضاع الآخرين بل نحن وبسبب عدم قناعتنا، وإيغالنا في الماديات وكماليات الحياة، نعيش تحت وطأة الديون باستمرار، والقرض في الواقع غلٌّ آني للإنسان. والله يعلم كم يجب على الإنسان السعي وبذل الجهد لأداء قرضه ودينه.

التخلّي عن الذات

كان المرحوم آية الله السيّد حسين الكوه كمري من تلامذة صاحب

(١) الملاّ علي الطهراني الكني من العلماء الكبار (١٢٢٠ـ ١٣٠٦).

(الجواهر) وكان مجتهداً مشهوراً ومعروفاً، وكان ـ على طبق المتعارف ـ يدرس في ساعة معيّنة في أحد مساجد النجف الأشرف، وقد صادف في أحد الأيام أن حضر قبل الوقت المقرّر للدرس فجلس في المسجد بانتظار أن يجتمع الطلاّب، ولكنه التفت فرأى في إحدى زوايا المسجد شيخاً يقوم بتدريس مجموعة من الطلاّب تلتف حوله.

فأخذ السيّد حسين يستمع جيداً إلى كلام هذا الشيخ ليكتشف مع كمال التعجّب أن هذا الشيخ محقّق كبير، وفي اليوم الثاني تعمّد المجيء قبل وقت درسه لينتحي جانباً من المسجد ويستمع جيداً إلى درس الشيخ، وبعد عدة أيام «على هذا المنوال» تيقّن أنّ هذا الشيخ أفضل منه في التدريس، وأن طلاّبه لو حضروا درس هذا الشيخ لكانت استفادتهم أكثر.

وفي اليوم التالي عندما جاء الطلاّب واجتمعوا حوله خاطبهم قائلاً: أُريد اليوم أن أقول لكم شيئاً جديداً، وهو أن هذا الشيخ الذي يدرس في زاوية المجلس أراه أكفأ منّي في التدريس فلنذهب سوية إلى درسه، ومن ذلك اليوم من حضّار درس الشيخ.

كان هذا الشيخ هو الشيخ مرتضى الأنصاري الذي عرف فيما بعد، ولقب بأُستاذ المتأخرين، وكان الشيخ في ذلك الوقت قد جاء من السفر تواً، بعد أن زار ولسنوات طويلة كلاًّ من: مشهد وأصفهان وكاشان.

ذكر الميرزا النائيني رحمه الله قبل الشروع في الدرس

كان أُستاذنا المرحوم الميرزا النائيني ينصرف إلى ذكر الله عزّ وجلّ مدة مديدة قبل بدء الدرس، وقد حدس بعض الطلاب بأنّه كان يقرأ سورة يس، وفي أواخر عمره أخذ الذكر المقدمة يستغرق مدة أطول من الوقت الذي يستغرقه نفس الدرس.

وكان أهل العلم والطلاّب ينتظرون لحصة بدء الدرس، في حين كان الميرزا مستغرقاً بالذكر وقراءة دعاء مقدمة الدرس وكأنّ لا أحد حوله، حتى قال لي مرة السيد الخوئي رحمه الله: لنقل للأستاذ أن يأتي بهذه الأذكار في بيته، وفي وقت خلوته. وكأنّ السيّد الخوئي كان يصعب عليه أن يصدّق بوجود شخص، له مثل هذه الحالة من الخضوع والخشوع والتوجّه إلى الله تبارك وتعالى مع وجود جمع من الناس، من غير أن يهتم بهم وربما يدور حوله.

الأصمعي وموعظة المرأة الشابة

يقول الأصمعي(١): شاهدت يوماً خيمة في الصحراء فاتّجهت إليها، فصادفت فيها امرأة شابة، وما إن وقعت عينيها عليّ حتى رحبت بي ودعتني للدخول. فدخلت وطلبت منها ماءً، فرأيت وجهها قد تغيّر ولم تكلّمني ولم تسقني، بل كانت تحدّ النظر خارج الخيمة، إلى أن وصل رجل على جمل له من بعيد، فنهضت المرأة وحملت ذلك الماء الذي لم تسقني منه، وذهبت به إلى ذلك الرجل الأسود العجوز لتغسل به يديه ورجليه. وكان هذا الرجل على درجة عالية من سوء الخلق، فلم يبال بي، كما كان يتصرف بخشونة مع تلك المرأة أيضاً. وعلى أية حال فقد نهضت من مكاني لأنصرف فجاءت تلك المرأة لتشيّعني وتودّعني، فقلت لها: أيتها المرأة أليس مضيعة أنّك ـ مع جمالك هذا وشبابك ـ قد ارتبطت بهذا الرجل، فما الذي حبّبه إليك، ماله أم أخلاقه أم جماله؟ وما هو إلاّ عجوز سيء الطبع.

فتغيّر وجه المرأة وقالت: ما كنت أظن يا أصمعي وأنت وزير هارون

---

(١) وزير هارون.

بأنّك رجل نمّام؟! يقول النبي ﷺ: «الإيمان نصفه الصبر ونصفه الشكر»[1]. من واجبي أن أشكر الله تعالى على ما وهب لي من الجمال والشباب والأخلاق الحسنة، وذلك بأن أُحسن عشرة زوجي وأصبر على سوء خلقه، فإنّ الدنيا ماضية وأُريد أن أذهب منها وأنا كاملة الإيمان.

إحياء السنن

يقول حجّة الإسلام والمسلمين قدس أحد تلامذة آية الله بهجت:

(كان الشيخ يوصينا دائماً: أن لا ندع السنن تُنسى، وتحل العرفيات أو البدع محلّها.

فقد قال لنا ذات يوم: كان آية الله الحاج الشيخ مرتضى الطالقاني (من أساتذة الأخلاق وجهابذة العلماء في النجف الأشرف) مدعواً إلى الإفطار في يوم من الأيام مع عدد من العلماء، ومن جملتهم آية الله العظمى المرحوم الخوئي.

وعندما يحضر الطعام ويجلس الجميع حول المائدة، يقول الشيخ الحاج مرتضى طالقاني: لا يوجد ملح في المائدة، ولم يمدّ يده إلى الطعام، مع أنّ المسافة بين محل المائدة والمطبخ كانت كبيرة، ويبدو أنّ الطعام كان يأتي من بيت آخر.

على أي حال لم يمد الشيخ يده إلى الطعام حتى جاؤوا بالملح ولم يمد الآخرون أيديهم أيضاً احتراماً للشيخ وكان من جملتهم المرحوم آية الله الخوئي.

وبعد اختتام المجلس وعندما أرادوا التفرّق، خاطب السيّد

---

(١) انظر بهذا المضمون: بحار الأنوار ٧٤/ ١٥٣، تحف العقول: ٤٨.

الخوئي رحمه الله الشيخ الطالقاني قائلاً: يا سماحة الشيخ، إن كنت مقيّداً بهذه السُنّة إلى هذا الحدّ فمن الأفضل أن تحمل معك قليلاً من الملح حتى لا ينتظرك الناس هكذا. فأخرج الشيخ الطالقاني رحمه الله كيساً صغيراً من الملح من جيبه وقال: كنت أحمل الملح معي، ولكنّي أردت أن يُعمل بهذه السُنّة الإسلامية الحسينة).

أسرار الشيخ الأنصاري رحمه الله ومقاماته

للشيخ الأنصاري رحمه الله كلمات تنبىء عن مقاماته العالية، وذلك أن من لم يتوفر على علوّ المقامات لا يمكنه التفوّه بمثل هذه الكلمات، حتى أن المرحوم السيّد علي الشوشتري ـ الذي يمكن القول بأن الشيخ الأنصاري كا نيحضر درسه في الأخلاق، بينما كان هو يحضر درس الشيخ الأنصاري في الفقه ـ يقف على جنازته ليخاطبه قائلاً: لم تجد أحداً تعطيه أسرارك.

السيد محمد الفشاركي طريد الخباز

عندما جاء السيّد محمد الفشاركي رحمه الله إلى النجف أمر المرحوم الآخوند الخراساني طلاّبه بالحضور في درسه. وكان يحضر في درسه جميع الأجلّة من العلماء، أمثال السيّد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ عبد الله اللنكراني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين الأصفهاني، وآخرون قدّس الله أسرار الجميع. والشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله كان معه منذ كان في سامراء. لكن نفس هذا السيّد الفشاركي رحمه الله، الذي كان من كبار أساتذة حوزة النجف، وصل به الأمر إلى أن يقصد الخبّاز ليشتري خبزاً فيمتنع الخباز من إعطائه الخبز؛ لأنّه لم يكن يملك ثمنه، ولم يعد يستطيع أن يبيعه إياه بالدين أيضاً لأنّ قرضه

صار كبيراً. ويصادف وجود أحد الطلاّب فيتبرّع بضمان ثمن الخبز للسيد، ويخرجه من ذلك المأزق.

لقد كانوا رغم كل هذا الفقر وكل هذه الابتلاءات في راحة تامة من الناحية الروحية؛ وذلك لأنّ قلوبهم متعلقة بمكان آخر، وكانت لهم همم عالية في العلم والعمل، ولم تكن مثل هذه المشكلات تعيقهم عن أعمالهم.

من نوادر السيد بحر العلوم رحمه الله

اطّلاع الإنسان عن موته أمر حسن فيما لو استلزم استعداده له وأداء ما عليه من حقوق وديون.

شُوهد أحد الطلاب يكثر من البكاء، وعندما سُئل عن السبب قال: كنت في درس السيّد بحر العلوم رحمه الله فقرأ رواية في سندها راوٍ باسم أحمد بن محمد، فاعترضت قائلاً بل هو محمد بن أحمد، لا أحمد بن محمد.

فقال السيّد رحمه الله: إنّه أحمد بن محمد وأنا أعرفه، بل أعرف آباءه وأجداده إلى آدم عليه السلام، بل أعرف جميع أهل المجلس، وأعرف من منهم في الجنة، ومن سيكون في النار. وعندما قال في النار أشار إليَّ.

ولقد سمعت هذه القصة من عدة أشخاص. وعلى أية حال فعلى المرء أن يسيء الظن بنفسه وبأعماله.

إخبارات السيد مرتضى الكشميري رحمه الله

لقد كان الإخبار عن المغيبات أمراً عادياً جداً من السيّد مرتضى الكشميري رحمه الله. ينقل ابنه أنّهم أضاعوا في أحدى الأيام شيئاً ما في المنزل، ومهما بحثوا عن هلم يجدوه. وعندما جاء السيّد إلى المنزل

سألهم عمّا يبحثون، فأخبروه عنه وأنّهم فتّشوا في كل مكان فلم يجدوه. فقال لهم: هل بحثتم على السطح أيضاً؟! فقالوا: لا. فقال لهم: ابحثوا هناك فلعلكم تجدوه فيه. يقول ابنه: وبالفعل ذهبنا إلى السطح فوجدناه هناك.

السيّد مرتضى الكشميري رحمه الله ودعاء الصباح

كان السيّد مرتضى الكشميري رحمه الله في شهر رمضان يستمر في التعقيب بعد صلاتي المغرب والعشاء لمدة ساعتين، لكن ينقل أنه لم يكن يقرأ دعاء الصباح في تعقيبات صلاة الصبح، بسبب عدم وثوقه بسنده، وعدم اطمئنانه إلى صدره. وهذا مع أنّ متن دعاء الصباح شهادة صادقة على صدوره من مصنع أهل البيت عليهم السلام، وينفي أن يكون قد دُسَّ في أدعيتنا المأثورة!

سؤال: هل يقرأ دعاء الصباح بعد نافلة الصبح أم بعد فريضته؟

الجواب: إنه يُعدّ من تعقيبات فريضة الصبح.

من أحوال السيّد بحر العلوم رحمه الله

قام السيّد بحر العلوم رحمه الله بعد وفاة الوحيد البهباني رحمه الله وانتهاء المرجعية إليه، بتنظيم الشؤون الدينية، وتوزيع المهام والمناصب الدينية بين المراجع والعلماء الموجودين. فعيّن المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء لمنصب الإفتاء، والمرحوم الشيخ حسين [نجف] لإقامة الجماعة، وأبقى التدريس لنفسه.

وفي أحد الأيام يقوم الكشمير رحمه الله بتعطيل الدرس، فيُسأل عن السبب فيقول: إنّه مرَّ في وقت صلاة الليل في بعض الأحياء التي يقطنها الطلاّب، فلاحظ أنّهم نيام، ولم يرَ [أو يسمع] ما يدلّ على استيقاظهم للتهجّد وصلاة الليل.

السيّد علي القاضي في انقطاعه ويقينه

لقد كان هذا السيّد علي القاضي رحمه الله منقطعاً أشد الانقطاع، وبحالة شديدة من العوز والفاقة المادية، بل أشدّ فاقة من عامة الطلاب، إذ أنّ عامة الطلاب كانوا يتجهون لبيوت المراجع والعلماء لرفع الحاجة، أما هو فلم يكن يعرف هذا الطريق، ولكنه مع هذا يقول: لقد مضى من عمري سبعون عاماً أو أكثر، ولم يصادف في ليلة من الليالي أن قلنا: ليس لدينا عشاء لهذه الليلة. نسأل الله تعالى أن يجعل رزق كل منا يقينه.

من أحوال السيّد جمال الدين الكبايكاني رحمه الله

عندما جاء السيّد جمال الدين الگبايگاني إلى النجف لم يكن يمتلك أية ثروة، كما أنّه لم يكن ممّن يأتي مكاتب المراجع عند الحاجة أو يتردد إلى هنا وهناك لطلب المساعدة. [ومن نوادره في القناعة والصبر أنّه] يخرج يوماً وقد حلّ به الجوع إلى بائع الخضار، فيشتري سبانخ أو ما أشبه مما يسدّ الرمق ويناسب حال المفلس، ويقتصر في طعامه عليه مما يؤدّي إلى إصابته بالإسهال والمرض الشديد.

أجل لقد ضحّى علماؤنا بأعمارهم في سبيل العلم وتحصيله، وفي ظل ظروف شاقة كهذه. ونفس السيّد جمال الگلبايگاني رحمه الله كان من أصحاب الكرامات إذ كان يقيم صلاة الجماعة في بيته، فيلتفت يوماً إلى المصلين بعد الصلاة ليقول لهم: لقد انتقل السيّد محمد الحجة إلى رحمة الله الآن[1].

(١) آية الله العظمى السيّد محمد الحجة كان في مراجع التقليد في قم، وهو مؤسس وباني المدرسة المعروفة حالياً بالمدرسة الحجية.

الفهرس

سيرة العارف السيد
عبد الأعلى السبزواري(قدس سره)

قبسات نورانية
من النفحات العرفانية

سيرة حياة العارف الميرزا السيد علي القاضي (قدس سره)

سيرة العارف الشيخ رجب علي الخيّاط الطهراني

نبذة من حياة
العارف البيدآبادي

برنامج عمل من العارف السيّد صدر الدين محمد الموسوي الكاشف الدزفولي تلميذ البيد آبادي في بيان الأمور التي يجب على سالك الحق العمل بها

الشيخ محمد تقي بهجت
(دام ظله)